



جامعة المدينة العالمية
جمعنا على الحق والعدل



المنهج النبوي في التعليم القرآني

دراسة تأصيلية للجامعة القرآنية في عهد النبي ﷺ
(كيفية التعليم القرآني في العهد النبوي)

الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

الأستاذ المشارك للدراسات القرآنية

كلية التربية / جامعة ذمار / اليمن

إمام وخطيب جامع الصالح





**المنهج النبوي
في التعليم القرآني**

محافظة جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤ / ١ / ٥٧٧)

٢٢٠

المجيدي، عبد السلام مقبل
المنهج النبوي في التعليم القرآني / عبد السلام مقبل المجيدي - ط(٣)
عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم ٢٠١٤
(٥١٨ ص)
ر.إ.: ٢٠١٤/١/٥٧٧.

الواصفات: / القرآن // التربية // الإسلام /
الرقم المعياري الدولي: (ردمك) ٥ - ٤٠ - ٥٧١ - ٩٩٥٧ - ٩٧٨ ISBN

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

من منشورات

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

هاتف: +٩٦٢ ٦ ٤٦٢٨٣٣٤ - فاكس: +٩٦٢ ٦ ٤٦٢٨٣٣٦

ص.ب. ٩٢٥٨٩٤ - الرمز البريدي: ١١٩٠

حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (١٧٦٧١)

حسابنا لدى البنك العربي الإسلامي الدولي / فرع الحسين (١٠٢٠٠)

حسابنا لدى بنك الأردن دبي الإسلامي / فرع الشميساني (١٠٥٥٩٧)

www.hoffaz.org

E-mail: hoffaz@hoffaz.org

المنهج النبوي في التعليم القرآني

دراسة تأصيلية

للجامعة القرآنية في عهد النبي ﷺ

(كيفية التعليم القرآني في العهد النبوي)

تأليف

عبد السلام مقبل المجيدي

الأستاذ المشارك للدراسات القرآنية

كلية التربية / جامعة ذمار / اليمن

إمام وخطيب جامع الصالح سابقاً

جامعة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

[البقرة: ٣٢]

﴿ رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[البقرة: ١٢٩]

الإهداء

إلى: سيدي رسول الله ﷺ.. صاحب خبر السماء ﷺ.. نفسي له الفداء..
 أنفاسك الطاهرة.. طالما أقرأت الكتاب المجيد.. فكان من يديك - يا سيدي - كلُّ
 بر أمين مبين رشيد.. فخلف من بعدهم - يا سيدي - خلفاً ورثوا الكتاب..
 يأخذون عرض هذا الأدنى.. طمعاً في السراب.. وبلي القرآن في صدور أقوام كما
 تبلى الثياب.. وانطلق الملاء منهم ينتجون: إن سيرهم على حرف الكتاب لفي
 ضلال مبين.. فحرفوه، ورموا به في غيابات الحب، وكانوا فاعلين.. وهم
 يُصعدون.. يُصعدون - يا سيدي - ولا يلوون على أحد.. واشتري بآيات الله ثمنٌ
 قليل.. وحشرج الصدر لذلك بعويل الأسوار، وسُمعت آهات نداء الحق خلف
 أسوار العويل.. وملاً من المؤمنين للحق كارهون.. يجادلون في الحق بعدما تبين،
 وهم ينظرون.. وأحلوا الخسر: إذ حطموا باستكبارهم التواصي بحقٍ وصبر، وهم
 لا يشعرون.. وصار ما سوى الكتاب المجيد عندهم هو العُجاب.. فمسنأ حينٌ من
 الدهر تاهت عنا فيه حقيقة المتاب.. وأفلَ عنا كل نور صالح، وتركتنا شفقة عبدِ الله
 ناصح، ولعَبنا بعوج ماديات المصالح، ونأت خلفنا هدايات عليّ حكيم.. فذهبت
 الريح.. وبكى الغار.. وأنَّ أحدَ ﴿وَمَنْ يَنْ أَلَّهِ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ... ألم تدعهم في
 أخرهم.. وأخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق..

فكان نداؤك - يا حبيبي - يشق الأزمان للوهي، ويغيث أمة من اضطرار الفتنة
 حيرى: «هذا الكتاب.. فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا بعده أبداً»، فسارع إلى
 الخيرات كلُّ مُمسكٍ بالكتاب يهدي إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم.. بيتغي الحق
 مظانه، وعلى شدة القروح انقلبوا بنعمة من الله وفضل.. لم يمسهم سوء.. فإذا
 سعيهم مُحمَّدٌ محمودٌ أحمد.. بما علمتهم من الكتاب المجيد.. حتى كادوا يكونون

عليه - لهفأً وشوقاً - لبدأً.. ينتظرون ورود الحوض، وشروق شمسك أمامه.. كأن
وجهك ورقة مصحف عَلَّمْتَهُ.. وما زالوا - يا حبيبي - يخرون للأذقان.. ليكون
ابتغاء شربة هنيئة لا تظماً بعدها قلوبٌ هفى طالما ظممت إلى يدك الشريفة - أبدأً..
يرددون مع الحبيب الجليل ابن أم عبدٍ - إذ أمرتهم بالتمسك بعهده:-
اللهم أسألك إيماناً لا يرتد.. ونعيماً لا ينفد.. ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى
جنان الخلد.

المقدمة

الحمد لله على آلائه.. هداانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ومقال الصدق، صلى الله عليهم أجمعين.. اللهم صلّ على محمدٍ صلاةً أزدلف بها إلى مغفرتك، وسلم عليه تسليماً يحشرني في زمرة أوليائه.. اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة.. اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين، الأخيار الطاهرين.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول بحقٍ أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيءٍ يُشينني عندك.. أعوذ بك أن أستعين بشيءٍ من معاصيك على ضررٍ نزل بي.. أعوذ بك أن تجعلني عبرةً لأحدٍ من خلقك في مقام الخزي.. اجعلني ممن ابتدأته بفضلك.. وأعقبته بودك، ورافتك، ورحمتك.

وبعد: فكم عللتُ الفؤاد العليل بإشراق غده أن كان يتطلع لهفأً وشوقاً إلى معرفة المنهجية النبوية الصافية في تعليم اللفظ القرآني... فمتى غده إن لم يكن الآن؟ والآخرة على الأبواب.. ومعرفة كهذه تفتح أبواب الإيمان واليقين والعمل والإخبات ففيها لكل ذلك مغتسلٌ باردٌ وشراب.. وقد كانت رسالة العالمية العليا (الدكتوراه) محاولةً أوليةً في سبيل تحقيق ذلك، إلا أن طولها، وعمق أبواب كثيرة من مسائلها دعا عدداً من الأحباب النصحة لكتاب الله وللمسلمين إلى طلب اختصارها عسى أن يعم النفع بها لعامة المسلمين بعد أن كان موقوفاً على المختصين والباحثين.. فكان هذا الكتاب.. ملتصقاً من الله جل وعز خير ختام وحسن مآب.

المنهجية النبوية في تعليم اللفظ القرآني.. لماذا؟

١- لأن حاجة علماء الإقراء والتجويد ماسةً وضرورية إلى منهج محدد يوضح لهم كيفية إقراء النبي ﷺ اللفظ القرآني، ليكون أساساً تعويدياً يعتمدون عليه في تأصيل عمليات الإقراء، وركناً واضحاً يتخذونه سبيلاً تطبيقياً في تعليم اللفظ القرآني وتعلمه.

٢- ليستبين المقياس المطلق لصحة المنهجية التعليمية للفظ القرآني، وبالتالي يتم تصحيح بعض الأخطاء الشائعة في المنهجيات التعليمية السائدة كالغلو في حفظ الألفاظ دون مصاحبة ذلك لمنهجية في تعلم المعاني، والتخلق بالخلق القرآني... فتكون هذه الدراسة محاولةً في سبيل إعادة المنهجية النبوية إلى واقع الأمة، وتمثل أساساً لتقويم واقع الإقراء وتسديده في العصر الحاضر.

٣- ليأوي معلم القرآن ومتعلمه من المسلمين عامة إلى ظلال وارفة عيشاً مع قضايا علم القراءة والتجويد في صورتها الصافية، وسيرتها الأولى.. حيث كان الموجه القرآن الكريم، والسنة النبوية قبل حدوث الأقوال وتعددتها - على فضلها - عسى أن ينشر الله له فيها من رحمته، ويهيئ له من أمره مرفقاً إذا دلف إلى جنانها في عصر أحزاننا المستديمة على حد قول القائل:

دخلتُ، وقلبي قد طار مني ولكنه عاد لما دخلتُ
دخلت الرحاب، وأسلمت نفسي إلى تلف الوجد حتى سلمتُ
وكان المقام العظيم العظيم عليه يخيم نورٌ وصمتُ
فطوف بي من جلال القرآن ذهولٌ فهمتُ، وهمتُ، وهمتُ

٤- لسد الثغرة القائمة في مؤلفات علوم القرآن الكريم؛ إذ لا يوجد - فيما أعلم - كتاب جامع يتضمن دراسةً وصفيةً لتعليم النبي ﷺ القرآن الكريم

لأصحابه رضي الله عنهم، ويؤصل لقواعد علم التجويد، وإن سدت كتب فضائل القرآن ومقدمات التفاسير جزءاً عظيماً وهاماً من ذلك.

الأهداف التفصيلية للكتاب:

- ١- التأصيل الشرعي الدقيق لمناهج القراءة، وقواعد التجويد حيث تخلو الكتب المؤلفة في هذا العلم - غالباً - من ذلك.
- ٢- الوصول إلى نتائج مبينة في بعض قضايا اللفظ القرآني الشائكة كمسألة التواتر القرآني... والتكبير عند خواتم القرآن... عدد الحفاظ في عهد النبي ﷺ... صورة حفظ القرآن مسألة عامة شائعة... التأكيد على حفظ كبار الصحابة رضي الله عنهم للقرآن كله في حياة النبي ﷺ... العرضة الأخيرة... حل إشكالات في الفهم لبعض الروايات والنصوص التعليمية... الكلام عن القراءة التفسيرية... نظرية القراءة بالمعنى... أسلوب إدارة النبي ﷺ للجامعة النبوية القرآنية... تخرج آلاف الحفاظ للقرآن الكريم على أيدي أئمة الإقراء من أصحابه رضي الله عنهم.
- ٣- إظهار الأداة الواقعية التي تؤدي إلى الاطمئنان على دقة نقل ألفاظ القرآن الكريم، وعدم طروء أي تطور مخالف لما كان عليه الأمر قديماً في نقلها إلا ما كان عائداً إلى خدمة الأصل التوقيفي... فتتجلى عند ذاك واقعية الحقيقة الإيمانية (العقدية) الخالدة (حقيقة الحفظ الإلهي للقرآن الكريم) ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ﴿ ذَلِكَ كِتَابٌ لَّارْتِبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأرْتِبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢]، من خلال وصف ذلك في العهد النبوي، وعرض حقائق التلاوة بطريقة فيها نوع جدة.

- ٤ - رام المؤلف أن يبين أن النبي ﷺ كان - في أداء البلاغ المبين للفظ القرآني - كرئيس جامعة عصرية تضم تحتها عدداً من الكليات، ومجموعة متخصصة من هيئة التدريس يبرز بعضهم كبار المدرسين، ويمكن تشبيه بعضهم بالمعلم الأول في عصرنا... وأما الطلاب فأعداد غفيرة تشكل الأمة بأسرها، ومنهم المتفرغون لتعلم القرآن الكريم كالسبعين الذين قتلوا في بئر معونة، كما حاول أن يبين مفردات المنهج الذي يجب على جميعهم أن يتعلموه «الواجب العيني»، ثم يرتقي بعضهم إلى الدراسات العليا ليحيطوا بنسبة أكثر وأدق من المعرفة القرآنية لهذا المنهج التعليمي «الفرض الكفائي».
- ٥ - فصل الكتاب كيفية تعليم الناس اللفظ القرآني وفق منهجية التلقي، وكيف كانت تتم عملية التلقين والتلقي على الرغم من كثرة العدد، مع ضرورة تطبيق اللفظ القرآني، ومعرفة معانيه.

لماذا اختار الكتاب مصطلح (أصحاب) ولم يختَر مصطلح (تلاميذ)؟

لأن هذا هو المصطلح النبوي لتلاميذ النبي ﷺ... والاصطلاح على المتعلم بأنه (تلميذ) نشأ متأخراً^(١)، والأصحاب مأخوذ من الصحبة التي «تعني المصاحبة والمرافقة والمجالسة على حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ»، والصحابة هم أصحاب محمد ﷺ الذين صاحبه وجالسوه وسمعوا منه وأخذوا عنه هدي الإسلام وسننه، فنصروه وعزّروه وجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

ولقد قام المنهج النبوي على تأسيس الصلة والصحبة والجنديّة كلها على المتابعة بالحبّة والصدق والإخلاص^(٢)، ولا شك أن الظلال النفسية لمصطلح صاحب لها أثرها الرافي بصورة أعلى بكثير من الظلال التي يثيرها مصطلح تلميذ

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٤٧٨) وما ذكره أن التلاميذ هم الخدم والأتباع واحدهم تلميذ.

(٢) أحمد علي الإمام (دكتور): الصحبة و الصحابة (ص ٦)، منشورات مجمع الفقه الإسلامي، الخرطوم.

خاصة في المرحلة الثانوية والجامعية، وقد طلب البعض عدم استعمال مصطلح تلميذ لطلاب العلم في هاتين المرحلتين.

حول الروايات الواردة في الكتاب:

يلتزم الكاتب إيراد الروايات المقبولة دون غيرها في صلب البحث، وقد يورد غيرها مما لم يشتد ضعفه على سبيل الاستشهاد - إن كانت تلك الروايات صالحة للاعتبار - وذلك ينسجم مع ما قاله الإمام أحمد - رحمه الله - : «الأحاديث الضعيفة قد يحتاج إليها في وقت، والمنكر أبداً منكر»^(١)، وكل ذلك بحسب ما يلائم كل قضية من درجة في التوثيق. وقد يذكر الكاتب تخريج الهيثمي في مجمع الزوائد وحكمه على الرواية، مع أنه إنما يحكم على السند الذي أمامه وليس على الحديث، ولذا فقد يضعف بعض الأحاديث مع أنها مقبولة من جهات أخرى، فأرجو ألا يُغتر بذلك.

معوقات في مواجهة البحث:

١ - شح المادة العلمية التفصيلية لهذا البحث، وما ذاك إلا لصيرورة مفردات مناهج التعليم للفظ القرآني بدهيات لا يستغنى عنها، فصار الجانب العملي فيها مغنياً عن النقل العلمي، كما أن هذا اقتضى التنقيب البالغ عن النصوص المطلوبة في كل كتاب علمي يمكن الاطلاع عليه... وهو ما جعل العبء مضاعفاً.

٢ - غموض الترتيب في المادة المجموعة لعدم النسج على مثال سابق في خصوص الموضوع، كما أن جلالة الموضوع، وهيئته؛ إذ إن حقيقته محاولة العيش بين الرسول ﷺ والقرآن الكريم والصحابة رضي الله عنهم مع أشرف وظيفة

(١) علل أحمد بن حنبل (ص ١٢٠).

بُعث بها الرسول ﷺ هي تعليم الكتاب... وهذا قد يؤود الباحث فيتنبك الصواب في ثنايا الاضطراب... وذا أثر نفسي لا يُنكره الباحث.

منهج الاختصار للبحث:

- ١- قرئ أصل هذا الكتاب عدة مرات آخر من أوله إلى آخره حتى يتم حذف ما يمكن حذفه، وتعديل ما يجب تعديله بحيث يتناسب مع الحيز المقترح له من عدد الصفحات.
- ٢- حذفت الآراء الفقهية المختلفة، واكتُفيَ ببيان الراجح فقط عند وجود الاختلاف في المسألة... ومن أراد الاستزادة فعليه بالأصل.
- ٣- اكتُفيَ بأهم النصوص القرآنية والحديثية التي توضح فكرة الموضوع، واقتصر على واحد منها عندما يسوغ ذلك، كما اكتفي في غالب الأحيان بموضع الشاهد من النص القرآني أو النبوي، وحذف تفصيل الكلام على تخريج الأحاديث، وكلام الشراح حولها إلا ما لا بد منه في نظر الكاتب.
- ٤- حُذِفَت العبارات التي يمكن بدونها فهم الفكرة الأصلية، وكان وجودها زيادة إيضاح وبيان، وامتد هذا التصرف إلى النصوص المنقولة عن أهل العلم.
- ٥- حُذِفَت الاعتراضات على الفكرة أو المعنى الراجح والأجوبة على ذلك غالباً.
- ٦- دُمِجَت عدد من المطالب والمباحث، وحذف بعضها لكن الكاتب أبقى على الهيكل العام (الفصول) كما هو.
- ٧- تم حذف كثير من تفاصيل براهين النظريات التي مال إليها الباحث في الفصل الخامس، كما حذف موضوع التواتر القرائي بأكمله من هذا الفصل مما لا أظن الباحث يستطيع الاكتفاء بما هو موجود في هذا المختصر، فأصح بالرجوع إلى الأصل في هذا الموضوع الكبير.

٨- حذفت معلومات المرجع من أول موضع ورد فيه غالباً، واكتفي بمختصره، حيث يغني فهرس المراجع عن ذلك، كما تم حذف تراجم الأعلام، وتفصيل التعريفات اللغوية.

٩- تركت ما فيه ذكر لأخبار القراء من الصحابة والتابعين مما يزيّن القارئ به مجالسه وحلقته.

فإن اعترضَ على هذه الطريقة في الاختصار... فأنا أسلم بذلك، وليكن هذا كتاباً جديداً يكون مدخلاً للأصل.

الهيكل العام للبحث «خطة البحث»:

يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول، وقد اختار الباحث أن يسير سيراً متدرجاً بالنسبة لتعليم قراءة القرآن الكريم، ابتداءً بما قبل القراءة وحتى ختامها...

ولما كان البحث دائراً حول شخصية النبي ﷺ التعليمية في الإطار الخاص وهو تعليم ألفاظ القرآن الكريم لا التعليم لكل ما يُتعلّم فقد انعقد الفصل الأول لأجل ذلك فكان حول شخصية النبي ﷺ التعليمية من الناحية العامة إشارة إليها، ومن الناحية الخاصة المتعلقة بتعليم اللفظ القرآني.

ولما كان البحث دائراً حول تعليم ألفاظ القرآن الكريم فقد لزم من هذا بيان أصول هذا التعليم في منهجية النبي ﷺ من الناحية الإدارية والمنهجية وعقد الفصل الثاني لأجل ذلك.

ولما كان محور البحث متركزاً في كيفية تعليم تلاوة الألفاظ القرآنية فقد عقد الفصل الثالث لإيضاح ذلك بالتفصيل، وبيان منهجية النبي ﷺ في تعليم الترتيل «التجويد».

ولما كان حفظ «جمع» القرآن يمثل الغاية من هذا التعليم فقد انعقد الفصل الرابع لبيان جمع القرآن كتابة وعن ظهر قلب، واستتبع هذا الكلام عن جامعي القرآن الكريم من الصحابة على يد النبي ﷺ «المخرجات التعليمية».

ولأن القرآن قد اختص من بين سائر الكتب السماوية بنزوله على لغة العرب ومن ثم امتناع ترجمته حرفياً، مع الإذن بقراءته على سبعة أحرف... فقد انعقد الفصل الخامس لبيان كيفية تعليم النبي ﷺ ذلك، واستتبع هذا ربط ذلك بحقيقة التواتر القرآني وآثاره التي تدل على عدم مس القرآن الكريم كما أنزله الله تعالى بزيادة أو نقصان، وبيان الحقائق التي تجلي بعض الاستشكالات التي أوردت على المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم.

وعلى هذا انحصرت تبويبات البحث بعد المقدمة في التالي:

الفصل الأول: شخصية النبي ﷺ التعليمية: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد ﷺ.

المبحث الثاني: وظيفة التلاوة.

المبحث الثالث: حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

الفصل الثاني: أصول تعليم النبي ﷺ أصحابه ألفاظ القرآن: وفيه أربعة

مباحث:

المبحث الأول: تعليمه ﷺ كيفية تعلمه لكلام الله القرآني.

المبحث الثاني: وسائل تعليم ألفاظ القرآن الكريم كما وضعها النبي ﷺ.

المبحث الثالث: وسائل النشر التعليمية لألفاظ القرآن الكريم في عموم المجتمع

المسلم كما قام بها النبي ﷺ.

المبحث الرابع: القواعد التربوية المصاحبة لعملية الإقراء «من حيث اللفظ».

الفصل الثالث: جماع منهجية النبي ﷺ في تحفيظ الألفاظ وترتيلها: وفيه ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: تعليمه ﷺ أساسيات الدرر القرآني «منهج الحلقات القرآنية».

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ ماهية التجويد وحكمه.

المبحث الثالث: تعليمه ﷺ أهمية التجويد وضوابطه الشرعية.

المبحث الرابع: تعليمه ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم.

المبحث الخامس: تعليمه ﷺ مراتب الأداء الأعلى من التجويد.

المبحث السادس: تعليمه ﷺ الملحقات بأحكام التجويد.

الفصل الرابع: تعليمه ﷺ جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابةً «المخرجات التعليمية»: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر عامل السن في أسلوب تعليمه «منهجية النبي ﷺ في تعليم الصغار».

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ ألقاب حامل القرآن وصفاته.

المبحث الثالث: أصحاب «تلاميذ» النبي ﷺ من أئمة الإقراء «المخرجات التعليمية».

المبحث الرابع: تعليمه ﷺ جمع القرآن .

الفصل الخامس: تعليمه ﷺ قراءة القرآن على أحرفه المنزلة: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعليمه ﷺ القراءة بما تيسر من الأحرف السبعة.

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ أن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول.

المبحث الثالث: المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم «التواتر في نقل ألفاظ

القرآن».

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

وهذا أوان انطلاق القلم في البحث سائراً بسم الله مجراه ومرساه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله ربنا توكلنا.

الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

الفصل الأول:

شخصية النبي ﷺ التعليمية

«الرسول المعلم»

وفيه ثلاثة مباحث:

يتناول هذا الفصل شخصية النبي ﷺ التعليمية بما يعطي لمعلم القرآن الكريم

الدلالات الآتية:

١- الاعتزاز بهذه الوظيفة، واستشعار أنها فعل النبي ﷺ وهدية، وسمته...
فهي أفضل الأعمال.

٢- استشعار الاهتمام الشديد الذي أولاه الشرع لتلاوة القرآن وتعليمه بما يعين الفرد والمجتمع على استيعاب مدى الأهمية الشرعية ومن ثم الواقعية لهذين العاملين في الحياة، وذلك لأن جميع وظائف النبي ﷺ تفصيلاً تعود إلى تلاوة الكتاب المجيد، وتعليمه... وبناء على ذلك يبين الفصل في الأخير حكم تعلم ألفاظ القرآن الكريم وتعليمه، ولتحقيق الغاية من هذا الفصل فقد انقسم منطقياً إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد ﷺ.

المبحث الثاني: وظيفة التلاوة.

المبحث الثالث: حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

ولما كان المبحث الأول كالتقدمة للثاني والثالث كالتممة كان الثاني أطول

منهما.

المبحث الأول:

طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

يناقش هذا المبحث وظيفة النبي ﷺ العامة، ويحلل الدلالات اللفظية لوصفها المصطلحي، وماهية مرتكزاتها تفصيلاً... ويرجع ذلك إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوظيفة العامة للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: تحليل دلالات الوصف الإجمالي للوظيفة النبوية.

المطلب الثالث: تفصيل الوظيفة الرسالية للنبي ﷺ.

المطلب الأول: الوظيفة العامة للنبي ﷺ

يمكن إيجاز وظيفة النبي ﷺ في أن الله جل جلاله إنما بعثه معلماً كما قال ﷺ: «إن الله لم يعثني معتاً، ولا متعتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً»^(١)، وجعل وظيفته الكاملة القيام بـ (البلاغ المبين) كما قال عز وجل: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] وهذا الأسلوب يفيد حصر الوظيفة على البلاغ، وقصر المهمة على أن يكون البلاغ مبيناً، وحُصرت مهمته ﷺ في ذلك ليعلم طبيعتها أهل المشرق والمغرب ممن اهتدى، أو اثر الردى... فقد بين الله جل جلاله لنبيه ﷺ أن

(١) صحيح مسلم (٢/ ١١٠).

المعاندين إن «جادلوك بالأقاويل المزورة، والمغالطات فأسند أمرك إلى ما كلفت من الإيمان والتبليغ»^(١).

تحديد نطاق وظيفة الرسول ﷺ:

وإذا كان ما سبق هو إخبار للمخاطبين ببيان مهمة الرسول ﷺ ويحصرها؛ فقد أكد هذا الحصر بخطاب الله تعالى للرسول ﷺ ذاته مباشرة بما يبين له نطاق مهمته ووظيفته في قوله: ﴿فَاتَّمَا عَلَيَّكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢]، وعمم الأمر خطاباً للرسول ﷺ وغيره زيادة في الإيضاح والتأكيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]، وهذه هي وظيفة الرسل عامة كما قال جل جلاله: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقد أخذ هذا التحديد النظري طابعاً تطبيقياً في إيضاح الرسل وظيفتهم لأقوامهم كما في قوله سبحانه وتعالى على لسان نوح وهود - عليهما السلام - ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٦٢، ٦٨]، وعلى لسان صالح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أُنبِئْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩]، وشعيب عليه السلام: ﴿لَقَدْ أُنبِئْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٩٣]، ورسل صاحب يس: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) [يس: ١٧].

تعليم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم حدود مهمته:

وقد علم النبي ﷺ أصحابه نطاق مهمته الرسالية، لما يترتب على ذلك من ضرورات منهجية ترجع إلى حفظ أصول الدين وقواعده، وتتلخص في عنصر واحد: أن يكونوا شهوداً على ذلك في الدنيا والآخرة:

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٥) عند تاويل قوله: ﴿فَإِنْ جَادَلْتُمْ فَذَلِكُمْ أَهْلُ الْأَعْرَافِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

(٢) هذه إشارات، ويستعان لمزيد من التحليل ب: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم (١/ ٢٢٥)..

أما في الدنيا فحتى لا يفتری عليه أحد بکتمان، أو نقصان، ويعلم الثقلان أن ما بلغه هو الدين الكامل.

وأما في الآخرة فحتى يشهدوا له عند الله جل جلاله.

من أجل ذلك بين لهم ﷺ - غير ما تقدم - أن الله عز وجل أوجب عليه البلاغ لكل ما أوحى إليه من ربه عز وجل، وإن لم يفعل فما قام بوظيفته التي أرسل من أجلها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، كما قال الزهري في فقه هذه الآية: «من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»^(١)... فكل شيء سكت عنه ﷺ فهو مما لم يؤمر بتبليغه - إن كان ثم شيء يبلغ -، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم بأنه لو كان ثم شيء يستحق البلاغ لأمر بتبليغه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ - قال إبراهيم: زاد أو نقص - فلما سلم قيل له: يا رسول الله! أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك؟» قالوا: صليت كذا وكذا. قال: فثنى رجله، واستقبل القبلة، فسجد سجدتين ثم سلم، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به»^(٢).

استشهاده ﷺ الخلق على قيامه بالبلاغ: وقد شهد أمته على إبلاغه الرسالة، واستنطقهم بذلك في أعظم المجمع، كما في خطبته في حجة الوداع، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس! إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: اللهم اشهد»^(٣).

(١) صحيح البخاري (٦ / ٢٧٣٨).

(٢) البخاري (١ / ١٥٦)، مسلم (١ / ٤٠٠)، مرجعان سابقان.

(٣) وورد مثل ذلك عن أبي بكرة عند البخاري (١ / ٥٢)، ومسلم (٣ / ١٣٠٥)، وعن ابن عباس عند البخاري

(٢ / ٦١٩)، وقد جاء مثل ذلك أيضاً عن عدد من الصحابة في أكثر من موطن.. انظر: الأصل.

وشهد له الصحابة رضي الله عنهم بكمال البلاغ في الدنيا: فمنعوا بذلك أوهام المتخرصين أن يكون فرط أو كتم أو خص بعض الناس بشيء من البيان العام الواجب تبليغه عليه ﷺ، فعن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال له: إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يیده رسول الله ﷺ للناس، فقال ابن عباس: أ لم تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿تَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١)، وعن مسروق عن عائشة قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب وهو يقول: ﴿تَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢).

مادة البلاغ الأساسية:

ومادة البلاغ الأساسية هي القرآن الكريم كما قال جل جلاله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] أي: «مكة ومن حولها من أحياء العرب وسائر طوائف بني ادم من عرب وعجم»^(٣)، وقال جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ولأن مادة البلاغ الأساسية هي القرآن قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]: «يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته»^(٤)، وقال لهم النبي ﷺ: ﴿قُلْ لَا

(١) تفسير ابن كثير: (٢ / ٧٨)، وقال عن هذا الحديث: «وهذا إسناد جيد»، وتمتته: «و الله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء».

(٢) البخاري (٦ / ٢٧٣٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير (٢ / ١٥٧)، مرجع سابق.

(٤) ابن كثير (٢ / ٧٩)، مرجع سابق.

أَسْتَأْجِرُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» [الأنعام: ٩٠]، «أي لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجراً أي أجره ولا أريد منكم شيئاً»^(١) كما كان يبين أن هذا العلم الذي أوتيته، وأمر بتبليغه خير كثير كما قال ﷺ: «قد علمني الله عز وجل خيراً»^(٢)، فتحدت وظيفة البلاغ بإيصال مادته الأساسية إلى هؤلاء الأحزاب باختلاف أمصارهم وأعصارهم.

الإبانة في البلاغ:

ونلاحظ أن (الإبانة) صفة ضرورية ملازمة لوظيفة البلاغ، والإبانة نوعان:

١- إبانة لفظية: أي يجب على الرسول ﷺ أن يكون لفظه بالبلاغ مبيناً كما في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

٢- وإبانة معنوية: أي يجب على الرسول ﷺ أن يبين تأويل الكلام الذي أمر بتبليغه كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فمما «يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه رضي الله عنهم معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا»^(٣).

الاتصال بين الإبانة اللفظية والإبانة المعنوية:

واللفظ والمعنى متصلان اتصالاً وثيقاً إلا أنه لا يمكن للمعنى الثبات مع اهتزاز لفظه أو تغييره في الكلام المعجز إذ أول أوجه إعجازه تتمثل في إعجازه في لفظه كما لخص الخطابي - رحمه الله تعالى - أركان إعجاز القرآن في: «اللفظ الحامل،

(١) ابن كثير (٢/ ١٥٧)، مرجع سابق.

(٢) أحمد (٥/ ٣٦٨)، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٥٦)، مرجع سابق: «وهذا إسناد صحيح».

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٢٠٨).

المعنى القائم به، الرباط الناظم لهما^(١)، ولأن إعجاز القرآن يعتمد على حقيقة واحدة هي أن الله سبحانه وتعالى قاله، كان لا بد من بلوغ أقصى درجات الإبانة اللفظية في كلام الله جل جلاله تمهيداً للإبانة المعنوية؛ ولذا يظهر الاهتمام بألفاظ القرآن واضحاً في القرآن، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ «أي البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي أنزلناه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي بلغة العرب فصيحاً واضحاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تفهمونه وتتدبرونه كما قال عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

وصار الطلب الشرعي لضبط ألفاظ القرآن الكريم استحضاراً واستظهاراً وإتقاناً للأداء بديهية شرعية في حياة الصحابة رضي الله عنهم، كما كان تعظيمه، وصونه باستظهار ألفاظه، والعمل على نشره كتابة وحفظاً وتعليماً من أبرز مقاصد التنزيل الجملي: أي ليعظم عندهم بألفاظه، فيحافظ عليها، ويتبع معانيها: كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ف «بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض...»^(٣) وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَأَيُّمُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَنذَكْرَةٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۝١٢﴾ في صُحُفٍ مَّكْرَمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٦] فإذا كانت «الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى لأنه نزل عليهم وخطابه متوجه إليهم فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام

(١) بيان إعجاز القرآن (ص ٢٦).

(٢) ابن كثير (٤/ ١٢٣)، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير (٤/ ١٢٣)، مرجع سابق.

والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم لقوله جل جلاله: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أَرْأَسِ الْكُتُبِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤]»^(١).

وبآيات الله التي تبلغ البحار، وما وراء البحار... كان مستمسك العارفين... ولها كان تعظيم السادات من المؤمنين... يعظمون آيات الله... وهي جبل النجاة في يوم الهول المين:

قرت بها عين قاريها فقللت له لقد ظفرت بجبل الله فاعتصم
إن تتلها خيفة من حر نار لظى أطفأت نار لظى من وردها الشيم
كأنها الحوض تبيض الوجوه به من العصاة وقد جاؤه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

المطلب الثاني: تحليل دلالات الوظيفة الرسالية الإجمالية

بعد أن استقر أن وظيفة النبي ﷺ هي (البلاغ)، وعلمت مادته فيجب معرفة ماهيته؛ وسر اختيار هذا المصطلح للدلالة عليه.

فأصل البلاغ البلوغ وهو الوصول من بلغ يبلغ بلوغاً^(٢)، وتظهر من مفاهيم البلاغ الدلالات التالية:

١- أنه يجب وصول المبلغ به ل يتم البلاغ:

فعدم وصوله نقص في التبليغ، إذ بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، والبلاغ: ما بلغك، وفي التنزيل العزيز: ﴿الْأَبْلَغَاءُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الجن: ٢٣]، أي لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، والإبلاغ:

(١) ابن كثير (٤/ ١٢٣)، مرجع سابق.

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٢٧).

الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ^(١)، وهذا يقتضي فعل الوسائل القولية والعملية لإيصال المبلغ به.

٢- الكفاية بالمبلغ به كما في قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، وكما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] والإشارة للقرآن الكريم كما في قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] والبلاغ هنا الكفاية «أي كفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة»^(٢)؛ ومنه قول الراجز:

تزجّ من دنياك بالبلاغ وياكر المعدة بالدبّاغ^(٣)
ويظهر من هذه الآيات أن المادة الأساسية للتبليغ هو القرآن الكريم.

٣- أن القرآن المبلغ به هو السبيل الوحيد الذي يوصل إلى مطلوب الإنسان من السعادة، فالبلاغ ما يتبلّغ ويتوصّل به إلى الشيء المطلوب^(٤)، وتبلّغ بالشيء: وصل به إلى مراده^(٥).

٤- الاجتهاد في أداء الرسالة فقولك: «أراه من المبالغين في التبليغ، بالغ يبالمع وبالمع وبمالمع إذا اجتهد في الأمر»^(٦).

٥- ويدل الوصف الشخصي للنبي ﷺ ب (الرسول)، والوصف الوظيفي له ب (البلاغ) على المصدر الإلهي لتعلم الأنبياء، وذكر هذا والتأكيد عليه هو دأب

(١) لسان العرب (٨ / ٤١٩).

(٢) القرطبي (٦ / ٣٢٧)، مرجع سابق.

(٣) معجم مقاييس اللغة (١ / ١٥٦).

(٤) النهاية في غريب الأثر (١ / ١٥٢).

(٥) انظر: لسان العرب (٨ / ٤١٩)، مرجع سابق.

(٦) لسان العرب (٨ / ٤١٩)، مرجع سابق.

كل نبي ورسول يقولون: ﴿إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣] أي لا أعلم من ذلك إلا ما علمني الله، وإنما أنا رسول إليكم من الله مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة^(١)، فهذا قول هود عليه السلام، ومثله قول النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] «أي قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله»^(٢) ومثله على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكُمَا مَعًا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]، وكان يبلغهم بالقرآن كمادة أساسية في منهاج التبليغ، فيحاولون إبعاده عن ذلك، وصرفه عنه فيقولون ﴿أَنْتَ بِشْرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ﴾ [يونس: ١٥]، فيكون رده هو التأكيد على هذه المصدرية كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥] «وإنما هو رسول مبلغ، ومأمور متبع»^(٣).

ونظراً لهذه المقتضيات يحاسب الرسل على ذلك كما في قوله عز وجل: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]، وكما في قوله جل جلاله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧].

المطلب الثالث: تفصيل الوظيفة الرسالية للنبي ﷺ

جاء تفصيل هذه الوظيفة (البلاغ)، وبيان امتداداتها في آيات أخر؛ إذ ورد بيانها في أربع آيات من القرآن الكريم: في سورة البقرة موضعان، وموضع في سورة آل عمران، وموضع في سورة الجمعة، وترجع صيغها الإجمالية إلى قوله سبحانه

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦ / ٢٥).

(٢) الطبري (١٦ / ٣٩)، مرجع سابق.

(٣) الطبري (١١ / ٩٥)، مرجع سابق.

وتعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقد فرّعت هذه الآيات وظيفه البلاغ إلى ثلاثة فروع:

الأول: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾:

وقدم تلاوة الآيات على سائر الفروع الأخرى في كل الآيات، بل قد انفردت هذه الوظيفة بالذكر في عدد من المواضع كقوله جل جلاله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ [الطلاق: ١١]، و﴿يَتْلُوا﴾ هنا في موضع نصب نعت لرسول ومعناه يقرأ، والتلاوة القراءة، و﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن^(١) فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي يقرأ عليهم أي كتابه وتنزيله^(٢).

الثاني: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾:

فالكتاب يعني القرآن، ويعني بالحكمة السنّة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه له، وقال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط، وقال مالك بن أنس: الحكمة الفقه بالدين^(٣)، ولخص بعضهم معاني الحكمة بقوله:

والحكمة العلم وقول الحق وفعله مقترناً بالصدق^(٤)

(١) انظر: القرطبي (١٨ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٢) انظر: الطبري (٤ / ١٦٣)، مرجع سابق.

(٣) انظر: القرطبي (١٨ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٤) التيسير في علوم التفسير (ص ٢٩).

فالمراد أنه يعلمهم كتاب الله الذي أنزل عليه مقروءاً ومكتوباً، وبين لهم تأويله ومعانيه^(١)، و(يعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أيضاً ل (رسولا) مرتبة في الوجود على التلاوة^(٢)، وكذلك التزكية تترتب في الوجود على التلاوة...

والفرعان الأولان هما مدار هذا الكتاب؛ إذ يتحدث الأول عن التلاوة، والآخر عن تعليم الكتاب تلاوة وكتابة... وبذلك تعلم ألفاظ القرآن الكريم.

الثالث: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾:

التزكية هي التطهير والزكاة النماء والزيادة فيكون معنى قوله جل جلاله ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وذنس الكفر والذنوب، وينميهم ويكثرهم بطاعة الله^(٣)، فالتطهير إنما يكون باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم^(٤)، فيحملهم على ما يصيرون به أذكيا طاهرين من خبائث العقائد والأعمال^(٥)، وبذلك «يجعلهم أذكيا القلوب بالإيمان» كما قاله ابن عباس^(٦)، وبين ابن كثير - رحمه الله تعالى - الوسيلة العملية لأداء عملية التزكية بقوله: «يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم»^(٧).

(١) وانظر: الطبري (٤ / ١٦٣)، مرجع سابق.

(٢) انظر: روح المعاني (٢٨ / ٩٣)، مرجع سابق.

(٣) انظر: الطبري (١ / ٥٥٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: الطبري (٤ / ١٦٣)، مرجع سابق.

(٥) انظر: روح المعاني (٢٨ / ٩٣)، مرجع سابق.

(٦) انظر: القرطبي (١٨ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٧) ابن كثير (١ / ٤٢٥)، مرجع سابق.

ومعنى الآية إجمالاً: «يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من البينات، ويعلمهم القرآن، والحكمة وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة»^(١).

من حكم ترتيب هذه الفروع في المواضع الأربعة^(٢):

نلاحظ أن التلاوة جاءت في الآيات كلها في أول الفروع، ثم اختلف ترتيب الفرعين الآخرين حيث جاء التعليم للكتاب والحكمة أولاً في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، والدعاء من أساليب الطلب، وجاءت التزكية قبل التعليم في آيات الإخبار في الموضع الثاني من سورة [البقرة: ١٥١]، و[آل عمران: ١٦]، و[الجمعة: ٢]، وقد تجلت من ذلك عدة حكم:

١- جاءت الفروع بهذه الهيئة في الترتيب مع أنها تعود لأمر واحد هو البلاغ المبين لأن المقام مقام تفصيل للنعم المطلوبة أو المرادة في العباد، ويدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعاً قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ﴿وَبَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] عقب قوله تعالى ﴿بَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: ٥٨]

(١) تفسير أبي السعود (١/ ١٦٢).

(٢) يسمى هذا العلم (علم توجيه متشابه الكتاب)، وهو فن مستقل من علوم القرآن... انظر: في الكتب المؤلفة فيه في مقدمة (السخاوي) علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ: كتاب هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب.

«والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانهصار الطريق في الوحي»^(١).

٢- رُتبت بهذا الشكل دلالة على ضرورتها وترتيبها في الوجود، والمعلم البارز في الترتيب أن التلاوة جاءت أولاً في كل الآيات، وذلك لأنها أساس الفرعين الآخرين، إذ حقيقة التعليم للكتاب تلاوة متعدية بإقراء ألفاظه، وتحفيظها وتفهمها ببيان أحكامه للآخرين، وقد كان معظم تبليغه وكلامه ﷺ تلاوة القرآن لا يزيد عليه إلا الأقل منه، ويدل على أن ذلك هو أساس وظائفه قوله عز وجل

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذَا الْبَلَدَ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

﴿١١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢].

٣- وجاءت ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ثانية في الدعاء: لأنها صفة أخرى مرتبة في الوجود على التلاوة، وآخر التزكية لأنها عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة^(٢).

٤- ويمكن النظر إلى الحكمة في الترتيب في كل سورة على حدة بالنظر إلى طبيعة وصف المخاطبين أو المتكلم عليهم: فلما كان ظاهر دعوته عليه السلام أن البعث لأمة مسلمة كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية؛ فإن أصلها موجود بالإسلام، فأخر قوله ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة فترتقي بصفائها ولطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه من أن ترتد على أدبارها، وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها، والتزكية اكتساب الزكاة بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم، «ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأمين عامة

(١) انظر: تفسير أبي السعود (١/ ١٧٨)، روح المعاني (٢٨/ ٩٣)، مرجعان سابقان.

(٢) تفسير أبي السعود (١/ ١٧٨)، مرجع سابق.

اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم، وأما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاقبة على الإقبال على الغنائم الذي كان سبب الهزيمة لكونها إقبالاً على الدنيا التي هي أم الأدناس»^(١).

٥- ومن حكم الترتيب أن التلاوة عامة لجميع الناس، والتزكية خاصة بمن استجاب للآيات فأمن بها، وتعليم الكتاب والحكمة خاص ببعض المؤمنين^(٢).

٦- وفي هذا الترتيب يظهر لنا الفرق في عملية تعليم القرآن (علم القراءة) عن عملية تعليم الأحكام، فعلم القراءة طريقه (التلقي) الذي تشير إليه لفظة «تَلَوُا»، وعلم الأحكام أعم من التلقي فقد يكون بالاستنباط مثلاً كما تشير إليه لفظة «وَيَعْلَمُهُمْ» فرتب «التعليم على التلاوة كما هو الواقع لأن التلاوة أول ما يقرع السمع، والتعليم الذي هو التفهم بعده»^(٣).

٧- ومن الحكم الظاهرة لهذا الترتيب: أن التلاوة للقرآن يجب أن تكون عامة للناس، وعامة في مجتمع المؤمنين ظاهرة لا يكون أحد من المؤمنين في المجتمع إلا سامعاً أو قائماً بها... بالقدر الذي يجعل هجران القرآن المذكور في قول جل جلاله: «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» [الفرقان: ٣٠]، منتف عنه.. أما التعليم للكتاب تعليماً تفصيلاً دقيقاً ففرض كفاية يقوم به بعض المؤمنين عن المجتمع كله.

وهذا يقتضي منهجياً من الدولة المسلمة: العمل على إشاعة القرآن بالوسائل الإعلامية والتوجيهية المختلفة، ومواكبة تطور العصر في هذا السبيل.

(١) (البقاعي) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥ هـ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

(٢) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦ / ١٨٥) إلى شيء يشبه هذا مع خلاف في جزئية من الفكرة.

(٣) (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ: قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق د.

أحمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

علاقة البلاغ بالتلاوة والتعليم:

تقدم أن البلاغ هو الوصف المجمل لوظيفة النبي ﷺ، ويزاد هنا توضيح ذلك:

فالبلاغ هو غاية التلاوة وهو باعث التعليم كما في قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولا يبلغه إلا إذا تلاه، ولا بد من الإبانة في محاور البلاغ

الثلاثة: التلاوة، والتعليم، والتركية... وهذا البلاغ ينبغي أن يبقى متوصلاً لكل

الأجيال القادمة كما في قوله - تعالى ذكره -: «لأنذركم به ومن بلغ»، فاقضى هذا

أموراً من حيث العملية التعليمية لألفاظ القرآن الكريم:

❖ بقاء تلاوته بعد النبي ﷺ ليحدث البلاغ.

❖ أن تكون تلاوته بالطريقة ذاتها التي تلاه بها رسول الله ﷺ من حيث

أداء اللفظ الخارجي ومن حيث أدائه الداخلي، وإن لم يكن هذا فما

بلغت رسالة الله إلى العالمين.

❖ أن يعلم النبي ﷺ صحابته طريقة تلاوته للقرآن الكريم وحفظه وأدائه

ليتم ذلك البلاغ المتواصل، وأن يعلمهم ﷺ طريقة التعليم ليعلموا من

بعدهم حتى يبقى البلاغ متصلاً.

وبذا مضى خليل الله الأكرم ﷺ معلم الناس أكرم كلام... وخير هدي

ونظام... مضى يجذب القلوب إليه وهو يجري من فمه الطاهر الزكي

عسلاً مصفى... يتلو... وتلاوته مذاق لم يتغير طعمه أبد الدهر... فأنى عن حبه

يبتعد اللاهون؟ وبمن غيره تستشفي نظرات المتيمين؟

قلبي - وحبك للقلوب شفاء - بهواك يخفق، والهوى استهداء

يا من بُعثت مسدداً ومؤيداً و«محمداً»، وزكت بك الآلاء

الوحي وحي الله أنت مكانه وبيانه، وصراطه الوضوء

قرآنه يهدي لأقوم منهج في العالمين، وأيه غراء

المبحث الثاني:

وظيفة التلاوة

لما كانت تلاوة ألفاظ القرآن الكريم هي أساس الوظائف الأخرى... فإن هذا يقتضي التوسع في شرح مفهوم التلاوة، وبيان أهميته، وحيزه الواقعي من وظيفة البلاغ... ولتحقيق ذلك انقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: مدلول التلاوة:

المطلب الثاني: علاقة التلاوة بالتعليم: والمراد هنا هل التلاوة وظيفة تعليمية في ذاتها؟.

المطلب الثالث: المنهج المقرر للتلاوة والتعليم.

المطلب الرابع: قيامه ﷺ بوظيفة تعليم القرآن على أوسع نطاق.

المطلب الأول: مدلول التلاوة

اقترن هذا اللفظ (التلاوة) دون غيره من الألفاظ بقراءة القرآن الكريم لما له من دلالات تجعله دون غيره المعبر عن مراد الله عز وجل من القراءة، وأهم مدلولين لهذا اللفظ:

أولاً: التلاوة تعني القراءة: فتلوت القرآن تلاوة: قرأته، ومن ذلك قول الله جل جلاله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣] (١)، وعمّ به بعضهم كل كلام؛ كما في قوله جل جلاله: ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ [الصفافات: ٣] سواء كانوا هم

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٥١٠).

الملائكة، أو غيرهم ممن يتلو ذكر الله تعالى، وكما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ قال عطاء: على ما تحدّث وتقصّ، وقيل: ما تتكلم به كقولك فلان يتلو كتاب الله أي: يقرؤه ويتكلم به، ثم صارت التلاوة حقيقة عرفية في قراءة القرآن الكريم، وقد تكون قراءة لغيره لكن في النادر وعند التقييد بذلك.

وسميت القراءة تلاوة لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضاً في الذكر، والتلو التبع^(١)، كما قال الثعالبي: «يقرأونه حق قراءته، وهذا أيضاً يتضمن الاتباع والامثال»^(٢)، «فاستعملت التلاوة في القراءة لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه»^(٣)، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا كَيْفَ يُبَلِّغُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [يونس: ٣٠]، قرأ حمزة والكسائي تتلو «من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار»^(٤)، والتلاوة بمعنى القراءة من أعظم خصائص القرآن الكريم فالكتب المتقدمة لا يجب فيها هذه التلاوة^(٥).

ثانياً: الاتباع: إذ «التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الإِتباع. يقال: تلوته إذا تبعته»^(٦)، والمراد بالاتباع هنا أمران:

-
- (١) التبيان في غريب القرآن (ص ٨٢)، مرجع سابق.
- (٢) (الثعالبي) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١ / ١٠٤)، دار القلم، بيروت.
- (٣) انظر: القرطبي ١ / ٣٦٩، مرجع سابق.
- (٤) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ١٩٥).
- (٥) (القاضي عبد الجبار) قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥ هـ: تنزيه القرآن عن المطاعن، طبعت على نفقة: محمد سعيد الرفع- صاحب المكتبة الأزهرية- ط ١٣٢٩ هـ- طبعت بمطبعة الجمالية بمصر.
- (٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (١ / ١٨١)، مرجع سابق.

أ- الاتباع اللفظي:

بأن يتبع اللفظ اللفظ في قراءة القرآن الكريم على هيئة مخصوصة، فسميت قراءة القرآن تلاوة لأنه يتبع آية بعد آية^(١)، ومنه جاءت الخيل تتالياً أي متتابعة^(٢).

ب- الاتباع العملي:

ومنه تلا إذا أتبع^(٣) فعلى قارئ القرآن يتبع في قراءته ما أنزله الله عز وجل، كما كان النبي ﷺ يتبع ذلك إذا قرأه عليه جبريل عليه السلام، ويقال: كان يتلو كتاب الله؛ هو الذي يقرؤه ويعمل بما فيه، فيكون تابعاً له، والقرآن يكون سائقاً له وقائداً^(٤)، ومنه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، ويوضح ذلك قوله جل جلاله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٤٤] ففيه توبيخ عظيم لمن فهم، وتتلون تقرأون الكتاب التوراة وكذا من فعل فعلهم وكان مثلهم، وفلان يتلو فلاناً أي: يحكيه ويتبع فعله^(٥)، واتباعه هنا يكون بامثال الأمر والنهي، وروى سفيان الثوري في تفسيره عن أبي رزين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: «يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله»، وقال قتادة: «هم أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله، وعملوا بما فيه»^(٦).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١ / ١٨١)، مرجع سابق.

(٢) مختار الصحاح (ص ٢٣)، لسان العرب (١٤ / ١٠٢).

(٣) لسان العرب (١٤ / ١٠٢)، مرجع سابق.

(٤) انظر: (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (١ / ٩١)، مرجع سابق.

(٥) انظر: لسان العرب (١٤ / ١٠٤)، مرجع سابق.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٥١٠)، مرجع سابق.

وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] فشامل للمعنيين^(١)؛ إذ معناه يقرأونه حق قراءته... ويعملون بما فيه فيتبعونه حقّ أتباعه^(٢) كما قال الغزالي: «و تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار، والائتمار. فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ»^(٣).

ثالثاً: أن تكون القراءة في التلاوة على هيئة مغناة مخصوصة أي مرتلة ترتيلاً مع التغيي، ف «العرب تسمي المراسل في الغناء والعمل المتالي، والمتالي الذي يرأسل المغني بصوت رفيع؛ قال الأخطل:

صلت الجبين كأنّ رجع صهيله زجر المحاول، أو غناء مُتال»^(٤) كما تظهر المحاكاة في التلاوة ومحاولة التقليد المقطعي والتنغمي، ومنه قولهم: فلان يتلو فلانا أي يحكيه ويتبع فعله^(٥).

العلاقة بين التلاوة والقراءة:

مما سبق يتبين أن العلاقة بين التلاوة والقراءة علاقة عموم وخصوص وجهي، فكل منهما خاصة من وجه عامة من وجه آخر، فالتلاوة خاصة من الناحية العرفية بقراءة القرآن الكريم أو ما يماثله من الكتب المنزلة، عامة من حيث ضرورة اجتماع

(١) الصحيح أنه يجوز إرادة المعنيين بعبارة واحدة، وقد وضع الأصوليون بناء على ذلك أصولاً، واستخرجوا للألفاظ دلالات، أشار المفسرون لذلك، وقد عقد الراغب الأصفهاني فصلاً بعنوان: (فصل في جواز المعنيين المختلفين بعبارة واحدة) انظر: مقدمة التفسير (ص ٤٢٥).

(٢) انظر: (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (١ / ٩١)، مرجع سابق.

(٣) (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥ هـ: إحياء علوم الدين (١ / ٢٨٧)، دار المعرفة، بيروت.

(٤) لسان العرب (١٤ / ١٠٢)، مرجع سابق.

(٥) انظر: لسان العرب (١٠ / ١٠٤)، مرجع سابق.

الاتباع اللفظي مع المعنوي، والقراءة عامة من حيث شمولها لكل مقروء كتاباً منزلاً أو غيره، خاصة في الأمر النظري دون المعنوي، وعلى هذا ينزل قول الراغب: «التلاوة الاتباع، وهي تقع بالجسم تارة، وتارة بالاعتداء في الحكم، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والتلاوة في عرف الشرع تختص باتباع كتب الله تعالى المنزلة تارة بالقراءة، وتارة بامثال ما فيه من أمر ونهي، وهي أعم من القراءة فكل قراءة تلاوة من غير عكس»^(١).

المطلب الثاني: علاقة التلاوة بالتعليم

والمراد هنا هل التلاوة وظيفة تعليمية في ذاتها؟ وما خصائصها الدالة على ذلك؟
التلاوة وظيفة تعليمية:

وذلك لأن مجرد إلقاء اللفظ القرآني يتضمن الإشارة إلى السامع أن يؤمن به ويتعلمه من حيث هو قرآن، ويدعم هذه الحقيقة الواقعية من الناحية الشرعية قوله جل جلاله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «و لا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك»^(٢)، وفي هذا إيضاح لطبيعة الوظيفة التعليمية لألفاظ القرآن الكريم، وإصرار على تثبيتها في نفوس الملاء على أنها أساس وظائفه، وجوهر تبليغه.

وإذا كان البلاغ أصل التعليم، فإن أول جزء في التعليم والبلاغ المبين هو إبانة لفظ القرآن الكريم تلاوة فردية على نفسه، ومتعدية بقراءته على الغير أو بتعليمه لهم.

(١) (الراغب) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٩).

(٢) ابن كثير (٣/ ٧٠)، مرجع سابق، والحديث في صحيح ابن خزيمة (٣/ ٣٩).

من خصائص التلاوة التعليمية للقرآن الكريم عند النبي ﷺ:

١- ألزم ﷺ برفع صوته رفعا معتدلاً تبين معه الآيات حتى يستبين لسامعه مع سرية الدعوة أو اشتداد الأذى عليها فيؤخذ عنه، كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢- التكرار لتلاوة ألفاظ القرآن الكريم: للناس عامة، ويدل له التكرار في الكلام على مواقف الكفار من القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١]، وقوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، فقد كانوا يشتطون في محاولة صرف الناس عن سماع كلام الله بالاستهزاء والسخرية حتى كان ذلك مبرراً كافياً لرد اعتدائهم بالقتل فقد روى ابن جرير أن النبي ﷺ قتل يوم بدر صبراً عقبه بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله! أسيري؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول» فأمر رسول الله ﷺ بقتله، فقال المقداد: يا رسول الله أسيري؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أغن المقداد من فضلك» فقال المقداد: هذا الذي أردت. وفيه أنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنَّا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] (١).

(١) الطبري (٩/ ٢٣١)، مرجع سابق، ورواه أبو داود في المراسيل (ص ٢٤٩)، انظر: (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ: المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

وكان النبي ﷺ يكثر من تلاوة القرآن الكريم على من يبلغهم عامة، فيصل إلى شغاف من أراد الله بهم خيراً، ويحجب عن غفلة القلوب ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] ف «لعداوتهم النبي ﷺ لا يقدر أن يسمعون ما يتلو عليهم»^(١).

٣- نقله ﷺ الوظيفة لأصحابه رضي الله عنهم تعبداً لجعل نطاق المستمعين أكثر: فقد قام الصحابة رضي الله عنهم بتلاوة القرآن الكريم على الناس منذ وقت مبكر فعن عائشة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة- وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي، قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج، ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك. فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به فإننا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن،

(١) (الواحدي) أبو الحسن علي بن أحمد ت ٤٦٨ هـ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٦٧٣)، تحقيق:

صفوان عدنان داودي، دار القلم- بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا له: إنا كنا أجرين أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فاته، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإننا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له. قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة^(١).

وهذا يدل على أن القراءة العامة كانت مذ كان الوحي، ولم تكن قاصرة على الرسول ﷺ.

٤- زيادة التكرار على المؤمنين، ليحفظوها ويعوها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] مع أنه ينذر به إنذاراً عاماً كما في قوله جل جلاله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ، وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]، وكما في قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوْا عَلَيْهِمُ آلِ الذِّكْرِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠].

٥- أمر بمداومة التلاوة والحرص عليها كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١١)

(١) البخاري (٢/ ٨٠٣)، مرجع سابق.

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴿ [النمل: ٩١ - ٩٢]، ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأُ الصَّلَاةَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ف (اتل) هنا «أمر من التلاوة والدأب عليها»^(١).

٦- كان يقرأ جميع القرآن في الصلاة وإن لم يرو حديثاً جزئياً تلك القراءة، لكن روي إجمالاً ما يدل على ذلك فروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «ما من الفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤم بها الناس في الصلاة»^(٢)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ الفصل بمكة، فكان حججاً نقرؤه لا ينزل غيره^(٣).

وصف التلاوة في القرآن الكريم:

تكرر وصف مهمة النبي ﷺ بتلاوة القرآن وحصرها في ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُتَعَلِّقًا بِالْقُرْآنِ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْقَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [القصص: ٥٩]، وعرف الصحابة أن هذه الوظيفة هي أساس وظائفه كما كان يؤديها بمقتضياتها كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع^(٤)
ولا شك في المراد التعليمي مع القصد التعبدي المحض في هذه القراءة كما يقول (سير وليم موير) الذي نقل رأيه صاحب كتاب (حياة محمد): «كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام، فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءاً جوهرياً من الصلوات

(١) القرطبي ١٣ / ٣٤٧، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢ / ١١٤.

(٣) سنن سعيد بن منصور ٢ / ٣٨٨، وإسناده قوي كما في التعليق على شرح مشكل الآثار ٤ / ٣٩٧.

(٤) البخاري ١ / ٣٨٧ ابن كثير ٣ / ٤٦٠، مرجعان سابقان.

اليومية عامة أو خاصة، وكان القيام بهذه التلاوة فرضاً وستة يجزى من يؤديهما جزاء دينياً صالحاً... لذلك وعت القرآن ذاكرة كثرة المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعاً. وقد يسرت عادات العرب هذا العمل. فقد كانوا ذوي ولع بالشعر عظيم... ولما كانت الوسائل لتحرير ما يفيض عن شعرائهم في غير تناول اليد، فقد اعتادوا أن ينقشوا هذه القصائد كما كانوا ينقشون ما يتعلق بأنسابهم وقبائلهم على صفحات قلوبهم، وبذلك نمت ملكة الذاكرة غاية النمو... وقد بلغ بعض أصحاب النبي ﷺ من قوة الذاكرة ودقتها، ومن التعلق بحفظ القرآن واستذكاره حدّاً استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينية كل ما عرف منه إلى يوم كانوا يتلونونه^(١).

ملاح تعليمية في حياة المعلم القدوة ﷺ:

١- ظهر التأكيد على التلاوة في الآيات المدنية، فالآيات الأربع التي ذكرت فيها وظائف النبي ﷺ الثلاث كلها في سور مدنية دلالة على أهمية إيلاء هذا الجانب أشد الاهتمام بعد تأمين الدولة الإسلامية، وليس معنى ذلك عدم الاستنفار لأداء هذه الوظيفة في عهد قبل ذلك بل المراد توسيع دائرة التعليم في هذا العهد، وابتكار محاضن فردية ومؤسسية له بحسب نمو المجتمع مدنياً، واتساعه جغرافياً، ولذا ورد المن بأن النبي ﷺ إنما أرسل لأجل ذلك كما قال جل جلاله:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥١].

٢- أن هذه الوظيفة وظيفية مشتركة بين جميع الأنبياء، على أنه قد تميز بها النبي ﷺ تميزاً ظاهراً لتمييزه بالقرآن ثم بالخاتمية، وقد حدد هذه الوظيفة ابتداء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام^(٢).

(١) انظر: حياة محمد ليهكل بواسطة محمد طاهر عبد القادر الكردي المكي: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

(ص ١)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) انظر: ابن كثير (١/ ١٨٤)، مرجع سابق.

٣- أن النبي ﷺ تأهل بالصفات التعليمية اللازمة للمعلم الكامل القدوة (النموذج)، وعرف الصحابة عنه ذلك، ومما يؤشر في هذا السبيل: ما قاله معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: «فلما صلى رسول الله ﷺ «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني»^(١)، والمراد الإشارة إلى هذا المعلم من صفاته ﷺ لا التفصيل.

٤- كان النبي ﷺ يجعل ذلك أول شيء يجب أن يتعلمه العبد عند إسلامه، وإن كان مقدار المحفوظ المعلم يتفاوت بحسب الأهلية للتصدر معلماً دائماً للإقراء، أو مسلماً يجب عليه حفظ ورد معين... ويوضح ذلك ما رواه سعد بن جنادة رضي الله عنه قال: كنت فيمن أتى النبي ﷺ من أهل الطائف، فخرجت من أهلي من السراة غدوة، فأتيت منى عند العصر فصاعدت في الجبل، ثم هبطت فأتيت النبي ﷺ فأسلمت، وعلمني «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص: ١] و«إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» [الزلزلة: ١] وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال: «هن الباقيات الصالحات وفي رواية قل يا أيها الكافرون»^(٢).

ويتضح مما سبق أن تعليم القرآن الكريم على الهيئة التي كانت في عهد النبي ﷺ أفضل الأعمال: وقد أثبت النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣)، ولا شك أن أول ما أمر النبي ﷺ بتعليمه إنما كان تعليم ألفاظ القرآن الكريم كما في صريح تلك الآيات المتقدمة، وهو أول جزء من أجزاء

(١) مسلم (١/ ٣٨١)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الكبير (٦/ ٥١)، الحديث في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٦)، مرجع سابق، وانظر: الإصابة (٣/ ٤٩).

(٣) البخاري (٤/ ١٩١٩)، ابن حبان (١/ ٣٢٤)، الترمذي (٥/ ١٧٣)، مراجع سابقة.

وظيفة البلاغ الذي أمر به في رسالته، وقد سئل الثوري - رحمه الله تعالى - عن الجهاد وإقراء القرآن فرجح الثاني واحتج بهذا الحديث.

فإن اعترض على كون تعليم القرآن الكريم أفضل أنواع التعليم بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره، فدخل المسجد، فإذا هو بملقتين إحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: «كل على خير: هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً» فجلس معهم^(١)، فدل هذا بظاهره على تقديم تعليم غير القرآن من أمور الشرع.

فالجواب: ليس في الحديث ذكر لتعليم القرآن الكريم في الحلقة الأولى بل غاية ما فيه ذكر قراءتهم للقرآن لا تعليم ألفاظه، وليس هذا مدار المسألة، على أن ذكر التعليم في الحلقة الثانية منصرف أول ما ينصرف إلى تعليم القرآن الكريم، ولذا طلب الأوس والخزرج من يعلمهم القرآن الكريم، كما أن الرسول ﷺ عندما طُلب منه إرسال من يعلم القبائل كان يرسل معهم القراء، ويحمل على هذا الرواية الأخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده فقال: «كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه: أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويعلمون الجاهل، فهم أفضل وإنما بعثت معلماً» قال: ثم جلس فيهم^(٢)، وفي لفظ: دخل النبي ﷺ المسجد وقوم يذكرون الله عز وجل، وقوم يتذكرون الفقه، فقال النبي ﷺ: «كلا المجلسين إلى خير، أما الذين يذكرون الله عز وجل

(١) سنن ابن ماجه (١ / ٨٣).

(٢) (الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ٢٥٥ هـ: سنن الدارمي (١ / ١١١)، تحقيق: أحمد فواز زمرلي، خالد السبع العلمي، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

ويسألون ربهم فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يعلمون الناس ويتعلمون، وإنما بعثت معلماً وهذا أفضل» فقعد معهم^(١).

❖ وقد أمر ﷺ بالصبر على ذلك، وكانت له الحلقات الخاصة للقراءة

والإقراء: كما في قول الله - تعالى ذكره-: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]، فقد قال بعض المفسرين فيها: «كان

ذلك تعلمهم القرآن وقراءته»^(٢)، ويدل لهذا حديث أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال: إني لجالس ذات يوم في عصابة من ضعفاء المهاجرين،

ورجل منا يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا، وإن بعضنا مستر ببعض من العري

وجهد الحال؛ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فلما رآه قارئنا أمسك عن

القراءة، فجاء وجلس إلينا، فقال بيده، فاستدارت له حلقة القوم فقال: «ألم

تكونوا تراءدون حديثاً بينكم» قالوا: بلى يا رسول الله صاحبنا يقرأ علينا

القرآن ويدعو لنا. قال: «فعودوا في حديثكم» فقال الرجل: يا رسول الله

أقرأ وأنت فينا؟ قال: «نعم». ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمي من

أمرت أن أصبر نفسي معهم»^(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد، فوجد أصحابه عزين يتذاكرون

فنون العلم، فأول حلقة وقف عليها وجددهم يقرؤون القرآن وجلس إليهم،

فقال: «بهذا أرسلني ربي» ثم قام إلى الثانية فوجددهم يتكلمون في الحلال

والحرام وجلس إليهم ولم يقل شيئاً ثم قام إلى الثالثة فوجددهم يذكرون

(١) (الطيالسي) أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري ت ٢٠٤ هـ: مسند الطيالسي (ص ٢٩٨)، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الطبري (٧/ ٢٠٥)، مرجع سابق.

(٣) (الطبراني) مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت ٣٦٠ هـ: المعجم الأوسط (٨/ ٣٥٧)، مراجعة: محمود الطحان، ١٤٠٥-١٩٨٥، مكتبة المعارف-الرياض.

توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه وجلس إليهم كثيراً ثم قال: «بهذا أمرني ربي» قال جابر: لأن التوحيد معرفة الله عز وجل، ومن لا يعرف توحيد الله فليس بمؤمن^(١).

المطلب الثالث: المنهج المقرر للتلاوة والتعليم

بعد تقرير أن التلاوة وظيفتها تعليمية في ذاتها ولكن للألفاظ فقط كالتعليم للكتاب الذي يزيد عليها في تفهيم المعاني لا بد من الكلام على المنهج الذي اختاره الله جل جلاله للبلاغ تلاوة وتعليماً، وحدوده اللفظية^(٢)، غير أننا نشير هنا إلى أن النبي ﷺ علم أصحابه عمومية القرآن وعدم جعله مادة خاصة، لا يعلمها إلا المتخصصون^(٣):

الحدود اللفظية للقرآن الكريم:

كانت سور القرآن وآياته النازلة معلومة معروفة، ومن ثم فحدوده باتت بديهية عند جملة المسلمين، وسوره النازلة يتابعها كل مسلم يكون قريباً من النبي ﷺ، وذلك للتالي:

١- لأنه مادة البلاغ الأساسية: فليس للنبي ﷺ من هم صباح مساء إلا تبليغه تلاوة وتعليماً: بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم بخصوصه، وغيره من أنواع الوحي كالحديث النبوي تابع له أيضاً وتفسيراً غالباً، فالقرآن هو أساس البلاغ كما هو منهاج التعليم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه فإنّ قريشاً قد منعوني

(١) (الأزدي) الربيع بن جيب بن عمر البصري: مسند الربيع (ص ٣٢)، تحقيق محمد إدريس وعاشور بن

يوسف، دار الحكمة، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ... وإسناد هذا الحديث والذي قبله بحاجة إلى مزيد نظر.

(٢) انظر في مناقشة تعريف القرآن الكريم: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم (ص ٢٨٩) للمؤلف.

(٣) والحديث عن القرآن من حيث هو قرآن لا عن القراءات.

أن أبلغ كلام ربي^(١)، ولذا اشتد اهتمامه بإقراء القرآن: فهو وسيلة إنذاره وإبلاغه رسالته هي القرآن فبه ينطق، وبه يتكلم، وبه يخبر عن ماهية رسالته عندما يريد البيان، وبه يجادل، وبه يجاهد كما قال جل جلاله: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر وإنس وجان فهو نذير له ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، ولا يكفرون به إلا بعد سماعه^(٢)، وهي في الدلالة كقوله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] فصارت المهمة في المقام الأول إبلاغ القرآن، ولما جادل عتبة بن ربيعة النبي ﷺ لم يعد جواب النبي ﷺ أن قرأ ﷺ على عتبة بن ربيعة أوائل سورة فصلت لما أراد ﷺ أن يرد عليه^(٣).

وكما أن القرآن بلاغ فهو بيان لسائر المكلفين من الناس من عرف لغة العرب منهم ومن لم يعرف، «وإن كان من لا يعرف لغة العرب يحتاج إلى أن يعرف معناه بلغته وينقل إلى لسانه» كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧] فلما كان يخبرهم عن القرآن إنما كان يخاطبهم به عنه حتى كأنه بدهية معروفة بينهم، يعلمونها، ويعلمون حدودها كما لو كانت أسماءهم^(٤).

❖ ولما توفي النبي ﷺ انقطع الوحي كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر

(١) أحمد (٣/ ٣٩٠)، الترمذي (٥/ ١٨٤) وقال: «هذا حديث غريب صحيح».

(٢) ابن كثير (١/ ٣)، مرجع سابق.

(٣) في حديث طويل أخرجه الحاكم (٢/ ٢٧٨)، مرجع سابق، وصححه.

(٤) أتى الباحث في هذا المقام بآية مكية، وآية مدنية اختصاراً وللدلالة على المراد.

لنا خيراً أمناء وقربناه وليس إلينا من سريره شيء، الله يحاسبه في سيرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدق وإن قال: إن سيرته حسنة^(١)... وانقطاعه يعني كمال المنزل، وضرورة إبلاغه للعالمين، فالانقطاع دليل الكمال.

٢- تكرير ذكره في مقام الإيضاء: ويتضح ذلك بذكره له في مقام الإيضاء... فلا يوصيهم بمجهول فعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قالوا: نعم قال: «فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»^(٢)، وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» (هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «و أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^(٣)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: «سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك» فقال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض»^(٤).

(١) البخاري (٢/ ٩٣٤)، مرجع سابق، ووردت مثل هذه العبارة عن أم أيمن فيما رواه مسلم (٤/ ١٩٠٧).

(٢) ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١/ ٣٢٩)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (١/ ٦٩).

(٣) مسلم (٤/ ١٨٧٣)، مرجع سابق.

(٤) مسند أحمد (٣/ ٨٢)، مرجع سابق، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٩٨)، مرجع سابق.

وهو عندما يوصيهم بذلك، ويكرر، ويؤكد... أفتراه يوصيهم بمجهول، غير معلوم الماهية أو الحدود عندهم؟ وقد حصر وصيته بالكتاب الشريف، وأخبر ﷺ أن «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»^(١) ليدل على عمومته وشيوعه، وصيرورته من العلم العام بينهم، فمن لم يحفظه عرف ماهيته الجمالية وحدوده العامة، بخلاف الحديث النبوي الذي لا يعلمه إلا الخاصة غالباً، وقد يعترض معترض ها هنا بقول النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...»^(٢)، فالحديث يدل على حجية السنة، وهذا صحيح وليس تقرير الباحث حول ذلك؛ إنما التقرير حول شيوع القرآن وصيرورته من العلم العام بين المسلمين وغيرهم، على أن هناك فرقاً ضرورياً بين علم القرآن وعلم الحديث أن القرآن محدود معلوم ومعروف يتردد في المحارب أما الأحاديث فيعلمها الخاصة دون غيرهم.

٣- القرآن هو معجزته التي قامت مقام العصا عند موسى عليه السلام وأربت عليها، وقامت مقام إحياء الموتى عند عيسى عليه السلام وأربت عليها... لذلك لا يعرض على الناس مسلمهم وكافرهم إلا القرآن... فصار شيوع العلم به، وبماهيته وحدوده كالعالم بهذه المعجزات... وقد ذكر النبي ﷺ ذلك فقال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(٣).

٤- حديث القرآن عن نفسه حديث يدل على شدة ظهوره بين الناس، كما في قوله: ﴿ هَذَا بَلَدٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ عَزِيزٌ ﴿١١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٨٢٦).

(٢) أبو داود (٤/ ٢٠٠)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٩٠٥)، مرجع سابق.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤١﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] ﴿إِنَّهُ لَقَرِءٌ أَن كَرِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴿٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٨] ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ - ٣] ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوْلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى: ١٨]، وقال: ﴿حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١ - ٢]، [الدخان: ١ - ٢]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

٥- تحديده كتابياً بشكل دقيق: حدد النبي ﷺ القرآن الكريم مكتوباً على صورة دقيقة؛ فكان القرآن - كلام الله المنزل - محصوراً معلوماً معروفاً لا يعتريه ريب ولا التباس عند المسلمين واليهود والنصارى وباقي العالمين، وهو الموجود بين الدفتين عندنا فيما عدا ما هو معلوم من أسماء السور، والتحزيب، وقد ورد تحديد هذا المنهج على لسان النبي ﷺ، وأنه بين دفتين قبل أن يجمع بين دفتين فقد قدم أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ بيت المقدس ليصلي فيه، فلما انصرف خرجوا معه ليشيعوه، فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزة وحقاً أن أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قلنا: هات رحمك الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، وفي لفظ: ومعنا أبو عبيدة بن الجراح قلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً؟ أمنا بك واتبعناك. قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهركم يأتيكم الوحي من السماء؟ بلى قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك

أعظم منكم أجراً، أولئك أعظم منكم أجراً، أولئك أعظم منكم أجراً»^(١). وترى النبي ﷺ انتقل من ذكر الكتاب وتحديده بأنه بين لوحين إلى ذكر الإيمان به والعمل دلالة على ظهوره، ولا شك أن العمل به لا يكون إلا عن معرفته أي معرفة ما فيه. و(علم القرآن) هو المصطلح العلمي المعروف لعلوم القراءات والتجويد عند السلف:

فقد قال أهل العلم في تقسيم العلم: «العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل، أو فهم المنقول وتقريره وتشيده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل إن كان مما أتى به الرسول ﷺ بواسطة الوحي فهو علم القرآن...»^(٢)، وقد يطلق على علم القرآن علم القراءة كما يكثر هذا الاصطلاح في كشف الظنون^(٣).

(١) مسند الروياني (٢ / ٥١٣)، الأحاد والمثاني (٤ / ١٥٢)، الطبراني في الكبير (٤ / ٢٣). تنبيه: عظم الأجر لا يعني زيادة الفضل، إذ لا شك أن أجور من بعد الصحابة للصحابة مثلها إلى يوم القيامة كما ثبت في مسلم، فلا يبلغ أحد مد أحد الصحابة ولا نصيفه... ولعل الأجر المذكور على آحاد الأعمال لا على جملتها.

(٢) أمجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ١ / ٩٨. تنبيه: استخدم الباحث هذا المصطلح العلمي - علم القرآن - بدلاً من مصطلح علم القراءة لانصراف الذهن عند سماع هذا الأخير إلى علم القراءات مع أن نقل القرآن يدخل فيه دخولاً أولياً وانظر ورود مصطلح علم القرآن على السنة العلماء مثلاً في: (الهروي) أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ: غريب الحديث (٢ / ١٢)، تحقيق: د. محمد عبد المعيدخان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٦ هـ، وكذلك في: (ابن الجوزي) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ت ٥٩٧ هـ: غريب الحديث (٢ / ٣٧)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م، لسان العرب (٩ / ٤١)، مرجع سابق، وفي (١١ / ١٣٠) قال ابن منظور تعليقاً على حديث «إن من العلم جهلاً»: «قيل وهو أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة»، وانظر: (ابن النديم) محمد بن إسحاق أبو الفرج ت ٣٨٥ هـ: الفهرست (١ / ١٢٨، ١ / ٣٢٦)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، وتكرر هذا المصطلح في أمجد العلوم كثيراً، انظر: (٢ / ٥٢، ٢ / ١٠٦، ٢ / ٣٠٣...)، مرجع سابق.

(٣) انظر: كشف الظنون (١ / ١١، ١ / ١٥، ٣ / ١٣١٧)، مرجع سابق.

ويتضح أن (علم القرآن) هو أساس بقية العلوم:

في تقديم التلاوة على تعليم الكتاب والحكمة، فقد تكرر بذلك تعليم القرآن في التلاوة ثم في تعليم الكتاب لأن تعليم ألفاظ القرآن تدخل في ذلك دخولاً أولياً، فهو أساس وظائف النبي ﷺ، فالتلاوة أساس التعليم، والتعليم أساس التزكية كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزَكِّيكَ﴾ إذ كان المطلوب من النبي ﷺ أن يقرئ ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وكان علم نقل اللفظ القرآني أساس العلوم الشرعية الأخرى وعليها تأسس بناؤها ثم شمع واشمخر، فالألفاظ أساس التفسير، والمباني أوعية المعاني، ولذا عرفوا علم التفسير بما يفيد شمول نقل علم اللفظ القرآني: فقالوا: «هو العلم الباحث عن أحوال ألفاظ كلام الله سبحانه وتعالى من حيث الدلالة على مراد الله تعالى»^(١)، ففي كل ذلك يكون علم القرآن في مقدمات مصادر علم التفسير.

وكون الإقراء هو الأساس بالنسبة إلى تعليم العلوم الأخرى:

مما عرفه السلف فقد سئل ابن محيريز عن مسألة فقال للسائل: ما تصنع بالمسائل؟ قال: لولا المسائل لذهب العلم قال: لا تقل ذهب العلم، إنه لا يذهب العلم ما قرئ القرآن ولكن لو قلت يذهب الفقه، وعن الوليد بن مسلم قال: كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثاً قال: يا غلام! قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وإن قال: لا! قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم، وعن أبي هشام الرفاعي يقول: كان يحيى بن يمان إذا جاءه غلام أمره استقرأه رأس سبعين من الأعراف، ورأس سبعين من يوسف فإن قرأه حدثه وإلا لم يحدثه^(٢).

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٤٢٧)، مرجع سابق.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٨٠).

ومجالس العلم التي كان يجيها الصحابة رضي الله عنهم تنصرف في الغالب للإقراء:

وغيره يأتي تبعاً فقد قال بعض أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك..^(١)، وعن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى يقرئنا يجلسنا حلقاً حلقاً عليه ثوبان أبيضان، فإذا قرأ هذه السورة ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قال: «هذه الآية أول سورة أنزلت على محمد ﷺ»^(٢).

❖ ومن ناحية عقلية:

فقد اجتمعت ثلاثة أمور توجب في الضرورة العقلية البدء بتعليم ألفاظ القرآن الكريم، وصرف الأوقات إليه:

أحدها «من جهة الموضوع فإن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وثانيها من جهة الغرض فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.

وثالثها من جهة شدة الحاجة فإن كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى^(٣) ولأن ألفاظ

(١) أحمد (١/ ٣٩٨)، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد (٧/ ١٣٩)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أمجد العلوم (١/ ١٧٥)، مرجع سابق.

القرآن الكريم تكون حقيقة (القرآن) وماهيته، فهي أول العلم بكتاب الله ودينه مما يجعل تحديده يظهر ظهوراً عاماً على مستويين إجمالي، وتفصيلي.

❖ من جهة أخرى تنقسم العلوم الشرعية إلى نقلية وعقلية «وأصناف العلوم النقلية كثيرة؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعلم أحكام الله سبحانه وتعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق.

فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولاً، وهذه هي علوم أداء الألفاظ القرآنية من تلقين وتجويد وإقراء.

ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى واختلاف روايات القراء في قراءته وهو علم القراءات...»^(١).

تعريف القرآن (المنهج التعليمي):

وعلى هذا فكتاب الله سبحانه هو كلامه، وهو القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، ولا يعترض على هذا بأن البعض قد ذهبوا إلى أن الكتاب غير القرآن، إذ هذا القول على غرابة فلسفته عن الدين، فهو مخالف لصريح القرآن الكريم؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠]، وقال ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] فأخبر الله تعالى أنهم استمعوا القرآن وسموه قرآناً وكتاباً، وقال تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ - ٣] سماه قرآناً وكتاباً وهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين وهو «ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً، وقيدناه بالمصحف، لأن الصحابة رضي الله عنهم بالغوا في نقله وتجريده عما سواه حتى

(١) وانظر: كشف الظنون (١/ ٤٠)، مرجع سابق، والكلام مأخوذ منه بتصرف وتغيير بما يوافق رؤية الباحث.

كرهوا التعاشير والنقط كيلا يختلط بغيره فعلم أن المكتوب في المصحف هو القرآن وما خرج عنه فليس منه؛ إذ يستحيل في العرف والعادة مع توفر الدواعي على حفظ القرآن أن يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ما ليس منه»^(١)، وحد أول القرآن وآخره من بدهيات الإسلام، فالقرآن هو الكتاب، وهو قول الله، وهو «الذي أجمع المسلمون عليه من السور والآيات في القرآن»^(٢).

المطلب الرابع: قيامه بوظيفة تعليم القرآن على أوسع نطاق

تقدمت الإشارة إلى أن التلاوة ووظيفة تعليمية بجد ذاتها، أضيف لها وظيفة التعليم التفصيلي للكتاب والحكمة... فصار ملخص ذلك أن النبي ﷺ إنما بعث معلماً وهو ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً»^(٣)... ولذا قام بوظيفة تلاوة الكتاب وتعليمه على أوسع نطاق:

تلاوته ﷺ على المشركين:

أما تلاوته ﷺ القرآن على المشركين، فمن مؤشرات ما تقدم من آيات وأحاديث، وقد قرأ النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكة مسلمهم وكافرهم، فسجد فيها وسجد من معه^(٤)...

تعليمه ﷺ القرآن للمسلمين:

(١) (ابن قدامة) موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ت ٦٢٠ هـ: روضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ٦٢)، مكتبة المعارف - الرياض.

(٢) (الجويني) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ: البرهان في أصول الفقه

(١/ ٣٦٦)، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ١٤١٨ هـ ط ٤.

(٣) مسلم ٢/ ١١٠٤، مرجع سابق.

(٤) البخاري ١/ ٣٦٣، مرجع سابق.

وأما إقراؤه للمسلمين، فذلك دأبه وديدنه، فكان يقرئ من استطاع من المسلمين بنفسه، وذلك ظاهر، وهو ما يشغل معظم يومه وليلته: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، فقال: «كلاهما على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلماً» قال ثم جلس فيهم^(١)، وقد سبق أن رأس التعليم الذي بُعث له ﷺ تعليم القرآن الكريم، وصرح النبي ﷺ بذلك في قوله: «خيركم (وفي لفظ: إن أفضلكم) من تعلم القرآن وعلمه»^(٢) والتعليم ليس إلا الإقراء كما ثبت في الرواية الأخرى «خيركم من قرأ القرآن وأقرأه»^(٣) وكمثل تطبيقي على ذلك فإن سعد بن أبي وقاص روى أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن، وعلم القرآن» ثم قال الراوي عن سعد: فأخذ بيدي وأقعدني هذا المقعد أقرئ^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى أبو طلحة أم سليم وهي أم أنس فقال: عندك يا أم سليم شيء؟ فإني مررت على رسول الله ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع... الحديث^(٥).

وقد كان جبريل عليه السلام يقرئه الآيات فيقرئ أصحابه من فوره ولئن سألوه عن المعنى لأحرى أن يستوثقوا من اللفظ قبل المعنى ومن ذلك ما ذكره أبو سعيد الخدري: لما نزلت ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] تغير لون رسول

(١) ابن ماجه (١ / ٨٣)، الدارمي (١ / ١١١)، مرجعان سابقان.

(٢) البخاري (٤ / ١٩١٩)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الكبير (١٠ / ١٦١) عن ابن مسعود.

(٤) سنن سعيد بن منصور (١ / ١٠٢)، مرجع سابق، الدارمي (٢ / ٥٢٩)، مرجع سابق.

(٥) الطبراني في الأوسط (٣ / ٢٦٧)، مرجع سابق.

اللَّهُ ﷻ وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال: أقراني جبريل ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئْتَ بِمِيزَانٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].. (١).

وقد كان القراء والمقرئون أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فقد سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضجة في المسجد يقرؤون القرآن ويقرئونه فقال: طوبى لهؤلاء! هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ (٢).

إرساله ﷺ المقرئين لتأدية الوظيفة:

من لم يستطع ﷺ أن يقرئه أرسل إليه المعلمين للقرآن الكريم إلى مختلف الأصقاع كوظيفة أساسية في بدء نشر الإسلام في أي منطقة: فعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن فأمرهما أن يعلما الناس القرآن (٣)، وإلى المدينة أرسل مصعب بن عمير وهو المقرئ الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى الأنصار يقرئهم القرآن بالمدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ فأسلم معه خلق كثير (٤).

وكذلك كان يفعل مع البلاد المفتوحة، ومن ذلك أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة استخلف عليها عتاب بن أسيد يصلي بهم وخلف معاذاً يقرئهم ويفقههم (٥).

وعن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا كتاب ربنا والستة قال فأخذ النبي ﷺ بيد أبي عبيدة فدفعه إليهم وقال: «هذا أمين هذه الأمة» (٦)، ويعني باليمن هنا أهل حِمْيَر.

(١) انظر: القرطبي (٢٠ / ٥٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧ / ٢١٤).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١ / ٢٥٦).

(٤) الحاكم (٣ / ٧٢٨)، مرجع سابق.

(٥) سير أعلام النبلاء (١ / ٤٤٧).

داخل بيته ﷺ: وقد قام بذلك خير قيام داخل بيته كما قام خارجه: فقد كان الوحي ينزل داخل بيوت النبي ﷺ، والقرآن يتلى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة^(٢).

تعيينه ﷺ عرفاء الإقراء:

وكان لضرورة إقراءه القرآن الكريم يدفع من قدم عليه إلى إمام من أئمة الإقراء فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ، دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليّ رسول الله ﷺ رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت فكنت أقرئه القرآن...^(٣)، وهذا يدل أيضاً على مقدار اعتناء الصحابة بحفظ القرآن الكريم، وتعلمه وتعليمه.

إقراؤه ﷺ للجن:

حتى أقرأ الجن القرآن كما فعل مع الإنس فهو مرسل إلى الثقيلين: فقد سئل علقمة تلميذ ابن مسعود: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكننا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا: إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؟ فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت

(١) الحاكم (٣/ ٢٩٩)، مرجع سابق، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بذكر القرآن».

(٢) تفسير الجلالين (ص ٥٥٤)، دار الحديث، القاهرة، ط ١، وانظر: القرطبي (١٤/ ١٨٢)، الطبري (٢٢/ ٩).

(٣) أبو داود (٣/ ٢٦٥)، الحاكم (٣/ ٤٠١)، أحمد (٥/ ٣٢٤).

معهم فقرأت عليهم القرآن^(١) ومعنى عدم حضوره الوارد في قوله: لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ ووددت أني كنت معه^(٢) أي قربته مع النبي ﷺ في المكان ذاته. وقد بين النبي ﷺ أن داعي الجن جاءه فأمره الله بالإجابة كما في رواية لابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «أمرت الليلة أن أقرأ على الجن واقفاً بالحجون»^(٣).

وقد اهتم الجن لذلك وفرحوا به حتى كادوا يكونون عليه لبدأً فعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: «لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه... وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، فعجبوا من طواعية أصحابه فقالوا لقومهم ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]»^(٤)... ألا يكون الفرح في الإنس بكتاب الله أولى وأحرى.

ولم تكن قراءته ﷺ عليهم لمرة واحدة بل تكررت فعن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»^(٥)... فأين مردود الإنس - أخي - أين؟.

أمره ﷺ للصحابة رضي الله عنه ومن بعدهم بتعليم القرآن وتبليغ الآي:

(١) مسلم (١/ ٣٣٢)، مرجع سابق، وتمته: قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم...).

(٢) مسلم (١/ ٣٣٣)، مرجع سابق.

(٣) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١/ ٤٣٨).

(٤) تفسير الشوكاني (٥/ ٣١٣)، دار الفكر، بيروت... وهذا على أحد التفسيرين الواردين في الآية، وانظر:

مفاتيح فهم القرآن (ص ٥٧٣).

(٥) الترمذي (٥/ ٣٩٩).

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بتعليم القرآن وحثنا عليه.. الحديث^(١)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرض بعضهم القرآن على بعض، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرأ عبد الرحمن بن عوف..^(٣)

ونعى ﷺ على قوم عدم قيامهم بواجب التعليم العام فكيف يذهب التصور بشأن التعليم القرآني؟، فعن عبد الرحمن بن أبزي رضي الله عنه قال:

«خطب رسول الله ﷺ ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيراً، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم؟ ولا يعلمونهم؟ ولا يفطنونهم؟ ولا يأمرونهم؟ ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم؟ ولا يتفقهون؟ ولا يتفطنون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويفطنونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا».

ثم نزل فدخل بيته، فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: نراه عنى الأشعرين، هم قوم فقهاء، وهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعرين، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوماً بخير، وذكرنا بشر، فما بالنا؟

(١) وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٩)، مرجع سابق: «رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وأثنى عليه هشيم خيراً وبقية رجاله ثقات».

(٢) البخاري (٣ / ١٢٧٥)، مرجع سابق، وتمتته: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

(٣) البخاري (٦ / ٢٦٧٠)، مرجع سابق.

فقال: «ليفتقهن قوم جيرانهم، وليفطننهم، وليأمرنهم، ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفطنون، ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا» فقالوا: «يا رسول الله أنفطن غيرنا؟» فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً.

فقالوا: «أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم، ويفطنوهم».

ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لئنس ما كانوا يفعلون» [المائدة: ٧٨ - ٧٩] (١).

وكان ﷺ يحث على أن تعلم الأجيال الناشئة القرآن الكريم أول ما تعلم:

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «تعلموا البقرة... وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان:

(١) الحديث قال فيه الألباني: «ضعيف...»، انظر: (الألباني) محمد ناصر الدين: أحاديث المزارعة والمؤاجرة والرد على المفترين على الصحابة والتابعين والعلماء (ص ٤١) ضمن كتاب البرهان في رد البهتان والعدوان، وانظر: عبد الفتاح أبو غدة: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم (ص ١٥)، وقد قال في تحريجه: قال الحافظ ابن السكن: «إسناد هذا الحديث صالح» كما نقله في «كتر العمال» (٣: ٦٨٥)، وقال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الحافظ الهيثمي: «وفيه بكير بن معروف»، قال البخاري: أرم به، ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في أخرى، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به فعلى هذا يكون سند الحديث ضعيفاً إن لم نعتد بالرواية عن أحمد في توثيقه، وإن اعتدنا بها فهو حديث حسن أو يقارب الحسن. وهذا الذي جزم به الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» فإنه أورده بلفظ «عن علقمة...» الرسول المعلم (ص ١٧).

عم كسينا هذا فيقال: بأخذ ولد كما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ حدرأ كان أو ترتيلاً الحديث^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هو اجرك وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها فيقولان يا رب أنى لنا هذا فيقال لهما بتعليم ولدكما القرآن»^(٢).

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به»^(٣)، وعن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن في الدنيا»^(٤).

والأحاديث يعضد بعضها بعضاً، وهي تدل بدلالة الإشارة على الحض الشديد للوالدين على تعليم أولادهم القرآن، وتحفيظهما إياه وما يستتبع ذلك من العمل به، وهذا يوحى بضرورة أن تكون مادة القرآن الكريم جزءاً مستقلاً من التعليم العام والتعليم العالي، وأن تكون مادة ملزمة لسائر التخصصات، مع تفاوت الكمية المناسبة لكل بحسبه كلما انتهى من جزء لفظي أو معنوي انتقل إلى غيره بحيث يبقى الجيل المسلم على صلة لا تنقطع بها.

(١) الحاكم (١/ ٧٥٦)، الدارمي (٢/ ٥٤٣)، مرجعان سابقان.

(٢) روى الدارمي نحوه ٢/ ٥٤٣، أحمد ٥/ ٣٤٨.

(٣) أبو داود (٢/ ١٧٠)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني في الأوسط (١/ ١٠٠).

ولذلك كله كان تعلم القرآن بدهية في حياة الصحابة رضي الله عنهم حتى صار مقياساً لغيره كما قال عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القرآن^(١).

من المقتضيات المنهجية التعليمية لذلك في خطط التنمية الأساسية في البلاد الإسلامية:

١- رسم خطط استراتيجية في مجالات التربية والتعليم والتوجيه والثقافية والعلاقات الخارجية تشمل كيفية تبليغ القرآن الكريم وتعليمه، والوصول إلى حد الاكتفاء من المتخصصين في جوانبه المختلفة، وفروعه الدقيقة.

٢- متابعة بعث المتقنين من القراء إلى الآفاق للتأكد من نشر القرآن ومعرفة الواجب منه على الأقل، ومن تسلسل المنهجية عند عمر رضي الله عنه في ذلك ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال حين قدم البصرة: بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم، وستتكم، وأنظف طرقكم^(٢).

٣- الاعتزاز والافتخار بوظيفة معلم القرآن الكريم، وعدم التصاغر من قبل القائم بها، وأن يقذف في وعي الأمة وإدراكها مقدار جلالة هذه الوظيفة، فتستغير النظرة السائدة الآن على ضآلة وظيفة معلم الصبيان.

٤- أن تعطى هذه الوظيفة حقها من الرعاية والاهتمام سواء من حيث الرواتب الدائمة أو من حيث المحفزات المصاحبة، وحرصاً عليها من الابتدال فيهم بإعداد ملاكاتها التعليمية وفق بقية الصفات التي ستظهرها هذه الدراسة فتكون في مكانها اللائق.

(١) سنن البيهقي الكبرى (٦ / ٢٠٩).

(٢) الدارمي (١ / ١٤٩)، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (٥ / ٢١٣)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

هذا هو النبي ﷺ... صارخ في برية التيه التي سيطرت على العالم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ
 قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾... أبلغه للصغير والكبير، والإنس
 والجن، والرجال والنساء، والأعراب والأعاجم... لم يترك تبليغ القول الثقيل في
 ليل أو نهار... فذا ميراثه.. فأين هم ورثته؟ أين ورثته؟... لكنّ النور الذي نزل
 عليك قد عمّ انتشر... يا رسول الله.. فـ:

كيف ترقى رقيق الأنبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
أمع الصبح للنجوم تجلُّ	أم مع الصبح للظلام بقاء
وإذا ما تلا كتاباً من الله تلتته كتيبة خضراء	
حبذا عقد سؤدد وفخار	أنت فيه اليتيمة العصماء

المبحث الثالث:

حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه

وبعد ما تقدم لا بد من الخوض بشيء من التفصيل الفقهي في حكم تعليم القرآن وتعليمه وذلك في الجهتين اللتين تكونان الأمة، وهاتان الجهتان تشكلان مطلبين:

المطلب الأول: على النبي ﷺ.

المطلب الثاني: على الأمة.

المطلب الأول: حكم تعلم القرآن على النبي ﷺ

بعث النبي ﷺ معلماً، وكان أول أدب قرآني أدبه ربه سبحانه وتعالى به هو قوله جل جلاله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، مع أنه ليس بقارئ ولا كاتب فيكون المراد بالقراءة التلاوة عن ظهر قلب... وعلى هذا يكون تعلم القرآن الكريم وتعليمه جزءاً من حقيقة كونه نبياً، وهو يمثل ماهية رسالته... فلا تتصور نبوته، ولا تتأتى حقيقة رسالته إلا بكونه متعلماً للقرآن الكريم من جبريل عليه السلام، معلماً له للثقلين... وهذا من أعظم أدلة وجوب حفظ القرآن عليه، والحفظ يشكل أرقى صور تعلم كتاب الله تعالى، ولذا اشتد حرصه ﷺ على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه فيه في أشد حالات حرجه وشدته حتى قال الله عز وجل فقال له في سورة القيامة ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِغْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]، وقال جل جلاله له في سورة طه ﴿وَلَا تَتَّعَلَّ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]،

«ومن هنا كان ﷺ أول جامع للقرآن في قلبه الشريف، وسيد الحفاظ في عصره المنيف، ومرجع المسلمين في كل ما يعينهم من أمر القرآن وعلوم القرآن، وكان ﷺ يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه وكان يحبي به الليل، ويزين الصلاة، وكان جبريل عليه السلام يعارضه إياه في كل عام مرة وعارضه إياه في العام الأخير مرتين»^(١).

وأما تفصيل ذلك فقد أشير إليه في كتاب تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم للمؤلف.

المطلب الثاني: حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه على الأمة

أول مسألة في هذا الموضوع تتعلق بحفظ القرآن: هل هو واجب على أمة

النبي ﷺ؟

الجواب: نعم! والأدلة ذاتها الواردة على وجوب حفظ النبي ﷺ عن ظهر قلب ترد هنا لعالمية الرسالة الزمانية والمكانية، والأمة هي التي تحمل هذه الرسالة بعده ﷺ.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله

جل جلاله: ﴿ لَأْمَبِّدَنَّ لِكَلِمَتِهِ ﴾ [الأنعام: ١١٥] فخير يدل على حقيقتين:

١- الحقيقة الخبرية: حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بالحفظ لكتابه فلا مبدل لكلماته، فتكفل الله بحفظه أي من كل ما يقدر فيه كالتحريف والزيادة والنقصان وغير ذلك حتى أن الشيخ المهيب لو غير نقطة يرد عليه الصبيان ويقولون له- أياً

(١) (الزرقاني) الشيخ محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٦٨)، ط ٣، ١٩٤٣ هـ دار

إحياء الكتب العربية.

كان:- الصواب كذا^(١)، وأما التوراة فقال الله جل جلاله عن أحبارها: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] «فجعل حفظه إليهم فضاء» كما قال سفيان بن عيينة^(٢)، وأما القرآن فاستحفظه أهله مع تكفل الله بالحفظ، فإن يتول قوم من أهله عن ذلك استبدل الله بهم غيرهم، ولكن الاستحفاظ عام على الأمة جميعاً، وهذا معنى ما قرره أهل العلم من أن جمع القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية، مما سيأتي تفصيله بعد قليل - إن شاء الله تعالى -.

٢- الحقيقة الإنشائية: حيث أمر الله جل جلاله عباده بأن يحاولوا التشرف بالدخول في الأدوات الواقعية التي يحفظ الله بها كتابه، ومن هذا الباب فعل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الجمع الأول للمصحف بعد زمن الرسول ﷺ، وفعل عثمان رضي الله عنه في الجمع الثاني، ولم يقولوا قد تكفل الله بحفظه فلا شأن لنا.

وعلى هذا التقرير يكون «المختار أن حفظ القرآن وإبقائه كما نزل حتى يأتي أمر الله تعالى بالإعجاز وغيره مما شاء الله عز وجل، ومن ذلك توفيق الصحابة رضي الله عنهم لجمعه»^(٣).

وتعلم القرآن الكريم وتعليمه على الأمة:

أمران مجتمعان لا ينفكان؛ إذ الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل الخلق كما قال النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٤)، وهو من جملة من يدخل في قوله جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(١) انظر: روح المعاني (١٤ / ١٦)، مرجع سابق.

(٢) القرطبي (٦ / ١٠)، مرجع سابق.

(٣) روح المعاني (١٤ / ١٦)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤ / ١٩١٩)، ابن حبان (١ / ٣٢٤)، الترمذي (٥ / ١٧٣)، مراجع سابقة.

[فصلت: ٣٣] «و الدعاء إلى الله يقع بأمر شتى من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَنَظْمًا وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾»^(١).

وثاني مسألة:

ما هو المقدار الواجب حفظه على الأمة من القرآن الكريم؟ والجواب: هذه المسألة ذات جهتين:

الجهة الأولى: تعلم شيء من القرآن تؤدي به الصلوات:

فهذا فرض عين إجماعاً قطعياً عند الأمة، وهو أمران: سورة الفاتحة، ثم أي قدر من القرآن يجزئ بعدها، فقد قرر أئمة الفقه أنه «يجب» أن يحفظ (منه) أي القرآن (ما يجب في الصلاة) أي الفاتحة على المشهور، أو الفاتحة وسورة على مقابله^(٢)، ومن أهم المؤشرات في هذا الموضوع أنه لا يوجد أحد من الأمة يسقط عنه ذلك إلا العاجز الذي ورد في مثله حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أحسن من القرآن شيئاً فعلمني شيئاً يجزئني منه، فقال: «قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» قال: هذا لربي فما لي؟ قال: «قل اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني»^(٣)، وقول الرجل (إني لا أحسن) معناه لا أستطيع التعلم كما في قوله في الرواية الأخرى: يا رسول الله إني لا أستطيع أن أتعلم القرآن فعلمني ما يجزئني من القرآن^(٤) حتى أوجب بعض العلماء على من لم يتعلم القرآن إلا بعد زمن أن يعيد جميع صلواته التي صلاها قبل تعلمه

(١) فتح الباري (٩/ ٧٦)، مرجع سابق.

(٢) كشف القناع عن متن الإقناع (١/ ٤٢٩)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٥٠٠).

(٣) ابن حبان (٥/ ١١٦)، مرجع سابق.

(٤) صحيح ابن حبان (٩/ ٧٦)، مرجع سابق، ابن خزيمة (١/ ٢٧٣)، مرجع سابق، أبو داود (١/ ٢٢٠)،

مرجع سابق.

إن وجد للتعلم سبيلاً قبل ذلك فلم يتعلم، ففي حلية العلماء: «واتسع الزمان له ووجد من يعلمه فصلى بغير القراءة وجب عليه إعادة ما صلى إذا تعلم القرآن وفي قدر ما يعيده وجهان أصحهما أنه يعيد كل صلاة صلاحها إلى أن تعلم»^(١)، كما أوجبوا على الحائض المتحيرة مراجعة القرآن خوف النسيان^(٢)، وفي هذا قرر أهل العلم أن تعليم الواجب العيني من القرآن واجب عيني تحرم عليه الأجرة، واختلفوا فيما بعد ذلك.

الجهة الثانية: تعلم ما فوق ذلك وتعليمه:

ينبغي أن يشار هنا إلى أن مسألتي التعليم والتعلم مرتبطتان ارتباطاً لا ينفك، فلا تفرد مسألة التعلم عن مسألة التعليم، وكل دليل لهذه هو دليل لأختها.

والصورة العليا لهذه الجهة: أن يتعلم المرء جميع ألفاظ القرآن وأن يحيط بجوانبها اللفظية المختلفة، إذ «المقصود من التعليم للقرآن أن يكون حفظاً وإتقاناً لقوانينه من إخفاء وإظهار ونحوهما وتعليم مخارج الحروف»^(٣)، فقد علمهم النبي ﷺ أن هذا فرض كفاية على الأمة، ولكن ثم نوع من التلاوة التي تقتضي التعليم والتعلم هو واجب عيني على المكلفين وهو القراءة لأقل شيء لا يكون به القرآن مهجوراً^(٤)،... وقرر ذلك السيوطي - رحمه الله تعالى - فقال: «اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة صرح به الجرجاني في الشافي والعبادي وغيرهما... وتعليمه أيضاً فرض كفاية»^(٥) وقال في كشف القناع: «وحفظه فرض كفاية

(١) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٢ / ٩٢).

(٢) حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) (١ / ١٤٠)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.

(٣) (أطفيش) محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش: شرح النيل وشفاء العليل (في الفقه الأباضي) (١ / ٣٥٤).

(٤) وهل تكفي القراءة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً؟ فيه نظر.

(٥) الإتيان في علوم القرآن (١ / ٢٦٤).

إجماعاً»^(١)، وقال في حاشية البجيرمي: «تعلّم القرآن فرض كفاية بأن تحفظه على ظهر قلب»^(٢)، وقرر الزركشي - رحمه الله تعالى - أنه «إذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم»^(٣)، وهذا الذي عناه ابن الجزري - رحمه الله تعالى - بقوله: «تعلّم القراءة فرض كفاية فإن لم يكن من يصلح له إلا واحد تعين عليه، وإن كان جماعة يحصل المقصود ببعضهم فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقي»^(٤)، ومن جملة شواهد تعليم النبي ﷺ لهم ذلك غير ما تقدم:

١ - علمهم النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يأمرهم بأن تكون حالة حفظ القرآن (تعلّمه) وتعليمه هي صفتهم الدائمة كأمة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ نِعِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فقد قال الضحاك في هذه الآية: «لا ينبغي لأحد أن يدع حفظ القرآن جهده فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ نِعِينَ﴾»^(٥).

٢ - علمهم النبي ﷺ أن الله عزّ وجلّ يأمرهم بقراءة القرآن وذلك لا يكون دون تعليم وتعلّم، وذلك في قوله جل جلاله: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَسْرَمِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، فقد قيل في تأويلها: «إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة»^(٦)، والصحيح أن الأمر هنا فيه تفصيل فلا يقال بأنه للوجوب مطلقاً ولا للاستحباب مطلقاً بل هو للوجوب في حالتين:

(١) كشف القناع عن متن الإقناع (١/ ٢٣٥) مرجع سابق.

(٢) حاشية البجيرمي على الخطيب في الفقه الشافعي (تحفة الحبيب على شرح الخطيب) (١/ ٢٢٩).

(٣) تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي (٨/ ١٥٠).

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص ١٤).

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ١٢٢)، مرجع سابق.

(٦) تفسير القرطبي (١٩/ ٥٨)، مرجع سابق.

الأولى: لأقل ما لا يطلق عليه هجراً للقرآن الكريم، وهذا في حق جميع الأمة.
 الثانية: وللوجوب له جميعاً على من يؤدي بهم فرض الكفاية، وللإستحباب فيما عدا ذلك، وقد قيل بأنه للوجوب مطلقاً لأن المراد قراءته ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه «لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة»^(١) وهذا قريب من التفصيل المذكور إن لم يكن هو. وأما مقدار ما تضمنه هذا الأمر من القراءة فورد فيه خمسة أقوال: أحدها جميع القرآن لأن الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك، الثاني ثلث القرآن حكاه جوير، الثالث مائتا آية قاله السدي الرابع مائة آية قاله ابن عباس الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة قاله أبو خالد الكناني^(٢)، والظاهر أن القدر المطلوب هو ما لا يعد به عرفاً هاجراً للقرآن، ولا مستهيناً به، على أن الترك الذي يسمى هجراً لا يحتاج إلى استحضار نية، بل العمل فيه دليل عليه، وإن لم يقصد... وسبب هذا الترجيح القرائن التي تتمثل بكل ما في هذا الكتاب من أدلة تبين عظمة القرآن ومكانته، وحرمة هجره.

٣- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، ومهجوراً مفعول ثان أي صيروا القرآن مهجوراً بإعراضهم عنه^(٣) بأن «تركوه وصدوا عنه وعنهُ ﷺ: (من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه)»^(٤)، فإن هجر القرآن أنواع ومنها: هجر تعلمه ثم تلاوته، وسماعه والإيمان به، والإصغاء إليه^(٥).

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ٥٨)، مرجع سابق.

(٢) تفسير القرطبي (١٩ / ٥٨)، مرجع سابق.

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١٦٢).

(٤) تفسير البيضاوي (٤ / ٢١٥)، مرجع سابق، والحديث المذكور ذكره البيضاوي ولم أعره عليه.

(٥) وانظر: الفوائد (ص ٨٢).

والآية توجب تعلم القرآن بطريق أسلوب الحكيم، حيث يظهر فيها التهديد على الهجر، وتسمية فاعله من المجرمين عند توضيح دعاء الرسول؛ إذ قال تعقيباً على دعاء الرسول ﷺ الذي جاء بصيغة شكوى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، فبين أن من هجر القرآن فهو من أعداء الرسول ﷺ، وأن هذه العداوة أمر لا بد منه ولا مفر عنه^(١)، كما أن هذا الفعل فيه تشبه بالمشركين الذين هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له فهم كما قال الله جل جلاله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]^(٢)؛ ولذا جاء عن الأوزاعي قال: كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيهة، قال بعضهم: وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجوراً^(٣).

ملحوظة: يتضح من الدليلين السابقين أن حفظ القرآن أو النظر الدوري فيه ملزم لكل أفراد الأمة حتى لا يحدث الهجر له، وحتى يقرأ ما تيسر منه امتثالاً للأمر الذي تكرر مرتين في آية واحدة هي الآية الأخيرة من سورة المزمل... دلالة على التأكيد والأهمية مع إعلام الله عز وجل للقوم أنه يعلم تشتت أحوالهم الدنيوية، وعلى الرغم من ذلك ﴿فَاقْرَأْهُ وَمَا يَنْسُرْنَهُ﴾، وهذا أمر عام لكل قطاعات الأمة يتطلب بذل الوسائل المتاحة لتعميم التعليم القرآني.

٤- الأمر الصريح بتعلم كتاب الله سبحانه وتعالى، مع إجماع الأمة على أن الوجوب كفائي: ومن هذه الأوامر: قوله «تعلموا القرآن، واقرووه» (وفي لفظ: فاقرووه، وفي لفظ للترمذي: وأقرووه^(٤)...) فقوله (تعلموا القرآن) «أي لفظه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٤/ ١٠٦).

(٢) وانظر: الطبري (١٩/ ٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: (الزركشي): البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٦٣).

(٤) الترمذي (٥/ ١٥٦)، مرجع سابق.

ومعناه^(١)، والفاء في قوله (فاقرأوه) كحرف العطف (ثم) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، أي تعلموا القرآن، وداوموا تلاوته، والعمل بمقتضاه يدل عليه، والدلالة في الحديث تصريحاً وتشبيهاً واضحة على الأمر بتعلم القرآن وتعليمه، وإنما تترتب تلاوته وقراءته على ذلك.

٥- أن ذلك التعلم والتعليم هو حقيقة الرسالة النبوية لسيدنا محمد ﷺ، توجد بوجوده، وتتفي بانتفائه.. وهو قد أرسل للعالمين نذيراً كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والشيء الذي أمر بتبليغه والإنذار به هو القرآن كما في قوله جل جلاله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ، لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وما سبق من إيضاح لحقيقة وظيفه البلاغ للنبي ﷺ يفصل هذا المعنى، ولأنه مات ﷺ فلا يستطيع تجاوز حدود الزمان والمكان فإن أتباعه يدعون إلى سبيله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهذا يدل على وجوب تعلم القرآن عليهم وتعليمه، ولذا خص الآية بذكر البلاغ في قوله (بلغوا عني ولو آية) مع أنه قد يبلغ غيرها من الأحاديث مثلاً، وقد سبق أن تبليغ القرآن هو الأصل كما في قول الله جل جلاله: ﴿لَا نُنذِرُكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وسمى الله جل جلاله القرآن بلاغاً ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

٦- كل أصل عقدي، أو حكم فقهي، أو قاعدة شرعية... يحتاج إلى القرآن، ويفتقر إليه، فأى دليل يساق على وجوب العلم، أو العمل بشيء من ذلك هو دليل على وجوب تعلم القرآن الكريم، وتعليمه، ولذا قال ابن تيمية- رحمه الله

(١) تحفة الأحوذى (٨/ ١٥٠)، مرجع سابق.

تعالى:- «فإن إغانة المسلمين بأنفسهم وأموالهم على تعلم القرآن وقراءته وتعليمه من أفضل الأعمال»^(١).

٧- أن ذلك من النصيحة المطلوبة لكتاب الله سبحانه وتعالى كما قال ﷺ:

«الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢)، كما قرر الطحاوي- رحمه الله تعالى:- «أن ذلك عندنا على تعليم كتابه...»^(٣).

٨- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«تعلموا القرآن وعلموه الناس...»^(٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي بكره نحوه^(٥) ورواه الدارقطني عن أبي سعيد أيضاً ولكنه قال: «تعلموا العلم...» بدلاً من «القرآن»^(٦)، وبقية الحديث مثل حديث ابن مسعود... وهو يدل على ما هو معلوم من كون القرآن مصدر العلم والبصيرة والبيان.

٩- وكتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل أن علم الناس ما سمعت من

رسول الله ﷺ فجمعهم فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعلموا القرآن فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به» فذكر الحديث^(٧).

(١) ابن تيمية (٢٤ / ٣١٦)، مرجع سابق.

(٢) البخاري معلقاً (١ / ٣٠)، مسلم (١ / ٧٤)، ابن حبان (١٠ / ٤٣٥)، الترمذي (٤ / ٣٢٤)، مراجع سابقة.

(٣) (الطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة مشكل الآثار (٢ / ٣٠٠)، دار الكتب العلمية.

(٤) رواه (النسائي) السنن الكبرى (٤ / ٦٣).

(٥) الطبراني في الأوسط (٤ / ٢٣٧)، مرجع سابق.

(٦) سنن الدارقطني (٤ / ٨٢).

(٧) أحمد (٣ / ٤٢٨)، شرح معاني الآثار (٣ / ١٨)، مرجعان سابقان وقال في مجمع الزوائد (٤ / ٩٥)، مرجع

سابق: «رواه أحمد وأبو يعلى باختصار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٦٠)، مرجع سابق، وانظر: لمحات الأنوار رقم (٥٠٧)، مرجع سابق.

وقد كثر في الأحاديث تكرار الأمر (تعلموا القرآن، تعلم كتاب الله...) ونكتفي بما سبق.

معنى الكفاية في هذا الفرض:

أي «هل يشترط في كلّ ناحية، تعلّم واحد أو لا بدّ من جمع بحيث يظهر حفظه، أو لا بدّ في كلّ بلد من ذلك؟»^(١)، بين أهل العلم أن معنى فرض الكفاية هنا «ألا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبدل والتحريف، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقيين وإلا أثم الكل، وتعليمه أيضاً فرض كفاية»^(٢)، بل ذكروا ضرورة الاحتياط بموت بعض هذا العدد أو نسيانهم؛ وما قرره هنا أنه ينبغي أن يكون حافظ القرآن كالقاضي والمفتي في لزوم وجودهما، وهذا مما يرفع من مكانة الحافظ، ويجعله شديد الاعتزاز بما عنده في غير غرور^(٣).

تفريعات على هذه المسألة:

استنبط العلماء من الأدلة السابقة وأمثالها عدة أمور تعليمية في المنهجية النبوية في علم القراءة، منها:

١- قرروا أنه يجوز للحائض: «القراءة للتعلم لأن تعلم القرآن من فروض الكفايات وينبغي لها جواز مس المصحف وحمله إذا توقفت قراءتها عليهما»^(٤).

٢- أكدوا على تقديم حفظ القرآن على غيره من العلوم الكفائية فقد «سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟ فأجاب: أمّا العلم الذي يجب على الإنسان عيناً كعلم ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فهو مقدّم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإنّ طلب العلم الأوّل واجب،

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب (١/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

(٢) الإقتان (١/ ٢٦٤)، مرجع سابق.

(٣) حاشية البجيرمي على الخطيب (١/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

(٤) انظر: حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (١/ ١٤٠)، مرجع سابق.

وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدّم على المستحب. وأمّا طلب حفظ القرآن: فهو مقدّم على كثير ممّا تسمّيه النَّاسُ علماءً: وهو إمّا باطل، أو قليل النَّفْع، وهو أيضاً مقدّم في التعلّم في حقّ من يريد أن يتعلّم علم الدّين من الأصول والفروع، فإنّ المشروع في حقّ مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنّه أصل علوم الدّين»^(١).

٣- ولكن لا بد للباحث أن يكرر أن المراد بحفظ القرآن هنا هو على المنهجية النبوية التي يقوم هذا البحث بتوضيحها لا على المنهجية السائدة من بتر المحفوظ عن معانيه أو العمل به على ما سيأتي تفصيله في الفصول القادمة- إن شاء الله تعالى-.

٤- كما قرروا أن «تعلّم بواقي القرآن أفضل من صلاة التّطوّع»^(٢).

أثر ذلك في حياة الصحابة رضي الله عنهم:

ما سبق وأمثاله- وهو كثير «يحفز الهمم ويحرك العزائم إلى حفظ القرآن، واستظهاره والمداومة على تلاوته»^(٣) فضلاً عن تعلم شيء منه.

وكان تعلم القرآن هو الأصل، بل هو بدهية إسلامية في مجتمع المسلمين، ويظهر هذا من قول عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القرآن^(٤)، فجعل تعلم القرآن هو الأصل الذي يتم بناء عليه القياس، فمن هنا هب الصحابة «هبة واحدة يحفظون القرآن ويفهمون القرآن ويعملون بالقرآن وينامون ويستيقظون على القرآن، نقرأ في القرآن الكريم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٢١٢).

(٢) بريقة محمودية (١/ ٢٤٥)، مرجع سابق.

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٠٧)، مرجع سابق.

(٤) الدارمي (٢/ ٤٤١)، مرجع سابق، البيهقي في الكبرى (٦/ ٢٠٩).

تَكْبُورٌ ﴿٣١﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]، فتأمل كيف قدم تلاوة القرآن على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة^(١)، وكانوا يقلون من الحديث عن رسول الله ﷺ، «وكان ابن عمر اتباع رأي أبيه في ذلك فإنه كان يحض على قلة التحديث عن النبي ﷺ لوجهين أحدهما خشية الاشتغال عن تعلم القرآن»^(٢).

تسلسل المنهجية: وكان هذا هو منهج أصحاب النبي ﷺ مع تلاميذهم حثاً على تعلم القرآن وتلاوته فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «تعلموا القرآن، واتلوه، تؤجروا بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٣)، وعنه رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس تعلموا القرآن فإن أحدكم لا يدري متى يخيل إليه»، وأتى بمصحف قد زين بذهب فقال رضي الله عنه: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق»^(٤).

كما حث أصحاب رسول الله ﷺ على قراءة للقرآن يكون معها المرء غير هاجر لكتاب الله فقد أخرج ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «إذا فرغ الرجل من حاجته ثم رجع إلى أهله ليأت المصحف فليفتحه فليقرأ فيه فإن الله سيكتب له بكل حرف عشر حسنات أما أني لا أقول ألم ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر»، وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «إن استطعت أن تقرب إلى الله عز وجل فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»^(٥).

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٥)، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٤٣)، مرجع سابق.

(٣) سعيد بن منصور في سننه (١/ ٣٥)، ابن أبي شيبة (٦/ ١١٨)، مرجعان سابقان.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٤/ ٣٢٣).

(٥) الحاكم (٢/ ٤٩٤)، مرجع سابق.

وبذا تتوافر أدوات الحفظ الواقعي المعجز للقرآن الكريم، وهذا جعل واحداً من المستشرقين المعاصرين يقول عن القرآن الكريم: «فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي، وهذا الكتاب هو القرآن، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دونت في الرقاع وسعف النخل، والعظام في لحظات غريبة فالسور والآيات الأصلية قد حفظت... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر خلال حياته... والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرناً دون أن يبدل فيه، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة المسيحية»^(١).

(١) هو المستشرق الأمريكي (ف. بودلي). انظر: عماد الدين خليل (دكتور): الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (قراءات) (ص ٥٠)، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

الفصل الثاني:

أصول تعليم النبي ﷺ أصحابه ألفاظ القرآن

يناقش هذا الفصل أصول تعليم اللفظ القرآني عند النبي ﷺ، وهي تقوم على أربعة محاور:

تعليمهم كيف تعلم هو اللفظ القرآني ليتم الاقتداء به في تلك الكيفية ما دامت في حدود الطاقة البشرية.

والوسائل التي اعتمد عليها مكاناً وأسلوباً وطريقة إدارة لیتم التعليم.

ووسائل النشر لقيام هذا التعليم باتساع أفقي ورأسي.

والقواعد التربوية الضرورية المصاحبة لتعليم اللفظ القرآني.

وبها تتضح الهيئة الإدارية للجامعة القرآنية النبوية، كما تتضح بعض ملامح

مفردات المنهج العلمي فيها...

فهذه محاور أربعة في أربعة مباحث... وإليها تشد رحال أهل العزم من حملة

القرآن ومقرئيه المصطفين الأخيار.

المبحث الأول:

تعليمه ﷺ كيفية تعلمه لكلام الله القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

يبين هذا المبحث دقة ضبط النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لما يتعلق بألفاظ القرآن الكريم كما يبين تعلم الصحابة رضي الله عنهم ذلك من النبي ﷺ، وأنه علمهم كيف تلقى القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل، ليقصدوا به في حدود قدرتهم البشرية، ولذا انقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ كيفية نزول ألفاظ القرآن وتلقيها.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أماكن القراءة.

المطلب الثالث: مقتضيات ذلك: إلزامهم الاقتداء به في هيئة تلاوته لألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ كيفية نزول ألفاظ القرآن وتلقيها

علم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم التفاصيل الدقيقة التي أحاطت بالنزول القرآني من السماء إلى الأرض حيث بين لهم زمن النزول، ومدته، وسببه: فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا (في رمضان) في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، أو أن يحدث

منه في الأرض شيئاً أحدثه»^(١)، ومثل هذا لا يقال بمحض الرأي فله حكم الرفع، فهو تعليم منه ﷺ لأنه أضافه إلى زمن النبي ﷺ كما هو مقرر في مواضعه^(٢).

وعلمهم النبي ﷺ اليوم والشهر الذي نزل فيه القرآن، فالشهر كما في قوله عز وجل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] واليوم وصفاً كما في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [الدخان: ٣] وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] واليوم تاريخاً كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَى الْأَجْمَعَانَ﴾ [الأنفال: ٤١]، واليوم تحديداً كما جاء عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله صوم يوم الإثنين؟ قال: «فيه ولدت، وفيه أنزل علي القرآن»^(٣).

❖ وعلمهم ﷺ متى يكثُر النزول: فقد تتابع الوحي قبل وفاته مثلاً، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي أكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله»^(٤)، والمراد بالنسبة لما كان ينزل سابقاً، فالأمر نسبي على ما هو معلوم.

❖ كما علمهم ﷺ متى يقل كما في حديث عائشة: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتّر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ»^(٥)، وعائشة رضي الله عنها لم تشهد ذلك، فيكون علمها بذلك عن تعليم تلقيني.

❖ وتعلموا أماكن النزول، وهو ما يسمى بعلم المكي والمدني، وهو علم مستقل، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل

(١) الحاكم (٢/ ٢٤٠)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) انظر في هذه المسألة في كتب أصول الحديث: مثل تدريب الراوي في تقريب النواوي (١/ ١٨٥).

(٣) مسلم (٢/ ٨٢٠)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (٤/ ٢٣١٢)، مرجع سابق.

(٥) البخاري (٤/ ١٨٩٤)، مرجع سابق.

القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام^(١)، ولعله يعني بالشام- إن صح الحديث- أطراف الجزيرة حيث تبوك... كما ضبطوا الليلي والنهاري، والصيفي والشتائي^(٢).

وتعلموا كم بين نزول أول القرآن وبين آخره:

فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: «فكان بين أوله وآخره عشرين سنة»، بل ضبطوا كيفية النزول في السماء، ومقدار النازل منه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ [يتلوه] يرتله ترتيلاً» قال سفيان: خمس آيات ونحوها^(٣)، وتعلموا مدة نزوله في كل مكان نزل فيه: فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا»^(٤).

وقد علمهم ﷺ تفاصيل أدق من ذلك:

بعضها علموها من القرآن مباشرة، وبعضها منه ﷺ حتى ضبطوا هيئة النزول: من حيث كمية المنزل الجملي إلى السماء الدنيا، والمنزل التفصيلي إلى الأرض، وعلامات نزوله (سبب النزول)، ومن ذلك- مثلاً - ما جاء عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة» وقرأ: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] الآية وفي رواية (فرّق في السنين)، وفي أخرى: «وضع في بيت العزة في السماء الدنيا

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٥٧)، مرجع سابق، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف».

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: الإتيان (١/ ٦٥)، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٢/ ٦٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وكذلك رواه الضياء في المختارة (١٠/ ١٥٤)، مرجع سابق.

(٤) مسند الإمام الربيع بن حبيب (ص ٢٨٤).

فجعل جبريل ينزل على النبي ﷺ^(١)، وعنه في الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] قال: «أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم»^(٢)، وعنه قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله عز وجل يُنزل على رسول الله ﷺ بعضه في أثر بعض فقالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]^(٣).

❖ وعلمهم ﷺ كيف علمه الله سبحانه وتعالى قراءة القرآن وإقائه كما في قول الله جل جلاله: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَتَيَلَّأَ﴾ [المزمل: ٤]، وقوله ﴿لِنُقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَنَ مَكْتَبٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]^(٤).

وكان فقهاء الصحابة رضي الله عنهم يجمعون بين الأدلة وفق هذه القاعدة: فقد قال ابن عباس رضي الله عنه وسئل عن قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهو ينزل في غيره- فقال: «نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة ثم كان ينزل منه في الشهور»^(٥).

❖ وذكر الله عز وجل ذلك التنجيم في كتابه تعليماً للصحابة رضي الله عنهم ثم لمن بعدهم في الإسراء والفرقان والواقعة، وقد صرح بذلك في الواقعة عدد من المفسرين^(٦)، ويرجحه ذكر القرآن بعده وحفظه جملة في السماء^(٧)،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩ / ٤)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الكبير (١٢ / ٣٢)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الكبرى (٦ / ٥١٩)، مرجع سابق.

(٤) وانظر تفصيل ذلك في كتاب التلقي كاملاً، مرجع سابق.

(٥) التمهيد (١٧ / ٥٠)، مرجع سابق.

(٦) أكد على ذكرها للخلاف الوارد في تفسير معنى المواقع، والظاهر ألا مانع من إرادة المعنيين.

(٧) ولا ينفي هذا المعنى الثاني.

فقد جاء «عن عكرمة في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا أَسْمِعُ مَوْفِعَ السُّجُودِ﴾ [الواقعة: ٧٥] قال: القرآن نزل جملة واحدة فوضع في مواقع النجوم فجعل جبريل عليه السلام ينزل بالآية والآيتين وقال غيره: بمواقع النجوم بمساقط نجوم القرآن كلها أوله وآخره»، ومن الحجة لهذا القول قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٦ - ٧٧].

❖ كمية المنزل: الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنون جملة، وصح نزول ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، واحداً وهي بعض آية، وكذا قوله جل جلاله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨] نزلت بعد نزول أول الآية وذلك بعض آية، وأخرج ابن أخته في كتاب المصاحف عن عكرمة قال: «أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات»^(١). وكل هذا تعليم منه ﷺ لكيفية نزول آيات القرآن عليه.

تعليمه ﷺ كيفية تلقيه للقرآن:

وتم تعليمهم هذا النوع تعليماً تفصيلياً، وقد بحث في رسالة ماجستير تحت عنوان تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم فيرجع إليه^(٢)، وقد قالت أم سلمة: كان جبريل عليه السلام يملي على النبي ﷺ^(٣)، أي يلقنه الحروف تلقيناً بطيئاً كهيئة المملي، وكما كان النبي ﷺ يتلقى من جبريل الحرف بعد الحرف، كذلك كان الصحابة منه ﷺ.

(١) الإتيان (١/ ١٢٣)، مرجع سابق.

(٢) تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٩٧)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٧)، مرجع سابق.

والحكمة الواضحة من هذا كله متابعة التعلم على هيئة متدرجة تمكن أكبر قدر منهم على حفظ المنزل الجديد من القرآن.

تسلسل المنهجية: وكذلك كان من بعدهم عنهم فقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «قرأت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه القرآن كثيراً، وأمسكت عليه المصحف فقرأ علي، وأقرأت الحسن والحسين حتى قرأ علي القرآن، وكانا يدرسان علي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فربما أخذ علي الحرف بعد الحرف»^(١).

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أماكن القراءة

مكان القراءة الأساس هو المسجد فهو المقر الرئيس للجامعة النبوية القرآنية، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في الصفة، فقال: «أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو العقيق فيأتي كل يوم بناقتين كوماوين زهراوين فيأخذهما في غير إثم ولا قطع رحم؟ قال: قلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك قال: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل»^(٢).

وكان يحثهم على لزوم المسجد لذلك حثاً شديداً:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله عز وجل يقرؤون ويتعلمون كتاب الله عز وجل يتدارسونه بينهم

(١) كتاب السبعة في القراءات (ص ٦٨).

(٢) مسلم (١/ ٥٥٢)، مرجع سابق.

إلا حَفَّتْ بهم الملائكة، وغشيتهم الرَّحمة، وذكرهم الله فيمن عنده...»^(١)، وكان ﷺ يعلمهم أن ذلك جزء من وظيفة المسجد: فقد قال ﷺ لهم معلماً: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة، وقراءة القرآن...» الحديث^(٢)، وهذا يقتضي منهجياً: أن تقوم خطط المؤسسات القرآنية الرسمية وغيرها على جعل المسجد هو المكان النموذجي للإقراء، وفي حالة التوسع لا مانع من جعل دور القرآن دائرة حول المسجد أو ملتصقة به بطريقة أو بأخرى.

هل الإقراء منحصر في المسجد؟:

وكون المسجد هو المكان النموذجي لتعلم القرآن وتعليمه، لا يمنع ذلك من قراءة القرآن في أي مكان، وعلى أي حال، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه حيث قال: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملة وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع»^(٣)، ففيه دليل على «ملازمته ﷺ للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة»^(٤)، وقد بوب البخاري لذلك: «باب القراءة على الدابة»^(٥) أي لراكبها، «وكانه أشار إلى الرد على من كره ذلك»، وقال ابن بطال: «إنما أراد بهذه الترجمة أن في القراءة على الدابة سنة موجودة، وأصل هذه السنة قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزحرف: ١٣]»^(٦)،

(١) مسلم (٤ / ٢٠٧٤)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١ / ٢٣٦)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، مرجع سابق.

(٤) فتح الباري (٩ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٥) البخاري (٤ / ١٩٢١)، مرجع سابق.

(٦) فتح الباري (٩ / ٨٣)، مرجع سابق.

فالأمر واسع في اتخاذ أماكن الإقراء، وقد قال النبي ﷺ: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره»^(١)، فالأصل أن كل مكان صالح لقراءة القرآن وإقراءه كما أن الأرض جعلت للنبي ﷺ مسجداً وطهوراً إلا ما ورد النص بالمنع من الصلاة فيه، فيمنع فيه من قراءة القرآن كذلك.

هل المسجد مناسب لتعليم الصبيان القراءة؟:

ولا يرد على هذا التقرير تعليم الصبيان وما قد يجره من مفساد تلويث المسجد والضوضاء والتشويش على المصلين؛ إذ قد يمنع من ذلك لعارض لا لذات الأمر، وقد سئل ابن تيمية: هل تعليم القرآن بالمسجد من حيث هو حرام أم لا؟ فأجاب: إقراء القرآن في المسجد قرابة عظيمة ففي الحديث الصحيح «إثما بنيت المساجد لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» قال تعالى: ﴿وَيُذَكِّرْ فِيهَا أَسْمَاءُ﴾ [النور: ٣٦] وهذا عام في إقراء البالغين وغيرهم بشرطهم الآتي، وأما ما راه مالك من كراهة القراءة في المصحف في المسجد، وأنه بدعة أحدثها الحجاج، وأن يقاموا إذا اجتمعوا للقراءة يوم الخميس أو غيره فهو رأي انفرد به ومن ثم قال الزركشي: «هذا استحسان لا دليل عليه، والذي عليه السلف والخلف استحباب ذلك لما فيه من تعميرها بالذكر وقراءة القرآن للحديث الصحيح، أي الذي قدّمناه هذا كله حيث كان المتعلمون مميّزين يؤمن منهم تنجيس المسجد وتقديره وعدم التشويش على المصلين، فإن كان فيهم غير مميّزين لا يؤمن تنجيسهم أو تقديرهم له حرم على المعلم إدخالهم وعلى الحاكم - وفقه الله وسدده - زجره وردعه عن إدخاله مثل هؤلاء، وكذلك عليه نهيه أيضاً عن رفع الصوت لإقامة صلاة فيه، والحاصل أنه لا

(١) عبد الرزاق (٣/ ٣٦٩)، وله شواهد أخرجه صاحب لمحات الأنوار (١/ ٢٨٠)، برقم (٣٥٣) وما بعده،

مرجع سابق.

يجوز إخراجه من المسجد بالكليّة لأجل ذلك من أوّل وهلة، وإّما يمنع أوّلاً من تمكينه من تنجيس المسجد أو تقديره بمن يدخل إليه فيه...»^(١).

المقاعد:

وقد كان ﷺ يجلس ليتلقى رسول الله ﷺ الوحي من جبريل عليه السّلام في المسجد في مكان يدعى بمقاعد جبريل عليه السّلام فعن عائشة: أنها لما توفي سعد بن أبي وقاص ﷺ أرسل أزواج النبي ﷺ أن يَمروا بجنّازته في المسجد فيصلين عليه، ففعلوا فوقف به على حجرهن يصلين عليه ثم أخرج به من باب الجنائز الذي كان إلى المقاعد...^(٢).. وعن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السّلام جالس في المقاعد، فسلمت عليه، ثم أجزت فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال: «هل رأيت الذي كان معي» قلت: نعم! قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام»^(٣).

❖ والمقاعد هي الدكاكين^(٤) التي كانت عند باب دار عثمان كانوا يجلسون عليها فسميت المقاعد^(١)، وهي مصاطب حول المسجد^(٢)، فهذه المقاعد عرفت

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (٢/ ٦٨٨)، مرجع سابق.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣٣)، مرجع سابق، ورواه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٢٧) مرسلأ، مرجع سابق، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٣)، مرجع سابق: «و رجاله ثقات»، وقال ابن حجر في الإصابة (١/ ٦١٨): «وروى أحمد والطبراني من طريق الزهري أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبرائيل جالس في المقاعد، فسلمت عليه فلما رجعت قال: «هل رأيت الذي كان معي» قلت: نعم! قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام» وقال ابن حجر تعقيماً: «إسناده صحيح أيضاً»، انظر: (ابن حجر) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢ هـ: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦١٨)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٤) الدكّان هو الذي يقعد عليه أي الدكة المبنية... والدكّان أيضاً واحد الدكاكين وهي الخوانيت فارسي معرب. انظر: مختار الصحاح (ص ٨٧)، النهاية (٢/ ١٢٨) مرجعان سابقان.

بمقاعد جبريل عليه السلام، وقد صرح بذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر يوماً ثم انطلق حتى قعد على المقاعد التي كان يأتيه عليها جبريل فجاء بلال فناداه بالعصر»^(٣).

وهذا يدل على أن التعلم يمكن أن يكون حول المسجد ملتصقاً به على هيئة دور التحفيظ اليوم... وهذه الأماكن بمثابة قاعات الكليات التي يتم فيها ما قد يفوت في المسجد.

المطلب الثالث: إلزامهم الاقتداء به في هيئة تلاوته لفظ القرآني

والدليل الكلي الجامع لهذا: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الأحزاب: ٢١]؛ إذ إن معنى «أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» «خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها»^(٤)، ويدخل في ذلك تلاوته لألفاظ القرآن الكريم أصلاً وأداء ف «الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به أي يقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله»^(٥)، وعلى رأس ذلك تلاوة القرآن الكريم، وعلى هذا فالآية «عامة في كل أفعاله ﷺ

(١) التمهيد (٢٢ / ٢١٣)، مرجع سابق.

(٢) (الزرقاني) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت ١١٢٢ هـ: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٩٨ / ١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ، وهي - جمعاً بين الأحاديث - غير الحجارة أو الدرج أو الدكاكين التي بقرب دار عثمان، وفي كل الأحوال فهي مواضع جرت العادة بالقعود فيها.

(٣) مسند أحمد (٣ / ١٣٩)، مرجع سابق، وتمتته: «فقام كل من كان له بالمدينة أهل يقضي الحاجة ويصيب من الوضوء، وبقي رجال من المهاجرين ليس لهم أهالي بالمدينة فأتى رسول الله ﷺ بقدرح أروح فيه ماء فوضع رسول الله ﷺ كفه في الإناء فما وسع الإناء كف رسول الله ﷺ كلها فقال بهؤلاء الأربع في الإناء ثم قال: «ادنوا فتوضؤوا» ويده في الإناء فتوضؤوا حتى ما بقي منهم أحد إلا توضأ قال قلت: يا أبا حمزة! كم تراهم؟ قال: بين السبعين والثمانين».

(٤) البيضاوي (٤ / ٣٦٨)، مرجع سابق.

(٥) القرطبي (١٤ / ١٥٥)، مرجع سابق.

إذا لم يعلم أنها من خصوصياته»^(١)، وبذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بها في جميع أحوالهم، فقد قال بعض أصحاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما له: رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها؟ فقال: يا ابن أخي صحبت رسول الله ﷺ كذا وكذا فلم أره يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)، وعن ابن عمر أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟ فقال: «قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت، وصلى خلف المقام ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة» ثم قرأ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣)... وإنما كان هذا الاستطراد في وجه الدلالة لئلا يقول قائل بأن السياق هنا يخص المساق.. كما ترد هنا جميع أدلة الاقتداء نحو ﴿فِيهِدْهُمْ أَفْتَدَةَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

حكمة تعليمه ﷺ لهم ما سبق:

وإنما كان النبي ﷺ يعلمهم بما ذكر في القرآن، وبما يخبرهم به من حديثه الشريف عن كيفية تلقيه للفظ القرآن الكريم لأجل أن يقتدوا به في تلاوة القرآن الكريم وجمع ألفاظه تعلماً وتعليماً فيما كان في حدود طاقتهم البشرية... وزاد عن ذلك بما كان يصنعه في حلقات الإقراء التي كان يؤدي فيها درساً يومياً لإقراءهم القرآن، بالإضافة إلى عرضه اليومي لشيء من القرآن في ست ركعات جهرية يومية من صلاته حيث كان إمامهم، فلا بد لهم من الاقتداء به في أركان الصلاة وهيئاتها التفصيلية، وكذلك في تلاوة لفظ القرآن الكريم أصلاً وأداء، ومما يوضح ذلك أكثر ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة: «انظري غلامك النجار يعمل لي أعواداً، أكلم الناس عليها»، فعمل هذه الثلاث

(١) روح المعاني (٢١ / ١٦٧)، مرجع سابق.

(٢) (أبو عوانة) يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني ت ٣١٦ هـ: مسند أبي عوانة (٢ / ٣٣٧).

(٣) البخاري (١ / ١٥٤)، مرجع سابق.

الدرجات عندما أمر بها رسول الله ﷺ فوضعت هذا الموضوع فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه فكبر، وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقري، حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس، فقال: «يا أيها الناس إنني صنعت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي»^(١).

التقعيد على ذلك: تأدية اللفظ كما سمع من النبي ﷺ:

ولقد كان من أهم القواعد التعليمية المصاحبة لعملية الإقراء: تأدية اللفظ كما سمعوه من النبي ﷺ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً (فحفظه حتى يبلغه غيره) فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع، (فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقير)»^(٢)، ولا شك أن مراد النبي ﷺ بقوله (حديثاً) يتسع ليشتمل القرآن أولاً، أو ليدخل من باب قياس الأولى كما قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، فسمى القرآن حديثاً.

وهذا الحديث بين أن من أهم الأهداف التعليمية التي أراد النبي ﷺ أن تتحقق في الصحابة رضي الله عنهم:

- ❖ الحث على البلاغ لما يسمعه الصحابي من النبي ﷺ.
- ❖ وأن يكون المبلغ كما سمع منه ﷺ، ولذا قال ابن حبان تبويهاً لهذا الحديث: «ذكر البيان بأن هذا الفضل إنما يكون لمن أدى ما وصفنا كما سمعه سواء»

(١) مسلم (١/ ٣٨٦)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان (١/ ٢٦٨)، مرجع سابق، وما بين القوسين عنده من رواية زيد بن ثابت.

من غير تغيير ولا تبديل»^(١). فهذه الأدلة العامة في مسألة الاقتداء في أداء اللفظ القرآني.

ومن الأدلة الخاصة:

قول علي رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم»^(٢)، فهذا في أداء اللفظ، ويدل على الاقتداء به في الهيئة التي يكون عليها المرء عند أداء اللفظ ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقضي حاجته فيقرأ القرآن، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يجبهه - وربما قال - يحجزه عن القرآن شيء ليس الجنابة»^(٣)، ومن أجل هذا الاقتداء به ﷺ فقد ظهر تعليمه ﷺ في تعليم الصحابة رضي الله عنهم من تلاميذه، وتميز أساليبهم وهي انعكاس صحيح لأسلوبه، وما ذكر من أخبارهم في ذلك حجة على ما لم يذكر.

(١) ابن حبان (١ / ٢٧١)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان (٣ / ٢١)، مرجع سابق.

(٣) المختارة (٢ / ٢١٥)، أبو داود (١ / ٥٩)، البيهقي في سننه الكبرى (١ / ٣٨)، مراجع سابقة.

المبحث الثاني:

وسائل تعليم ألفاظ القرآن الكريم كما وضعها النبي ﷺ

يبين هذا المبحث وسائل التعليم القرآني التي سلكها النبي ﷺ مكاناً وأسلوباً وطريقة إدارة لئتم التعليم، وهي ترجع إلى الحلقات القرآنية، وإلى القراءة العامة (الجماعية)، وإلى القراءة الفردية والإقراء الفردي، وإلى أسلوب التعلم الأساسي في ذلك هو التلقي، ويحاول المبحث تجلية أن النبي ﷺ جعل من وسائل هذا التعليم تقسيمه إلى تعليم ملزم، وغير ملزم يشبه أن يكون ملزماً، واستتبع هذا الكلام على أجرة التعليم؛ كما تحدث البحث عن ظهور التدرج في تعليم النبي ﷺ ليتم الاستيعاب الكلي للقرآن الكريم، ولذا انقسم هذا المبحث إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحلقات القرآنية.

المطلب الثاني: تعليمهم هيئة التعلم الواجبة لألفاظ القرآن الكريم (التلقي).

المطلب الثالث: العرضة الأخيرة.

المطلب الرابع: التعليم القرآني العام.

المطلب الخامس: التدرج في التعليم.

المطلب الأول: الحلقات القرآنية

الدلالة اللغوية للحلقة:

الحلقة بالتسكين: كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب، وكذلك هو في الناس، فالحلقة فيهم هي الجماعة من الناس مستديرون، وتحلّق القوم جلسوا حلقة حلقة^(١)، والجمع حلّق وحلقات وحلّق^(٢).

فيكون تعريف الحلقة من الناس: القوم الذين يجتمعون متراسين وذلك لاستفادة ما يلقيه شيخ الحلقة من العلوم، ويثبته من أحكام الشريعة، وتعليم الأمة ما ينفعهم في الدارين^(٣).

ثانياً: المدلول النفسي لهذا الاجتماع: ولهذا النوع من الاجتماع مدلول نفسي بين المناسبة يبيّن سبب انتقائها كوسيلة تعليمية أساسية؛ إذ إن الحلقة تضرب مثلاً للقوم إذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة لا يطمع عدوّهم فيهم ولا ينال منهم، ولذا يقال للسلاح والحديد حلقة لمناعته وبأسه...

ورود (الحلقة) في الحديث بمعناها المصطلحي:

وردت كلمة الحلقة بمعناها العرفي في كثير من الأحاديث ومن ذلك ما جاء عند البخاري أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفنا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة وجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟»

(١) انظر: مختار الصحاح ص ٦٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: مختار الصحاح ص ٦٥، مرجع سابق، لسان العرب (١٠ / ٦١)، مرجع سابق.

(٣) انظر: عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (١ / ١٢٠)، وانظر: لسان العرب (١٠ /

٦١)، مرجع سابق.

أما أحدهم فأوى إلى الله فاواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه^(١)، كما كان ﷺ يحضهم على الاجتماع على تلاوة القرآن، وتدارسه بينهم، وتكوين حلقات جانبية، ولو كانت دون إشرافه عليهم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك فيجتمعون حلقاتاً يذكرون الله جل جلاله أو يتدارسون القرآن:

والقرآن أعظم الذكر فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله! قال: آله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك! قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: «آله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك! قال: «أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»^(٣).

(١) البخاري (١/ ٣٦)، مسلم (٤/ ١٧١٣)، ابن حبان (١/ ٢٨٦)، الترمذي (٥/ ٧٣)، مراجع سابقة.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٧٤)، الترمذي (٤/ ٣٤)، الدارمي (٢/ ٣٤٠)، أبو داود (٤/ ٢٨٧)، النسائي في الكبرى

(٤/ ٣٠٩)، أحمد (٢/ ٢٥٢)، مراجع سابقة.

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٧٥)، مرجع سابق.

الأحكام العامة للحلقات (النظم الإدارية المنظمة للحلقات القرآنية):

صارت الحلقات العلمية التعليمية في المسجد مكاناً تعليمياً، ومرتعاً تربوياً له آدابه ونظمه التي أرشد لها النبي ﷺ، وباتت هذه النظم بمثابة لائحة تفصيلية، وتقنين دقيق للحلقات التعليمية، كما صار لها أحكامها المستقلة التي تنظم انعقادها، ووقته، وكيفيته، ومتى يجوز التعدد، ومتى يجتمعون في حلقة واحدة... وهذا يدل على شيوع هذه الوسيلة التعليمية، واعتيادها، وصيرورتها جزءاً من النظام التعليمي العام، والأحكام التعليمية للحلقات هي:

١ - اعتيادها وكونها جزءاً من النسيج التعليمي:

فقد كان ﷺ إذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً^(١)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في الحلقة إذ جاء رجل على النبي ﷺ وعلى القوم..^(٢)، وكان رجل من أصحاب النبي ﷺ له بني صغير يأتيان النبي ﷺ، ثم إن بني هلك، فمنعه الحزن عليه أن يحضر الحلقة فلقبه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك، فعزاه النبي ﷺ فقال: «يا فلان! إما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه ففتحه لك؟» قال: فقال: «يا نبي الله! لا بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحب إلي» قال: «فذاك لك» قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله! جعلني الله فداءك أهذا لهذا خاصة أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له؟ قال: «لا بل من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له»^(٣).

(١) البزار (٨ / ٢٤٩).

(٢) ابن حبان (٣ / ١٢٥)، والحديث الأول في: المختارة (٥ / ٢٨٥)، والنسائي في الكبرى (٤ / ٤٠٩).

(٣) النسائي (٤ / ١١٨)، البيهقي في الكبرى (٤ / ٥٩)، مرجعان سابقان.

٢- نهى النبي ﷺ عن القعود وسط الحلقة:

وهذا ينظم الهيكل العام للحلقة كما يجمل منظرها: فقد قعد رجل وسط حلقة فقال حذيفة رضي الله عنه: «ملعون على لسان محمد أو لعن الله على لسان محمد ﷺ من قعد وسط الحلقة»^(١)، وذلك لأنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضهم ظهره فيؤذيهم بذلك فيسبونه ويلعنونه^(٢)...

والنهى عن القعود وسط الحلقة يجعل منظرها العام شبيهاً إلى حد كبير بما يحاوله منظمو قاعات التعليم أو العرض بحيث يمكن للجميع مشاهدة مديري الحلقة.

ويستثنى من ذلك أن يرى الإمام أو المعلم المصلحة في بقاء أحدهم وسط الحلقة: فعن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في نفر من أصحابه فجلست وسط الحلقة» فقال بعضهم: يا واثلة! قم من هذا المجلس فإننا قد نهينا عنه. فقال رسول الله ﷺ: «دعوا واثلة فإنني أعلم بالذي أخرجته من منزله» قلت: «يا رسول الله! وما الذي أخرجني من منزلي؟» قال: «خرجت تسأل عن البر من الشك» قلت: «و الذي بعثك بالحق ما أخرجني غيره» قال: «فإن البر ما استقر في النفس واطمأن في القلب، والشك ما لم يستقر في النفس، ولم يطمئن إليه القلب، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون»^(٣).

٣- كان النبي ﷺ ينظم كيفية تحلقهم بنفسه في حلقات الإقراء وغيرها:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنت في حلقة من الأنصار، وإن بعضنا ليستر ببعض من العري، وقارئ لنا يقرأ علينا، فنحن نسمع إلى كتاب الله؛

(١) الترمذي (٩٠ / ٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، أحمد (٥ / ٣٨٤)».

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١ / ٤٢٦).

(٣) (الطبراني): مسند الشاميين (١ / ١١٧).

إذ وقف علينا رسول الله ﷺ وقعد فينا ليعد نفسه معهم، فكفّ القاري، فقال: ما كنتم تقولون؟ فقلنا: «يا رسول الله! كان قارئ لنا يقرأ علينا كتاب الله» فقال رسول الله ﷺ بيده، وحلق بها يومي إليهم أن تحلقوا، فاستدارت الحلقة..^(١)..

٤- نهى النبي ﷺ عن التحلق قبل صلاة الجمعة:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ عن البيع والابتاع، وأن ينشد الضوال، وعن تناشد الأشعار، وعن التحلق للحديث يوم الجمعة قبل الصلاة» يعني في المسجد^(٢)، ولعل من حكم ذلك أن تكون «الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة»^(٣)، كذا ذكر البيهقي ولكن هذا عام في كل حلقة... والظاهر أن المراد التهيؤ لخطبة الجمعة، والتفرغ قبلها للقرآن دون التشويش بمناقشة شيء قد يضر بخطبة الخطيب لقرب العهد فيبطلها عن دورها.

وربما تكون الحلق كثيرة فيما يمكن فيه الاجتماع في حلقة واحدة، ولا يظهر لتعدد الحلق إلا التشويش: فعن جابر بن سمرة قال: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن حلق متفرقون فقال: «مالي أراكم عزين؟»^(٤) أي في حلق متفرقة.

٥- حق من كان في الحلقة في حماية مكانه، والعودة إليه إذا خرج لعارض قريب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام الرجل من مجلسه ثم عاد إليه فهو أحق به»^(٥)، ولو وضع ما يدل على رجوعه فهو أولى فعن

(١) أحمد (٦٣ / ٣)، أبو يعلى (٢ / ٣٨٢).

(٢) ابن خزيمة (٢ / ٢٧٥)، أبو داود (١ / ٢٨٣)، النسائي في الكبرى (١ / ٢٦٢)، النسائي في الصغرى (٢ / ٤٧)، الطبراني في الأوسط (٦ / ٣٥٨).

(٣) البيهقي في الكبرى (٣ / ٢٣٤)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (١ / ٣٢٢)، ابن حبان (٤ / ٥٣٤)، المسند المستخرج على مسلم (٢ / ٥٤)، أبو عوانة في مسنده (١ / ٤١٩).

(٥) البيهقي في الكبرى (٦ / ١٥١)، مرجع سابق.

أبي الدرداء رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا جلس وجلسنا حوله، فقام فأراد الرجوع نزع نعليه أو بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون^(١).

٦- حق أصحاب الحلقة في حماية حلقتهم فلم يرد من يريد السير من وسط

الحلقة:

فقد قال رسول الله ﷺ: «لا حمى إلا في ثلاث ثلاثة: البئر ومربط الفرس وحلقة القوم»^(٢)، أي لهم أن يحموها حتى لا يتخطأهم أحد ولا يجلس وسطها^(٣)... وهل يدل هذا على ما يسمى في عصرنا الحرم الجامعي؟ فيه نظر، ولكن لا شك أن لمكان كالجامة حماها الخاص بها.

٧- وكانوا يجلسون مع النبي ﷺ متحلقين معه حلقة دون حلقة:

أي كأنهم صفوف دائرية مرتبة بعضها خلف بعض على وجه لا يجب المتأخر فيها بالمتقدم كما في القاعات الكبيرة اليوم، ولذا كان النبي ﷺ يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم، ففي حديث إسلام كعب ابن زهير الشاعر: «... ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلقون معه حلقة دون حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم...»^(٤).

ولكن هذا التنظيم ليس توقيفياً بل يسلك المنظمون لها أقرب السبل لتتم الاستفادة الكاملة منها.

(١) البيهقي في الكبرى (٦ / ١٥١)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٤ / ٣٨٩)، وبعض الأحاديث وإن لم تثبت فهي مما تناقله أهل العلم من آداب الحلقات.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١ / ٤٢٦)، مرجع سابق.

(٤) الحاكم (٣ / ٦٧١)، مرجع سابق.

مسألة: أنواع الحلقات:

تنقسم الحلقات التعليمية إلى نوعين هما:

أولاً: الحلق العامة الكبيرة:

١- فكان ﷺ يعقد الحلق العامة الكبيرة للتلاوة كجزء من البلاغ للقرآن، وقد بدأها النبي ﷺ منذ بدأ نزول الوحي كما جاء ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصي أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قتل كافراً^(١)، واستمرت الحلقات العامة إلى أواخر نزول الوحي فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ عام الفتح سجدة فسجد الناس كلهم فمنهم الراكب والساجد في الأرض حتى أن الراكب ليسجد على يده^(٢)، ولكن هذه الحلقة قد يستفيد منها المستمع البلاغ، وقد يزيد على ذلك فيعدها جزءاً من التعليم، فيحفظ ويتقن ما يستمعه...

٢- وقد تكون القراءة في الحلقة قراءة عرض بأن يقرأ أحدهم وهو ﷺ يستمع، وهذا ما يحتمله حديث ابن عمر قال: كنا نقرأ السجدة عند النبي ﷺ فيسجد ونسجد معه..^(٣)..

٣- وكان ﷺ يشرف على الحلقات الأخرى التي لا يباشر فيها التعليم بنفسه: فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: كنا في المسجد نتعلم القرآن، فدخل علينا رسول الله ﷺ فسلم علينا، فرددنا عليه السلام فقال: «تعلموا القرآن واقتنوه وتغنوا...»^(٤)، وما يدل على هذا الإشراف أيضاً ما جاء عن ابن عباس

(١) البخاري (١/ ٣٦٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن خزيمة (١/ ٢٧٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن خزيمة (١/ ٢٧٩)، مرجع سابق.

(٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٧٣٤).

قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد، فوجد أصحابه عزين يتذاكرون فنون العلم فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرؤون القرآن وجلس إليهم فقال: بهذا أرسلني ربي..^(١).

٤- وعملية الإقراء منه ﷺ دائمة فعن علي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً».

ثانياً: حلقات الإقراء الخاصة:

١- فقد كانت معروفة كأساس لشكل الملتقى التعليمي كما تقدم، وجاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان^(٢).

٢- وكان ﷺ يشرف على حلقات الإقراء الخاصة بنفسه أيضاً: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إني لجالس ذات يوم في عصابة من ضعفاء المهاجرين ورجل منا يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا، وإن بعضنا لمستتر ببعض من العري وجهد الحال، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فلما رآه قارئنا أمسك عن القراءة، فجاء فجلس إلينا، فقال بيده فاستدارت له حلقة القوم... الحديث^(٣).

٣- وقد يكون الإقراء فيها أي تعلم القرآن وتعليمه ثنائياً، كما هو شائع في حلقات المسلمين اليوم: فقد دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فمر على قوم يقرئ بعضهم بعضاً فقال: «إن تكونوا على الطريقة لقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن تدعوه فقد ضللتهم» قال: ثم جلس إلى حلقة فقال: «إنا كنا قوماً آمننا قبل أن نقرأ وإن قوماً سيقرأون قبل أن يؤمنوا» فقال رجل من القوم: تلك الفتنة؟ قال: «أجل

(١) مسند الربيع ص ٣٢، مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٦٤)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٥٧)، مرجع سابق.

قد أتتكم من أمامكم حيث تسوء وجوهكم، ثم لتأتينكم ديماً ديماً، إن الرجل ليرجع فيأتمر الأمرين أحدهما عجز والآخر فجور»^(١).

وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعقدون حلقات الإقراء فعن أبي إسحاق قال: رأيت رجلاً سأل الأسود بن يزيد وهو يعلم القرآن في المسجد فقال: كيف تقرأ هذه الآية فهل من مذكر أدالاً أم ذالاً؟ قال: بل دالاً سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مذكر دالاً^(٢)، ووصف بعض تلاميذ أبي موسى الأشعري تعليم شيخهم رضي الله عنه لهم فقال: (تعلمنا القرآن في هذا المسجد يعني مسجد البصرة وكنا نجلس حلقاتاً حلقاتاً، وكأنا أنظر إليه بين ثوبين أبيضين وعنه أخذت هذه السورة ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قال: وكانت أول سورة أنزلت على محمد ﷺ)^(٣).

المطلب الثاني: تعليمهم هيئة التعلم الواجبة للفظ القرآني (التلقي)^(٤)

صارت هيئة التعلم الواجبة للألفاظ القرآنية (التلقي) بدهية من البدهيات في حياة المسلمين حتى لقبوا من تعلم القرآن بهيئة تعليمية غيرها كالأخذ من المصحف (مصحفياً) فقالوا: «لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي»^(٥) فلا مجال لإثبات القرآن الكريم بالكتابة وحدها، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطريقة الواجبة في تعلم ألفاظ القرآن الكريم صراحة في قوله سبحانه

(١) ابن أبي شيبة (٧ / ٤٥١)، مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم (١ / ٥٦٥)، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٢ / ٢٤٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم».

(٤) ينظر في تعريف التلقي وبيان قواعده: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ص ١٢٧.

(٥) الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد ت ٣٨٢ هـ: تصحيفات المحدثين ص ٧، تحقيق: محمود أحمد مرة المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّقَى الْقُرْآنَ مِنَ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] مع قوله جل جلاله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] إذ دل مجموع الآيتين على أن تعلم النبي لألفاظ القرآن الكريم كان تعلماً خاصاً هو التلقي.

وقد أمرهم النبي ﷺ بالتلقي فقال لهم: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة»^(١)، وهذا «يدل على أن قراءة القرآن تؤخذ بالتلقي من أفواه المقرئين، أتدري من خاطب النبي ﷺ بقوله: «خذوا القرآن من أربعة»؟ خاطب الصحابة رضي الله عنهم، وهم عرب فصحاء، بل هم أفصح الأمة، ومع ذلك لم يكلهم إلى فصاحتهم بل أمرهم بالتلقي، وما ذاك إلا لأن قراءة القرآن لها هيئة مخصوصة توفيقية»^(٢).

ولذا كان الصحابة يظهرون طريقة تعلمهم لألفاظ القرآن الكريم عند إثبات أهليتهم ليصدر عنهم الناس في القراءة كما في قول ابن مسعود: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار إذ نزلت عليه ﴿وَأَلْمَسْنَا﴾ [المرسلات: ١] فتلقيناها من فيه وإن فاه لرتب بها..»^(٣)، وقال عندما غضب من تولية زيد بن ثابت أمر نسخ المصاحف: «لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لصبي فلا أدع ما أخذت من في رسول الله ﷺ»^(٤).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يجعلونه أسلوب تعلمهم للفظ القرآني عند

النزاع:

-
- (١) البخاري (٣/ ١٣٨٥)، مسلم (٤/ ١٩١٣)، الحاكم (٣/ ٢٥٠)، الترمذي (٥/ ٦٧٤)، مراجع سابقة.
- (٢) عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (دكتور): سنن القراء ومناهج المجودين ص ٤٨، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- (٣) البخاري (٤/ ١٨٧٩)، مرجع سابق، وبقية الحديث: إذ خرجت حية فقال رسول الله ﷺ: «عليكم اقتلوها» قال: فابتدرناها فسبقتنا قال: فقال: «وقيت شركم كما وقيت شرها».
- (٤) مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٥٤)، مرجع سابق.

وكما كان التلقي من فم النبي ﷺ (سماعاً أو عرضاً) هو الأداة الوحيدة لتعلم القرآن الكريم وتعليمه، فإنه كان أيضاً الحكم بين المتخاصمين في القراءة فعن عاصم ابن أبي النجود عن زر- وهو شيخ عاصم في القرآن - عن ابن مسعود رضي الله عنه- وهو شيخ زر في القرآن - قال: أتيت المسجد فجلست إلى أناس وجلسوا إلي فاستقرت رجلاً منهم سورة ما هي إلا ثلاثون آية وهي حم الأحقاف^(١) فإذا هو يقرأ حروفاً لا أقرأها فقلت من أقرأك قال: أقراني رسول الله ﷺ فاستقرت الآخر فإذا هو يقرأ حروفاً لا أقرأها أنا وصاحبي فقلت: من أقرأك؟ قال: أقراني رسول الله ﷺ، فانطلقنا إليه فأخذت بأيديهما حتى أتيت بهما رسول الله ﷺ وعنده رجل يعني علياً فقلت: يا رسول الله! إنا اختلفنا في قراءتنا قال: فتغير وجهه حين ذكرت الاختلاف فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف» فقال علي- فلا أدري أسر إليه ما لم أسمع أو علم الذي في نفسه فتكلم به:- «أن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم»^(٢)، وقال ﷺ «ليقرأ كل إنسان كما علم كل حسن جميل»^(٣)، وعن أبي الجهم رضي الله عنه أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا: تلقنتها من رسول الله ﷺ فقال الآخر: تلقنتها من رسول الله ﷺ^(٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا أقرأ آية من كتاب الله عز وجل وأنا أمشي في طريق من طرق المدينة، فإذا أنا برجل يناديني من بعدي: أتبع ابن عباس، فإذا هو أمير المؤمنين عمر فقلت: أتبعك على أبي بن كعب، فقال: أهو أقرأها كما سمعتك تقرأ؟ قلت: نعم! قال: فأرسل معي رسولاً قال: اذهب معه إلى أبي بن كعب فانظر أيقري أبي كذلك؟ قال: فانطلقت

(١) سورة الأحقاف في عد الكوفيين خمس وثلاثون آية فيحمل قول ابن مسعود على عدم نزول بعض آياتها

آنذاك، أو اختلافهم في العدد، أو على عدم اعتبار الكسر كالمعتاد في خطاب العرب.

(٢) أبو سعيد المهشم بن كليب الشاشي ت ٣٣٥ هـ: المسند للشاشي (٢/ ١٠٥).

(٣) الطبراني في الكبير (٥/ ١٩٨)، مرجع سابق.

(٤) مجمع الزوائد (٧/ ١٥١)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

أنا ورسوله إلى أبي بن كعب قال: فقلت: يا أبي قرأت آية من كتاب الله فناداني من بعدي عمر بن الخطاب اتبع ابن عباس فقلت: أتبعك على أبي بن كعب فأرسل معي رسوله أفأنت أقرأتها كما قرأت؟ قال أبي: نعم! قال: فرجع الرسول إليه، فانطلقت أنا إلى حاجتي، قال: فراح عمر إلى أبي فوجده قد فرغ من غسل رأسه، ووليدته تدري لحيته بمدراها فقال أبي: مرحباً يا أمير المؤمنين! أذاً رجئت أم طالب حاجة؟ فقال عمر: بل طالب حاجة. قال: فجلس ومعه موليان له حتى فرغ من لحيته وأدرت جانبه الأيمن من لمته ثم ولاها جانبه الأيسر حتى إذا فرغ أقبل إلى عمر بوجهه، فقال: ما حاجة أمير المؤمنين؟ فقال عمر: يا أبي علام تقنط الناس؟ فقال أبي: يا أمير المؤمنين! إنني تلقيت القرآن ممن تلقاه- وقال عفان ممن يتلقاه- من جبريل عليه السلام وهو رطب^(١) وفي رواية فقال أبي: صدق تلقيتها من رسول الله ﷺ قال عمر: أنت تلقيتها من رسول الله؟ قال: نعم أنا تلقيتها من رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك يقوله وفي الثالثة وهو غضبان: نعم والله لقد أنزلها الله على جبريل وأنزلها على محمد فلم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه. فخرج عمر وهو رافع يديه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر^(٢).

التلقي عند أبي رضي الله عنه:

وبمناسبة أنهم كانوا رضي الله عنهم يجعلون التلقي عمدة أدلتهم في إثبات القراءة، فإن البحث يشير إلى أن سيد القراء أبي بن كعب رضي الله عنه كان يحتاج بذلك، ولكن القراءات الثابتة عنه قرائياً بل وفي كثير من روايات الحديث الثابتة لم تخرج عن القراءات المتناقلة إلى اليوم إلا أن تكون تفسيراً فأما قرائياً: فإن معظم أسانيد القراء العشرة ترجع إليه رضي الله عنه.

(١) الحاكم (٢/ ٢٤٥)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورواه الضياء في المختارة (٣/ ٤١٥).

(٢) الحاكم (٣/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

وأما حديثاً فالأمثلة السابقة توضح رجوع ما نسب إليه إلى القراءات المتناقلة إلى اليوم، ومن الروايات الحديثية ما جاء عن ابن عباس قال: أقرأني أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ ﴿فِي عَيْبِ حِمَّةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] مخففة^(١)، وهذا المثال جد حسن؛ إذ يوضح أن قراءة أبي التي يستغربها عمر إنما هي إحدى قراءات من الأحرف السبعة، ولا تخرج عن ذلك، ومثاله أيضاً في قراءة أبي ما جاء في قوله ﷺ له: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن» قال فقلت: وسماني لك ربك؟ قال: «نعم» قال: فقرأ علي فقال أبي ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]^(٢) قرأها بالتاء (فلتفرحوا)..^(٣)، وهذه الأمثلة تدل على عدم خروج قراءة أبي عن المتناقل من القراءات... ومن احتج ببعض ما ذكر عنه من قراءات مخالفة يقال له عمدتنا: هو التلقي الذي جعله أبي عمدته أيضاً، ومنهج إثبات قرآنية أو قرآنية قراءة غير منهج إثبات حديث، على أن أياً لم يثبت عنه حديثاً إلا ما وافق القراءات المتناقلة، أو ما كان تفسيراً ظاهراً وقد ينسبه إلى القرآن تجوزاً على أنه المراد من الآية، أو لأنه سمع فيه شيئاً عن رسول الله ﷺ.

منهجية إثبات القراءات غير منهجية إثبات الأحاديث:

وبما أن التلقي هو السبيل لإثبات القراءة فإن ما ثبت حديثاً على غير ما ثبت قرآئياً - حال وجوده - لا يعول عليه في النسبة إلى القراء فقد تثبت آية قرآئياً على غير ما وردت حديثاً كالذي روي عن نافع بن أبي نعيم - رحمه الله تعالى -: ﴿فَرِهْنُ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، قرأها (فَرُهْنُ)، ثم قال نافع: أقرأني خارجه بن زيد بن ثابت وقال: أقرأني زيد بن ثابت، وقال: أقرأني رسول الله ﷺ فَرُهْنُ

(١) النسائي في الكبرى (٤ / ٣٤)، مرجع سابق.

(٢) انظر: الشاطبية عند قول الناظم: (و حق رهان ضم كسر وفتحة) من سورة البقرة ص ٧٩، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٢ / ٢٤٧)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

مقبوضةً بغير ألف^(١)، فإن الثابت عن نافع قرائياً فرهان^(٢) وهو اختياره فلا يُقرأ بالأخرى لعدم التلقي، وأما توجيه الرواية فلها محامل: إما الصحة سنداً وامتناً ولكن نافعاً قرأ بالأمرين وبقي المتناقل عنه أحدهما، وإما بأن نافعاً أراد إثبات صحة هذه القراءة ولكن لم يقرئ بها، وإما بالغلط في متن الرواية الحديثية.

كما أن التلقي هو المرجعية لتصويب كل قراءة:

تسلسل المنهجية: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «فاقرأوا كما علمتم»^(٣)، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون الناس القرآن بذلك، كما قال أنس رضي الله عنه: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس ولا تسمعها إياه^(٤)... فكيف كان تعليمه القرآن للناس؟ كان تلقياً وتلقيناً، فقد قال بعض تلاميذه واصفاً هيئة تعليمه رضي الله عنه: كان أبو موسى رضي الله عنه إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم...^(٥).

الحرص على التلقي من النبي ﷺ، أو ممن تلقاه عنه:

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأمرون غيرهم بأخذ القرآن ممن تلقاه مباشرة من النبي ﷺ طلباً للإسناد العالي، وتثبتاً في الحفظ فعن معدي كرب قال: أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها

(١) الحاكم (٢/ ٢٥٦)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) انظر: (الشاطبي) القاسم بن فيرة ت ٥٩٠ هـ: حرز الأمانى ووجه التهاني (متن الشاطبية) سورة البقرة وانظر: (ابن الجزري) محمد بن محمد بن محمد بن علي ت ٨٣٣ هـ: طيبة النشر في القراءات العشر - سورة البقرة.

(٣) النسائي في الصغرى (١/ ٥٦٦)، مرجع سابق.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩)، مرجع سابق.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩)، مرجع سابق.

علينا^(١)... وهل كان هذا في حياته ﷺ أو بعد مماته؟ احتمالان، وهل مراد ابن مسعود رضي الله عنه أنه لا يحفظ السورة أو أنه لم يتلقها مباشرة من النبي ﷺ؟... المسألة محتملة، والثاني أرجح لأن سورة الشعراء مكية، وعن عقبه بن عامر قال: كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر فقال لي: «يا عقبه ألا أعلمك خير سورتين قرئتاً فعلمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الفلق: ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] قال: فلم يرني سررت بهما جداً، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي فقال: «يا عقبه كيف رأيت»^(٢)، وهذا من أقوى أنواع التلقي، وطلب العلو في الإسناد.

ولضرورة التلقي فقد انتشرت الحلق القرآنية التي يجيها أئمة الإقراء:

ويتلقن فيها الناس ألفاظ القرآن الكريم: فصار لأبي حنيفة، ولزيد بن ثابت أخرى، ولابن مسعود الثالثة... كما قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة وأقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي...^(٣)

تكرار عرض القرآن:

ولأن عرض القرآن على الشيخ يمثل أسلوباً من أساليب التلقي؛ فقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم من تكرار عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السلام في رمضان^(٤)، تكرار عرض أصحابهم القرآن عليهم، وتسلسلت بذلك منهجية تكرار العرض، ومن أمثله في أئمة الإقراء: ما رواه عاصم بن بهدلة وعطاء بن السائب ومحمد بن أبي أيوب وعبد الله بن عيسى أنهم قرؤوا على أبي عبد

(١) قال في مجمع الزوائد (٧ / ٨٤)، مرجع سابق: «رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني».

(٢) أبو داود (٢ / ٧٣)، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري (١ / ٦)، مسلم (٤ / ١٨٠٢)، مرجعان سابقان، وانظر: تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم ص

١٧٧، مرجع سابق.

الرحمن السلمي وذكروا أنه أخبرهم أنه قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس فعليك بزيد بن ثابت فإنه يجلس للناس ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن، وكنت ألقى علياً فأسأله: فيخبرني، ويقول: عليك بزيد فأقبلت على زيد فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة^(١).

وفي تكرار العرض تأكيد بليغ على: دقة المحافظة على النص القرآني، ومقدار إتقان القراءة من القراء.

تعليمه ﷺ طرق تحمل القرآن الكريم:

وفيما سبق ذكره يتضح لنا أن النبي ﷺ علمهم طرق تحمل القرآن الكريم عنه ﷺ^(٢)، وأنهما طريقتان لا غير: السماع من لفظ الشيخ أو السماع عليه بقراءة غيره، والعرض (القراءة) عليه، وعد أهل العلم من حكم قراءة النبي ﷺ على أبيّ أن يسنّ «عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه، وليسنّ التواضع في أخذ الانسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك»^(٣). ...

وما بقي من الطرق المعروفة عند المحدثين من مناولة وإجازة (بالمعنى الحديثي) ... ونحوها^(٤). «فلا مكان لها في تحمل القرآن الكريم»^(٥)، كما قال الناظم:

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٧٠)، مرجع سابق، وقال: «إسنادها ليس بالقائم»، وهذه ستة أئمة الإقراء فقد قال ابن مجاهد - مثلاً -: «فأما قراءة نافع بن أبي نعيم فإني قرأت بها على عبد الرحمن بن عبدوس من أول القرآن إلى خاتمتها نحواً من عشرين مرة» انظر: السبعة ص ٨٨.

(٢) أشار إلى هذا الموضوع الإمام السيوطي في الإتقان (١ / ٢٦٤)، مرجع سابق.

(٣) (النووي) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ٦٧٦ هـ: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦ / ١٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.

(٤) انظر في طرق تحمل الحديث: ألفية السيوطي في مصطلح الحديث بتعليق الشيخ شاکر ص ٦٠.

(٥) انظر: الإتقان (١ / ٢٦٤)، مرجع سابق.

ولا يجوز أخذها من الكتب كما به قد صرحوا، بل يجب عليك أن تعرفها ممن يريك كيفية النطق بها فإه لفيك^(١)

إلا أن الإجازة قد توجد بشرط أن تكون تابعة لهاتين الطريقتين بمعنى أنه تم سماع الطالب أو عرضه على شيخ آخر ثم أجزى بعد أن اختبره المجيز،... أما المناولة ونحوها فلا مكان لها لأمرين أساسين يختلف في علوم القراءة عن علوم الحديث هما:

١- أن علوم القراءة لا تختلف إلا اختلافاً محدوداً في هيئة أداء اللفظ الداخلية غالباً أما الأحاديث فقد يوجد في هذا الكتاب ما لا يوجد عند ذاك من متن الحديث أو سنده...

٢- ولأن المقصود هنا كيفية الأداء وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ لأنه نزل بلغتهم، دون حاجة كبيرة إلى العرض والمران على قواعد التجويد التي تمثل ظواهر لغوية، ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة فلم يكتف بقراءته.

ولكن المستعمل عند القراء سلفاً وخلفاً هو العرض بالقراءة على الشيخ وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي ﷺ لكن لم يأخذ به أحد من القراء، وقد يمنع منه؛ إذ ظن أنه لن يؤدي الغرض.

(١) انظر: سنن القراء ص ١٥، مرجع سابق.

ومما يتنبه له: أنه تجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويرد على كل منهم، وكذا لو كان الشيخ مشغولاً بشغل آخر كنسخ ومطالعة، وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط بل يكفي ولو من المصحف.

المطلب الثالث: العرضة الأخيرة

حقيقتها وإثبات وجودها:

العرضة من العرض، وهي مأخوذة من معارضة النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السلام ومعارضة النبي ﷺ القرآن على أصحابه، والمعارضة هنا مفاعلة؛ لأنها ثبتت في حديث المعارضة^(١)... وقد أشار النبي ﷺ إلى آخر معارضة له مع جبريل عليه السلام بقوله: «أن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين...»^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه^(٣).

الهدف العام من معارضته ﷺ له عليه السلام بالقرآن كل سنة: لتتم مقابلة ما حفظه ﷺ على ما أوحاه إليه جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيداً واستثباتاً وحفظاً، ومراجعة للمحفوظ، ولتكون سنةً رمضانية في الاتصال بالقرآن الكريم من جميع الأمة.

(١) انظر تفصيل ذلك في: تلقي النبي ألفاظ القرآن الكريم ص ١٧٧، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري (٥ / ٢٣١٧)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤ / ١٩١١)، مرجع سابق.

وبعد أن علمنا أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ القرآن في ليل رمضان، وكان النبي ﷺ يعارض أصحابه رضي الله عنهم وأئمة الإقراء منهم خاصة ما كان يعارضه جبريل عليه السلام في وقت آخر... فهو ﷺ مأمور بتبليغ الرسالة، وكيف يبلغها ولم يعلمهم ويتثبت من حفظهم؟ وما يدل على إثبات هذه العرضة على أصحابه رضي الله عنهم ما جاء عن سمرة رضي الله عنه قال: عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة^(١)، ويدل له ما سيأتي من إثبات شهود ابن مسعود للعرضة الأخيرة، فهم كانوا يعارضون القرآن على النبي ﷺ، وبذا تم التيقن من ثبوت كامل القرآن كتابة وحفظاً عند أئمة الإقراء.

وأما معنى قول الزهري: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد. هذا لفظ البخاري؛ ولمسلم: إن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ^(٢)، فقال فيه أبو شامة: «يعني عام وفاته أو حين وفاته، يريد أيام مرضه كلها، كما يقال: يوم الجمل ويوم صفين، وكانت أياماً»^(٣)، والظاهر عند الباحث أن المراد من كلام أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ ما توفي حتى اكتمل الوحي، ولذا نزل كثير منه في الفترة التي سبقت وفاته، وقد تمتد لتكون أكثر من سنة، وعرض ذلك في رمضان إلا آيات قلائل محصورة هي التي قيل إنها آخر ما نزل من القرآن، فليس ما ذكره خارجاً عن العرضة.

(١) الحاكم (٢/ ٢٥٠)، مرجع سابق، وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ٤٤)، مرجع سابق: «وإسناده حسن».

(٢) البخاري (٤/ ١٩٠٦)، مسلم (٤/ ٢٣١٢)، مرجع سابق.

(٣) المرشد الوجيز ص ٣٠، مرجع سابق.

ولكن لم يكن يشهد العرضة كل الناس، للاكتفاء بوجود تبليغ بعضهم البعض:

فقد قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها-: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن^(١) فقولها (وهن فيما يقرأ) «أي يقرأها بعض الناس لكونهم لم يبلغهم النسخ الواقع في العرضة الأخيرة لقرب عهدهم فلما بلغهم رجعوا وأجمعوا على أنه لا يتلى»^(٢) وهذا ما قرره بعض العلماء، ولللفظ عائشة تقرير آخر عند الباحث - ربما كان أكثر وجاهة- هو أن يكون معنى قولها هذا على سبيل التأكيد البالغ على التحريم بالرضاع بهذا العدد دون نسخه، ولكن ذلك من قول الرسول ﷺ وليس من قول الله جل جلاله، وأرادت التأكيد على الالتزام فعزته إلى القرآن - وهذا من خواص لغة الصحابة- كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧]..^(٣)

(١) مسلم (٢/ ١٠٧٥)، مرجع سابق.

(٢) (السيوطي) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ: الديباج على صحيح مسلم (٤/

٦١)، مراجعة: أبو إسحاق الحويني الأثري- دار ابن عفان- الخبر- السعودية.

(٣) البخاري (٤/ ١٨٥٣)، مسلم (٣/ ١٦٧٨)، مرجع سابق.

ومن هذا الباب أيضاً إطلاق لفظ آية أو نسبته إلى الله سبحانه وتعالى لزيادة التأكيد على ثبوته بسنة النبي ﷺ^(١) حتى يظن بعضهم أنها من القرآن نحو ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال: عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها، ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف^(٢) وينظر التعبير الوارد في آخر الحديث (فريضة أنزلها الله)، وقوله (الرجم في كتاب الله حق)... كقول ابن مسعود المتقدم.

وتناقِلُ التابعون نبأ وجود هذه العرْضة:

فعن ابن سيرين قال: كان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ في كل شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين. قال ابن سيرين: فيرجى أن تكون قراءتنا هذه على العرْضة الأخيرة^(٣)، واستنبط بعضهم من كتابة عثمان للمصاحف أنها إنما تمت وفق العرْضة الأخيرة فعن ابن سيرين قال: جمع عثمان اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار منهم أبي بن كعب، وأرسل إلى الربعة^(٤) التي

(١) وما زال - بعد هذا - يجتمَلُ توجيهاً آخر هو أن يكون الحديث المذكور بلفظ يوهَمُ أنه آية أن يكون حديثاً قدسياً... وقد يضطرب الأمر على صحابي أو تابعي فيحسبه قرآناً، والأمر القاطع الذي يحسم هذه المسألة مرده إلى التواتر القرآني الذي يزيل كل شبهة بإثبات أو نفي... ولم أجد من أشار إلى هذه المسألة بهذا النوع من المعالجة.

(٢) البخاري (٦/ ٢٥٠٣)، مسلم (٣/ ١٣١٧)، مرجعان سابقان.

(٣) الضياء في المختارة (٧)، سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٣٧)، مرجعان سابقان.

(٤) الربعة: إناء مربع كأنه مغطى ملتف يشبه الصندوق... انظر: النهاية (٢/ ١٨٩)، مرجع سابق.

في بيت عمر، قال فحدثني كثير بن أفلح - وكان ممن يكتب - قال فكانوا: إذا اختلفوا في الشيء أخروه قال ابن سيرين: «أظنه ليكتبوه على العرضة الأخيرة»^(١).

الجمع بين كتابة زيد للمصاحف في عهد عثمان وشهود ابن مسعود للعرضة:

والنصوص التي بين أيدينا تدل على شهود ابن مسعود للعرضة الأخيرة، وأنه

تعلم من النبي ﷺ القرآن بعد أن عرضه على جبريل عليه السلام، ويدل لذلك ما

رواه أبو ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراءتين تقرأون؟ قلنا قراءة عبد الله

قال: إن رسول الله ﷺ كان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة وإنه عرض عليه

العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله ما نسخ^(٢)، وفي لفظ عنه: قال ابن

عباس: أي القراءتين تعدون القراءة الأولى؟ قالوا: قراءة عبد الله. قال: قراءتكم

القراءة الأولى وقراءة عبد الله القراءة الأخيرة! إن رسول الله ﷺ كان يعرض عليه

القرآن كل رمضان عرضة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه عرضتان

فشهده عبد الله، وشهد ما نسخ منه وما بدل «قراءة عبد الله الأخيرة»^(٣)، وورد

عن زر بن حبيش الأسدي^(٤)، وورد عن مجاهد^(٥)، وقد بين في بعض ألفاظ هذا

الحديث ماذا يعنون بالقراءة الأخيرة، وأنها قراءة زيد فعن ابن عباس قال: أي

القراءتين ترون كان آخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد. قال: لا! إن رسول الله ﷺ

كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل عليه السلام فلما كانت السنة التي قبض



(١) فتح الباري (٩ / ١٩)، مرجع سابق.

(٢) الضياء في المختارة (٩ / ٥٤٢)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الكبرى (٥ / ٧)، مرجع سابق، وقال ابن حجر في الفتح (٩ / ٤٥)، مرجع سابق: «وإسناده

صحيح».

(٤) الطبراني في الكبير (١٢ / ١٠٣)، مرجع سابق.

(٥) مسند أحمد (١ / ٢٧٥)، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٨)، مرجع سابق، قال: «رواه أحمد والبخاري

ورجال أحمد رجال الصحيح».

فيها عرضه عليه عرضتين فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن^(١) وقال: إنه لآخر حرف عرض به النبي ﷺ على جبريل عليه السلام^(٢).

❖ وما تقدم من الروايات يظهر لنا أن ابن مسعود شهد العرضة الأخيرة بإثبات ابن عباس، وإثباته هو رضي الله عنه، فقد ورد صريحاً عنه رضي الله عنه فقد قال رضي الله عنه متحدثاً عن آخر عام عرض فيه النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السلام، وكان عرضه عرضتين:- فقرأت القرآن من في رسول الله ﷺ ذلك العام، والله لو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغينه الإبل لركبت إليه والله ما أعلمه^(٣).

وتدل الروايات السابقة على أن عبد الله بن مسعود شهد العرضة الأخيرة، وهذا يدل على سماعه ما هو أكثر من اثنتين وسبعين سورة من النبي ﷺ، وذلك لأن النازل من سور القرآن الكريم حتى العرضة الأخيرة كان أكثر من ذلك قطعاً، وإنما أثبت لنفسه هذه السور من فم النبي ﷺ لأن الظاهر من ذلك أنه تلقنها بمفرده مباشرة من النبي ﷺ، ولذا جاء في رواية عنه: «فلقد أخذت من فيه ﷺ سبعين سورة ما نازعني فيها بشر»^(٤) وأما العرضة فهي عامة، والظاهر من العرضة على الناس إنها سماع منهم للنبي ﷺ لا عرض، وقد ذكر أنه أتم الباقي على علي بن أبي طالب، فعنه رضي الله عنه قال: قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة

(١) الحاكم (٢/ ٢٥٠)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٤)، مرجع سابق.

(٣) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨ هـ - ت ٢٣٠ هـ): الطبقات الكبرى (٢/

١٩٤)، دار صادر بيروت.

(٤) ابن حبان (١٤/ ٤٣٣)، أبو يعلى (٨/ ٤٠٣)، مرجعان سابقان.

وختمت القرآن على خير الناس علي بن أبي طالب^(١)... وفي كل الأحوال فزعم عدم ختمه قبل وفاة النبي ﷺ لا يرقى إلى مستوى الرأي المطروح مع هذه القرائن الدالة على إتمامه المصحف، وسماعه كل ما نزل على النبي ﷺ إلى آخر رمضان قبل وفاة النبي ﷺ على الأقل، وهذا الزعم لو صح لكان كافياً للرد على ابن مسعود في تقديم زيد عليه، وماذا يقول من ينفي ختم ابن مسعود في حياة النبي ﷺ بحديث: «خذوا القرآن من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة»^(٢)؟ فقرنه ﷺ بكبار أئمة الإقراء، بل بسيد سادات القراء وهو أبي بن كعب، وقدمه عليهم.

وقد قرر مكّي بن أبي طالب ذلك بما يشبه هذا - ضمن احتمالات وضعها -: «وأما ابن مسعود فإنه قال: قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة، وقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض، فعرض عليه القرآن مرتين، قال: فكان إذا فرغ النبي ﷺ أقرأ عليه فيخبرني أنني محسن، فأما ما بقي عليه فيجوز أن يكون سمعه من النبي ﷺ فيقوم سماعه منه مقام قراءته عليه من القرآن...»^(٣)، وأما الاحتمالات الأخرى التي ذكرها مكّي فيردها ما سبق. وما ورد مما ينافي بحفظ ابن مسعود لبعض السور فضعيف، ويظهر منه أن تصويره كافٍ في إبطاله..^(٤).

(١) مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٨)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى بن سالم وهو ضعيف» والحديث بحاجة لزيادة تمحيص ليتم قبوله أو رده، والظاهر أنه إن صح فالمراد العرض مرة ثانية... وإلا فما حاجة ابن مسعود لذلك وقد شهد العرضة الأخيرة؟.

(٢) البخاري (٣ / ١٣٨٥)، مسلم (٤ / ١٩١٣)، الحاكم (٣ / ٢٥٠)، الترمذي (٥ / ٦٧٤)، مراجع سابقة.

(٣) (القيسي) مكّي بن أبي طالب حموش القيسي ٤٣٧ هـ: الإبانة عن معاني القراءات ص ١١٧، قدم له وحققه، وعلق عليه، وشرحه، وخرج قراءاته: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شبلي: المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

(٤) انظر الأصل ففيه تفصيل حول تلك الروايات.

إثبات حفظ ابن مسعود للقرآن الكريم في حياة النبي ﷺ:

فثبت - بما سبق - إكمال ابن مسعود رضي الله عنه القرآن على عهد النبي ﷺ، والقائل بأن ابن مسعود لم يكمل القرآن أراد تبرير تقديم أبي بكر وعمر وعثمان لزيد، ولكن لا ينبغي أن يؤتى بمبرر خاطئ ينفي حقيقة حفظ ابن مسعود رضي الله عنه وجلالته في علم القرآن وعلم القراءة:

❖ فأما ملازمة زيد للنبي فهي للكتابة أما الملازمة بغير ذلك فما أكثر ما لازمه ابن مسعود رضي الله عنه حتى كان يلقب ب «صاحب النعلين والطهور والوساد، والسواد وهو السرار»^(١)، وحتى كان أشبه الناس هدياً برسول الله ﷺ فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألتنا حذيفة عن رجل قريب السميت والهدي من النبي ﷺ فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمياً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد^(٢)، ومن شدة ملازمته رضي الله عنه ظن الناس أنه من آل رسول الله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ^(٣)، بل روى علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت مستخلفاً أحداً عن غير مشورة لاستخلفت ابن أم عبد»^(٤).

❖ ومن الثناء البديع على ابن مسعود رضي الله عنه مما يمثل مؤهلاً كبيراً له لنسخ المصاحف: أن النبي ﷺ قال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم

(١) البخاري (١/ ٦٩)، و(٣/ ١٣٦٨)، مرجعان سابقان.

(٢) البخاري (٣/ ١٣٨٣)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٣/ ١٣٨٣)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٤)، الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٧٢)، مرجعان سابقان.

عبد، وكرهت لأمتي ما كره لها ابن أم عبد»^(١) فقد رضي لها النبي ﷺ ما يرضاه ابن أم عبد في عامة أمورها، وأما في خصوص الإقراء فتقدم حديث: «خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد فبدأ به...».

❖ ومضت منزلة ابن مسعود رفعة وقوة في حياة الأمة فروى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واهتدوا بهدي عمار بن ياسر وتمسكوا بعهد ابن أم عبد»^(٢)، وشهادة حذيفة كافية في هذا الباب؛ إذ يقول: «لقد علم المحظوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة»^(٣).

❖ ومنزلة ابن أم عبد في القراءة هي منزلته حتى فاق في نظر بعض العلماء منزلة أبي كما قال بعض أهل العلم: «فإن قيل فهل لأحد من الصحابة من الرتبة في القرآن مثل ما لأبيّ منها؟ قلنا: لعبد الله بن مسعود زيادة على ما وجدناه لأبيّ...»^(٤)، وشهد الصحابة له بذلك فقد اجتمع بعض أصحاب رسول الله ﷺ في دار أبي موسى رضي الله عنه وهم ينظرون في مصحف فقام عبد الله، فقال أبو مسعود: ما أعلم رسول الله ﷺ ترك بعده أحداً أعلم بما أنزل الله عز وجل من هذا القائم، فقال أبو موسى: أما لأن قلت ذلك لقد كان يشهد إذا غبنا ويؤذن له إذا حجبتنا^(٥)... فماذا بعد هذه المؤهلات العظيمة من أدلة تدل على تمام حفظ ابن مسعود وقوة أهليته في

(١) ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٤)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٧٠)، مرجعان سابقان.

(٢) ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٣)، الطبراني في الأوسط (٦/ ٧٦)، مرجعان سابقان.

(٣) الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٠)، مرجع سابق.

(٤) (أبو المحاسن) يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن: المعاصر من المختصر من مشكل الآثار (٢/ ٣٦١)، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.

(٥) مسلم (٤/ ١٩١٢) المعجم الكبير (٩/ ٩٠)، مرجع سابق.

علم القرآن؟ ولذا كان يملئ المصاحف في عهد عمر من حفظه بإقرار عمر رضي الله عنه ورضاه.

❖ وأما رواية من روى عن ابن مسعود أنه سئل عن طسم فقال: «لا أحفظها سَلَّ خَبَاباً عنها»^(١) فدليل على ما قرره البحث؛ إذ ليس هكذا لفظها بل لفظها ما جاء عن معديكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خَبَاب بن الأرت قال: «فأتينا خَبَاب بن الأرت فقرأها علينا»^(٢)، فترك إقراءها لا لعدم حفظه، بل لعدم تلقيها مباشرة من الرسول ﷺ، وأشار عليهم بالإسناد العالي.

❖ وأما قول النبي ﷺ في عبد الله بن مسعود: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على رواية ابن أم عبد»^(٣) «فمؤهل ظاهر له في علم القرآن... ولا شك أن التحقيق العلمي يثير علامة استغراب حول ما تأوله بعضهم في معناه، وأن عبد الله بن مسعود كان يرتل القرآن فحضر النبي ﷺ على ترتيل مثل ترتيله لا غير»^(٤)، فهذه المنقبة مالها استحالت مثلبة؟ وفي هذا التأويل نظر أيضاً- إن اكتفي به-، بل مراده جودة الأداء، وإتقان الحفظ... وهذا الذي فهمه عمر رضي الله عنه من الحديث أن المراد الحفظ مع إتقان الأداء فعن قيس بن مروان قال: أتى رجل عمر فقال: يا أمير المؤمنين! قد تركت بالعراق رجلاً يملئ المصاحف عن ظهر قلب. فغضب عمر رضي الله عنه حتى احمر وجهه فقال له عمر: اعلم ما

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ ص ٤٨٣، مرجع سابق.

(٢) أحمد (١ / ٤١٩)، المعجم الكبير (٤ / ٥٥)، مرجعان سابقان، مجمع الزوائد (٧ / ٨٤)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني».

(٣) المختارة (١ / ٩٣)، مرجع سابق.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ ص ٤٨٣، مرجع سابق.

تقول! مراراً فقال: ما أتيتك إلا بحقّ فقال عمر رضي الله عنه: من هو؟ قال: ابن أم عبد. فسكن حتى ذهب عنه الغضب ثم قال: ما أصبح على ظهر الأرض أحد أحقّ بذلك منه، وسأحدثكم عن ذلك: إن رسول الله ﷺ سمر في بيت أبي بكر رضي الله عنه ذات ليلة لبعض حاجته حتى أعتم، ثم رجع بيني وبين أبي بكر حتى انتهيت إلى المسجد إذا رجل من المهاجرين يصلي فقام فتسمع لقراءته ما أدري أنا وصاحبي من هو قال: فلما قام ساعة قلت: يا رسول الله! رجل من المهاجرين يصلي لو رجعت وقد أعتمت قال: فغمزني وجعل النبي ﷺ يستمع لقراءته قال: فركع وسجد ثم قعد يدعو فجعل النبي ﷺ يقول: «سل تعطه! سل تعطه!» ولا أدري أنا وصاحبي من هو، حتى سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه كما يقرأ ابن أم عبد» قال: فذلك حين علمت أنا وصاحبي من هو، قال: فغدوت إلى عبد الله لأبشره فقال: قد سبقك أبو بكر، وأيم الله ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني^(١)، ولكن مع أنهما بشراه إلا أنهما لم يولياه أمر المصحف في عهد أبي بكر لعلّة ظاهرة تأتي الإشارة إليها. فقد اجتمع لابن أم عبد الجليل حديثان يأمران بالأخذ عنه حفظاً وإتقاناً للترتيل والأحكام...

العرضة الأخيرة هي قراءة العامة:

يظهر أن الذي جمعه زيد في عهد عثمان هي قراءة العامة كما ورد هذا المصطلح في غير ما موضع من البخاري^(٢) كقوله: «قراءة العامة ﴿يَطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]»^(١).

(١) المختارة (١/ ٣٨٥)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٨)، مرجع سابق: «رواه البزار وإسناده حسن».

(٢) انظر: البخاري (٣/ ١٢١٦)، مرجع سابق.

وقراءة العامة لا بد أن تكون العرضة الأخيرة قد اشتملت عليها لأنها العامة!... وهذا الذي قاله عبيدة السلماني: «القراءة التي عرضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم»^(٢).

وبعد سرد ما تقدم: يمكن أن يقرر أن العرضة الأخيرة ليست حكراً على زيد ولا على ابن مسعود لأنها العامة أيضاً، وإن لم يحضرها كل الصحابة فإنه لا ريب في حضور جمع كبير من أئمة الإقراء لها، لأنها العامة أيضاً.

اجتماع ابن مسعود وزيد في العرضة الأخيرة:

قرر ابن عباس أن الذي شهد العرضة الأخيرة هو ابن مسعود رضي الله عنه وهو ما صرح به ابن مسعود من قوله مع أن ابن عباس إنما تتلمذ على زيد وأبي في القراءة^(٣)، وكان ابن عباس يجلب زيدا ويعظمه، فليس يتجنى عندما يشهد لابن مسعود، والذي يثبت أن زيدا هو الذي شهد العرضة الأخيرة هم التابعون كأبي ظبيان ومجاهد وزرّ وجماعات... ويردهم ابن عباس لكن بلفظ يثبت شهود العرضة الأخيرة لابن مسعود دون أن ينفي شهود زيد بن ثابت لها... وقد يقال ها هنا: إن ابن عباس أراد نفي ما زعموه بشأن تغيب ابن مسعود عن العرضة الأخيرة لا إثبات تغيب زيد، وقد يسوغ عند هذا أن نقول بأن زيدا حضر هذه العرضة أيضاً وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم^(٤)، ويعضده أن زيدا هو كاتب رسول الله ﷺ الملازم، وتقديم زيد أقوى لذلك، وهو الذي أجمع عليه الصحابة في عهد أبي بكر

(١) البخاري (٤/ ١٦٣٨)، مرجع سابق، وورد هذا المصطلح في المختارة (٧/ ١٨٠)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٤)، مرجع سابق.

(٣) انظر إثبات ذلك في ترجمة زيد بن ثابت عند: (القيصري) محمد بن طاهر بن القيسراني ت ٥٠٧ هـ: تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠)، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٥ هـ وكذلك في ترجمة ابن عباس في: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢ هـ: تهذيب الكمال (ص ١٥/ ١٥٥)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

(٤) انظر مثلاً: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٨٨، مرجع سابق، مناهل العرفان ١/ ١٧٤، مرجع سابق.

رضي الله عنه وهم الأكابر، على أن بعض الوحي قد نزل بعد رمضان، والكاتب المتلقن الملازم يقدم على الكاتب المتلقن غير الملازم.

السبب الحقيقي لتقديم زيد في جمع المصحف المصاحف ونسخه:

وبعد هذا البحث عن العرضة الأخيرة، وتقرير حضور ابن مسعود رضي الله عنه لها يمكن للباحث القول بأن البعض قد جانبه الصواب حينما جعل معيار تقديم زيد هو حضور العرضة الأخيرة^(١)، والذي نريد تقريره هنا لتوضح الصورة الكلية أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ما تولى كتابة المصحف في عهد عثمان إلا رئيساً للجنة قامت بهذا العمل، شارك فيها أبيّ - وكذلك في عهد أبي بكر-، وأما ابن مسعود فلم يكن في المدينة حيث كان العمل لتعلم أيعزل عنها كما قال هو أم لا، والأمر كان أعجل من أن يؤخر حتى يرسل إلى ابن مسعود ليأتي من الكوفة حيث المسافة ذهاباً وإياباً تقرب من شهرين، مع وجود الأكفاء، ثم وجد الكاتب الإمام الذهبي يقرر هذا التقرير ذاته حيث قال: «إنما شق على ابن مسعود لكون عثمان ما قدمه على كتابة المصحف، وقدم في ذلك من يصلح أن يكون ولده وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة ولأن زيدا كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء»^(٢).

❖ وأما أيام أبي بكر رضي الله عنه فإن المؤهل الذي قدم زيدا على ابن مسعود مع إجلال أبي بكر وعمر له - وهما راويا حديث «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً...» - أن ابن مسعود لم يكن في المدينة فيما يظهر، بل كان على النفل في اليرموك، وهذا يدل على أنه كان في حرب خارج المدينة... هذا بالإضافة إلى

(١) انظر مثلاً في: مختارات فصول الجاحظ - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٢٤٠٦٩، وعنه نقل (دكتور) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص ١٢٣، دار القلم ١٩٦٦ م، وعنه نقلاً مؤلفاً كتاب معجم القراءات القرآنية ص ٩ معتبرين إجابة الجاحظ إجابة حكيمة واعية - وهي كذلك - لولا أنها مبنية على وهم.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٨٨)، مرجع سابق.

أن زيدا كان الكاتب الملازم وهو سبب قوي ذكره الشيخان في محاورتهما
لزيد وإقناعه بأن يتولى ذلك. وثمة أسباب آخر ليس هذا ميدانها ولا مكان
بسطها.

مشكل قراءة منسوبة لابن مسعود وأبي الدرداء:

عن علقمة قال: قدمنا الشام فاتانا أبو الدرداء فقال: أفيكم أحد يقرأ عليّ
قراءة عبد الله؟ فقلت: نعم! أنا قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية ﴿وَأَتْلِ
إِذَا يَنْشَأُ﴾ قال: سمعته يقرأ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكْرِ وَالنَّثَى﴾ قال: وأنا والله هكذا
سمعت رسول الله ﷺ يقرأها، ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ فلا
أتابعهم^(١) فهذه القراءة المنسوبة للشيخين شاذة، وفي الحديث علة ظاهرة توجب إما
التأويل وإما الاطّراح، وهي:

أولاً: مخالفة رجال سند هذا الحديث لكل الأمة الإسلامية في هذه الرواية،
وليست المخالفة لأربعة أو خمسة من الثقات حتى تصير رواية الأقل شاذة
لمخالفتها رواية الأكثر على ما هو مقرر في مصطلح الحديث.. وهذه علامة تعجب
من بعض الذين يشذون رواية في صحيح مسلم، ومع ذلك لا يشذون ما ورد في
هذا الحديث؟.

ولذا قال الشافعي: «من متناقض القول الجمع بين قبول رواية القراءة الشاذة
في القرآن وبين رد الزيادة التي ينفرد بعض الرواة الثقات مع العلم بأن سبيل إثبات
القرآن أن ينقل استفاضة وتواتراً»^(٢).

ثانياً: مخالفة رجال السند في هذا الحديث لأهل المصرين اللذين انتشرت فيهما
قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: الكوفة والشام، وقراءة علقمة لها يدل على أنها

(١) البخاري (٣/ ١٣٦٨)، مسلم (١/ ٥٦٥)، مرجعان سابقان.

(٢) البرهان (١/ ٤٢٦)، مرجع سابق.

سادت في الكوفة ولو لفترة قريبة لكننا لم نسمع همساً في الكوفة فضلاً عن الشام، وتعجب من ذلك ابن حجر فقال: «و العجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة، ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء، ولم يقرأ أحد منهم بهذا فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت»^(١)، ولعل في القول بالنسخ نظراً؛ إذ ثم موازين دقيقة وضعها علماء الحديث كان ينبغي بحث هذا الحديث في ضوئها أيضاً مثل القلب، والاضطراب، والشذوذ.

❖ وما يؤكد الرد السابق: أن ابن عامر القارئ الرابع من السبعة قرأ على أبي الدرداء اتفاقاً مباشرة، وهو قارئ أهل الشام وقراءته إلى القرن الخامس الهجري كانت هي الغالبة على أهل الشام... فما باله لم ينقل هذه القراءة؟ ولذا نؤكد على أن منهج إثبات القراءة هو التلقي، وليس البحث في السطور التي يعتريها الوهم، أو الشذوذ، ولا يؤمن فيها من الدس...

❖ أما تقرير من قال بأن العرضة الأخيرة كانت وفق قراءة زيد لأنه حضرها فقد بينا أن النصوص الموجودة تبين حضور ابن مسعود بصورة أصرح من حضور زيد (مع التأكيد على حضور زيد كما سبق)، والفارق بين قراءة زيد وابن مسعود غير ظاهر، وقد نظر بعض المحققين على من زعم أن قراءة زيد هي السائدة؛ إذ كان هدف نسخ المصاحف في عهد عثمان تعميم المصاحف، وإعطاء الشرعية للقراءات، وابن مسعود لم بغضب لأنه سيُجبر على قراءة زيد بل لتولية زيد دونه مع كبر سن ابن مسعود وأهليته «وأيضاً فمن المحال أن يكون عثمان أقرأ الخلفاء، وأقدمهم صحبة وكان يحفظ القرآن كله ظاهراً

(١) فتح الباري (٨ / ٧٠٧)، مرجع سابق.

ويقوم به في ركعة... ويترك قراءته التي أخذها من فم النبي ﷺ ويرجع إلى قراءة زيد وهو صبي من صبيان»^(١).

ولذا فإن الذي يمكن استنتاجه مما سبق أن الفرق بين عروضات القرآن المتتابعة يسير- حتى مع القول بوجود النسخ- ولعل الفرق الظاهر الجلي بينها هو ما يزيد من القرآن مما نزل منه في السنة الجديدة.

المطلب الرابع: التعليم القرآني العام

يدرس هذا المطلب وجود الصبغة الإلزامية للتعليم القرآني، وتعميمه على كافة فئات المجتمع، وجعله مادة أساسية للمسلمين دون استثناء، وتشجيعه برفده بما يجعل تعلم جزء من القرآن اختيارياً له مبررات النمو، ولذا ينقسم الكلام فيه إلى: كيفية الإقراء، الكلام عن التعليم الإلزامي، والتعليم غير الإلزامي، واستتبع هذا الكلام عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم، والقول الراجح فيها، وأثر ذلك على نشر التعليم القرآني.

كيفية الإقراء:

الإقراء الجماعي العام، والإقراء الفردي الخاص:

التلقين للصحابة قد يأخذ الصبغة الخاصة بإقراء النبي ﷺ لحلقة أو لصحابي معين للآيات، وقد يأخذ الصبغة العامة بالقراءة على الجمع الكثير في المسجد وهم يتلقون الآيات، مع بقاء الصبغة الخاصة: كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في

(١) (ابن حزم) علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ت ٤٥٦ هـ: الإحكام في أصول الأحكام (٦/ ٢٦٨)،

دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

الربا خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس ثم حرم التجارة في الخمر^(١).

❖ وكانت المجامع العامة المعتادة فرصة لقراءة آيات جديدة نزلت، أو التذكير بآيات أخرى فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا أيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة إنني لم أسمعها إلا الآن؟ فأشار إليه: أن اسكت فلما انصرفوا قال: سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني؟ فقال أبي: «ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت» فذهب إلى رسول الله ﷺ فذكر له وأخبره بالذي قال أبي فقال رسول الله ﷺ: «صدق أبي»^(٢).

❖ وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك أيضاً فيما بينهم، فيقرأ قارئ منهم وهم يستمعون، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنهم كانوا جلوساً يقرؤون القرآن ويدعون..^(٣)..

❖ وقد يقوم بالقراءة العامة أصحابه (تلاميذه) رضي الله عنهم فيقرؤون على الناس في المجامع العامة السورة بأكملها: فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كان بالعرج ثوب بالصبح ثم استوى ليكبر فسمع الرغوة خلف ظهره فوقف على التكبير، فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه فإذا

(١) البخاري (٢/ ٧٤٣)، مسلم (٣/ ١٢٠٦)، المتقى لابن الجارود (١/ ١٤٩)، ابن حبان (١١/ ٣١٨)، مراجع سابقة.

(٢) ابن ماجه (١/ ٣٥٢)، مرجع سابق، وفي مصباح الزجاجه (١/ ١٣٤)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٣) أبو داود (٣/ ٣٢٣)، أحمد (٣/ ٩٦)، أبو يعلى (٢/ ٣٨٢)، الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٤٨)، مراجع سابقة.

علي عليها فقال له: أبو بكر أمير أم رسول؟ فقال: لا! بل رسول أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ، قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ براءة علي على الناس حتى ختمها^(١).

الإقراء الفردي:

ونظام الحلقات، والقراءة العامة لم يمنع من الإقراء الفردي، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستقرئون النبي ﷺ، فيقوم بإقراءهم: فعن ابن عباس في قوله جل جلاله: ﴿عَسَىٰ وَتَوَكَّلْ﴾ [عبس: ١] قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن وقال: يا رسول الله! علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين..^(٢)، وكما طلب ذلك منه عقبه بن عامر رضي الله عنه قال:

(١) النسائي في الكبرى (٢/ ٤١٦)، مرجع سابق.

(٢) الطبري (٣٠/ ٥١)، مرجع سابق، وأخرجه عن عائشة مختصراً ابن حبان (٢/ ٢٩٣)، الترمذي (٥/ ٤٣٢)،

مرجعان سابقان.

تبع النبي ﷺ يوماً وهو راكب فوضعت يدي على يده فقلت: يا رسول الله! أقرئني من سورة هود ومن سورة يوسف..^(١)..

والأصل أن يقوم النبي ﷺ بالإقراء:

إلا أن يشغله شاغل فيحيل المستقرئ على أحد عرفاء الإقراء أو أئمة الذين قام بتأهيلهم ﷺ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم الرجل مهاجراً على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن..^(٢)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة هو أقراني.^(٣)

وقد استبان لنا من هيئة جلسة الصحابة بين يديه ﷺ في القراءة الفردية: الهيئة التي ذكرها ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن التحيات لله..^(٤)، فالتشبيه يحتمل شموله لهيئة الجلوس مع التدقيق في الحفظ وإتقان الأداء.

تعميم التعليم القرآني:

أولاً: التعليم القرآني الإلزامي:

كان من أسس رسالة النبي ﷺ إلزام المسلمين بالارتباط بالقرآن الكريم تلاوة وتعلماً لأصل اللفظ ولأدائه يومياً، وتمثلت مظاهر هذا الإلزام في عدة أساليب تربوية:

(١) ابن حبان (٣/ ٧٥)، النسائي في الكبرى (١/ ٣٣٠)، مرجع سابق.

(٢) المختارة (٨/ ٢٦٦)، مرجع سابق.

(٣) الطبري (٢٨/ ٢٢٦)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٥/ ٢٣١١)، مسلم (١/ ٣٠٢)، مرجع سابق.

١- ربط صحة أعظم عبادة يومية بإتقان شيء من القرآن الكريم: فاتحة كتاب أو ما يقوم مقامها، ولا بد من إخراج حروفها من مخارجها، وإعطائها حقها ومستحقها.

٢- وسم من لم يقرأ عشر آيات في اليوم بالغفلة في قوله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»^(١).

٣- الأمر بتلاوة الكتاب عموماً، وهو أمر يقتضي الوجوب، ويصدق على أقل ما يسمى قرآناً كما في قوله جل جلاله: ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧].

٤- الإشارة إلى ذم من لم يتعلم سوراً بعينها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»^(٢).

٥- وجوب تعليمه على من علمه بدون أخذ أجره في مقابله ما دام لم يتفرغ لذلك كلياً أو جزئياً... لأن منع تعليمه كتمان للعلم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدُوا مِنَ بَعْدِ مَا بُيِّنَتْهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقد تقدم وجوب التبليغ ولو لآية واحدة.

وكتطبيق لهذا نرى النبي ﷺ يرسل المقرئين إلى البلاد التي دخلها الإسلام: كإرساله مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة، وكذلك أرسل إلى البلاد التي ترغب بالدخول في الإسلام كإرساله السبعين مقرئاً إلى قبائل نجد التي زعم أصحابها أنهم دخلوا في الإسلام:

(١) الحاكم (١/ ٧٤٢)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٢) مسلم (١/ ٥٥٣)، مرجع سابق.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه رعل وذكوان وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوا على قومهم، فأمدهم رسول الله ﷺ بسبعين رجلاً من الأنصار كنا ندعوهم القراء كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، فلما بلغوا بئر معونة، غدروا بهم فقتلوهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ ففقت شهراً في صلاة الصبح يدعو عليهم^(١).

وهذا كله مقتضى من الناحية المنهجية إنشاء المؤسسات الخاصة بتعليم القرآن الكريم، وإيجاد الآليات المناسبة لذلك، ويكون هذا من أهم واجبات الدولة، ولذا فلا بد من أن يكون تعلم القرآن الكريم جزءاً من الحياة التعليمية للطالب المسلم في مرحلة التعليم العام، أو التعليم المتخصص الجامعي أياً كان تخصصه، ولا ينبغي أن تكون للرياضة وزارة خاصة ويقبل القرآن عن أن تكون له الرعاية ذاتها، وإن كانت المقارنة هنا غير قائمة... والمراد الاعتناء بالجوانب القرآنية اللفظية الخاصة، وإلا فالأصل صدور كل تصرفات الأمة عن هدي القرآن.

ثانياً: التعليم الذاتي: (التعليم غير الإلزامي):

وتمثل هذا النوع في الحث الشديد لكل أفراد الأمة ليحصلوا أكبر قدر ممكن من فرض الكفاية في تعلم اللفظ القرآني سواء من حيث الكمية، أو من حيث الهيئات والظواهر الصوتية التي تتصل بالجوانب اللفظية للقرآن الكريم، ومن هذه المظاهر:

١ - بيان الأجر العظيم لمن يعلم ولده القرآن: فقد قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا»^(٢).

(١) مسلم (١/ ٤٦٩)، البخاري (١/ ٣٤٠)، أبو عوانة في مسنده (٤/ ٤٦٤)، مراجع سابقة.

(٢) أبو داود (٢/ ٧٠)، أحمد (٣/ ٤٤٠)، مرجعان سابقان، وانظر: لمحات الأنوار رقم ٥٧، مرجع سابق.

٢- بيان تميز حافظ القرآن، وغناه ولو بآيات معدودة: فعن أنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ حدثه أن رسول الله ﷺ سأل رجلاً من صحابته فقال: «أي فلان هل تزوجت؟» قال: لا! وليس عندي ما أتزوج به. قال: «أليس معك قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قال: بلى! قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» قال: بلى! قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك إِذَا زُلْزِلَتْ» قال: بلى! قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ» قال: بلى! قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك آية الكرسي؟» قال: بلى! قال: «ربع القرآن»، قال: «تزوج تزوج تزوج»^(١).

٣- وكان هذا الحث يصل إلى حد الاستفزاز للفعل فعن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا نستطيع أن نقوم بثلاث القرآن كل ليلة؟ قالوا: وهل نستطيع ذلك؟ قال: فإن قل هو الله أحد ثلث القرآن، قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال رسول الله ﷺ: «صدق أبو أيوب»^(٢).

٤- تسمية سور مخصوصة وربطها بالحوادث الدينية والكونية: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «ومن قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه ولم يكن له عليه سبيل ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة»^(٣)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فقعدوا عند رأسه فقال: لا سبيل لكم عليه قد كان يقرأ لي سورة الملك، فجلسوا عند رجله، فقال لا سبيل لكم إنه كان يقوم علينا يقرأ سورة

(١) رواه الترمذي (٥ / ١٦٦)، مرجع سابق، وقال: «حسن»، وانظر: لمحات الأنوار رقم (١٥٢٢)، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد (٧ / ١٤٧)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف».

(٣) عبد الرزاق (٣ / ٣٧٨)، مرجع سابق، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي... انظر: لمحات الأنوار برقم

١٠١٨، مرجع سابق.

الملك، فجلسوا عند بطنه، فقال لا سبيل لكم عليه إنه أوعى في سورة الملك فسميت المانعة^(١).

٥- ومن أساليب النبي ﷺ في الحث على حفظ السور، وتعظيم القرآن مما يؤدي إلى الحفظ الذاتي: الترغيب بأقوى الأساليب الصادقة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أبي بن كعب... قال: «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» قلت: نعم أي رسول الله! قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو ألا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها»، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدثني وأنا أتبسط مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث فلما دنونا من الباب، قلت: أي رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ما تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأت عليه أم القرآن قال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع المثاني^(٢)، وعن عبد الله بن جابر الأنصاري رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن؟» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تحتمها»^(٣).

ونتيجة لذلك فقد انتشر حفظ القرآن بين كبار الصحابة وصغارهم رضي الله عنهم حتى كان البعض يتلقنه من أفواه المسافرين ويكفيه ذلك كعمرو بن سلمة، وساعد هذا أن الصحابة كانوا أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر حتى لقد كان الرجل منهم ربما يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر وطال، وحسبك أن تعرف أن رؤوسهم كانت دواوين

(١) رواه الحاكم (٢/ ٥٤٠)، مرجع سابق، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: لمحات الأنوار برقم ١٣٧٨، مرجع سابق.

(٢) أحمد (٢/ ٤١٢)، مرجع سابق.

(٣) الضياء في المختارة (٩/ ١٣٠)، مرجع سابق، وقال ابن كثير (١/ ١١): «هذا إسناد جيد».

شعرهم، وأن صدورهم كانت سجل أنسابهم، وأن قلوبهم كانت كتاب وقائعهم، وأيامهم ثم جاء الإسلام فأرهم فيهم هذه القوى والمواهب، وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما أفاد طبعهم من صقل ونفوسهم من طهر وعقولهم من سمو خصوصاً إذا كانوا يسمعون لأصدق الحديث وهو كتاب الله^(١).

ثالثاً: تعليم النبي ﷺ لهم في مسألة أخذ الأجرة على إلقاء القرآن:

نهاهم النبي ﷺ أن يقبلوا أجراً على تعليم القرآن الكريم، وقال: «من يأخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله قوساً من نار»^(٢)، وقد كثرت الأحاديث في هذا المعنى... وبناء على هذا منع بعض أهل العلم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم، وعلّة التحريم عندهم هي وجوب هذا التعليم وتعيينه على المسلم: فالتعليم للقرآن واجب إلزامي عام يجب بذله لمن لم يطلبه فكيف بمن طلبه؟^(٣).

وذهب الجمهور كعطاء ومالك^(٤) والشافعي وأبي ثور إلى جواز الاستئجار على قراءة القرآن - بل ذهب إلى ذلك الأئمة الثلاثة، ونقل القاضي عياض جواز الاستئجار لتعليم القرآن عن العلماء كافة إلا الحنفية^(٥)، وقال الحكم: لم أسمع أحداً كره أجر المعلم^(٦)، وأجابوا عن أدلة المانعين، واستدلوا لمذهبهم بأدلة تعليمية صريحة في مشروعية حل الأجرة، ومن أبرز الأدلة: قوله ﷺ: «إن أحق ما أخذتم

(١) انظر: مناهل العرفان (١ / ٢٠٤)، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد (٤ / ٩٥)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الكبير».

(٣) انظر: بداية المجتهد (٢ / ١٦٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي: المدونة الكبرى (١ / ٦٢)، دار صادر، بيروت.

(٥) انظر: فتح الباري (٩ / ٢١٣)، شرح الزرقاني (٣ / ١٦٩)، مرجعان سابقان.

(٦) البخاري (٢ / ٧٩٥)، مرجع سابق.

عليه أجراً كتاب الله^(١)، وهذا نص عام، وبقوله ﷺ: «من أصاب برقية باطل فقد أصبت برقية حق كل وأطعم أصحابك»^(٢).

❖ وفصل بعض أهل العلم بالنظر إلى الواقع الحقيقي للمسلمين، فنظر إلى أن المسلمين يشغلون عن ذلك بمعاتشهم، وليس فيهم من يقوم به ويكفي الأمة ثغرتة، فقال: «أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالات: فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به حل له أخذ الأجرة عليه لأن فرض ذلك لا يتعين عليه، وإذا كان في حال أو في موضع لا يقوم به غيره لم تحل له الأجرة وعلى هذا يؤول اختلاف الأخبار فيه»^(٣).

وصفة الكلام هنا أن علة الاختلاف هي إلزامية تعليم القرآن، وأن القائلين بالإباحة يجردون الأجرة تعين على التفرغ، وهي أجرة على حق في مقابل من يأكله على باطل، وإن كانت الكمية الملزمة تختلف من فرض العين إلى فرض الكفاية- حتى كان من أجوبة من أباح الأجرة على أدلة من منعها: «أن تكون الآية- أي ﴿وَلَا تَسْتَوُوا بِآبَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]- فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذه عليه أجراً فأمّا إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة»^(٤) ومن ثم فيجب على الإمام أن يعين المقرئين لإقامة الدين من بيت المال، وإلا فعلى المسلمين لأن الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثياباً وخرج إلى السوق فقيل له في ذلك فقال: ومن أين أنفق على عيالي؟ فردوه وفرضوا له كفايته^(٥).

(١) البخاري (٥/ ٢١٦٦)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان (١٣/ ٤٧٤)، الحاكم (١/ ٧٤٧)، والحديث في مجمع الزوائد (١/ ٩٥)، مرجع سابق، وتفصيل

الموضوع في الأصل.

(٣) انظر: عون المعبود (٩/ ٢٠٤)، مرجع سابق.

(٤) القرطبي (١/ ٣٣٦)، مرجع سابق.

(٥) القرطبي (١/ ٣٣٦)، مرجع سابق.

ورجح ابن تيمية أن الأجرة تباح «للمحتاج، ولهذا اتفق العلماء على أنه يرزق الحاكم وأمثاله عند الحاجة وتنازعوا في الرزق عند عدم الحاجة وأصل ذلك في كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى في ولي اليتيم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]»^(١).

والحاجة- فيما يظهر- ليس للشخص الذي لا بد من تفرغه، بل لسد ثغرة الدين الأعظم من كل الثغور، وهي تعليم أصل أصول الإسلام والمسلمين، وجعله عاماً شائعاً في حياة المسلمين... والتفرغ في الغالب مطلوب لذلك لجسامة المهمة التي يقوم بها معلم القرآن، وضرورة تفرغه في الغالب لتبعاتها...

ولذلك فجواز الأجرة لمعلم القرآن كالإجماع، بل ذهب بعض المتأخرين إلى وجوبها، حتى أن فتوى الحنفية «اليوم على جواز الاستئجار لتعليم القرآن... استحسنا ذلك وقالوا: بنى أصحابنا المتقدمون الجواب على ما شاهدوا من قلة الحفاظ، ورغبة الناس فيهم، ولأن الحفاظ والمعلمين كان لهم عطايا في بيت المال، وافتقادات من المتعلمين في مجازات التعليم من غير شرط وهذا الزمان قل ذلك، واشتغل الحفاظ بمعائشهم، فلو لم يفتح لهم باب التعليم بالأجر لذهب القرآن فأفتوا بالجواز، والأحكام تختلف باختلاف الزمان وكان محمد بن الفضل يفتي بأن الأجرة تجب ويحبس عليها»^(٢).

وينبغي التنبيه إلى أن هذا الخلاف إنما هو في أخذ الأجرة من المتعلم لا إذا كانت الأجرة من بيت مال المسلمين كما هو واضح من كلام أهل العلم فيما تقدم، والكلام المتقدم لأهل العلم يدل صريحاً على أن ذلك من مسؤوليات الدولة المباشرة... ولذا تنبغي المناداة بقيام وزارات لرعاية شؤون القرآن الكريم تكون

(١) ابن تيمية (٣٠ / ١٩٣)، مرجع سابق.

(٢) البحر الرائق (٨ / ٢٢)، مرجع سابق، وانظر: تحفة الأحوذى (٦ / ١٩١)، مرجع سابق.

رديفة لوزارات التعليم والتوجيه والمعارف، وتستقل للأهمية البالغة.. وليست الرياضة بأحق في منحها وزارة مستقلة.

على أن الباحث يختم هذه المسألة بضرورة التذكير بالإخلاص وابتغاء وجه الله عزّ وجلّ والتعفف عن أجر القرآن ما دام المرء في غنى عنه قدر الإمكان فذلك أدعى أن يبسط للمرء باب القبول في الدنيا والآخرة، وقد قال الحسن البصري: «قرأ القرآن ثلاثة: رجل أخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم قرؤوا القرآن وحافظوا حروفه وضيعوا حدوده، واستنزلوا به الولاية، واستطالوا به على أهل بلادهم، فقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله، ورجل قرأ القرآن فتداوى بدواء القرآن فوضعه على داء قلبه فسهر ليله، وعملت عيناه، تسربلوا الحزن، وارتدوا بالخشوع»^(١).

المطلب الخامس: التدرج في التعليم

نقف عند تأمل ما ورد في هذا الباب أمام جهاز تربوي عظيم له أساليبه المتعددة في التوجيه والتحضيض، والنشر والإعلام...

ومن مظاهر هذا التدرج:

١- نزول القرآن الكريم منجماً في ذاته على الرغم من أنه قد أنزل إلى بيت العزة من السماء الدنيا جملة: وفي هذا أعظم البيان على إرادة الله سبحانه وتعالى ثم رسوله المبلغ ﷺ أن يتدرج الصحابة رضي الله عنهم في حفظه ويستوعبوه بأيسر طريق، ولا يعترض على هذا بأن المراد بالتنجيم هنا نزوله على الحوادث، لعدم التنافي بين الأمرين من جهة، على أنه ليس كل ما في القرآن نزل بسبب أو مجادثة.

(١) (البيهقي) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ: شعب الإيمان (٢/ ٥٣١)، تحقيق: محمد السعيد بسبوني زغلول دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ.

٢- كان النبي ﷺ يقرئهم قليلاً قليلاً: ف «كان يعلمهم خمساً خمساً، وعشراً عشراً»^(١)، ويتلقونها كذلك... وهذا مقتضى تربوي ومنهجي من مقتضيات نزول القرآن منجماً.

٣- كان ﷺ يحثهم على حفظ عدد معين من الآيات كعشر، ويتدرج في الحث والإلزامية لذلك على نحوين:

الأول: إخراج القارئ أو الحافظ القارئ لهذا القدر من حيز الغفلة كما في قوله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»^(٢).

الثاني: بيان الربح الحسي العظيم عند حفظ هذا القدر: فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله! اشتريت مقسم بني فلان في تحت فيه كذا وكذا قال: «أفلا أنبتك بما هو أكثر منه ربحاً» قال: وهل يوجد؟ قال: «رجل تعلم عشر آيات» فذهب الرجل فتعلم عشر آيات، فأتى النبي ﷺ فأخبره^(٣)، ومثل هذا الربح ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربعاً من أولها وأية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث خواتيمها أولها لله ما في السماوات»^(٤). ويمثل البيان للفضل نوعاً من التدرج ليحفظ المخاطب أكثر بغية الحصول على فضل أكثر أو فضل معين متميز.

(١) شعب الإيمان (٢ / ٣٣١)، ابن أبي شيبة (٦ / ١١٧) مرجعان سابقان.

(٢) الحاكم (١ / ٧٤٢)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٣) الحاكم (١ / ٧٤٣)، مرجع سابق، ورواه الضياء في المختارة (٨ / ٢٧٨).

(٤) الدارمي (٢ / ٥٤١)، مرجع سابق.

٤- التعلم الجزئي والجمالي:

وكان النبي ﷺ يحثهم على التعلم جلياً للقرآن كله تشويقاً وتهيجاً، ثم يعود ﷺ فيحثهم جزئياً ليتدرج بهم، ويقدم في خلدتهم إمكانية فعل بعضها على الأقل... فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»^(١).

أ نموذج تطبيقي:

ولأن التدرج في الإقراء كان فعله ﷺ فقد كانت طريقته التعليمية الإرشادية هي التي تستفز الصحابة رضي الله عنهم للحفظ والإتقان على هيئة متدرجة، ولذا فسأخذ نموذجاً تستبين فيه الطريقة العلمية التي كان يسلكها النبي ﷺ للإلزام أصحابه بحفظ القرآن واستظهاره دون إلزام! مباشر، فقد روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال»^(٢)، دون تحديد لمكان العشر وهو تخصيص على حفظ أي عشر منها، وروى النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: «من رآه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف»^(٣) دون تحديد لكمية هذه الفواتح، وحددت الفواتح بعشر فيما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من

(١) مسلم (١/ ٥٥٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان (٣/ ٦٥)، مرجع سابق، انظر: (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ: فضائل القرآن ص ٩٥، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢ م.

(٣) مسلم (٤/ ٢٢٥٢)، الحاكم (٤/ ٥٣٨)، الترمذي (٤/ ٥١٠)، أبو داود (٤/ ١١٧)، النسائي في الكبرى

(٥/ ١٥)، ابن ماجه (٢/ ١٣٥٦)، مراجع سابقة.

«الدرجال» وفي لفظ عنده: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف»، ورواية «العشر الأخيرة» تدرج آخر وحث فبقيت كل أجزاء السورة محفوظة بين الغالب الأعم من المسلمين، وإنما نوع الكمية التي تحفظ ومكانها من السورة بغية الوصول بالمسلمين إلى حفظها كلها، أو إلى أن يحفظها معظم المسلمين ولو بالتوزيع بينهم، فقد يفضل البعض أولها، وقد يختار بعضهم آخرها، وقد يختار البعض ما بين ذلك، والعادة جارية بذلك كله... هذا إن لم يرق الواحد منهم بحفظها مع أن التحضيض على ذلك شديد، وبذا جمع السيوطي بين الروايات المختلفة فقال: «و على هذا يجتمع رواية من روى أول سورة الكهف مع من روى من آخرها ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها»^(١)، وهذا أرجح وأملح من جعل بعض الروايات شاذة بالميزان الحديثي لأول وهلة؛ إذ الترجيح فرع التعارض، ولا تعارض مع الجمع.

وفي حال عدم الحفظ لهذه السورة - وهذا نادر مع هذا الحض الشديد والتهيج البالغ لحفظها - فقد حث النبي ﷺ على قراءتها ولو نظراً فيما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»^(٢) وفي لفظ: «أضاء له النور ما بين الجمعتين»^(٣).

وحفنا الله عز وجل بتنوع الأجر فيها زيادة في التحضيض على حفظها والتدرج على حفظها، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن

(١) نقله عنه صاحب عون المعبود (١١ / ٣٠٤)، وصاحب تحفة الأحوذى (٨ / ١٥٧)، مرجعان سابقان.

(٢) الدارمي (٢ / ٥٤٦)، مرجع سابق، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٧١، مرجع سابق.

(٣) الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٧٠، مرجع سابق.

قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض إلى السماء»^(١)، على أنه - مع ذلك - أمر بإتقانها إتقاناً بيناً من حيث الأداء فيما رواه أبو سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه»^(٢).

وهو هنا حث على حفظ الأصل اللفظي وقراءته كما حث على إتقان أداء اللفظ بأسلوب تعليمي متدرج كاد يشبه الإلزام التكليفي والفعلي ويظهر أنه فاق ذلك، ولكن بأسلوب فريد كم هو بحاجة إلى تأمل وإعجاب.

وليس المراد من الحديث مجرد القراءة والحث بفضل مزيف... حاشا رسول الله ﷺ من ذلك، وقد أنكر ذلك العلماء فقد قال الغزالي: «و أما قوله عليه السلام قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن فما أراك أن تفهم وجه ذلك فتارة تقول هذا ذكره للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير وحاشا منصب النبوة عن ذلك»^(٣)، بل هذا الذي ذكرها هنا من إرادة الحفظ إنما دلت عليه دلالة التنبيه، وهي فوق دلالة الإشارة^(٤).

(١) الطبراني في الكبير ٢٠ / ١٩٧، مرجع سابق.

(٢) النسائي في الكبرى (٦ / ٢٣٦)، مرجع سابق.

(٣) (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ: جواهر القرآن ص ٧٧، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القبانى، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.

(٤) انظر في دلالة التنبيه (الأمدي) علي بن محمد الأمدي أبو الحسن ت ٦٣١ هـ: الإحكام في أصول الأحكام

(٣ / ٧١)، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

المبحث الثالث:

وسائل النشر التعليمية لألفاظ القرآن الكريم
في عموم المجتمع المسلم كما قام بها النبي ﷺ

تقدم في الفصل الأول أن النبي ﷺ قام بوظيفته على أوسع نطاق جغرافي وتاريخي، وظهر هناك ما قام به النبي ﷺ لذلك، ويذكر هنا الوسائل التعميمية للقرآن الكريم، كما جعلت هذه الوسائل نشر القرآن مسألة ضرورية ذاتية لكون المسلمين مسلمين إجمالاً، ولكون المجتمع المسلم مجتمعاً مسلماً، فلا يكتفي المسلم بمجرد مصحف معلق في بيته - مع حسن ذلك -، ولأن هذه الوسائل تنقسم إلى وسائل عامة، ووسائل خاصة أكثر ظهوراً في النشر، فإن البحث ينقسم إلى:

المطلب الأول: وسائل النشر العامة.

المطلب الثاني: (الصلاة) وسيلة لنشر القرآن وتعليمه.

المطلب الثالث: منح قراء القرآن الصدارة في الألقاب العلمية وقيادة الناس.

المطلب الرابع: تعليمهم تسمية السور وألقابها.

المطلب الأول: وسائل النشر العامة

وهي تمثل عمل جهاز تعميمي للثقافة القرآنية خارج نطاق الحيز المكاني للجامعة القرآنية: وتنقسم إلى وسائل تطبيقية فيه شيء من شبه الإلزام، وإلى وسائل إغرائية دعائية ولكن بالحق، والصدق، وليس بمجرد الإغراء والدعاية:

أولاً: وسائل تطبيقية شبه إلزامية وهي وسائل النشر العامة:

١- التعليم العام للقرآن الكريم: فقد أقرأ ﷺ مبلغ جهده، وخصص مقرئين للآفاق...

٢- ربط الحياة اليومية للمسلمين بآيات القرآن الكريم: فالمسلم يستيقظ فيقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران، ثم يقرأ آية الكرسي والمعوذات في مواضعها من يومه، ويختم ليلته بقراءة لسور الإسراء والزمزم أو الملك أو أواخر البقرة على الأقل، ولا بد أن يقرأ عشر آيات في اليوم حتى لا يكون من الغافلين.

٣- أمر النبي ﷺ لهم بكتابة القرآن والتشديد في ذلك حتى منع من كتابة غيره معه في أول الأمر: كما قال لهم ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

٤- ربط الحرز اليومي، أو سد التقصير بالقرآن الكريم: فقد جاء عن عبد الرحمن بن يزيد قال: لقيت أبا مسعود عند البيت فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة؟ فقال: نعم! قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»^(٢) والمعنى: «أغنته عن قيام الليل وقيل أراد أنهما أقل ما يجزئ من القراءة في قيام الليل، وقيل تكفيان الشرّ وتقيان من المكروه»^(٣)، وكالمعوذات، والتحرز من الشيطان بآية الكرسي...

٥- الأمر بتعلمه وجعله أول مادة دراسية في إطار منهج بناء الأمة: كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «هذا القرآن مادبة الله فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل فإن أصغر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان

(١) مسلم (٤/ ٢٢٩٨)، ابن حبان (١/ ٢٦٥)، الحاكم (١/ ٢١٦)، أحمد (٣/ ١٢)، مراجع سابقة.

(٢) البخاري (٤/ ١١٧٤) مسلم (١/ ٥٥٤)، مرجعان سابقان.

(٣) النهاية (٤/ ١٩٣)، مرجع سابق.

يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة»^(١) وظاهر أن الحديث له حكم الرفع فقوله: «فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل» ظاهر فيه الإلزام للتعلم، وتقدمت في الفصل الأول الأدلة الآمرة بالتعلم... ومع هذه الأدلة التي تعم الراعي والرعية فإن نفي الاستطاعة غير موجود في مؤسسات المجتمعات الإسلامية ويأمل المرء أن يجد مناهج كليات الطب والهندسة، والحاسوب... ونحوها من الكليات الفنية غير خلية من هذه المادة العامة الأساسية، مع أنه يوجد المتفوقون والناهبون في الغالب، وقد تقرر عليهم محفوظات كثيرة، ولا يقرر عليهم حفظ شيء من القرآن مفسراً تفسيراً ميسراً^(٢)، بالإضافة إلى الربط الإسلامي التربوي للمناهج المأخوذة في مثل هذه الكليات بالقرآن الكريم والمعتقدات الإسلامية، ولو بإشارات خفيفة قياماً بالتذكير، ودرءاً للغفلة.

٦- وكان ﷺ يعلمهم سماع القرآن إذا لم يريدوا تلاوته مباشرة لعارض كسل، أو لإرادة تدبر، أو غيره: كما سمع ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه، ولذا بوب البخاري باب «من أحب أن يسمع القرآن من غيره»^(٣).

٧- صبغ الأجواء ومختلف الأمكنة بالقرآن: فيحثهم على قراءة القرآن في البيت، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره»^(٤)، ومن هذا الباب قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] والقرآن أعظم الذكر، ومن هذا الباب حديث عبد الله بن المغفل في قراءة النبي ﷺ

(١) الدارمي (٢ / ٥٢١)، عبد الرزاق (٣ / ٣٦٨)، المعجم الكبير (٩ / ١٢٩) مراجع سابقة.

(٢) انظر: أحمد علي الإمام (دكتور): مفاتيح فهم القرآن: تفسير لغريه، وتأويل لمشكله، دار المنى، دمشق، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م كمقترح لهذا التفسير الميسر، أو يعتمد تفسير الجلالين.

(٣) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، مرجع سابق.

(٤) رواه الدارقطني في الأفراد. انظر: مجمع الزوائد (٧ / ١٧١).

القرآن على دابته... ليصير الجو مصبوغاً بصبغة الله جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ويبلغ التفاعل مع القرآن وصبغ الأجواء به حداً أن يصبغ الرسول ﷺ بصبغة القرآن: فقد قال رسول الله ﷺ: «شيتني هود وأخواتها سورة الواقعة وسورة القيامة والمرسلات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت قال وأحسبه ذكر سورة هود»^(١).

٨- ترديد القرآن في مواضع حياتهم اليومية: "قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] عند النوم، ومثلها آية الكرسي وأواخر سورة البقرة: فعن جبلة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت علمني شيئاً ينفعني، قال: «إذا أخذت مضجعتك فاقرا قل يا أيها الكافرون حتى تحتمها فإنها براءة من الشرك»^(٢)، وتكثر الآيات التي تردد عقب الصلوات وقبل النوم وبعد الاستيقاظ منه...

٩- الأمر بقراءة أقل قدر مستطاع من القرآن الكريم خارج الفاتحة: ففي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! أقرئي القرآن. قال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر» قال الرجل: كبر سني، وثقل لساني، وغلظ قلبي. قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ثلاثاً من ذوات حم» فقال الرجل مثل ذلك ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه رسول الله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] حتى بلغ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أبالي الأزيد عليها حتىلقى الله، ولكن أخبرني بما علي من العمل أعمل ما أطق العمل. قال: الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وحج البيت، وأد زكاة مالك، ومر بالمعروف

(١) الحاكم (٢/ ٣٧٤)، الترمذي (٥/ ٤٠٢)، سعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٧٠)، مرجع سابق.

(٢) النسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٠)، مرجع سابق.

وانه عن المنكر^(١). ومراد الرجل أن يحفظ فلينظر كيف أمره النبي ﷺ يحفظ هذه السور الطوال؟ ولذا فإن معنى قوله: «و غلظ قلبي» أي غلب عليه قلة الحفظ وكثرة النسيان و«ثقل لساني» أي ثقل بحيث لم يطاوعني في تعلم القرآن ولا تعلم السور الطوال^(٢).

١٠ - قيام كتبة الوحي بتبليغ النازل من القرآن الكريم: فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سرى عنه فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، حتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً فإذا فرغت قال: «اقرأ» فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس^(٣).

١١ - ومثله إقامة النواب عنه ﷺ في الإقراء: فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن...»^(٤).

١٢ - جعله خير ما يتقرب به المتقربون: فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما وما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه يعني القرآن»^(٥).

(١) ابن حبان (٣ / ٥٠)، أبو داود (٢ / ٥٧)، النسائي في الكبرى (٥ / ١٦)، والصغرى (٢ / ١٥٨)، أحمد (٤ / ١٤٩)، مراجع سابقة.

(٢) انظر: عون المعبود (٤ / ١٩٢)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الأوسط (٢ / ٢٥٧)، والكبير (٥ / ١٤٢)، مرجعان سابقان.

(٤) المختارة (٨ / ٢٦٧)، أحمد (٥ / ٣٢٤)، مرجعان سابقان.

(٥) الترمذي (٥ / ١٧٦)، أحمد (٥ / ٢٦٨)، مرجعان سابقان.

١٣- التفضيل لبعض السور من باب التحضيض التنويعي على قراءتهن: مما يجعل النفس تتشوف إلى حفظها أو تلاوتها... ولتأخذ سورة البقرة نموذجاً لأنها أطول السبع الطوال: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة»^(١).

١٤- الترهيب من عدم القراءة: وفيه تعميم للقراءة فهي قراءة عامة تتوجه لكل الأمة: كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي تقدم قبل قليل في رقم [٥] من هذه الفقرة.

ثانياً: وسائل إغرائية دعائية ولكن بالحق، والصدق، وليس بمجرد الإغراء والدعاية الباطلة:

فتلحظ من طريقة القرآن وأسلوب النبي ﷺ في نشر القرآن وتعميم تعليمه منهجاً تشويقياً إغرائياً يؤدي إلى تعظيم القرآن وتبجيله، وتعلمه - من بعد - ليصبغ جو المسلمين بالثقافة القرآنية، وتمثل ذلك في عدة مظاهر:

❖ كثرة الأسماء المعنوية، والصفات المختلفة للقرآن: فإن ذلك يجذب المرء إليه، ويجعله شديد التعظيم له، على أن مقاصد القرآن الكريم مختصرة في أسمائه، وهو إعجاز من نوع آخر... فمن أسمائه المذكورة في ثناياه: التنزيل، والذكر، والزبور، والسبع المثاني، والصحف، والفرقان، والكتاب، والنور، والبشرى، والبصيرة، والبلاغ، والحق، والحكيم، والذكرى، والرحمة، والشفاء، والعربي، والعزيز، والعظيم، والعلي، والكريم، والمبارك، والمبين، والمجيد...

❖ نسبة التعليم فيه إلى الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١ - ٢]، وهذا شبيه بنسبة فضل الصوم إليه في قوله جل جلاله

(١) مسلم (١/ ٥٣٩)، وانظر ما جمعه الغافقي في لمحات الأنوار ابتداء من الحديث رقم ٧٢٦ حول فضلها، وكيف تنوع أسلوب بيان الفضل عند النبي ﷺ.

«الصوم لي وأنا أجزي به»، ولكن هذا ورد في الحديث والأول في القرآن، وفي ذلك إغراء شديد بتعلم ألفاظ القرآن الكريم.

❖ الأمر بتلاوته وتفصيل آدابها في القرآن الكريم ذاته، وهو أمر لافت... أن يختزل ذكر بعض الأحكام الفقهية اليومية كالوضوء والصلاة، فتذكر إجمالاً في القرآن الكريم، ويذكر الأمر بالتلاوة وتفصل آدابها وفضائلها.

❖ إخبار الله ونبيه ﷺ عن الأجور العظيمة التي يهبها الله لمن يتقن القرآن أو بعضاً منه مما يجعل المرء يقدس القرآن أعظم التقديس فمن ذلك فعن بريدة رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «تعلموا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان عم كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ حدرأ كان أو ترتيلاً»^(١)، وكان التابعون من تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم يذكرون هذا الحديث بأسلوبهم، فعن وهب الدماري قال: من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام - قال سعيد السفرة الملائكة والأحكام الأنبياء - قال: ومن كان حريصاً وهو يتفلى منه وهو لا يدعه أوتي أجره

(١) الدارمي (٢/ ٥٤٣)، أحمد (٥/ ٣٤٨)، مرجعان سابقان.

مرتين، ومن كان عليه حريصاً وهو يتفَلَّت منه ومات على الطاعة فهو من أشرفهم، وفضَّلوا على النَّاس كما فضَّلَت النَّسور على سائر الطَّير، وكما فضَّلَت مرجة خضراء على ما حولها من البقاع فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الذين كانوا يتلون كتابي لم يلهمهم أتباع الأنعام فيعطى الخلد والتَّعيم فإن كان أبواه ماتا على الطاعة جعل على رؤوسهما تاج الملك فيقولان: ربَّنَا ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول بلى إنَّ ابنكما كان يتلو كتابي، ومن ذلك ما جاء عن كعب قال: عليكم بالقرآن فإنَّه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهداً وقال في التَّوراة: يا محمَّد إني منزَّل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعيناً عمياً وآذاناً صمماً وقلوباً غلفاً^(١).

❖ التشويق بالتشبيه بالمحسوسات: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كمثل ريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الذي يعمل بالقرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الذي يعمل بالقرآن ويقرؤه كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل الذي لا يقرأ القرآن ولا يعمل كمثل الحنظلة طعمها خبيث وريحها خبيث»^(٢).

المطلب الثاني: الصلاة وسيلة لنشر القرآن وتعليمه

ربط العبادات الإسلامية بالقرآن الكريم:

ربطت العبادات الإسلامية بالقرآن الكريم سماعاً وإسماعاً، وقراءة وإقراء...

سواء كانت هذه العبادات:

(١) الدارمي (٢/ ٥٢٥)، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩)، مرجع سابق، وقال: «روى ابن ماجه منه طرفاً رواه أحمد ورجاله رجال

الصحيح».

❖ يومية (كالصلاة)، أو قراءة آيات أو سور عند النوم، أو عند الاستيقاظ منه فقد ثبت عنه ﷺ كان يقرأ في كل ليلة سورة بني إسرائيل والزمير^(١)، وفعله للاقتداء كما سبق.

❖ أم كانت أسبوعية كيوم الجمعة كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٢)، ومن ذلك قراءته التعليمية على المنبر في خطبة الجمعة حيث يجتمع أكبر قدر من المسلمين، حيث قد ثبتت هذه الناحية التعليمية لألفاظ القرآن في خطبة الجمعة بصفة عامة كما في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كانت له ﷺ خطبتان يجلس بينهما: يقرأ القرآن ويذكر الناس^(٣)، ومن أمثلة أثر هذا النوع من تعليم القرآن ما جاء عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد مكثنا سنة أو سنتين كان تتورنا وتتور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق والقرآن المجيد إلا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرأ بها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس وفي لفظ: كان يعلم الناس يقرأها كل جمعة على المنبر^(٤).

❖ أم كانت العبادات سنوية كما في رمضان وهو شهر القرآن حيث ينفر الناس خفافاً وثقلاً لتدارس القرآن وأقل المسلمين في الغالب الأعم من يختم مرة على الأقل.

❖ أم كانت عمرية (الحج).

(١) الخاكم (٢ / ٤٧٢)، النسائي في السنن الكبرى (٦ / ٤٤٤)، الترمذي (٥ / ٤٧٥)، مراجع سابقة.

(٢) الخاكم (٢ / ٣٩٩)، النسائي (١ / ٣٧٢)، مرجعان سابقان.

(٣) مسلم (٢ / ٥٨٩).

(٤) مسلم (٢ / ٥٩٥).

❖ وهذا الربط بالقرآن الكريم إما فهماً وإما قراءة في معظم تفاصيل وجزيئات تلك العبادة... وبذا لا يستطيع مسلم داخل في هذا المسمى (الإسلام) إلا أن يتعلم الواجب العيني من القرآن الكريم، وهذه نقطة جديرة بالنظر...

الصلاة:

وإنما أفردناها بالذكر لأثرها البالغ فهي عبادة تؤدي خمس مرات يومياً، منها ست ركعات جهرية- على الأقل-، ولنذكر بشيء من التفصيل ربط الصلاة بالقرآن الكريم، والأثر التعليمي لذلك على مستوى ألفاظ القرآن الكريم عظيم؛ إذ أضحت هذه المفروضات اليومية وسيلة لنشر القرآن الكريم تحفيظاً وإقراءً، وصارت الصلاة بذلك مدار قراءته وتلقينه للآيات «قارن هذه النقطة فقط بما عند أهل الكتابين فضلاً عن غيرهم في حفظ كتاب الله عزّ وجلّ، أو جعله عاماً»:

فقد كان ﷺ يقرأ معظم القرآن موزعاً على ركعات الفريضة اليومية:

وذلك إن لم يكن يقرؤه كله، ويدل على هذا ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما من سورة من المفصل صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقرأها كلها في الصلاة^(١)، وكان ﷺ يعدد الآي في الصلاة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يعدد الآي في الصلاة^(٢)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يهتمون القرآن في الصلاة، ولا يفعلون ذلك إلا عن اقتداء فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقرؤون القرآن من أوله إلى آخره في الفرائض^(٣)، وعن أبي العالية: قال أخبرني من سمع

(١) الطبراني في الكبير (١٢ / ٣٦٥)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٢ / ١١٤)، مرجع سابق.

(٢) الحديث عزاه في مجمع الزوائد (٢ / ١١٤) إلى الطبراني، مرجع سابق، وانظر: البيهقي في الكبرى (٢ / ٢٥٣)، أبو داود (٢ / ٢٥٣)، مرجعان سابقان فقد بوبا لعد الآي في الصلاة.

(٣) الطبراني في الأوسط ٨ / ١٢٣، مرجع سابق.

رسول الله ﷺ يقول: «لكل سورة حظها من الركوع والسجود»^(١)، وعن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الغداة من الستين إلى المائة^(٢) وفي هذا دلالة واضحة على متابعتهم الدقيقة له، حتى كانوا يعدون الآيات؛ إذ لم تكن عدد الآيات قد دونت بالصورة السهلة الموجودة في عهدنا، ثم استمر العلماء على استحباب ذلك القدر في الصلاة^(٣)، وعن ابن عباس قال: إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ «وَأَلْمَسْتَنِيَّ عَرَفًا» [المرسلات: ١] فقالت: يا بني! لقد ذكرتني بقرائك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب^(٤)، وروى ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ كان يقرأ في الركعة الأولى من الفجر بـ «ألم تنزل السجدة»، وفي الأخرى بـ «هل أتى على الإنسان»^(٥)، بل كان ذلك واضحاً حتى قبل الصدع بالدعوة، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون «فبأي آلاء ربكما تكذبان»^(٦).

❖ وكان ﷺ يقرأ بالطوال كثيراً، ويكمل السورة غالباً، فعن زيد بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما أنه ﷺ كان يقرأ في الركعتين من المغرب

(١) أحمد (٥٩ / ٥)، مجمع الزوائد (٢ / ١١٤)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) البخاري (١ / ٢٠٢)، مسلم (١ / ٣٣٨)، مرجعان سابقان.

(٣) انظر مثلاً: علاء الدين الكاساني ت ٥٨٧ هـ: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١ / ٢٠٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢.

(٤) مسلم (١ / ٣٣٨)، مرجع سابق، (الشافعي) محمد بن إدريس أبو عبد الله ت ٢٠٤ هـ: مسند الشافعي ص ٢١٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) البخاري (١ / ٣٠٣)، مسلم (٢ / ٥٩٩)، الحاكم (٢ / ٥٥٤)، أبو داود (١ / ٢٨٢)، ابن ماجه (١ / ٢٦٩)، مراجع سابقة.

(٦) مجمع الزوائد (٢ / ١١٥)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام».

بسورة الأنفال^(١)، وقد يقرأ بغيرها لعارض كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يسمع بكاء الصبي وهو في الصلاة مع أمه فيقرأ بالسورة الخفيفة أو السورة القصيرة^(٢).

وتسلسلت هذه المنهجية فقد ورد أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في الفجر سورة البقرة فلما فرغ قال له عمر: كادت الشمس تطلع يا خليفة رسول الله؟ فقال رضي الله عنه: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(٣)، وعن نافع قال: ربما أمنا ابن عمر رحمه الله بالسورتين والثلاث في الفريضة^(٤).

❖ ووصل الاعتناء بنشر القرآن الكريم أنه ﷺ كان يسمعهم الآيات في الصلاة السرية أحياناً، وضبطوا السور التي كان يقرأها في الصلاة السرية، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأولىين بفاتحة الكتاب وسورة في كل ركعة، وكان يسمعنا أحياناً الآية وكان يطيل في الأولى ما لا يطيل في الثانية، وكان يقرأ في الركعتين الأخيرين بفاتحة الكتاب في كل ركعة. قيل: وكذلك في صلاة العصر؟ قال: وكذلك في صلاة العصر^(٥)، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف فرقها في الركعتين^(٦)، وعن أنس رضي الله عنه أم أهل بيته فصلّى بنا الظهر والعصر فقراء همساً فقراً بالمرسلات والنازعات وعم يستاءلون ونحوها من السور^(٧)، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان

(١) مجمع الزوائد (٢/ ١١٨)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أبو عوانة في مسنده (١/ ٤٢٢)، مرجع سابق.

(٣) ابن أبي شيبة (١/ ٣١٠)، مرجع سابق، عبد الرزاق (٢/ ١١٣)، مرجع سابق.

(٤) مجمع الزوائد (٢/ ١١٤)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٥) البخاري (١/ ٢٧٠)، مسلم (١/ ٣٣٣)، المتقى (١/ ٥٦)، أبو عوانة في مسنده (١/ ٤٧٤)، مراجع سابقة.

(٦) سنن النسائي الكبرى (١/ ٣٤٠).

(٧) الطبراني في الأوسط (٣/ ١٤٧)، وهو في مجمع الزوائد (٢/ ١١٦)، مرجعان سابقان.

يقرأ في الظهر والعصر سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية^(١)،
وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى بهم الهاجرة فرفع صوته، فقرأ
﴿وَالشَّمْسُ وَنُجُجَهَا﴾ [الشمس: ١] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَى﴾ [الليل: ١] فقال له أبي بن كعب:
يا رسول الله أمرت في هذه الصلاة بشيء؟ قال: «لا! ولكني أردت أن أوقت
لكم»^(٢).

❖ كان ﷺ يسمعهم قراءته في الغالب في نوافل الليل خاصة فعن أنس رضي
الله عنه قال: كان النبي ﷺ يوتر بتسع ركعات، فلما أسن وثقل أوتر بسبع،
وصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهن بالرحمن والواقعة قال أنس: ونحن نقرأ
بالسور القصار ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾
[الكافرون: ١] ونحوهما^(٣).

ومثل ذلك كان فعل الصحابة، فتسلسلت المنهجية بذلك عن عبد الرحمن بن
يزيد قال: صلى ابن مسعود العشاء الآخرة فاستفتح بسورة الأنفال حتى بلغ ﴿نَعَمَ
الْمَوْلَىٰ وَنَعَمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠] ركع، ثم قرأ في الركعة الثانية بسورتين من
المفصل وفي رواية بسورة من المفصل^(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت
المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر ورجل من بني غفار يؤم الناس فقرأ في الركعة الأولى
بسورة مريم، وفي الثانية ويل للمطففين أحسبه قال في صلاة الفجر^(٥).

(١) مجمع الزوائد (٢/ ١١٦)، مرجع سابق، وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني في الأوسط».

(٢) الطبراني في الأوسط (٩/ ١٠٦)، والحديث في مجمع الزوائد (٢/ ١١٦)، مرجعان سابقان.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/ ١٤٣)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (١/ ٢٦٨) معلقاً، ووصله الطبراني في الكبير (٩/ ٢٦٣).

(٥) شرح معاني الآثار (١/ ١٨٣).

- ❖ ووضع ابن عباس قاعدة عامة لحفظ السور من في النبي ﷺ في الصلاة، فعن كريب قال: سألت ابن عباس عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل فقال: كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يتعلمها لفعل^(١).
- ❖ بل كانت القراءة في الصلاة وسيلة بلاغ وإنذار فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي^(٢).
- ❖ وربط الاجتهاد في النوافل بالقرآن الكريم: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»^(٣)، والمقنطرين أي من المالكين مالاً كثيراً والمراد كثرة الأجر^(٤).

المطلب الثالث: منح قراءة القرآن الصدارة في الألقاب العلمية وقيادة

الناس

وتمثل ذلك في التالي:

أولاً: جعل حملة القرآن ممن يتلوه حق تلاوته هم المقدمون في إمامة الناس الدينية والدنيوية:

فأما الدينية فيكاد يكون هذا من المعلوم من الدين بالضرورة، لذا بوب ابن خزيمة: «باب استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن وإن كان غيره أسن منه

(١) شعب الإيمان (٢ / ٣٨٣)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤ / ١٤٧٥)، مسلم (١ / ٣٣٨)، مرجعان سابقان.

(٣) أبو داود (٢ / ٥٧)، ابن خزيمة (٢ / ١٨١)، مرجعان سابقان.

(٤) انظر: عون المعبود (٤ / ١٧٢)، مرجع سابق.

وأشرف»^(١)، ثم ذكر حديث أبي مسعود «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»^(٢) الحديث، ورواه الحاكم في مستدركه ولكن عوض قوله فأعلمهم بالسنة «فأفقههم فقهاً فإن كانوا في الفقه سواء فأكبرهم سنأ»، وقول بعضهم: إن الأقرأ زمن النبي ﷺ كان الأعلم صحيح، لكن قد ورد تخصيص القراءة من حيث هي قراءة، ولفظه: «يؤم القوم أكثرهم قرآناً، فإن كانوا في القرآن واحداً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة واحداً فأفقههم فقهاً، فإن كانوا في الفقه واحداً فأكبرهم سنأ»^(٣).

- ❖ وعلى هذا: فلا يقدم أي معيار آخر إلا مع التماثل في القراءة، فعن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال أتيت النبي ﷺ أنا وصاحب لي، فلما أردنا الإقفال قال لنا: «إذا حضرت الصلاة فأذنا ثم أقيما ثم ليؤمكما أكبركما»، فقيل لأبي قلابة: فأين القراءة؟ قال: كانا متقاربين^(٤).
- ❖ وأما ما جاء عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل: تعلم القرآن. فقلت: إذا حفظته فما يكون آخره؟ قالوا: تجلس في المسجد فيقرأ عليك الأحداث، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك... فحكاية هشة لا يستسيغها اللسان لمكان أبي حنيفة، وقد قال الذهبي تعليقاً عليها: «قلت: من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»، يا سبحان

(١) ابن خزيمة (٣/ ٥)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١/ ٤٦٥).

(٣) الحاكم (١/ ٣٧٠)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (١/ ٤٦٦)، ابن خزيمة (١/ ٢٠٦)، أبو داود (١/ ١٦١)، مراجع سابقة.

الله! وهل محل أفضل من المسجد؟ وهل نشر لعلم يقارب تعليم القرآن؟ كلا والله وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟»^(١).
وعلمهم النبي ﷺ ذلك تطبيقياً:

فجعل الحافظ (حامل القرآن) هو المقدم على أمور الناس الدينية والديوية ما دامت العوامل المساعدة الأخرى قد وجدت فيه، وقد جعل النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص أمير الطائف^(٢) لما كان أكثرهم قرآناً على الرغم من أنه أصغرهم سناً فعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أم قومك»^(٣)، وبيان قصة تأميره رضي الله عنه عليهم فيما جاء عنه قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله ﷺ فلبسنا حللنا بباب النبي ﷺ فقالوا: من يمسك لنا رواحلنا؟ فكل القوم أحب الدخول على النبي ﷺ وكره التخلف عنه، قال عثمان - وكنت أصغرهم - فقلت: إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم. قالوا: فذلك لك فدخلوا عليه، ثم خرجوا، فقالوا: انطلق بنا! قلت: أين؟ قالوا: إلى أهلك. فقلت: خرجت من أهلي حتى إذا حلت بباب النبي ﷺ أرجع، ولا أدخل عليه، وقد أعطيتموني ما قد علمتم. قالوا: فاعجل فإننا قد كفينك المسألة فلم ندع شيئاً إلا سألناه. فدخلت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني. قال: «ماذا قلت»، فأعدت عليه القول فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من يقدم عليك من قومك» فذكر الحديث^(٤)، وفي رواية أخرى مختصرة قال: فيها فدخلت على رسول

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٩٦)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (١٣ / ٢٤١)، مرجع سابق.

(٣) أبو عوانة في مسنده (١ / ٤٢٠)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني في الكبير (٩ / ٥٠).

اللَّهِ ﷻ فسألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه^(١)، وما سأل مصحفاً إلا لأنه كان أحفظهم.

❖ فصارت الإمامة الدنيوية استحقاقاً واجباً من استحقاقات الحافظ (حامل القرآن)، بل يقدم الصغير على الكبار إذا كان قارئاً كما ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة قال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم: ما للناس ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه كذا أوحى إليه كذا فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يقر في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامها، فيقولون: أتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتمكم والله من عند نبي الله حقاً. قال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً» فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآناً لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص^(٢)، وهذا يردّ ما ذهب إليه بعضهم من أن الصحابة لم يكونوا يؤمون إلا لأنهم فقهاء حيث أسلموا على كبر.

تسلسل المنهجية: لقي نافع بن عبد الحارث عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبيزى. قال: ومن ابن أبيزى؟ قال: رجل من موالينا. قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى. قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض،

(١) الأحاد والمثاني (٣ / ١٩١).

(٢) البخاري (٤ / ١٥٦٤)، مرجع سابق.

قاضي. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»^(١).

ثانياً: جعل من تعلمه وعلمه في الذروة العليا من الخيرية:

فإذا كانت أمة النبي ﷺ خير أمة أخرجت للناس، فإن خيرها هم من علم القرآن وعلمه، وقد ورد هذا في تعليمه ﷺ للصحابة رضي الله عنهم أهمية ذلك من طريق عدد من الصحابة، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢)، ونحوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ومثله عن علي وعبد الله بن مسعود^(٣)، وفي لفظ «خيركم من قرأ القرآن وأقرأه»^(٤)، ومن هذا الحديث تستبين المعالم التالية:

- ❖ الخيرية مطلقة هنا فهي على الناس أجمعين خلا الأنبياء؛ ولذا ورد عن عيسى عليه الصلاة والسلام: «من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيماً»، والفرد الأكمل من هذا الجنس هو النبي ﷺ ثم الأشبه فالأشبه^(٥)، ولكنه جعلهم خير الناس باعتبار التعلم والتعليم.
- ❖ لا بد أن يكون هذا الوصف قائماً في المرء حق القيام لينال ثوابه ويقدم على غيره، فقوله (من تعلم القرآن) أي حق تعلمه (و علمه) أي حق تعليمه^(٦)...

(١) ابن ماجة (١ / ٧٩)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤ / ١٩١٩)، ابن حبان (١ / ٣٢٤)، الترمذي (٥ / ١٧٣)، مراجع سابقة.

(٣) انظر تحريجهما في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٦).

(٤) الطبراني في الأوسط (٣ / ٢٥٢).

(٥) عون المعبود (٤ / ٢٢٩)، مرجع سابق.

(٦) عون المعبود (٤ / ٢٢٩)، مرجع سابق.

ثالثاً: بيان أنهم أحب الخلق إلى النبي ﷺ:

كيف لا يكون ذلك وهم ينشرون ما جاء هو لنشره ﷺ؟ فقد سمع علي بن أبي طالب ضجة في المسجد، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء قوم يقرؤون القرآن ويقرئونه. فقال: طوبى لهؤلاء! هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ^(١)، وبالجملة فإن «فضائل»^(٢) أهل القرآن لا تحصى كما أن فضائل القرآن لا يحصى وكما فضله على ساير الكلام فضل حملته على ساير الأمم ومنحهم ما نالوا به الفخر في الدنيا والآخرة والذخر في العقبى»^(٣).

❖ وقد يعترض على هذا بأنه يلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجواب: حرف المسألة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل، ولا بد مع ذلك من مراعاة الإخلاص في كل منهم^(٤)، وهذا يختلف زماناً ومكاناً وشأناً، على أن لحفظ كلام الله جل جلاله مزية خاصة ظاهرة. رابعاً: النشر العام لفرض الكفاية من تعلم القرآن هو المقصد من ذكر الجوائز الحقيقية التحفيزية:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات سمان عظام؟» قال: قلنا: نعم! قال: «ثلاث آيات يقرؤها من أحدهم في صلواته خير له من ثلاث خلفات سمان عظام»^(٥)،

(١) مجمع الزوائد (٧ / ١٦٦)، وانظر تحريجه في لمحات الأنوار رقم ٦، مرجع سابق.

(٢) كذا في كلام الهذلي فالهمزة عنده مخففة بإبدالها ياء..

(٣) (الهذلي) أبو القاسم علي بن جبارة: الكامل ص ٥ وجه أ، مصورة مخطوطة عند كاتب هذه الأسطر.

(٤) انظر: فتح الباري (٩ / ٧٦)، مرجع سابق.

(٥) مسلم (١ / ٥٥٢).

ونحوه عن عقبه بن عامر رضي الله عنه^(١)، والمعنى: «فيتعلم آيتين من كتاب الله خير من ناقتين وثلاث لو تصدق بها» لأن فضل تعلم آيتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وعدادهن من الإبل لو تصدق بها؛ إذ محال أن يشبه من تعلم آيتين من كتاب الله في الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا^(٢).

وذكر الصحابييين أبي هريرة وعقبه رضي الله عنهما لهذا الحديث يدل على تكرار النبي ﷺ له، كما أن ذكر الصلاة في الأول وعدم ذكرها في الثاني، وذكر المسجد للتعلم في الثاني دون ذكر الصلاة دال على حثه المطلق والعام لتتم القراءة في المسجد أو في غيره، وفي الصلاة أو في غيرها.

تسلسل المنهجية: كان الصحابة رضي الله عنهم يرغبون تلاميذهم على نفس المنوال، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لو جعل لأحد خمس قلائص إن صلى الغداة بالقرية لبات يقول لأهله لقد آن لي أن أنطلق، والله لا يقعد أحدكم فيتعلم خمس آيات من كتاب الله فلهن خير له من خمس قلائص وخمس قلائص»^(٣)، وفي رواية تصف كيفية إقراء ابن مسعود، وتنشيطه لتلاميذه رضي الله عنه: كان إذا أصبح أتاه الناس في داره فيقول: على مكانكم، ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن، فيقول: أيا فلان بأي سورة أتيت فيخبره في أي آية فيفتح عليه الآية التي تليها، ثم يقول: تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض، قال: فنظر الرجل آية ليس في القرآن خير منها، ثم يمر بالأخرى فيقول آية مثل ذلك حتى يقول ذلك لكلهم^(٤)، وعن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: لو قيل لأحدكم لو غدوت إلى القرية كان لك أربع قلائص كان يقول لك قد أبى الله لي أن أغدو،

(١) مسلم (١/ ٥٥٢).

(٢) انظر: ابن حبان (١/ ٣٢١)، مرجع سابق.

(٣) ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٢)، مراجع سابق.

(٤) مجمع الزوائد (٧/ ١٦٧)، مرجع سابق، وقال: «رواه كله الطبراني».

وإن أحدكم غدا فتعلم آية من كتاب الله كانت خيراً له من أربع وأربع وأربع حتى عد شيئاً كثيراً^(١).

سادساً: تكريم حفظه القرآن وإلزامهم بتعليمه في مقابل تيسير الأمور الدنيوية الهامة لهم، وتعميم التعليم على الرجال والنساء:

ففي قصة الواهبة نفسها للنبي ﷺ طلبها بعض أصحابه، فلم يجد مهراً فقال له ﷺ: «ماذا معك من القرآن» قال: معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرؤهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم! قال: «أذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن»^(٢)، والسور المذكورة «سماها في فوائد تمام أنها سبع من المفصل، وفي رواية: سورة البقرة أو التي تليها بأو، وفي رواية البقرة وسورة من المفصل، وفي رواية قال: «قم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك» وجمع بينها بأن كلاً من الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر^(٣)، وفي رواية لمسلم: «أذهب فعلمها من القرآن»^(٤)، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «وقد أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها وإذا رزقك الله عوضتها» فتزوجها الرجل على ذلك^(٥) وسواء كان المهر هذا هو المهر أو لا - على الخلاف - فالمراد اشتراط ذلك دلالة على منزلة القارئ، ونشراً للقرآن.

• وتبني على هذا مسألة عقد المسابقات القرآنية، ورصد الجوائز عليها:

فتشجيع الحفظ ونشر القرآن الكريم بالمسابقات القرآنية ونحوه لا بأس به، ومن النصوص السابقة يظهر نوع إشارة من النبي ﷺ بذلك، وقد حث بعض أهل العلم على أن يعمل على وضع المحفزات لحفظ القرآن، ومنهم شيخ الإسلام ابن

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٣٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٣٥).

(٢) البخاري (٤/ ١٩١٩)، مسلم (٢/ ١٠٤٠) واللفظ له، مرجعان سابقان.

(٣) انظر: شرح الزرقاني (٣/ ١٦٨)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (٢/ ١٠٤١)، مرجع سابق.

(٥) شرح الزرقاني (٣/ ١٦٨)، مرجع سابق.

تيمية حيث قال: «وأما هذه الأوقاف على الترب ففيها من المصلحة بقاء حفظ القرآن وتلاوته هذه الأموال معونة على ذلك وحاضرة عليه إذ قد يدرس حفظ القرآن بسبب عدم الأسباب الحاملة عليه، وفيها مفسد آخر من حصول القراءة لغير الله، والتأكل بالقرآن، وقراءته على غير الوجه المشروع، واشتغال النفوس بذلك عن القراءة المشروعة، فمتى أمكن تحصيل هذه المصلحة بدون ذلك الفساد جاز والوجه النهي عن ذلك المنع، وإبطاله إن كان حصول مفسدة أكثر من ذلك»^(١)، وقال في موضع آخر: «و الوقوف التي وقفها الناس على القراءة عند قبورهم فيها من الفائدة أنها تعين على حفظ القرآن، وأنها رزق لحافظ القرآن، وباعثة لهم على حفظه ودرسه وملازمته»^(٢).

وتعرض ابن القيم لهذه المسألة فقال: «المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه وغيره من العلوم النافعة والإصابة في المسائل هل تجوز بعوض؟ منعه أصحاب مالك وأحمد والشافعي وجوزه أصحاب أبي حنيفة وشيخنا وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي، وهو أولى من الشباك والصراع والسباحة، فمن جوز المسابقة عليها بعوض فالمسابقة على العلم أولى بالجواز، وهي صورة مراهنه الصديق لكفار قريش على صحة ما أخبرهم به وثبوتها، ولم يقم دليل شرعي على نسخه وأن الصديق أخذ رهنهم بعد تحريم القمار وأن الدين قيامه بالحجة والجهاد فإذا جازت المراهنه على آلات الجهاد فهي في العلم أولى بالجواز»^(٣)...

وهذه الحفاوة النبوية بجملة القرآن الكريم تقتضي - واقعاً - أن تعقد لهم الاحتفالات في عصرنا، وتشهر أسماءهم في وسائل الإعلام، ويعطون أعلى

(١) الفتاوى الكبرى (٤ / ٤٤٧)، مرجع سابق.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٨٠.

(٣) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ت ٧٥١ هـ: الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس، السعودية - حائل، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

الأوسمة حال المسابقات، واللافت للنظر أن ما يحفل به الناس هذه الأيام من الفن والرياضة، لم يكن له هذا الرصيد من الحفاوة في العهد النبوي- وإن كان هذان الأمران قد يحترمان في بعض الجوانب الإيجابية، أو غير السيئة، وقد تعقد له دعاية معينة بمحدودها في أوساط الأمة كما في سباق النبي ﷺ للخيال المضمرة إلا أن الفرق شاسع بين الدعاية الحققة التي بثها النبي ﷺ لحملة القرآن وبين هذين الصنفين.

ولكن يجب دراسة الأساليب التي تضبط نفوس المشاركين- قدر الإمكان- نحو الإخلاص، وطلب الدار الآخرة.

المطلب الرابع: تعليمه ﷺ تسمية السور وألقابها

وهذا مما علمه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، وجعله أصلاً من أصول التعليم لأنه ترتيب للآيات بعلامات مميزة، وضبطها في طوائف معروفة هي السور، مما يجعل عملية الحفظ، والتعلم أسهل.

فعلمهم النبي ﷺ تسمية السور؛ إذ لا يظهر أن ذلك يخضع للاجتهاد بل هو توقيفي في الغالب، وتدل على ذلك دلائل منها ما يظهر من الروايات الواردة في هذا الشأن كحديث: «شيتني هود وأخواتها سورة الواقعة وسورة القيامة والمرسلات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت قال وأحسبه ذكر سورة هود»^(١)، ومنها: أفراد السور بأسماء معينة مع أن في السورة ما يجعل غيرها بالتسمية أولى كما في سورة البقرة مثلاً.

وقد تسمى مجموعة من السور باسم مميز فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم يعني الأحقاف قال: وكانت

(١) الحاكم (٢/ ٣٧٤)، الترمذي (٥/ ٤٠٢)، أبو يعلى (١/ ١٠٢)، مراجع سابقة.

السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت ثلاثين^(١)، وفي التسمية يقال سورة كذا كما بوب البخاري: «باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا»^(٢)، ومن ذلك حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»، وفيه ردّ على من كره ذلك معتمداً على ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله»^(٣)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وعن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة^(٤).

وفي خبر يوم حنين: «فانهزموا حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا العباس وأبو سفيان بن الحارث قال العباس: وكنت آخذاً بلجام بغلة رسول الله ﷺ عن يمينه وأبو سفيان آخذ بركابه عن يساره فقال النبي ﷺ: «يا عباس ناد في الناس: يا أصحاب السمرة يا أصحاب سورة البقرة - يذكركم البيعة التي بايعوه تحت الشجرة والشجرة سمرة بايعوه تحتها على ألا يفروا - قال العباس: فناديت فخلصت الدعوة إلى الأنصار إلى بني الحارث بن الخزرج، فأقبلوا ولهم حنين كحنين الإبل

(١) مجمع الزوائد (٧ / ١٠٥)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما ثقات».

(٢) البخاري (٤ / ١٩٢٣)، مرجع سابق.

(٣) شعب الإيمان (٢ / ٥١٩)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٧)، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبيس بن ميمون وهو متروك» فلا يصح هذا الحديث مرفوعاً... وإنما صح من قول الحجاج بن يوسف الثقفي رواه عنه مسلم (٢ / ٩٤٢)، مرجع سابق، ونقل مسلم معه إنكار التابعين عليه.

(٤) البخاري (٢ / ٦٢٢)، مسلم (٢ / ٩٤٣)، مرجعان سابقان.

فقالوا: لبيك يا رسول الله! وسعديك...»^(١) وعن هشام بن عروة عن أبيه: أن شعار أصحاب النبي ﷺ يوم مسيلمة كان: يا أصحاب سورة البقرة^(٢).

وقد يلقبون السورة بعلامة مميزة من حيث كمية آياتها، ولا يتخرجون:

نحو قول السورة القصيرة كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة أو الشيء في الصلاة فيقرأ السورة القصيرة^(٣)، وفي لفظ بالسورة الخفيفة^(٤).

وهذا يرد على من زعم أن من حرمة القرآن ألا يقال سورة صغيرة كأبي العالية فقد روي عنه أنه كره أن يقال سورة صغيرة أو كبيرة وقال: لمن سمعه قالها أنت أصغر منها وأما القرآن فكله عظيم^(٥)، وقد تقدم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤم بها الناس في الصلاة»^(٦).

ومن هذا الباب: زيادة التنويه ببعض الآيات: فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» فقال: الله ورسوله أعلم. يكررها

(١) أبو عوانة في مسنده (٤ / ٢٧٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٥٢٩)، الطبراني في الأوسط، أحمد (١ / ٢٠٧)، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٠)، مراجع سابقة.

(٢) سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٣٧٦)، ابن أبي شيبة (٦ / ٥٤٧)، مرجعان سابقان.

(٣) (الكسي) أبو محمد عبد بن حميد بن نصر (ت ٢٤٩ هـ): المنتخب من مسند عبد بن حميد ص ٤٠٤، مراجعة: صبحي البدري السامرائي - محمود محمد خليل الصعدي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مكتبة السنة - القاهرة.

(٤) أبو عوانة في مسنده (٢ / ٨٨)، مرجع سابق، أبو يعلى (٦ / ١٥٧)، مرجع سابق.

(٥) انظر: القرطبي (١ / ٣١)، مرجع سابق.

(٦) الطبراني في الكبير (١٢ / ٣٦٥)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٢ / ١١٤)، مرجع سابق.

مراراً ثم قال أبي: آية الكرسي. فقال النبي ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده أن لها للساناً وشفقتين تقدسان للملك عند ساق العرش»^(١).

وهذا يدل على شيوع التسمية بينهم - رضي الله تعالى عنهم - سواء بتعليم من النبي ﷺ أم غير ذلك فهو دال على سعة الأمر في ذلك... ولكنه يرتبط بالعملية التعليمية لألفاظ القرآن الكريم من حيث شدة حفظ الصحابة لآيات كل سورة وقدرتهم على تمييز كل سورة من الأخرى، وعلى الرغم من عدم شيوع العلامات الاصطلاحية للفصل بين الآيات والصور إلا أن ما سبق يدل على قدرتهم على التمييز بينها بتلقائية، مما يدل على أن النبي ﷺ كان يوضح لهم ذلك أتم إيضاح.

(١) الحاكم (٣/ ٣٤٤)، المسند المستخرج (٢/ ٤٠٦)، النسائي في الصغرى (١/ ٥٤٨)، مراجع سابقة، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها في صحيح البخاري (٢/ ٨١٢)، مرجع سابق حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قراءتها عند النوم علمه ذلك شيطان فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، فإن ضعف الحديث السابق فهذا يغني عنه.

المبحث الرابع:

القواعد التربوية والعلمية

المصاحبة لعملية الإقراء من حيث اللفظ

والمراد هنا الآداب اللازمة للقارئ كما وضعها النبي ﷺ، وذلك ينحصر في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الانفعال بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: لزوم أجدديات منهج التلقي.

المطلب الثالث: تعليمهم تعظيم القرآن.

المطلب الرابع: تعليمهم الهيئة التي يكون عليها قارئ القرآن إذا أراد القراءة.

المطلب الأول: الانفعال بالقرآن الكريم

وله مظاهر متعددة منها:

أولاً: الخلق القرآني:

فهو وسيلة لتثبيت الحفظ، وقد علمهم النبي ﷺ هذا الخلق وكيفيته بتطبيقه مباشرة فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه»^(١)، وسألها عن خلق النبي ﷺ فقالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت: فإن خلق نبي

(١) الطبراني في الأوسط (١/ ٣٠)، أحمد (٦/ ٩١)، مرجعان سابقان.

الله ﷺ كان القرآن^(١)، وكون خلقه القرآن معناه أنه ﷺ كان متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه ومحاسنه، فجميع ما قص الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق مما قصه من نبي أو ولي أو حث عليه كان ﷺ متخلقاً به وكل ما نهى الله تعالى عنه فيه كان ﷺ لا يحوم حوله^(٢)، ثم باتت هذه قاعدة مقررة لتثبيت الحفظ، لذا قالوا: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل»^(٣).

ثانياً: تحقيق للفاعلية الحركية للقرآن الكريم:

فهو ربط اللفظ بالاعتقاد والفكر، وربط الاعتقاد والفكر بالعمل والتطبيق ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَعَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

ومن هذه الفاعلية: أن النبي ﷺ علمهم أن يفعلوا بآيات القرآن بحسب معانيها؛ فإذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب تعوذ بالله من شر العذاب، أو سأل الله العافية، وإذا مر بآية تنزيه نزه الله تعالى، سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، مأموماً وإماماً ومنفرداً^(٤) فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع... الحديث^(٥).

(١) مسلم (١/ ٥١٣)، ابن خزيمة (٢/ ١٧١)، ابن حبان (٦/ ١٩١)، مراجع سابقة.

(٢) حاشية السندي على النسائي (٣/ ٢٠٠).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣١٤)، مرجع سابق.

(٤) (النوي) أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النوي ٦٧٦ هـ: التبيان في آداب حملة القرآن ص ٤٦، الوكالة

العامية للتوزيع، دمشق، ط ١.

(٥) مسلم (١/ ٥٣٦)، مرجع سابق.

ومنها: أنه كان إذا مر بآية سجود- وهو يعلمهم القرآن - علمهم مشروعية السجود عندها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن فإذا مرّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه ^(١)، ولكنه جاء عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها ^(٢)... فذهب بعضهم إلى أنه لا يسجد حال التعليم لأنه يشق على الطالب والشيخ لكثرة الطلاب، وبذلك كان يأخذ الإمام أبو القاسم الشاطبي، ويعتمد على حديث زيد، والجمع بينهما عند المؤلف أن التعليم إن كان بالسمع فيسجد؛ إذ تنتفي المشقة، وكذلك هو واقع ما حكاه ابن عمر، وإن كان بالعرض فلا يسجد، وهو واقع حديث زيد، والله أعلم.

ومنها: أن يتفاعلوا مع الآيات حسب معنى كل: فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن - أو قرئت عنده -، فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لردّها منكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ما أتيت على قول الله تعالى ﴿فِي آيَةِ آيَةٍ رَّبِّكُمْ أَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] إلا قالت الجن: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب» ^(٣).

ثالثاً: تعليمهم لغتهم الاصطلاحية القرآنية الخاصة:

فليس من لغتهم (نسيت آية كذا)، وقد كان النبي ﷺ يعلمهم الانفعال بلغة القرآن كالذي ورد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن ^(٤) أي يتأول قول الله جل جلاله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]. والظاهر أن هذا يقاس عليه ما دام دعاء في حدود ضوابطه المقررة -

(١) أحمد (٢/ ١٥٧)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ٣٦٤)، مرجع سابق.

(٣) زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (٤/ ٦٨)، وقد حسن المؤلف الحديث.

(٤) البخاري (١/ ٢٧٤)، مسلم (١/ ٣٥٠)، مرجعان سابقان.

اجتهاداً من الباحث-، فيقول مثلاً: رب انشر لي من رحمتك وهيمى لي من أمري مرفقاً، أخذاً من قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِنَشْرِ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، ونحو ذلك.

رابعاً: البكاء مع قراءة اللفظ:

وقد علمهم ﷺ ذلك قولاً وتطبيقاً فقد قال ﷺ: «إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا»^(١)، وعن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه: «إني قارئ عليكم آيات من آخر الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة» فقرأها من عند ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة فمنا من بكى، ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا: يا رسول الله! لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال: «إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك»^(٢)، وذاك صدى الجواب لقول الله عز وجل: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقوله جل جلاله: ﴿أَفَمَن هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُونَ﴾^(٣) ﴿تَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦٠]، وكان ﷺ يبكي سواء قرأ هو الآيات أو قرئت عليه كما في قراءة ابن مسعود عليه من سورة النساء^(٤)، وكانوا يشاهدون هذا من حاله ﷺ فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلّي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٥) والأزيز بزايين: صوت الرعد وغيلان القدر.

(١) ذكر هذا الحديث الغزالي في الإحياء (١/ ٢٧٧)، وعلق عليه العراقي: «أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف».

(٢) الطبراني في الكبير (٢/ ٣٤٨)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٦٧٣)، مسلم (١/ ٥٥١)، ابن خزيمة (٢/ ٣٥٤)، مراجع سابقة.

(٤) ابن خزيمة (٢/ ٥٣)، ابن حبان (٢/ ٤٣٩)، الحاكم (١/ ٣٩٦)، المختارة (٩/ ٤٦٣)، مراجع سابقة.

وقد وصفت أسماء حال أصحاب رسول الله ﷺ عند سماع القرآن دلالة على نجاح رسول الله ﷺ بغرس صفة الانفعال الصادق بالقرآن فيهم، مع عدم المبالغة المتكلفة، فعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ؟ إذا قرأوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قلت: فإن ناساً هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان^(١).

تسلسل المنهجية: وعلم الأصحاب رضي الله عنهم تلاميذهم ذلك فعن عبد الرحمن ابن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد كف بصره فسلمت عليه، فقال: من أنت فأخبرته فقال: مرحباً بابن أخي! بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا»^(٢).

خامساً: التشنيع العاطفي الحساس مما يشير إلى النسيان:

وذلك بالتنفير من الألفاظ الشكلية فضلاً المعاني الجوهرية وصولاً إلى كمال المحاربة الشعورية والظاهرية للنسيان الفردي للقرآن الكريم فلا يتطرق إليه الترك الجماعي كما في قوله ﷺ: «بئسما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو مُسِي»^{(٣) (٤)}.

(١) سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٣٠)، مرجع سابق.

(٢) ابن ماجه (١/ ٤٢٤)، وقال العراقي في المغني (١/ ٢٣٤): «أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد».

(٣) قال النووي: «ضبطناه بتشديد السين وقال القاضي ضبطناه بالتشديد والتخفيف». انظر: شرح مسلم (٦/

٣٢٣)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤/ ١٩٢٣)، مسلم (١/ ٥٤٤)، مرجعان سابقان.

المطلب الثاني: لزوم أبعديات منهج التلقي

ولأن القرآن تلقى من الشفاه كما سبق بيانه فإنه يترتب على ذلك قواعد أساسية بينها النبي ﷺ لأصحابه، ورباهم عليها، وهي:

أولاً: القراءة كما تلقى الإنسان دون تغيير.

ثانياً: قبول القراءة من أي صحابي ما دام يعزوها إلى النبي ﷺ بحسب منهجية التلقي، وتحسينها.

ثالثاً: المرء في القرآن كفر.

ويأتي الكلام عن ذلك في الفصل الخامس - إن شاء الله تعالى-، إنما أحببنا الإشارة إلى أن هذا من القواعد العلمية والتربوية التي ربي النبي ﷺ عليها أصحابه رضي الله عنهم.

المطلب الثالث: تعليمهم تعظيم القرآن^(١)

ولذلك مظاهر متعددة منها:

أولاً: تعليمهم الاستغناء بالقرآن عن غيره:

فقد علمه ربه جل جلاله أن يستغني بالقرآن عما سواه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فالله جل جلاله يقول لنبيه ﷺ: «كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لفتنتهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه»^(٢)، «ولا تطمح ببصرك طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجاً منهم أصنافاً من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة

(١) وانظر في الآداب المعظمة له: القرطبي (١/ ٢٩)، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير (٢/ ٥٥٢)، مرجع سابق.

إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات، مفض إلى دوام اللذات»^(١) «فاستغن بما آتاك من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية»^(٢).

وعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزيور وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرآن وما فيه من البيان فإنه شافع مشفع وما حل مصدق ألا ولكل آية نور يوم القيامة وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش»^(٣).

وبذلك رجح من رجح أن المراد بالتغني الوارد في حديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» فهو الاستغناء به - عندهم - عن سائر الأشياء سواه^(٤).

تفسير الاستغناء: وهذا الغنى يحتمل غنى النفس بمعنى أنهم يرون أن ما منحوه من تيسير حفظه هو الغنى الحقيقي، وأن غنى بالمال في جنب ذلك لا عبرة به لأنه غاد ورائح، ويحتمل أن حفظه والعمل به يجلب الغنى بالمال^(٥)، «وقد روى ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه: أغنى الناس حفظة القرآن، والمراد بهم من جعله الله تعالى في جوفه أي سهل له حفظه عن ظهر قلب مع العمل به كما

(١) القرطبي (١٠ / ٥٥)، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير (٢ / ٥٥٢)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (٩ / ١٠)، مرجع سابق، ولأكثر فقراته شواهد معلومة.

(٤) شرح مشكل الآثار (٤ / ٣٥٣).

(٥) فيض القدير (٢ / ١٩)، مرجع سابق.

تقرر... قال أبو إسحاق الدمشقي: كنت أمشي بالبادية وحدي فإذا أعييت رفعت صوتي بالقرآن فحمل عني ألم الجوع حتى قطعت مراحل كثيرة»^(١).

ومن أهم مظاهر الاستغناء به:

نبد كل ما خالفه وجعله المهيمن في كل الأمور، وقد علمهم النبي ﷺ ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وعن أنس بن مالك أنه سمع عمر الغد حين بايع المسلمون أبا بكر واستوى على منبر رسول الله ﷺ تشهد قبل أبي بكر فقال أما بعد فاختر الله لرسوله ﷺ الذي الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا وإنما هدى الله به رسوله^(٢)، وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هذا الطريق فاعتصموا بجبل الله فإن جبل الله القرآن^(٣).

ثانياً: تعليمهم الاعتزاز بحفظ القرآن:

ومن مظاهره:

١- تعليمهم إحكام القرآن بسلامته من الاختلاف: كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فإن الاختلاف على ثلاثة أوجه:

اختلاف تناقض بأن يدعو أحد الشيين إلى فساد الآخر، واختلاف تفاوت وهو أن يكون بعضه بليغاً وبعضه مردولاً ساقطاً وهذان الضربان من الاختلاف

(١) فيض القدير (٢/ ٢٠)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٦/ ٢٦٥٣)، ابن حبان (١٤/ ٥٩٠)، مرجعان سابقان.

(٣) الدارمي (٢/ ٥٢٤)، الطبراني في الكبير (٩/ ٢١٢)، مرجعان سابقان.

منفيان عن القرآن، والثالث: اختلاف التلاؤم هو أن يكون الجميع متلائماً في الحسن كاختلاف وجوه القراءات ومقادير الآيات»^(١).

٢- تعليمهم الاكتفاء به في بيان منهج التلقي والاستدلال، والنجاة الدنيوية والأخروية: فقد علمهم النبي ﷺ قوله جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وعلمهم أنه لا مجال للخسارة والتلجلج والاضطراب بعد أن يوهب المرء الكتاب حفظاً إلا لمن لا عقل له وقد قال رسول الله ﷺ: «لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق»^(٢)، وفسره بعض الرواة بأن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير، وعلمهم النبي ﷺ أنه الداعي إلى النجاة، ودستور الفلاح فعن التّوَّاس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصّراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصّراط داع يقول آيها الناس ادخلوا الصّراط جميعاً ولا تتفرّجوا وداع يدعو من جوف الصّراط فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه والصّراط الإسلام والسّوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصّراط كتاب الله عز وجلّ والداعي فوق الصّراط واعظ الله في قلب كلّ مسلم»^(٣).

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨٢).

(٢) الدارمي (٢/ ٥٢٢)، أحمد (٤/ ١٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٦٦، وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٢٠٠ في معناه: «حدثني يزيد بن عمرو قال: سألت الأصمعي عن هذا الحديث فقال: يعني لو جعل القرآن في إنسان ثم ألقى في النار ما احترق، وأراد الأصمعي أن من علمه الله تعالى القرآن من المسلمين وحفظه إياه لم تحرقه النار يوم القيامة إن ألقى فيها بالذنوب كما قال أبو أمامة أحفظوا القرآن أو اقرؤوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف فإن الله تعالى لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن وجعل الجسم ظرفاً للقرآن كالإهاب والإهاب الجلد الذي لم يدبغ... انظر: (ابن قتيبة): تأويل مختلف الحديث ص ٢٠٠.

(٣) أحمد (٤/ ١٨٢)، مرجع سابق.

٣- نعت حملة القرآن بأعظم النعوت، وأجلها: مثل أهل الله وخاصته، خيركم، القراء على الإطلاق... ومن مقتضى هذا الإطلاق: الإشارة إلى أن غيرهم أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان عدم إتقان ألفاظ القرآن وحفظها أمية غير لائقة بالمديح حتى لو كان صاحبها متقناً لكل علم غير ذلك...، وذكر رجل عند رسول الله ﷺ بخير فقال رسول الله ﷺ: «أولم تروه يتعلم القرآن»^(١)، وقد حاد عن المنهجية من يمتهن ما كان النبي ﷺ وأصحابه يعظمونه.

٤- ولتعليمهم الاعتزاز بحفظ القرآن الكريم أمرهم بالفرح به في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] فقد قال ابن عباس فيها: «بكتاب الله وبالإسلام خير مما يجمعون»^(٢)، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ أن جعلكم من أهله^(٣).

٥- أوجب عليهم تطبيقه وهيمته على كل أمور الحياة الفردية والجماعية، فيكون الإنسان محاطاً به في يقظته ومنامه، وأكله وجوعه، وذهابه وإيابه، وارتباطه الفردي والجماعي.

٦- التشديد على من ذكره في حلف أو قسم كما قال رسول الله ﷺ: «من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية كفارة إن شاء بر وإن شاء فاجر»^(٤).

٧- وكنيجة لهذا الاعتزاز بالقرآن فقد كان من اعتزازهم بالقرآن يطردون البطالين فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن بطالاً أقبل إليهم فقال ابن مسعود اطردهم بالقرآن، ثم أمر غلاماً أن يقرأ سورة في المصحف فلما سمع البطال القرآن

(١) أحمد (٥ / ٢٨٤)، مرجع سابق.

(٢) سعيد بن منصور (٥ / ٣١٤)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الأوسط (٥ / ٣٤٧)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ٣٦)، مرجع سابق: «وفيه عطية العوفي وهو ضعيف» وانظر في شواهد: لمحات الأنوار (١ / ٣٤) برقم ١٨، مرجع سابق.

(٤) البيهقي في سننه الكبرى (١٠ / ٤٣)، مرجع سابق.

ذهب^(١)، وفي المقابل فقد كان ﷺ يعلمهم أن يشجع المقرئ القارئ فيقول المقرئ للقارئ أحسنت أو نحوها من العبارات: فعن عبد الله ابن مسعود قال: بينا أنا بالشام بممص فقيل لي: اقرأ سورة يوسف، فقرأتها فقال رجل: ما كذا أنزلت! فقلت: والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ فقال أحسنت فيينا أنا أكلمه إذ وجدت ريح الخمر، قلت: أتكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ والله لا تبرح حتى أجلدك الحد^(٢).

ومن تسلسل المنهجية في تعليم الاعتزاز بالقرآن ما جاء عن عطاء بن السائب قال قرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن، قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يُشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] ^(٣).

المطلب الرابع: تعليمهم كيفية الهيئة التي يكون عليها قارئ القرآن إذا أراد القراءة^(٤)

أولاً: علمهم ﷺ ألا يمسه المصحف إلا طاهر من كل حدث أصغر أو أكبر^(٥): فقد علمهم النبي ﷺ ذلك فيما رواه عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم: «ألا يمسه القرآن إلا طاهر»^(١)

(١) (أبو يوسف) القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ت ١٨٢ هـ: الآثار ص ٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥ هـ والباطل يطلق على الساحر، ويطلق على اللعاب العايب.

(٢) النسائي في السنن الكبرى (٥ / ٢٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير (١ / ٥٩٠)، مرجع سابق.

(٤) وانظر: القرطبي (١ / ٢٧)، شعب الإيمان (٢ / ٣١٩)، الفردوس بمأثور الخطاب (٣ / ٥٣٨)، مرجعان سابقان.

(٥) انظر تفصيل هذه المسألة في: تفسير القرطبي (١٧ / ٢٢٧)، مرجع سابق.

وقال الإمام مالك تفصيلاً وبيانا للعلة: «و لا يحمل أحد المصحف بعلاقته ولا على وسادة إلا وهو طاهر ولو جاز ذلك لحمل في خبيثته ولم يكره ذلك لأن يكون في يدي الذي يحمله شيء يدنس به المصحف ولكن إنما كره ذلك لمن يحمله وهو غير طاهر إكراماً للقرآن وتعظيماً له»^(٢)، وأما قوله جل جلاله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فلا يدل على المسألة على الراجح كما قال مالك: أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ إنما هي بمنزلة هذه الآية التي في عبس وتولى قول الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾^(١١) ﴿فَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾^(١٢) في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ^(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ^(١٤) يَأْتِي سَفَرَهُ^(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ [عبس: ١١ - ١٦]^(٣)، وقد استنبط العلماء ذلك التعظيم للمصحف من آيات الواقعة وعبس، ولكن بطريق آخر «لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملاء الأعلى فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى لأنه نزل عليهم وخطابه متوجه إليهم فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم والانقياد له بالقبول والتسليم»^(٤)، وقد علم الصحابة أصحابهم ذلك.

وذكر ابن عبد البر رواية تؤكد إرادة معنى الوضوء هي (الأيمس القرآن إلا على طهور)، ولذا لم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري

(١) انظر في الكلام على صحة كتاب عمرو بن حزم: التمهيد (١٧ / ٣٩٧)، مرجع سابق، (ابن رشد الحفيد) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد ت ٥٩٥ هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١ / ٣٠)، دار الفكر، بيروت.

(٢) موطأ الإمام مالك (١ / ١٩٩)، مرجع سابق.

(٣) موطأ الإمام مالك (١ / ١٩٩)، مرجع سابق.

(٤) ابن كثير (٤ / ١٢٣)، مرجع سابق.

والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد وهؤلاء أئمة الفقه والحديث في أعصارهم^(١).

تسلسل المنهجية: وحرص الصحابة على ذلك فعن مصعب بن سعد أنه قال: كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص فاحتككت فقال سعد: لعلك مسست ذكرك فقلت: نعم فقال قم فتوضأ فقامت فتوضأت ثم رجعت^(٢)، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته، ثم جاء فقلت: يا أبا عبد الله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات قال: إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون فقرأ علينا ما شئنا^(٣).

ثانياً: علمهم النبي ﷺ أنه يجوز القراءة على كل حال ما لم يكن جنباً:

فعدم المس لا يعني أطراح القراءة، بل القراءة مطلوبة على كل حال ما لم يكن المرء جنباً، وذلك ما علمه الصحابة رضي الله عنهم لمن بعدهم كما تعلموه من النبي ﷺ فعن عبد الله بن سلمة قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا ورجلان رجل من قومي ورجل أحسبه من بني أسد فبعثهما وجهاً وقال إنكما علجان فعالجا عن دينكما ثم دخل المخرج فقضى حاجته ثم خرج فأخذ حفنة من ماء فمسح بها ثم جعل يقرأ القرآن قال فكأنه رأى أنا أنكرنا ذلك فقال: كان رسول الله ﷺ يقضي حاجته فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولم يكن يجبه وربما قال يحجزه عن القرآن شيء ليس الجنابة^(٤)، وبات ذلك قولاً لعلي رضي الله

(١) انظر: التمهيد (١٧ / ٣٩٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (١ / ٨٨)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (١ / ٨٨)، مرجع سابق.

(٤) المنتقى (١ / ٣٤)، ابن خزيمة (١ / ١٠٤)، الحاكم (١ / ٢٥٣)، المختارة (٢ / ٢١٥)، أبو داود (١ / ٥٩)،

البيهقي في سننه الكبرى (١ / ٣٨).

عنه، إذ ورد عنه أنه قال: لا بأس أن تقرأ القرآن وأنت على غير وضوء فأما وأنت جنب فلا ولا حرفاً^(١).

وإنما أخذ الصحابة ذلك تعليماً من النبي ﷺ في عدة وقائع، منها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، قال فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام فصلّى وذكر باقي الحديث^(٢).

وأخذ ذلك ابن عباس رضي الله عنه وأفتى به فعن سعيد بن جبير قال: كان ابن عمر وابن عباس يقولان: إنا لنقرأ الجزء من القرآن بعد الحدث^(٣).

وهذا لبيان الجواز في قراءة غير الجنب دون مس للمصحف خشية الحجب الكثير عن القراءة تلاوة وحفظاً ومراجعة، وإلا فالأكمل ألا يذكر الله على غير طهارة لما رواه المهاجر بن قنفذ بن عمر بن جدعان أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد النبي ﷺ حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» أو قال: «على طهارة»^(٤).

(١) مصنف عبد الرزاق (١/ ٣٣٦)، البيهقي في الكبرى (١/ ٩٠)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ٧٨)، مسلم (١/ ٥٢٦)، ابن حبان (٦/ ٣١٧)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (١/ ٣٨)، مرجع سابق.

(٤) ابن خزيمة (١/ ١٠٣)، ابن حبان (٣/ ٨٢)، الحاكم (١/ ٢٧٢)، مرجع سابق.

وأما قراءة الجنب والحائض للقرآن:

فلأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

قيل يجوز لهذا ولهذا وهو مذهب أبي حنيفة، والمشهور من مذهب الشافعي وأحمد.

وذهب البعض إلى أن الحائض لا تمس المصحف ولا تقرأ القرآن^(١)، وقال الأوزاعي سئل الزهري عن الجنب والنفساء والحائض فقال: لم يرخص لهم أن يقرؤوا من القرآن شيئاً^(٢).

وقيل لا يجوز للجنب ويجوز للحائض إما مطلقاً أو إذا خافت النسيان وهو مذهب مالك وقول في مذهب أحمد وغيره، فقد غلب المحققون جانب قراءة القرآن فأجازوا للحائض القراءة تغليياً لهذا الأصل استحساناً لطول مقامها حائضاً وهو مذهب مالك^(٣)، بل ذهب البعض إلى أنه إذا ظنت نسيانه وجبت^(٤)، فإن قراءة الحائض القرآن لم يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء غير: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب من القرآن شيئاً»^(٥)، وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله ولم يكن ينههن عن قراءة القرآن كما لم يكن ينههن عن الذكر والدعاء بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد فيكبرن بتكبير المسلمين وأمر الحائض أن تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت تلي وهي حائض وكذلك بمزدلفة ومنى وغير ذلك من المشاعر، وأما الجنب فلم يأمره أن

(١) انظر: البيهقي في الكبرى (١ / ٣٠٩)، الترمذي (١ / ٢٣٦)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي (١ / ٣٠٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: بداية المجتهد (١ / ٣٥)، مرجع سابق.

(٤) انظر: المبدع في شرح المقنع (١ / ٢٦٠)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن

حنبل (١ / ٢٤٣ و ١ / ٣٣٧).

(٥) الترمذي (١ / ٢٣٦)، البيهقي في الكبرى (١ / ٣٠٩)، مصنف ابن أبي شيبة (١ / ٩٨).

يشهد العيد ولا يصلي ولا أن يقضي شيئاً من المناسك لأن الجنب يمكنه أن يتطهر فلا عذر له فيترك الطهارة بخلاف الحائض فإن حدثها قائم لا يمكنها مع ذلك التطهر لكن المقصود أن الشارع أمر الحائض أمر إيجاب أو استحباب بذكر الله ودعائه مع كراهة ذلك للجنب فعلم أن الحائض يرخص لها فيما لا يرخص للجنب فيه لأجل العذر، وإن كانت عدتها أغلظ، وليست القراءة كالصلاة وكان النبي يضع رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها وهي حائض، وفي صحيح مسلم أيضاً يقول الله عز وجل للنبي ﷺ: «إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظاناً» فتجوز القراءة قائماً وقاعداً وماشياً ومضطجعاً وراكباً^(١).

ثالثاً: لا يمكن الكافر من لمس المصحف:

وذلك لثلاث يمكن من الاستهانة به، فقد علمهم النبي ﷺ ذلك فيما رواه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو»^(٢).

وأما ترجمة معاني القرآن وإهداؤها أو بيعها لمن يؤمل فيه الهداية فالظاهر الجواز مطلقاً ولا يدخل في الخلاف، فيشرع مس الكتاب الذي فيه معاني القرآن ككتب التفسير والفقهاء ونحوها مما يؤمل معه أن يسلم، أو يتعرف إلى الإسلام كما أرسل النبي ﷺ كتابه إلى هرقل.

وقد اشتد المسلمون في تنفيذ ذلك حتى منعوا منه أولي القوة من المشركين فقد قال عمر لأخته قبل أن يسلم: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأ- وكان عمر يقرأ الكتاب- فقالت أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو

(١) انظر الكلام بطوله لابن تيمية (٢١ / ٤٦٠)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (٣ / ١٤٩٠)، أحمد (٢ / ٧٦)، مرجعان سابقان، ولعل الخوف المذكور مخافة أن يناله العدو فيغير فيه في وقت نزوله مع قلة المصاحف... فيحدث ذلك بلبلة في المجتمع المسلم... فإن صحت هذه علة فقد تنفي أحياناً.

توضأ قال فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه ولهذا الحديث شواهد كثيرة وهو قول الفقهاء السبعة من أهل المدينة^(١)، ولكن رخص مالك للصبيان في مس المصحف على غير طهر لأنهم غير مكلفين^(٢).

رابعاً: استعمال السواك عند القراءة:

والراوي لهذا إنما هو شيخ القراء أبو عبد الرحمن السلمي عن علي قال: أمرنا بالسواك وقال إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك^(٣) فيطيب فاه إذ هو طريق القرآن كما جاء في حديث علي: «إن أفواهكم طرق للقرآن فطهروها بالسواك»^(٤)، بل ذكر بعض العلماء أن من فمه نجس يحتمل المنع من قراءة القرآن وأنه أولى^(٥).

خامساً: استقبال القبلة لقراءته:

ومن النصوص التعليمية الواردة في استقبال القبلة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيّداً وإن سيد المجالس قبالة القبلة»^(٦)، وذلك يشير إلى أن كل حركة وسكون من العبد على نظام العبودية بحسب نيته في يقظته ومنامه وقعوده وقيامه وشرابه وطعامه تشرف حالته بذلك فيتحرى القبلة في مجلسه ويستشعر هيئتها، فلا يعبث فيسن المحافظة على استقبالها ما

(١) البيهقي في الكبرى (١ / ٣٨)، مرجع سابق.

(٢) انظر: بداية المجتهد (١ / ٣٠)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (١ / ٣٨)، مرجع سابق.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٩٦)، مرجع سابق، وانظر تحريجه في تلخيص الخبير (١ / ٧٠)، مرجع سابق.

(٥) المبدع (١ / ١٨٦)، مرجع سابق.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٣ / ٢٥)، مرجع سابق، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٥٩)، مرجع سابق:

«وإسناده حسن».

أمكن حتى للمدرس على الأصح، وإنما سن استدبار الخطيب للقبلة لأن المنبر يسن كونه بصدر المجلس فلو استقبل خرج عن مقاصد الخطاب، لأنه يخاطب حيثئذ من هو خلف ظهره وقد يفعل كما كان يصنع شيخ الإسلام الشرف المناوي يجلس لإلقاء الدرس مستدبرها، والقوم أمامه قياساً على الخطبة ويعلله بما ذكر من أن ترك استقبال واحد أسهل من تركه لخلق كثير^(١).

سادساً: تعليمهم الحالة التي يكون عليها قارئ القرآن أثناء القراءة:

١- أن يتمضمض كلما تنخع روى شعبة بن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان يكون بين يديه تور إذا تنخع مضمض ثم أخذ في الذكر وكان كلما تنخع مضمض^(٢). وهذا ليس على إطلاقه كما في تحليل أدلة ذلك كله، فإن من مقاصد الشرع أن يجعل الذكر حياة المؤمن فيذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنب، لا يحجبه عن الذكر شيء ما لم يكن الجنابة، وفيه إبقاء لنوع التميز للذكر وقراءة القرآن.

٢- الخشوع عند قراءة القرآن: فعن أبي وائل قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف ألفاً تجده أم ياء من ماء غير آسن أو من ماء غير ياسن قال فقال عبد الله: وكل القرآن قد أحصيت غير هذا قال إنني لأقرأ المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذا الشعر إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع^(٣).

(١) انظر: فيض القدير (٢/ ٥١٢)، مرجع سابق.

(٢) القرطبي (١/ ٢٧)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١/ ٥٦٣)، المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢/ ٤١٥)، ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٦)، مراجع

سابقة.

٣- إذا ثئاب أن يمك عن القراءة: لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج والثاؤب من الشيطان، وعن مجاهد قال: إذا ثاببت وأنت تقرا فأمسك عن القراءة حتى يذهب عنك^(١)، يريد أن في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن^(٢).

٤- إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة.

٥- أن يقرأه بالترتيل.

٦- أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، كما في قوله جل

جلاله: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَذَبُوا عَنِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٩] كما قال الغزالي: «و لا يعرفه إلا من طال في تدبر كلماته فكره وصفاً له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قهار وأنه خارج عن حد استطاعة البشر»^(٣).

٧- أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله وأن يقف

على آية الوعيد فيستجير بالله منه: كما تقدم في الفاعلية الحركية.

٨- يمنع رفع الصوت واللغظ عند قراءة القرآن: فعن أبي عبد الرحمن قال:

القرآن وحشى ولا يصلح مع اللغظ^(٤)، والمراد يحتاج ليكون وحده في السماع والقلب دون أن يزاخه غيره، وعن قيس بن عباد قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر^(٥) أي من غير الذاكرين أو منهم على وجه مناف للخشوع.

فأما منهج الحلقات، وهيئة القراءة كما علمها الرسول ﷺ أصحابه رضي الله

عنهم فقد بسط لها الفصل الثالث كاملاً.

(١) سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٤٢)، مرجع سابق، وقال المعلق: «سنده صحيح».

(٢) القرطبي (١/ ٢٧)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (١/ ٥٥٨)، مرجع سابق.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٣)، مرجع سابق.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٣)، مرجع سابق.

الفصل الثالث:

جماع منهجية النبي ﷺ في تحفيظ الألفاظ وترتيلها

هذا الفصل معقود لبيان كيفية تعليم النبي ﷺ اللفظ القرآني في اتجاهين: تقسيم معالم التدريس في الحقل القرآني إلى معالم أساسية سواء كانت في الوقت الرسمي للحلقات القرآنية أو في غيره. وبيان كيفية تلقينه ﷺ لهم اللفظ القرآني، وذلك اقتضى بيان التأصيل الشرعي للتجويد، والملحقات به... ولتحقيق البيان الكامل حول هذين الاتجاهين انقسم هذا الفصل إلى ستة مباحث هي:

المبحث الأول: تعليمه ﷺ أساسيات الدرس القرآني (منهج الحلقات القرآنية).

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ ماهية التجويد وحكمه.

المبحث الثالث: تعليمه ﷺ أهمية التجويد وضوابطه الشرعية.

المبحث الرابع: تعليمه ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم.

المبحث الخامس: تعليمه ﷺ مراتب الأداء الأعلى من التجويد.

المبحث السادس: تعليمه ﷺ الملحقات بأحكام التجويد.

المبحث الأول:

تعليمه ﷺ أساسات الدرس القرآني

«منهج الحلقات القرآنية»

ويتحدث هذا المبحث عن أساسات التعليم القرآني عند النبي ﷺ، ويبين أنها الأساسات ذاتها التي يسير عليها معلمو القرآن الكريم في عصرنا سواء كان ذلك في وقت الحلقات القرآنية أو بعدها مما تستلزمه الدراسة... وليبان ذلك انقسم المبحث إلى أربعة مطالب، تمثل أساسات الدرس القرآني:

المطلب الأول: القراءة نظراً من المصحف.

المطلب الثاني: القراءة عن ظهر قلب.

المطلب الثالث: التعاهد (المراجعة).

المطلب الرابع: تعليمهم مقدار الورد (الحزب) اليومي.

المطلب الأول: القراءة نظراً من المصحف

كان ﷺ يعلمهم القراءة من المصحف نظراً بالإضافة إلى استظهاره عن ظهر قلب فهو يقول لأصحابه: «من سره أن يحب الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف»^(١)، ولعله ﷺ كان يلمي عليهم القرآن ليكتبوه عند موضع يقال له موضع المصحف فعن سلمة بن الأكوع أنه رضي الله عنه كان يتحرى موضع مكان المصحف فكان

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٠٩)، ١٤٠٥ هـ.

يتحرى الصلاة عند الاسطوانة التي عند المصحف^(١)، ووقع عند مسلم بلفظ: (يصلي وراء الصندوق)، وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه^(٢)، وقيل في مسجده ﷺ موضع خاص للمصحف كان ثمة من عهد عثمان^(٣).

والحث على القراءة نظراً من المصحف ليتحقق أمران منهجيان أساسان في نقل اللفظ القرآني:

١- وجود القرآن مكتوباً على أوسع نطاق في الأمة، فلكل أسرة على الأقل مصحف مما يجعل مسألة التشكيك فيه ضرباً من الهذيان، وهذا من مقتضيات تسمية القرآن بالكتاب.

٢- تعضيد القراءة بالكتابة، وتثبيت الكتابة بالقراءة... ولذا كان أشهر اسمين للقرآن هما (القرآن والكتاب)، ومن الفوائد غير ذلك:

- ❖ أن يثبت في ذهن المؤمنين وغيرهم أن الكتاب الذي يستحق وصف الكتاب بإطلاق هو القرآن، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ٢].
- ❖ فيه مواساة لمن لا يحفظ لبقاء اتصاله بالقرآن ولو لم يكن من حملة القرآن بالمعنى الخاص.
- ❖ نشر الكتابة في الأمة على أوسع نطاق بربطه بما ينبغي نشره على أوسع نطاق وهو المصحف، مما يجعلها تأخذ بنواصي التقدم العلمي دائماً.
- ❖ التدبر: فإن النظر في المصحف يعين على ذلك: قال ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة قيل: يا رسول الله ما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه»^(٤).

(١) البخاري (١/ ١٨٩)، مسلم (١/ ٣٦٤)، مرجعان سابقان.

(٢) فتح الباري (١/ ٥٧٧)، مرجع سابق.

(٣) شرح سنن ابن ماجه ص ١٠٣.

(٤) العظمة (٥/ ٢٢٥).

وأمرهم النبي ﷺ بتملك المصاحف:

كما في قوله ﷺ: «تعلّموا كتاب الله تعالى وتعاودوه واقتنوه وتغنّوا به فوالذي نفسي بيده هو أشدّ ثقلًا من المخاض في العقل»^(١)؛ إذ إن قوله «اقتنوه» يفيد التملك أو اللزوم... وكلاهما يدل على مصاحبة المصحف للمرء.

وقد اهتم الصحابة بتملك المصاحف، وصار المصحف قطعة من فؤادهم:

حتى جعلوه مقياساً للجمال عندهم لكثرة نظرهم فيه فعن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجره ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتت من الفرح برؤية النبي ﷺ..^(٢)، فقوله (كأن وجهه ورقة مصحف) عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته^(٣).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتابعون النظر في المصحف ولو كانوا حفظة فعن الحسن البصري قال: دخلوا على عثمان والمصحف في حجره^(٤)، وعثمان رضي الله عنه هو القائل رضي الله عنه: (لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف)^(٥)، وما مات رضي الله عنه حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه^(٦)، وعن عكرمة قال:

(١) ابن حبان (١/ ٣٢٥)، أحمد (٤/ ١٥٣)، وقال في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٩)، مراجع سابقة: «ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) البخاري (١/ ٢٤٠)، مرجع سابق.

(٣) شرح النووي (٤/ ١٤٢)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤١)، مرجع سابق.

(٥) انظر: شعب الإيمان (٢/ ٤٠٩)، مرجع سابق.

(٦) انظر: شعب الإيمان (٢/ ٤٠٩)، مرجع سابق.

دخلت على ابن عباس رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره وهو يبكي..^(١)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحثون الناس على القراءة من المصحف فقد أتى قوم وائلة بن الأسقع فقالوا: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه زيادة ولا نقصان، فغضب وقال: «إن مصحف أحدكم معلق في بيته وهو يزيد وينقص...»^(٢) أي لا يتقن حفظ القرآن ويسأل عن حديث النبي ﷺ، وعن ثابت قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصبح قرأ المصحف حتى تطلع الشمس قال وكان ثابت يفعله^(٣)، وعن عبد الله بن عمرو قال: انتهيت إليه وهو ينظر في المصحف قال قلت أي شيء تقرأ في المصحف قال: حزبي الذي أقوم به الليلة^(٤) وعن يونس قال: كان خلق الأولين النظر في المصاحف قال: وكان الأحنف بن قيس إذا خلا نظر في المصحف^(٥).

المطلب الثاني: القراءة عن ظهر قلب

علمهم النبي ﷺ أهمية الحفظ (عن ظهر قلب)... وورد هذا التعبير في الدلالة على استظهار القرآن في قول النبي ﷺ لرجل قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها قال: «أتقروهن عن ظهر قلبك» قال: نعم!^(٦)، وبوب البخاري لذلك: «باب القراءة عن ظهر قلب»^(٧).

(١) الحاكم (٢/ ٣٥٢)، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٢/ ٢٣٠)، مرجع سابق.

(٣) سنن الدارمي (٢/ ٥٣٢)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٤)، مرجع سابق.

(٥) ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٤)، مرجع سابق.

(٦) البخاري (٤/ ١٩٢٠).

(٧) وانظر بحثاً تحليلياً وافياً عن (الحفظ) في كتاب الباحث: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ص ٢٣٢، مرجع سابق.

المفاضلة بين القراءة نظراً وبين القراءة عن ظهر قلب:

دل سؤال النبي ﷺ له بقوله: أتقرأهن عن ظهر قلبك؟ على فضل القراءة عن ظهر قلب لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم، «و الذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والاشخاص»^(١) لمن كان قد حفظ عن ظهر قلب... أما التفضيل بين حافظ وغير حافظ فظاهر، وقد قال أبو أمامة في تفضيل الحفظ عن ظهر قلب: «اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن»^(٢)، ويناسب هذا الحديث الموقف حديث عقبة بن عامر المرفوع... قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق»^(٣)، وكان مصطلح القراء أو قرأة القرآن يرد في الحافظ له عن ظهر قلب، ومثله مصطلح حملة القرآن، وأهل القرآن، وصاحب القرآن.

القراءة (السماع) نظراً هي المطلوبة حال عرض التلاميذ:

لا شك أن القراءة نظراً أكثر تثبيتاً، وأدعى للطمأنينة على المحفوظ وأسلم من الغلط، وهي المطلوبة للمقرئ حال عرض الآخرين عليه كما في حديث قيس بن مروان قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فقال: يا أمير المؤمنين جئت من الكوفة وتركت بها رجلاً يملئ المصاحف عن ظهر قلب قال: فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرحل. فقال: ويحك! من هو؟ فقال: عبد الله بن مسعود فما زال عمر يطفئ ويسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها. فقال: ويحك والله ما أعلمه بقي أحد من الناس هو أحق بذلك منه... وذكر الحديث^(٤)،

(١) فتح الباري (٩ / ٨٠)، مرجع سابق.

(٢) أخرجه ابن أبي داود بإسناد صحيح كما في فتح الباري (٩ / ٨٠)، مرجع سابق.

(٣) الدارمي (٢ / ٥٢٢)، أبو يعلى (٣ / ٢٨٤)، الطبراني في الكبير (٦ / ١٧٢)، مراجع سابقة، وانظر: مجمع

الزوائد (٧ / ١٥٨)، مرجع سابق.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (٥ / ٧١).

ولكن الحديث دال أيضاً عن منزلة القراءة عن ظهر قلب، ومكانتها وأفضليتها، ولذا لا يقدر على القيام بها حق القيام إلا الخاصة، تفضيل القراءة نظراً على القراءة عن ظهر قلب إنما هو لمن حفظ ابتداءً، ولذا لم يخل أحد من الحفاظ من مصحف يقرأ فيه القرآن نظراً فقد كان لأبي موسى رضي الله عنه مصحف وكان يسميه لباب الفؤاد، وكان لعائشة رحمة الله عليها مصحف وكانت تسميه المجيد^(١)، وكان لعلي مصحف، وكذلك لأبي وابن مسعود وابن عمر^(٢).

تعاوض القراءة عن ظهر قلب والقراءة من المصحف على حفظ القرآن الكريم:

على أن الأمرين مطلوبان فقد كانت وسيلتا الحفظ للكتاب الكريم هما الحفظ في الصدور والحفظ في السطور، ولذا لن يرفع القرآن حتى يرفع من هذين الأمرين فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم» قلت: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينتزع وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء ويصبح الناس فقراء كالبهائم ثم قرأ عبد الله ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]^(٣).

من حكم نسيان رسول الله ﷺ عند القراءة:

كان ﷺ ينسى بعد التبليغ ليطمأن إلى حفظ الصحابة رضي الله عنهم، واستظهارهم لما بلغهم به من القرآن، ويشجعهم على الفتح عليه فعن المسور بن

(١) (ابن أبي عاصم) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر ت ٢٨٧ هـ: الزهد ص ٣٨٧، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨ هـ، ط ٢.

(٢) يعرف كل من يسمع هذه اللفظة (مصاحف) أنها نسخ لكتاب واحد، حتى لو اختلف فيها ترتيب السور... فكيف استحالت إلى قرأتين مختلفتين؟ كما يقرر ذلك صاحب كتاب (حقيقة مصحف فاطمة)؟ وكيف استحالت جريمة اختلاق مصحف مختلف عن القرآن الكريم لفاطمة الزهراء منقبة عظيمة، ووجود نسخ من القرآن عند الصحابة مثلبة؟ إلا بعسف القول، وسوء النتيجة المييبة مسبقاً... انظر للاطلاع على كلام المذكور: أكرم بركات العاملي: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوى، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م-.

(٣) الطبراني في الكبير (٩ / ١٤١)، مرجع سابق.

يزيد المالكي قال: شهدت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة فترك شيئاً لم يقرأه فقال له رجل: يا رسول الله؟ تركت آية كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: «هلا أذكرتنيها»^(١)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه فلما انصرف قال لأبي: «أصليت معنا؟» قال: نعم! قال: فما منعك؟^(٢) وأما ما روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تفتح على الإمام في الصلاة»^(٣) فضعيف.

الحث على استظهار أقل فرض الكفاية:

وكان ﷺ يحثهم على حفظ أقل قدر عن ظهر قلب، ويرمز إلى من تقاصر عند ذلك بالذم ما دام مستطیعاً فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(٤).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتفاضلون في مقدار أخذهم للقرآن، وحفظهم له غيباً فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم^(٥)، وفي رواية: «فكان يقول: انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه».

(١) أبو داود (١/ ٢٣٨)، مرجع سابق.

(٢) أبو داود (١/ ٢٣٨)، مرجع سابق.

(٣) أبو داود (١/ ٢٣٩)، مرجع سابق، وفيه: «قال أبو داود أبو إسحاق لم يسمع من الحث إلا أربعة أحاديث ليس هذا منها».

(٤) الترمذي (٥/ ١٧٧)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) البخاري (١/ ٤٥٠)، مرجع سابق.

القراءة عن ظهر قلب من خصائص الأمة، تتميز بها عن أهل الكتاب: ولذا طرح أهل العلم مسألة مهمة في هذا الباب، وهي: هل تجوز القراءة من المصحف حال الصلاة؟ والجواب جاءت الكراهة عن البعض كإبراهيم النخعي، ومجاهد، وحماد الشعبي لا لذاته بل كراهة أن يتشبهوا بأهل الكتاب^(١). وعن قتادة عن الحسن أنه كرهه وقال: هكذا تفعل النصارى^(٢)، والصحيح جوازها ولذا بوب البخاري: «باب إمامة العبد والمولى وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف»^(٣)، وعن القاسم قال: كان يؤم عائشة عبد يقرأ في المصحف^(٤)، وذكر أبو بكر بن أبي مليكة أن عائشة أعتقت غلاماً لها عن دبر فكان يؤمها في رمضان في المصحف، والترخيص فيه جاء عن الحكم والحسن ومحمد وعطاء، وعن الحسن قال لا بأس أن يؤم في المصحف إذا لم يجد يعني من يقرأ ظاهراً، وعن ثابت البناني قال: كان أنس يصلي وغلامه يسك المصحف خلفه فإذا تعايا في آية فتح عليه^(٥)، وإنما ذكرنا هذه المسألة لتستبين منزلة القراءة عن ظهر قلب.

المطلب الثالث: التعاهد (المراجعة)

وكان النبي ﷺ يعلمهم ضرورة مراجعة المحفوظ من القرآن الكريم، وتعهده ويشد في ذلك حتى يضرب لهم الأمثال، ويحدد لهم الوقت النموذجي المناسب للمراجعة الحقيقية للفظ القرآن الكريم، ويتجلى ذلك فيما يلي:

أولاً: أمرهم بتعهده ومراجعته مطلقاً ليلاً أو نهاراً:

١- فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تعلّموا كتاب الله تعالى وتعهده وواقنوه وتغنّوا به فوالذي نفسي بيده هو أشدّ تفلّتا من

(١) انظر القائلين بذلك في ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٤، ١٢٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٤)، مرجع سابق.

(٣) صحيح البخاري (١/ ٢٤٥)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٣)، مرجع سابق.

(٥) ابن أبي شيبة (٢/ ١٢٣)، مرجع سابق.

المخاض في العُقْل»^(١)... وقد أشار النبي ﷺ إلى المراجعة في الحديث بقوله (تعاهدوه) بعد قوله (تعلموا)؛ إذ لولا ذلك لرجح أن يكون معناها مجرد النظر فيه، وعدم الانقطاع عنه «فيقول لهم (تعاهدوا القرآن) أي داوموا على تكراره ودرسه لئلا تنسوه، فتعاهد الشيء محافظته، وتجديد العهد به والمراد منه الأمر بالمواظبة على تلاوته والمداومة على تكراره ودرسه»^(٢)، ثم أكد أن المراد هو مراجعته بعد حفظه فقال: «فو الذي نفسي بيده» أي بقدرته وتصرفه «لهو أشد تفصيلاً» أي أسرع تفصيلاً وتخلصاً وذهاباً وانقلاباً وخروجاً من قلوب الرجال يعني حفظته «من الإبل من عُقلها» جمع عقال أي هو أشد ذهاباً من الإبل إذا تخلصت من العقال فإنها تفلت حتى لا تكاد تلحق... شبه القرآن وكونه محفوظاً على ظهر قلب بالإبل الأبدية النافرة وقد عقل عقلها وشد بذراعيها بالحبل المتين، وذلك أن القرآن ليس من كلام البشر بل من كلام خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، والله سبحانه بلطفه العليم منحهم هذه النعم العظيمة ويسرها لهم فينبغي تعاهده بالحفظ^(٣).

- ❖ وكان عقبة بن عامر يأمر بمقتضى هذا الحديث حفظة كتاب الله من المسلمين، وسائر المسلمين كأنه من أمره ومن نتاج تجربته لأهميته فكان يقول هذا الحديث موقوفاً^(٤)... وذلك كما أنه أحياناً كان يرفعه.
- ❖ وقد انتشر هذا الحديث فأضحى معلماً من معالم حفظ القرآن البدئية حيث جاء هذا الحديث عن غير عقبة بن عامر - خاصة عن أئمة الإقراء - فعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده هو

(١) ابن حبان (١/ ٣٢٥)، أحمد (٤/ ١٥٣)، أبو عوانة (١/ ٥١٥)، الدارمي (٢/ ٥٣١)، النسائي في الكبرى (٥/ ١٨).

(٢) فيض القدير (٣/ ٢٤٩)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٣/ ٢٤٩)، مرجع سابق.

(٤) فيض القدير (٣/ ٢٤٩)، مرجع سابق.

أشد تفصيلاً من صدور الرجال من الإبل المعقلة إلى أعطانها»^(١) ومثله عن أبي موسى^(٢)، وعن شقيق قال: قال عبد الله بن مسعود: تعاهدوا هذه المصاحف وربّما قال القرآن فلهو أشدّ تفصيلاً من صدور الرجال من النعم من عقله قال وقال رسول الله ﷺ: «لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي»^(٣)، وفي رواية: «تعاهدوا القرآن فإنه وحشي»^(٤)، وقد رفعه ووقفه كعقبة بن عامر.

ثانياً: ضرب لهم الأمثال المحسوسة لتدبّرهم على ضرورة المراجعة:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»^(٥). فذكر النبي ﷺ مراجعة القرآن وقرنها بلفظ المصاحبة بين القرآن وبين حامله ليبين ضرورة وجود ألفه دائمة بينهما، ينتفي فيها الهجران، لأن الصاحب هو الذي ألفه كما تقدم في تحرير المصطلح»، وقوله: «المعلقة بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد القاف أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركة البعير»^(٦)، فشبّه درس القرآن واستمرار تلاوته، وديمومة مراجعته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد فما زال التعاهد موجوداً للحفاظ موجود كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوانات الإنسي نفوراً وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة قوله إن عاهد عليها أمسكها أي استمر

(١) المختارة (٥ / ٢٥١).

(٢) البخاري (٤ / ١٩٢١).

(٣) أحمد (١ / ٤٢٣)، سعيد بن منصور (١ / ٧٦).

(٤) الحاكم (١ / ٧٣٩)، عبد الرزاق (٣ / ٣٥٩)، مرجعان سابقان.

(٥) البخاري (٤ / ١٩٢٠)، مسلم (١ / ٥٤٣)، مرجعان سابقان.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩ / ٨٠)، مرجع سابق.

إمساكه لها وفي رواية أيوب عن نافع عند مسلم: «فإن عقلها حفظها وإن أطلقها ذهبت» أي انفلتت^(١).

ثالثاً: منعهم من الألفاظ التي تكون نفسية متساهلة مع عدم مراجعة القرآن:

فكره لهم قول نسيت آية كذا وعلمهم جواز قول أنسيتها، وأسقطتها فعن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسيت واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم»^(٢)، وعن عائشة أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها» ولفظ البخاري «أنسيتها من سورة كذا وكذا»^(٣)، ففي هذه التعاليم المتقدمة «كراهة قول نسيت آية كذا وهي كراهة تنزيه، وأنه لا يكره قول أنسيتها، وإنما نهي عن نسيتها لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنها، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنْتَكَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا﴾ [طه: ١٢٦]، واللغة ليست أداة للتعبير بل هي وعاء للتفكير أيضاً^(٤)، وقال القاضي عياض: «أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول أي نسيت الحالة حالة من حفظ القرآن فغافل عنه حتى نسيه»^(٥).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨٠ / ٩)، مرجع سابق.

(٢) مسلم ١ / ٥٤٤، النسائي في الكبرى (١ / ٣٢٧)، أحمد (١ / ٤١٧)، مراجع سابقة.

(٣) البخاري (٤ / ١٩٢٩)، مسلم (١ / ٥٤٣) واللفظ له، مرجعان سابقان.

(٤) انظر: نحو تقويم جديد للكتابة العربية (المقدمة)، كتاب الأمة رقم ٦٩.

(٥) نقل هذا القول عنه النووي في شرح مسلم (٦ / ٧٦)، والمباركفوري في تحفة الأحوذى (٨ / ٧٦)، مرجعان

سابقان.

رابعاً: رهبهم النبي ﷺ من نسيانه^(١):

فمن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوثقه ومن تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم»^(٢).

خامساً: جعل الشرع قلة تعاهده ومراجعته جفاءً، وهجرًا:

فالهجر كما قال جل جلاله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وعلمهم النبي ﷺ أن ذلك منهي عنه في قوله: «اقرأوا القرآن، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تحفوا عنه...»، والمراد تعاهده ولا تبعدوا عن تلاوته بأن تركوا قراءته وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل: «اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم، وحاصله: أن كلاً من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله»^(٣).

سادساً: علمهم النبي ﷺ كيفية مراجعته:

بأن يقرأه بالليل والنهار فقال: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقرأه نسيه»^(٤)، وقال ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثله رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن»^(٥)، وبيان هذه الكيفية: أن يراجع حزه بالنهار، ويقوم به

(١) أشار المؤلف لهذا البند إشارة؛ اكتفاء بما ذكره في إثبات قبول هذه الأحاديث، ومدلولها في كتاب تلقي النبي ﷺ ص ٢٤٥، مرجع سابق، وخشية من التكرار.

(٢) مجمع الزوائد (٧ / ١٦٦)، مرجع سابق، وقال: «رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف».

(٣) عون المعبود (١٣ / ٣٢)، مرجع سابق.

(٤) رواه مسلم (١ / ٥٣٦)، وللضرورة أنقل ما ذكر في كتاب التلقي في هذا الموضوع: «و قوله (لم يقرأه) لا يحتمل معنى قيام الليل، وتحتمل معنى العمل به»، وقد قال المباركفوري في معنى قول الصحابي يخاطب رسول الله ﷺ:

(الاقوم بها): كما في تحفة الأحوذى (٨ / ١٥٠)، مرجع سابق: «أي في صلاة الليل».

(٥) البخاري (٤ / ١٩٢٠)، مسلم (١ / ٥٤٣)، ابن حبان (٣ / ٤٢)، مراجع سابقة.

في صلاة الليل كما طبق ذلك الصحابة رضي الله عنهم، فعن خيثمة قال: انتهيت إليه - أي عبد الله بن عمرو - وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة^(١).

سابعاً: الوقت النموذجي للمراجعة:

حدد ﷺ لهم الوقت النموذجي للمراجعة وهو الليل، وأفضل ذلك أن يقوم الإنسان الليل بما حفظه، أو بما قرأه نظراً في نهاره كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (٦) ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٦ - ٧]... فتحديد هذا الوقت هو تسلسل لمنهجية الإقراء فقد أمره الله سبحانه وتعالى بهذا الوقت للمراجعة ورغبه فيه، ثم أمر هو أصحابه به، ورغبهم فيه فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن واقروّوه وارقدوا فإنّ مثل القرآن ومن تعلّمه فقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه كلّ مكان ومثل من تعلّمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أو كي على مسك»^(٢).

وقد أشار النبي ﷺ للمراجعة والتعاهد في هذا الحديث بقوله: «واقروّوه» بعد قوله «تعلّموا القرآن» فلا يكون معنى الأمر بالقراءة بعد الأمر بالتعلم إلا معنى المراجعة.

وهذه المراجعة من اللوازم في حياة المسلم بحيث لا ينبغي لحافظ القرآن قبل أن يراجع القرآن أن ينام، فقوله «فقام به» أي تشمر لأداء حقه قراءة وعملاً، ثم شبه المراجع للقرآن في وقته النموذجي، وهو قيام الليل بما يرفعه وينفعه، وهو قوله «كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه كلّ مكان» لكأن حافظ القرآن المراجع له في قيام الليل وعاء مملوء بالمسك الفواح... وفي ذلك إيحاء إلى أن بركات القرآن

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٠)، مرجع سابق.

(٢) ابن ماجه ١/ ٧٣، مرجع سابق.

وبصائره ونوره لا تُنال إلا بذلك... وإلا فلم التعني؟ وأما من رقد أي غفل ونام «كمثل جراب أوكي على مسك»، والمعنى أنه ملاءه مسكاً وربط فمه على المسك أي لأجله... وهذا مثال على البله وسفه العقل، فإنما يراد المسك لتشم الرائحة الطيبة من صاحبه، وهذا منعها أن تفوح.

وبذا تحدد أن الوقت النموذجي للمراجعة هو ناشئة الليل:

وناشئة الليل هي «أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولاً فأولاً»^(١)، فالوقت النموذجي للمراجعة من الحفظ هو الليل، وأحسن ذلك أن يكون في قيام الليل، ويمكن أن يكون من أول الليل أي يبدأ بما بعد المغرب فقد كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: «هذا ناشئة الليل»^(٢)، وإن كان أول الليل يفضل لمن لا يوقن من نفسه القيام في آخره، كما قال ابن عباس: «كانت صلاتهم أول الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ»^(٣).

ولذا كان من دلائل هذه الآية أن الله جل جلاله بين فيها «فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب»^(٤).

حكمة اختيار هذا الوقت:

ظهرت في الآية حكمة اختيار هذا الوقت ليكون أنسب لمراجعة القرآن الكريم،

وهي:

١- أنه أشد وطأ: أي أن العمل فيه يكون أثقل على النفس «من قولك اشتدت على القوم وطأة سلطانهم» أي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن، وإذا ثقل العمل في هذا

(١) تفسير القرطبي (١٩ / ٣٩)، مرجع سابق.

(٢) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٠)، مرجع سابق، وانظر: مختار الصحاح ص ٢٧٤، مرجع سابق.

(٣) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٠)، مرجع سابق.

(٤) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٠)، مرجع سابق.

الوقت، فإنه يكون وقتاً نموذجياً لمجاهدة النفس ومعاركتها، فإذا دربت سهل قيادها، ولذا فلا ينافي هذا ما قاله عكرمة: «عبادة الليل أتم نشاطاً، وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة»، لأن عكرمة رحمه الله أراد باعتبار المآل، وهذا على قراءة وطاً^(١).

٢- أنه أشد موافقة بين القلب والسمع واللسان: لانقطاع الأصوات والحركات، وهذا على قراءة من مد فهو مصدر واطأت وطاء، فيواطىء السمع القلب في الليل، ومنه قول الله جل جلاله: ﴿لِيُؤَاطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] أي ليوافقوا، وفائدة ذلك من جهة اللفظ: رسوخ اللفظ وثبوته، واستقامة الحفظ فلا يزيغ وذلك أنه لا يعرض له حوائج^(٢)، وكذا إن قرأ نظراً في النهار ثم أعاده في الليل: فيتواطأ (يتوافق) عند ذلك البصر والسمع والقلب فعن مجاهد قال: تواطؤ سمعك وبصرك وقلبك، فهي أجدر أن يتواطأ لك فيها سمعك وبصرك^(٣)، ثم أكد على شدة الاشتغال في النهار فقال: ﴿إِنَّكَ فِي النَّهَارِ سَبَّاحٌ وَطَوِيلٌ﴾ [المزمل: ٧] أي تصرفاً في حوائجك وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً^(٤)..

٣- كما أن العمل بالليل «أشد ثباتاً من النهار»^(٥)، فإن مراجعة القرآن تحتاج إلى الديمومة والتعاهد، وهذا في الليل أسهل منه في النهار " فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمل فيكون ذلك أثبت للعمل، وأنفى لما يلهي ويشغل القلب فأشد وطناً أي أشد نشاطاً للمصلي، وأثبت للقراءة، وهذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى:

(١) فيها قراءتان متناقلتان: وطاء لابن عامر وأبي عمرو، وطاء لبقية السبعة... انظر: الشاطبية ص ١٤٤، مرجع سابق عند قول الناظم: ووطاً وطاء فاكسروه كما حكوا... من سورة المزمل.

(٢) تفسير الطبري (٢٩ / ١٣٠)، مرجع سابق.

(٣) تفسير الطبري (٢٩ / ١٣٠)، مرجع سابق.

(٤) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٢)، مرجع سابق، وانظر: الجلالين ص ٧٧٣، مرجع سابق.

(٥) تفسير القرطبي (١٩ / ٤١)، مرجع سابق.

﴿وَأَقَوْمٌ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] أي أصوب للقراءة، وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، أو أشد استقامة لفراغ الهال بالليل، أو أجدر أن يتفقه في القرآن^(١).

قضاء الحزب الليلي:

إذا فات الورد الليلي فينبغي له أن يقضيه في النهار؛ إذ قد ذهب البعض إلى أن معنى «السبح الفراغ أي إن لك فراغاً طويلاً للحاجات بالنهار» ومنه قال الزجاج: «إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك»^(٢)، وكذلك كان النبي ﷺ يعلم أصحابه: فعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»^(٣)، وكذلك كانت سنته العملية فعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»^(٤).

وعلمهم النبي ﷺ أن يضبطوا هيئات التعامل مع النفس الإنسانية المتغيرة:

بجيث لا تخل بالحفظ اليومي: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لهذا القرآن شرة، وللناس عنه فترة، فمن كانت فترته إلى القصد فنعماً هي، ومن كانت فترته إلى الأرض فأولئك هم قوم بور»^(٥)، وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩ / ٤١)، مرجع سابق.

(٢) تفسير القرطبي (١٩ / ٤٢)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١ / ٥١٥)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (١ / ٥١٥)، مرجع سابق.

(٥) قال في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٨)، مرجع سابق: «أبو يعلى وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف يعتبر بحديثه».

فلم يدر ما يقول فليضطجع^(١)، ولا ينبغي أن يحول شيء بين المرء وبين إكمال حزه فيقرؤه ولو مضطجعا كما قال جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، والقرآن أعظم الذكر، وعن الأسود عن عائشة قالت: «إني لأقرأ حزبي أو عامة حزبي وأنا مضطجعة على فراشي»^(٢).
وقد علّموا كيفية السؤال عن آية تُسيت فعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها»^(٣).

المطلب الرابع: تعليمهم مقدار الورد اليومي

علّم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم مقدار الورد اليومي سواء كان هذا الورد حفظاً أو مراجعة أو كان قراءة من المصحف فلا يتخلف عنه الإنسان، كما حدد أقل المطلوب وأكثر المطلوب...

ورد الحفظ الجديد عن ظهر قلب:

فكانوا يتعلمون القرآن من النبي ﷺ حفظاً عن ظهر قلب خمساً خمساً كمقتضى تلقائي من مقتضيات التنزيل المفرق، فقد قال عمر رضي الله عنه: تعلموا القرآن خمساً خمساً فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً، وقد قال بعض أهل العلم: من تعلم خمساً خمساً لم ينسه^(٤)، وعن أبي نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلمنا القرآن خمس آيات بالغدادة، وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات^(٥) وأخذه

(١) مسلم (١/ ٥٤٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة ٢/ ١٢٤، مرجع سابق.

(٣) عبد الرزاق ٣/ ٣٦٥، مرجع سابق.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٣٣١، مرجع سابق.

(٥) الإتيقان ١/ ١٢٤، مرجع سابق.

النبي ﷺ خمساً خمساً «أي تلقنه منه»^(١)، وروي مرسلًا من قول أبي العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن رسول الله ﷺ كان يأخذ خمساً خمساً، وكان أبو عبد الرحمن السلمي يعلم خمساً خمساً^(٢). وقد تكون كمية المتعلم عشرًا عشرًا، ويسمى (المعشر) كما جاء عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقرئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فعلمنا العلم والعمل^(٣)، وعن شريك أنه قال: كنا نعلم ما أنزل في هذا العشر من العلم^(٤).

ويحمل الفرق بين الكميتين على اختلاف الأشخاص، أو على اختلاف الأحوال.

و(العشرة) من المناسب الملائم الذي يعتبر فيه نوع الوصف وهو تحديد العشرة في نوع الحكم وهو حفظ القرآن^(٥):

فقد ورد كثيراً في مجال حفظ القرآن الكريم باعتباره المتوسط الذي يراعي الفروق الفردية، وباعتبار أمر آخر هو مواكبة العمل والعلم بالمعاني للمحفوظ فقد ورد هذا العدد في الذي يحفظه الإنسان من سورة الكهف اتقاء للدجال فعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»^(٦)، والآيات التي نزلت في عائشة عشر^(٧).

(١) فيض القدير (٥ / ١٩٣)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٦ / ١١٧)، مرجع سابق.

(٣) أحمد (٥ / ٤١٠)، مرجع سابق.

(٤) شعب الإيمان (٢ / ٣٣١)، مرجع سابق.

(٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٣٦٩.

(٦) مسلم (١ / ٥٥٥)، الحاكم (٢ / ٣٩٩)، أبو داود (٤ / ١١٧)، مراجع سابقة.

(٧) البخاري (٤ / ١٧٢٩)، مسلم (٤ / ٢١٣٦)، ابن حبان (١٠ / ٢٠)، مراجع سابقة.

❖ وكانت الآيات تنزل عليه في الغالب بهذا المقدار فيتلقفها الصحابة يحفظونها فعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سُمع عند وجهه كدويّ النحل فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرّي عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا» ثم قال ﷺ: «أنزل عليّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات»^(١)، فالعشر هي عادة النزول، ويبلغ بها ﷺ الناس فيتلقاها الناس حفظاً وهو الغالب لقلة عدد الكتب مقارنة بالحفظ.

التعشير:

ولأنهم كانوا يحفظون القرآن في الغالب عشراً عشراً فقد سمو ذلك التعشير، وسموا الورد اليومي منه المعشر، ثم إنهم صاروا يضعون علامة يدلون بها على المعشر السابق أو اللاحق في التعلم أو القراءة... ولأن طريقة تعليم الصحابة رضي الله عنهم لمن بعدهم أخذت الطابع ذاته، ولأن كمية الآيات قد استقرت في المصحف بانقضاء الوحي، وجمع الصحابة القرآن في موضع واحد فقد ذهب بعض تلاميذ الصحابة إلى وضع علامات تدل على المعشر، أي إلى تمييز الأعشار، وتسمى عند البعض (بالمأشر)، وقد ألفت مؤلفات في أعشار القرآن فأقدم من ألف فيه قتادة بن دعامة السدوسي ت ١١٨ هـ في كتاب سماه (أعشار القرآن)... وألف مكّي بن أبي طالب حموش كتاب (الاختلاف) في عدد الأعشار^(٢).

(١) الحاكم (١/ ٧١٧)، المختارة (١/ ٣٤٢)، الترمذي (٥/ ٣٢٦)، النسائي في الكبرى (١/ ٤٥٠)، أحمد (١/ ٣٤).

(٢) انظر: ابتسام مرهوان لصفار (دكتورة): معجم الدراسات القرآنية ص ٢٧، ساعدت جامعة بغداد على نشره رقم تسلسل التعضيد ٤ لسنة ٨٣ - ١٩٨٤ م.

ولكن هذا التحديد بالعشر لا يعني التزامه بدقة بل من أكثر فالله أكثر^(١)، وكذا تحمل رواية خمساً؛ إذ الأصل أن هذا طاعة، فالطلبة فيه بحسب وسعهم، وحمل البعض الخمس والعشر على حالة التلقين^(٢)، والصحيح أن ذلك يختلف من شخص لآخر.

كمية المراجعة:

كان النبي ﷺ يجعل العشر آيات أقل ما ينبغي أن يقرأه المسلم في مراجعته في الليل فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»^(٣)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون هذه الأحاديث موقوفة - مع أن لها حكم الرفع - دلالة على بدهية رفعها لأهميتها فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»^(٤)، ولكنه ﷺ حثهم على المزيد، ورتب الشارع الحكيم على ذلك الأجور العظيمة كل بقدر مشقته، ليرد كل أناس مشربهم فعن تميم الداري وفضالة بن عبيد قالوا: من قرأ بعشر آيات في ليلة كتب من المصلين^(٥)، وعن ابن عمر

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكث قال الله أكثر» رواه الترمذي (٥ / ٥٦٦)، مرجع سابق، وقال: «و هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٢) (النويري) أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد: شرح طيبة النشر في القراءات العشر (٢ / ٤٧)، تحقيق وتعليق: عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنه خير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية، مراجعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٣) أبو داود (٢ / ٥٧)، ابن خزيمة (٢ / ١٨١)، مرجعان سابقان.

(٤) الدارمي (٢ / ٥٥٤)، مرجع سابق.

(٥) الدارمي (٢ / ٥٥٥)، مرجع سابق.

رضي الله عنهما قال: «من قرأ في ليلة عشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قرأ في ليلة بمائة آية كتب من القانتين ومن قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين»^(١) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «من قرأ في ليلة عشر آيات كتب من الدّٰكرين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بخمس مائة آية إلى الألف أصبح وله قنطار من الأجر قيل وما القنطار قال ملء مسك الثور ذهباً»^(٢)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين، ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين، ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار، والقنطار ألف ومائتا أوقية خير مما بين السماء والأرض قال خير مما طلعت عليه الشمس ومن قرأ ألفي آية كان من الموجبين»^(٣)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مثله^(٤).

ونلاحظ أن من دلالة الإشارة للتفريق بين الآيات هنا أن قد رسخ في ذهن الحفاظ وغيرهم كمال السورة ومقدارها ومواضع الآيات، فيستبينون أنها طويلة أو قصيرة... ولا شك أن لهذا دلالاته في حفظ القرآن الكريم.

(١) الدارمي (٢/ ٥٥٥)، مرجع سابق.

(٢) الدارمي (٢/ ٥٥٧)، مرجع سابق.

(٣) مسند الشاميين (٢/ ٤٤)، الطبراني في الكبير (٨/ ١٨٠)، مرجعان سابقان، وقال في مجمع الزوائد (٢/

٢٦٧)، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن عقبة بن أبي العيزار وهو ضعيف».

(٤) المختارة ٨/ ٢٧٨، مرجع سابق.

المبحث الثاني:

تعليمه ﷺ ماهية التجويد وحكمه

يناقش هذا المبحث حقيقة التجويد، ومدى تعليم النبي ﷺ له، والمصطلحات التي كانت تطلق عليه في العهد النبوي والقرون المفضلة، ويصل من ذلك إلى حكمه الشرعي، ومدى تطبيق المسلمين على مختلف الأعصر لهذا الحكم.. ولتحقيق مقصد المبحث فقد انقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد.

المطلب الثاني: مكونات علم التجويد- كما علمها النبي ﷺ -.

المطلب الثالث: حكم تعلم أحكام التجويد كما علمه النبي ﷺ .

المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد

دل على التجويد في عصر النبي ﷺ وأصحابه مصطلحات أخرى غير هذا المصطلح (التجويد) مثل: الترتيل، والتحسين، والتزين، والتحبير، والترجيع.

وهذه المصطلحات- كما سنرى من كيفية تعليمها من النبي ﷺ لأصحابه إن شاء الله عز وجل- تستخدم في وصف القراءة إذا جمعت مرتبتين في النطق: الإعراب للكلام (تبيينه وإظهاره في نطقه العربي الفصيح)، والزينة في الأداء باستخدام قواعد التزين الصوتية العربية.

ولم يرد من هذه الكلمات الخمس في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل^(١)، والبقية وردت في السنة النبوية، فقد كانت هذه الأصول هي المكونة لعلم التجويد التطبيقي.

ومرد التعديدات النظرية والتطبيقية في علم التجويد:

إلى أمرين يشكلان الأصلين الشرعيين لعلم التجويد في صورته التامة: النصوص الشرعية، وقواعد اللغة العربية من حيث كون اللسان الذي نزل به القرآن عربياً، ومن حيث رجوع تلك القواعد إلى ما اختاره النقل الشرعي منها، أو يقال أخذت مادة علم التجويد الوضعي والتطبيقي من علمين: علم القراءة (المشافهة)، وعلم اللغة العربية، ولناخذ في تفصيل ذلك:

الأصل الأول لعلم التجويد: تعليمهم اللفظ القرآني من حيث كونه نزل بلسان عربي مبين:

فيقرأ القرآن باللفظ العربي^(٢) المنقول في أصل لفظه أو في كيفية التصويت به ولكن على الصورة المنقولة بالمشافهة، إذ القراءة والأداء أمران يتعلقان باللفظ وبينان على وجوه اللغة.

وأول أجزاء المعاني التي منها يلتزم النطق هو الصوت ثم الصوت بتقطيع الهواء بصير حرفاً، ثم عند جمع الحروف يصير كلمة ثم عند تعيين بعض الحروف المجتمعة على هيئة مخصوصة يصير لغة عربية، ثم بكيفية تقطيع الحروف يصير معرباً، ثم بتعيين بعض وجوه الإعراب يصير قراءة منسوبة إلى الأحرف السبعة، ثم إذا صار

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

(٢) لا نتناول هنا تفاصيل هذا الموضوع، من أنواع اللغات (اللهجات) العربية في القرآن فقد أفردوه بالتصنيف، قال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر: «في القرآن من اللغات العربية خمسون لغة»، وانظر فيه: كتاب لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد، وقد عدها السيوطي في الإتيان (٢/ ٤٧٦)، وحسب البحث تقرير الحقائق التعليمية في هذا الموضوع.

كلمة عربية صحيحة معربة صارت دالة على معنى من المعاني فتقاضى للتفسير الظاهر^(١).

❖ فقد علمهم النبي ﷺ أن القرآن نزل بلسان عربي مبين: كما قال: ﴿وَلَئِنَّهُ

لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥﴾ فعربية القرآن: كالحوالة من الشارع لاستخدام قوانين العربية في تلاوة القرآن وكتابته من إعراب وبناء وتصريف وإظهار وإدغام وإمالة وتغليظ وتفخيم وترقيق وفتح وإسكان وتخفيف وتحقيق... لا من حيث العموم بل في إطار المتناقل.

❖ وعلى هذا فالعربية أصل النطق بألفاظ القرآن الكريم، كما «هي أصل فهم القرآن ومجموعها متواتر، وفي أهميتها لإدراك كيفية قواعد التلفظ والتفهم قيل:

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة

فليس يضبط دين إلا بحفظ اللغات^(٢)

وقد كان لفظ القرآن الكريم ميسراً بلسانه ﷺ سهلاً مذلاً لتتم وظيفة

التبليغ:

ودون ذلك التيسير لا يتم أداء هذه الوظيفة كما قال جل جلاله: ﴿فَإِنَّمَا

يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وكما قال

سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، فقد كان

يعلمهم كلاماً عربياً بيناً مظهراً باللسان، لا كلاماً خفياً، فإن مدلول كلمة لسان

يظهر أن النبي ﷺ علم أصحابه هيئة أداء اللفظ الداخلي والخارجي: فلا بد من أن

(١) انظر: جواهر القرآن ص ٣٦، مرجع سابق.

(٢) نقل كلام الفارابي والبيتين الإمام السيوطي في المزهرة (١/ ٣٠٢).

تكون مبينة واضحة كما قال جل جلاله: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَةً﴾ [الطلاق: ١١] «أي في حال كونها بينة واضحة جلية»^(١)، وهذا يشمل اللفظ الخارجي والداخلي من الهيئات الصوتية الموغلة في الجزئية.

ولهذا أثره العظيم في بيان كيفية تلاوة القرآن الكريم في جهتين:

١- جهة صيرورة موافقة اللغة العربية ركناً من أركان القراءة المقبولة.

٢- جهة خضوع أداء ألفاظ القرآن الكريم لأحوال اللسان العربي الأدائية من إظهار وإدغام، وفتح وإمالة، وتخفيف وتثقل، وتحريك وإسكان، وحذف وإثبات، ومد وقصر...

وإذا كان هذا هو الأساس الأول لعلم التجويد وتقعيده فلا يبحث في حكم التجويد بهذا المعنى - عند غالب المصنفين القدماء- لأنه أصل الكلام... وتواتره بمعنى ثبوته يقيناً قطعياً لا ارتياب فيه بدهي لأن التجويد هنا مخارج الحروف وصفاتها وهي التي تتكون منها ماهية الكلام العربي الفصيح... مع ملحوظتين:

الأولى: أن المختلف فيه بين القراء في التجويد يرجع إلى أصول النطق العربي الفصيح أيضاً مما فيه سعة كاختلاف كلمة بين الإظهار والإدغام.

الثانية: أن الزيادة على أصول الكلام العربي الفصيح في التجويد إنما هو في الترتيل والتزيين والتحسين الذي أمرنا به في القراءة، فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقراءتهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق.

(١) ابن كثير (٤/ ٣٨٥)، مرجع سابق.

ولذا فإن اختلاف القراء في إثبات بعض فروع علم التجويد الدقيقة:

مثل حكم الميم الساكنة عند الباء: هل هو الإخفاء أو الإظهار - على ثلاثة أقوال كما هو معلوم في مظانه^(١) - يعزى إلى علم العربية، وذلك إذا كان ضمن القياس الجائز في علم القراءة لا الممنوع، وهو ما يتعلق بهيئة الأداء الداخلية في مواضع محدودة.

الأصل الثاني لعلم التجويد: علم القراءة:

حيث كان هذا العلم هو الذي يحوي علم التجويد من الناحية التطبيقية.

كيفية تشكل علم التجويد من علم القراءة:

١- إن متعلم قراءة القرآن يقوم يقرأ على الشيخ فيلقنه الشيخ كيفية القراءة مطلقاً أي ما تعلق منها بأصل اللفظ أو ما تعلق بأدائه، أو ما تعلق بتحسين صوته فيها وفق القواعد المتلقاة، فيأمره بالمد أو بالغنة أو بالإدغام... وهكذا... ويلحظ الشيخ الخطأ في القراءة كما كانوا - تماماً - يلحظون الخطأ النحوي فيردونه على صاحبه طبيعة، على الرغم من عدم وجود مؤلفات في النحو... ثم إنهم نظروا إلى هذه الأحكام المتلقاة شفاهاً فدونهاها أشبهاً ونظائر بالاستقراء... ثم جعلوها قواعد مسطرة، وضوابط مبنوثة في الكتب فاستقام منها علم القراءة مدوناً مكتوباً في كتبه، واحتوى فيما احتوى على أكثر علم التجويد من إدغام وإمالة ومد وقصر وتسهيل للهمز وغنة ومخارج للحروف والصفات... ولكن بصورة أوسع شملت ما كان مقتضى تلقائي من مقتضيات النطق الفصيح للغة العربية، ثم جمل بما أمر به النبي ﷺ وأمر به من التحسين والتزيين والترتيل كمد المتصل فإن النطق العربي الفصيح يقتضيه، وقواعد الصرف توجهه وترتضيه، ولا بد من زيادة حسنه طلباً لترتيبه وتزيينه وتحسينه... وهكذا بقية الأحكام.

(١) انظر ذلك في: المفيد في شرح عمدة المجيد ص ١٣٤ عند قول الناظم: لكن مع البا في إبانته وفي إخفائها رأبان مختلفان.

٢- ثم بدأ علم التجويد ينفرد بالتأليف ليكون علماً مستقلاً يحتوي على ما يدل على النطق العربي الصحيح مما كان مختصاً بالمتفق عليه بين القراء وحال الاختلاف يذكر ما يتعلق برواية واحدة فقط... فانفرد كما انفرد علم أسباب النزول عن التفسير، وعلم عدد الآي عن علم القراءة.

الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءة:

١- علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نفس حروف القرآن أو في صفاته، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تميم؛ إذ لا يتعلق الغرض به، وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تميم، فالتجويد يناقش حق الحرف ومستحقه، والقراءات يناقش بعد أن يكون حق الحرف ومستحقه قد صار من المسلمات.

٢- القراءات علم رواية واختلاف الألفاظ، والتجويد علم دراية فهو أداء تلك الألفاظ^(١).

ومما ينبغي التنبيه له أن علم القراءة وعلم التفسير كانا متلازمين:

لم يستقل أحدهما عن الآخر، ولذا ذكروا أن القراءات جزء من علم التفسير، ويبين هذا قول مجاهد- رحمه الله تعالى-: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه على كل آية أسأله فيما نزلت وكيف كانت»^(٢)، وكما أن مجاهد كان إمام المفسرين فقد كان شيخ القراء كذلك وهو شيخ الإمام المكي ابن كثير الداري.

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٠، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٢/ ٣٠٧)، الدارمي (١/ ٢٧٣)، ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٤)، مراجع سابقة.

هل لتأخر التأليف في علم التجويد أثر سلبي؟:

لا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها. ف «تجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشاهدة الشيخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشاهدة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشاهدة، وتزيد المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف»^(١)، فكانت أجيال المسلمين تجود القرآن بالمشاهدة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعني بالتجويد، وظلت المشاهدة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن وإتقان اللفظ بحروفه.

المطلب الثاني: مكونات علم التجويد كما علمها النبي ﷺ

تمت صياغة مادة علم التجويد النظرية من المصدرين السابقين العملي والنظري، ثم واصل المتخصصون في علم التجويد أبحاثهم الصوتية وغيرها مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

ومن ثم فمن الجنف الشديد عند الكلام على حكم التجويد علماً وعملاً أن يتكلم عنه بعيداً عن تصور مادته وماهيته وتصور أصوله الشرعية والنظرية، فتعليم النبي ﷺ أصحابه تجويد القرآن هو تعليم لمراتبه وأصوله الشرعية- بعد تقرير حداثة هذا المصطلح-، فيجب معرفة أصوله الشرعية حتى يتم الحكم عليها... شأنه في ذلك شأن البيوع المحدث لا بد من ردها إلى أصولها الشرعية للنظر في أحكامها تحليلاً وتحريماً.

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٠، مرجع سابق نقلاً عن محمد المرعش الملقب ساجقلي زاده

وتجويد الشيء في اللغة^(١):

هو إحكامه وإتقانه يقال جوّد فلان الشيء وأجاده إذا أحكم صنعته، وأتقن وضعه، وبلغ به الغاية في الإحسان والكمال سواء كان ذلك الشيء من نوع القول، أو من نوع الفعل^(٢).

وأما اصطلاحاً:

له إطلاقان في اصطلاح علماء القراءة^(٣):

التجويد العلمي: معرفة القواعد والضوابط التي وضعها علماء التجويد ودونها أئمة القراءة من المخارج والصفات وأحكام النون الساكنة، والوقف والابتداء.

التجويد العملي: هو إحكام حروف القرآن وإتقان النطق بكلماته وبلوغ الغاية في تحسين ألفاظه والإتيان بها معربة بشرط النقل (التلقي).

ويقال: يجود فلان القرآن تجويداً: «إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الجور في النطق بها، لم تهجنها الزيادة، ولم يشنها التقصان»^(٤).

ولا يتحقق الإعراب والإتقان للكلمات إلا بإعطاء الحروف حقها ومستحقها، ولذا ذهب بعضهم في تعريفه على أنه: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه^(٥).

وحق الحرف هو: صفاته الذاتية اللازمة له فلا تنفك عنه كالجهر والشدة والاستعلاء، وكالإعراب النحوي... فإن انفكت عنه فإن الانفكاك يغير ذات

(١) انظر في تعريف التجويد: التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٠، التمهيد ص ٥٩، نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١١.

(٢) لسان العرب (٣/ ١٣٥)، مرجع سابق.

(٣) انظر: أحكام قراءة القرآن الكريم ص ٢٠.

(٤) جمال القراءة وكمال الإقراء (٢/ ٥٢٦)، مرجع سابق.

(٥) انظر مثلاً: نهاية القول المفيد ص ١٢، أحكام تلاوة القرآن للحصري ص ١٥، مرجعان سابقان.

الحرف فإن عصى ومحذور إذا لم يعط الصاد والظاء حقهما من الاستعلاء والإطباق يصيران عسى ومحذور.

ومستحقه هو: صفاته العارضة الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم فإنه ناشئ عن الاستعلاء والتكرير، والترقيق فإنه ناشئ عن الاستفال... والكسر والتفخيم متضادان لأن الأول يستدعي انخفاض اللسان والثاني يستدعي ارتفاعه... وهذا على سبيل الإجمال، وإلا فالتفصيل أن التفخيم لا ينشأ دائماً عن الاستعلاء... وكالإظهار والقلب والإخفاء فإنها ناشئة إما عن التماثل وإما عن التقارب وإما عن التباعد، وإما عن التجانس، وهذه من الصفات الذاتية التركيبية.. كما هو مبسوط في محاله.

ولأن التجويد يعتمد على التلقي فما زال العلماء يكثرون من التنبيه أن إتقان التجويد لا بد فيه من رياضة الألسن والتكرار للفظ المتلقى كما قال الداني: «ليس بين التجويد وبين تركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه»^(١)؛ إذ تنشأ في حال التركيب أحكام غيرها حال الأفراد «فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»^(٢)، وقال صاحب كشف الظنون عن هذا العلم: «وهو كالموسيقى من جهة أن العلم لا يكفي فيه بل هو عبارة عن ملكة حاصلة من تمرن امرئ بفكه وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه»^(٣) والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم أو معذور كما قال ابن الجزري^(٤).

(١) التحديد ص ٦٠، مرجع سابق.

(٢) التمهيد ص ٦٥، مرجع سابق.

(٣) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، مرجع سابق.

(٤) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، مرجع سابق.

وجميع ما عليه القراء من القراءة تجويد وتحقيق، وحسن أداء، فقراءة ابن كثير مع تسهيله كقراءة حمزة في التجويد، لأن المراد بالتجويد: إعطاء الحروف حقها، وإخراجها من مخارجها، واجتناب اللحن الخفي، وذلك لا يختلف بحد ولا بتأن^(١).

فأركان التجويد العملي ثلاثة هي:

أولاً: إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته، والإتيان بها معربة بإعطاء الحرف حقه:

وهذا الركن راجع إلى كون القرآن نزل بلسان عربي مبين... فالعمل به واجب قطعي لا ريب فيه، ولولا ما تقتضيه الضرورة البحثية لكفت البديهة في تصور دليله.

ولعل من أهم أسباب تأخر ظهور علم التجويد مدوناً مستقلاً غير اندماجه الظاهر في علم القراءة: اعتماده الشديد على التلقي من الأفواه، وهذا مما يوضح أن الصحابة تعلموه من النبي ﷺ تلقائياً، لم يحتاج إلى نص تفصيلي، لأنه جزء من البلاغ المبين للفظ القرآن الكريم، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية.

❖ والموضوعات التي تتعلق بهذا الركن من علم التجويد مخارج الحروف وصفاتها الأصلية، والإدغام الواجب المتفق عليه، والمد الواجب من لازم ومتصل بغض النظر عن مراتبه....

ثانياً: إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته بإعطاء الحرف مستحقه:

مستحق الحرف هو صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية، وهذا الركن كأول، غير أن الفارق بينهما أن صفة الحرف هنا لا تغير من ذاته في الغالب، فإن

(١) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراءة وكمال الإقراء (٢ / ٥٢٦)، مرجع سابق.

الترقيق لا يغير من ذات الراء المفخمة، إنما يغير صفة الكمال فيها، والإشمام أو الروم لا يغير من ذات النون مثلاً.

❖ ويتعلق بهذا الركن موضوعات التجويد الأخرى مثل الصفات الفرعية من تفخيم وترقيق (دروس الراءات واللامات وحروف الإطباق)، وأبواب كيفية الوقف على أواخر الكلم...

ثالثاً: تحسين التلفظ بالحروف:

وهذا الركن هو ما يتميز به نطق الكلمات القرآنية عن نطق سائر الكلمات العربية، ولذا فالجمهور لا يدخلون العمل بالتجويد في الحديث النبوي، وهذا الركن هو الذي عبر عنه العلماء بقولهم: «هو حلية التلاوة وزينة القراءة»^(١) من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، ومن أبرز من تميز به من الصحابة ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وسالم مولى أبي حذيفة.

فالركنان الأولان هما التلاوة، وهما القراءة... ولا يتصور أداء اللفظ إلا بالأول، وينفر من أدائه دون الثاني في الفصح، وأما الثالث فهو تحسينهما وتجميلهما.

وتظهر الأركان الثلاثة في تعريف صاحب كشف الظنون لعلم التجويد بأنه «علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها، وترتيل النظم المبين بإعطاء الحروف حقها من الوصل والوقف والمد والقصر والإدغام والإظهار...»^(٢). فتعبير العلماء عن التجويد بالتحسين مع أنه الركن الثالث؛ لأن الركنين الأولين دخلاً ضمناً، فلا يتصور تحسين لفظ بغيرهما.

(١) الكامل للذهلي ص ١٩ وجه ب، مصورة مخطوطة عند الباحث. ملحوظة: وردت مصطلحات التلاوة والأداء والقراءة في هذا الموضوع: «و الفرق بين الثلاثة أن التلاوة: قراءة القرآن متتابعاً، كالأورد والأسباع والدراسة، والأداء: الأخذ عن المشايخ، والقراءة: تطلق عليهما، فهي أعم منهما» انظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة.

(٢) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، وانظر: أجد العلوم (٢/ ١٤٤)، مرجعان سابقان.

المطلب الثالث: حكم التجويد كما علمه النبي ﷺ

أما الركنان الأولان من التجويد فلا يرتاب أحد في أن النبي ﷺ قد علمهما أصحابه رضي الله عنهم لأن ذلك من مقتضيات نزول القرآن بلسان عربي مبين، إذ أصل أصول هيئة الأداء: عربية اللسان، وكل دليل للركن الثالث هو دليل للركنين السابقين.

ودليل تعليم النبي ﷺ لأصحابه الركن الثالث:

١- أمر الله عز وجل النبي ﷺ بتجويد القرآن: والنبي ﷺ إنما تلقاه مرتلاً من جبريل عليه السلام كما في آية الفرقان ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، وأمر بأن يقرأه كما سمعه من جبريل عليه السلام كما في آية المزمل ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وآية القيامة ﴿فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَانْتَعِبْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، ووقع ذلك منه عملياً كما في حديث المعالجة^(١)، ولا شك أننا مأمورون بالافتداء به ﷺ.

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]: أي يقرؤونه حق قراءته، وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي.

وإعطاء اللفظ حقه في التلاوة: تظهر ضرورته الشرعية من هذه الآية وهذا هو التجويد؛ إذ عرّف العلماء (التجويد) بأنه إعطاء الحرف حقه ومستحقه، فالتجويد من حق تلاوة الكتاب العزيز، وقد روى الطبري أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «إن حق تلاوته أن يجل حلاله، ويحرم حرامه، وأن يقرأه كما أنزله الله عزّ

(١) وتفصيل ذلك في كتاب تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ص ١١٣، مرجع سابق.

وجلّ، ولا يحرفه عن مواضعه»^(١)، وعن قتادة قال في معنى الآية: «يتبعونه حق اتباعه - قال - اتباعه يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرؤنه كما أنزل».

٣- قوله جل جلاله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٤- أحاديث التحسين للقرآن، والتزيين لتلاوته، والتغني به، كما قال النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن وتغنوا به..»، وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»...

٥- واشتد اهتمام النبي ﷺ بتعليمهم قواعد تجويد القرآن تلقيناً كقوله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة»، «والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة، فالماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه»^(٢).

٦- وأعظم أدلة وجوب التجويد العملي هو التلقي القرآني المتواتر تواتراً ضرورياً.

ويشير إلى ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم»^(٣)، وحدد لهم بعض المعلمين فقال: «خذوا القرآن من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة»^(٤)، وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

(١) الطبري (١ / ٥١٩)، مرجع سابق، تفسير الجلالين ص ٢٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (١٣ / ٥١٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (٣ / ٢١)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٣ / ١٣٨٥)، مسلم (٤ / ١٩١٣)، الحاكم (٣ / ٢٥٠)، الترمذي (٥ / ٦٧٤)، مراجع سابقة.

لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا
«أي أن القراءة بالتجويد واجبة لأن الله أنزل القرآن به، فتجويد القرآن وصلنا
من الله بسلسلة الإسناد الجليلة هذه، إذ إن المقصود الاصطلاحي بتجويد القرآن:
قراءته على الصفة التي قرأه بها النبي ﷺ وأداؤه بالهيئة التي أداه بها»^(١).

فعلم التجويد بأركانه «هو عبارة عن وصف اصطلاحى لما ثبتت الرواية به من
صفة قراءة النبي ﷺ، وإلا فالمقصود هو تلك الهيئة التي نزل بها الوحي، وتلقاها
رسول الله ﷺ من جبريل مشافهة، عرضاً وسماعاً، كما سبق بيانه، وأقرأ بها
عدداً من أصحابه»^(٢).

فهذه النصوص واضحة الدلالة على أن القراءة توقيفية، فلا يجوز أن يقرأ أحد
إلا بالهيئة التوقيفية المتلقاة من الحضرة النبوية، والتي يتعلمها مشافهة من المقرئين،
وقد عين النبي ﷺ لجليل الصحابة رضي الله عنهم هؤلاء المقرئين ليتعلموا منهم
القراءة، ويتلقوا منهم نص القرآن، وذكرهم ليس على سبيل الحصر، فقد نوه
النبي ﷺ في أحاديث أخرى بقراء آخرين من الصحابة رضي الله عنهم^(٣).

❖ وأكد النبي ﷺ على تجميل الصوت وتحليته عند قراءة القرآن الكريم فعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء حلية
وحلية القرآن حسن الصوت»^(٤)، وعن البراء رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن
حسناً»^(٥)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول

(١) انظر: سنن القراءة ص ٢٨، مرجع سابق، وانظر تفصيل ذلك في كتاب التلقي الفصل الثالث كاملاً.

(٢) انظر: سنن القراءة ص ١١٠، مرجع سابق.

(٣) انظر: سنن القراءة ص ١١٠، مرجع سابق.

(٤) المختارة (٧ / ٨٨)، مرجع سابق، ونحو ذكره في مجمع الزوائد (٧ / ١٧١)، مرجع سابق.

(٥) الحاكم (١ / ٧٦٨)، مرجع سابق.

الله ﷺ يقول: «إن حسن الصوت يزين القرآن»^(١)، وتسلسلت المنهجية: فعن علقمة أنه قرأ على ابن مسعود رضي الله عنه فقال: «رتل فداك أبي وأمي فإنه زينة القرآن»^(٢)، وفي رواية عنه قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القرآن فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حسن الصوت زينة للقرآن»^(٣).

المسلمون في أغلبهم الأعم يقومون بالأركان الثلاثة:

وحتى لا يبادر البعض بالإنكار على وجوب ما سبق فإنه يجب تقرير حقيقة واقعة في حياة المسلمين هي: أن المرتبة الثالثة حقيقة ملموسة واقعية فلا تجد صغيراً ولا كبيراً ولا رجلاً ولا امرأة ولا شاباً ولا هراً إلا غير نبرة تصويته عند قراءة القرآن الكريم إلى هيئة فيها تغن ظاهر كل حسب قدرته وطاقته الصوتية.

وعلى هذا يحفظ هذا الكتاب المجيد من جميع الجهات:

فثم غاية لقراءة القرآن هي التدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا أَبْتِي﴾ [ص: ٢٩] سواء كانت اللام أن تكون للتعليل أو للعاقبة.

وثم مقتضى يوجبه التدبر هو الخشوع ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا فَنَفْسُهَا مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) الشاشي في مسنده (١/ ٣٣٩)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٧١)، مرجع سابق.

(٢) ابن الجعد (١/ ٤٩٦)، الطبراني في الكبير (١٠/ ٨٢)، الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ١٤١)، مراجع سابقة.

(٣) الطبراني في الكبير (١٠/ ٨٢)، مرجع سابق.

وتم طريقة لقراءة هذا الكلام هي التلاوة بالترتيل وتحسين التصويت به، فليست قراءة القرآن كمعتاد الكلام، أو إلقاء الشعر.

فتحصل بمجموع ذلك كله: وجوب ترتيل (تجويد) القرآن كما تلقي وسمع مع المنع من غثاثة الإفراط في التغني للتوقيفية التعبدية المحضة.

فالواجب الشرعي في التجويد: وهو ما أجمع عليه القراء كالإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وترك المد فيما أجمع على قصره وترك القصر فيما أجمع على مده وغيره ذلك مع أن الواجب من المد هو القدر المجمع عليه مما ليس فيه خلاف، وتزيين القراءة بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي؛ إذ يمثل الترتيل المأثور به، ويبقى العذر بالجهل مانعاً من وقوع العامي في الإثم، ولكن أي عذر لمتعلم جامعي في أرقى التخصصات الفنية ألا يعرف كيفية قراءة كتاب الله الكريم أكثر من العامي أو الأمي؟.

وحقيقة الوجوب هنا قائمة على ركائز:

❖ توفر الحد الأدنى من أحكام التجويد مما هو مجمع عليه بين القراء، فليس من الواجب تحقيق المد تماماً وإنما المجيء بأصله الذي يسمى به مداً، وكذلك الغن، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق مخرج الحرف وصفته... ولذا ذكر قالون عن نافع أنه كان يمد ويحقق القراءة، ولا يشدد، ويقرب بين المدود وغير المدود، قال ابن مجاهد: وكذلك مذهب ابن كثير وأبي عمرو^(١)، وقال حمزة: ترك الهمز في المحارِب من الأستاذية^(٢)، والمراد ترك الكمال في ذلك كله.

(١) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت ٤٤٤ هـ: التحديد في الإتقان والتجويد ص ٨٧، مرجع سابق.

(٢) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٤٧١)، مرجع سابق، ويراجع كلام السخاوي القيم في الدفاع عن ابن عامر وحمزة.

- ❖ تحسين الصوت تغنياً وتزييناً بالمستطاع: والمراد تغيير نغمة الصوت عند التلاوة على هيئة مميزة للقرآن الكريم.
- ❖ أن الأركان الثلاثة تتفاوت في وجوبها، فالأول لا تسمى القراءة قراءة إلا به، والثاني يخل بعرف القراءة وقد يخل بالمعنى، ووجوبه في درجة أدنى، والثالث يخل بعرف تلاوة القرآن ووجوبه أقل مما سبقه، والتساهل فيه كائن، والله أعلم.

المبحث الثالث:

تعليمه ﷺ أهمية التجويد وضوابطه الشرعية

بعد معرفة الأصول الشرعية للتجويد وتصور ماهيته، وحكم تعلمه، لا بد من الإشارة إلى وسائل النبي ﷺ في بيان أهميته، واجتناب ما يضاده، وبيان حدوده، وهو ما يتحدث عنه هذا المبحث، ولذا انقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أهمية التجويد.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ اجتناب اللحن.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ ضوابط التجويد.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أهمية التجويد

علمهم النبي ﷺ أهمية التجويد من وقت مبكر من البعثة حيث نزلت سورة المزمل... ومن معالم تعليمه ﷺ للصحابة أهمية التجويد:

١- كان النبي ﷺ يعلمهم القرآن حرفاً حرفاً:

وهذا إنما يكون بالتلقين القرآني للحروف مصحوبة بالترتيل حتى قال عبد الله بن مسعود في وصف تعليم النبي ﷺ لهم التشهد «كما يعلمنا السورة من القرآن»^(١)، ومثله حديث ابن عباس، وجابر في تعلم الاستخارة^(٢)، فيحتمل أن يكون وجه الشبه هو التكرار، ويحتمل دقة التلقين، والاهتمام بدقة الحفظ والأظهر أن ذلك شمل الأمرين معاً، ويدل على ذلك وعلى تسلسل هذه المنهجية أيضاً أن

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٣٤٩)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ٣٩١)، مرجع سابق.

إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي والأسود بن يزيد بن قيس النخعي روي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ علمه التشهد في الصلاة فقالوا: «كنا نحفظه عن عبد الله بن مسعود كما نحفظ حروف القرآن الواو والألف»^(١)، وقد شدد ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك «حتى أخذ على أصحابه الواو والألف فيه كي يوافقوا لفظ رسول الله ﷺ»^(٢).

❖ ويدل قوله «الواو والألف»: على تحري الحروف وعدم إبدالها بغيرها، ويحتمل أن يكون المعنى إتقان نطق الحرف، والتشديد على ما يخل به الإنسان عادة كالحركات (التي تسمى في علم الأصوات: الألفونات والمصوتات) التي قد تتعرض إلى البتر إذا كانت طويلة، أو إلى المط إذا كانت قصيرة... فيحمل على العموم، وذكر الألف والواو يدل على مقدار الإتقان في الحفظ والأداء معاً كما قال مجاهد: «صليت خلف مسلمة بن مخلد فافتتح البقرة فما أخطأ فيها واو ولا ألفاً»^(٣).

٢- جعل الترتيل (التجويد) القرآني مقياساً لدقة الترتيل في غيره:

ولذا كانوا يشبهون دقة تعليم أي شيء آخر بتعلم ألفاظ القرآن كالتشهد والاستفتاح والاستخارة، والأذان الذي يؤدي مرتلاً مغنى به.

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٤٣٨)، ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٢)، مرجعان سابقان.

(٢) شرح معاني الآثار (١/ ٢٦٥).

(٣) ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٩)، الحاكم (٣/ ٥٦٥)، مرجعان سابقان، ومسلمة المذكور هو الأنصاري الزرقي صحابي معروف ولد في السنة الأولى للهجرة، كان أميراً لمصر ومات وهو وال عليها سنة ٦٢ هـ انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٥)، المعين في طبقات المحدثين ص ٢٦، مشاهير علماء الأمصار ص ٥٦.

٣- وقد كان ﷺ يعلمهم مد الصوت في الأذان فكيف تراه في تعليم القرآن؟
 فعن أبي محذورة رضي الله عنه قال: ألقى علي رسول الله ﷺ التأذين «حرفاً
 حرفاً» هو بنفسه فقال قل الله أكبر... قال: ثم ارجع فمد من صوتك...
 الحديث^(١). فالمراد بمد الصوت هنا رفع الصوت وإطالة المد بنداوة.

٤- ديمومة الإقراء لهم بالترتيل ليصير عادة قرآنية في التلاوة:

فكانوا يسمعون القرآن منه ﷺ مراراً، فيكون ذلك مراساً لهم على الحفظ
 وإتقان الأداء على ما هو معلوم من صلواته الجهرية، وحلقاته القرآنية وإقراءه
 الفردي وتبليغه العام.

٥- تقديم الأقرأ في أهم العبادات وهي الصلاة:

وقد أمر أن يؤمّ بالقوم الأقرأ، وهذا يدل على اهتمامه بتعليمهم ما يتفاضلون
 فيه في القراءة، والأقرأ «محمل لشيئين أحدهما أن يكون المراد به أحفظهم للقرآن،
 وهو المتبادر الثاني: أحسنهم تلاوة للقرآن باعتبار تجويد قراءته وترتيلها»^(٢)، ولا
 شك أن الأكثر قراءة هو الذي جمع بين الأمرين وعليه عمل عامة المسلمين إلى
 اليوم.

٦- تقسيم قراءة القرآن إلى قسمين: الماهر، والمتتبع:

فعن عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر
 بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاقّ وفي
 لفظ: والذي يقرأ وهو يشتدّ عليه له أجران له أجران»^(٣).

(١) أبو داود / ١ / ١٣٧، مرجع سابق.

(٢) البحر الرائق (١ / ٣٦٨)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤ / ١٨٨٢)، مسلم (١ / ٥٤٩).

- ❖ والماهر بالقرآن: أصل المهارة الحذق بالسباحة، والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه^(١)، فالماهر هو «الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه»^(٢)، ولذا ففي رواية البخاري: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له»^(٣) فالماهر من اجتمع فيه شرطان: جودة الحفظ، وإتقان الأداء «المهارة في القرآن بهذا جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة...»^(٤).
- ❖ وثواب الماهر أن يكون مع الملائكة أو الرسل وياله من حظ وشرف، وسبب ذلك أن الله تعالى يسره عليه كما يسره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة^(٥)، «و يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفارة؛ لانصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم»^(٦).
- ❖ وأما التمتع فهو «التردد في الكلام عيياً وصعوبة»^(٧) والذي يتمتع فيه هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، أو لصعوبة أدائه وإتقانه وقوله «و هو شديد عليه» أي يصيبه شدة ومشقة، والشدة والمشقة قد تكون في حفظه، وقد تكون في أدائه، وقوله «له أجران»: أجر بالقراءة، وأجر بتتمعه في تلاوته ومشقته^(٨).

(١) انظر: فتح الباري (١٣ / ٥١٩)، مرجع سابق.

(٢) انظر: شرح النووي (٦ / ٨٤)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤ / ١٨٨٢)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (١٣ / ٥١٩)، مرجع سابق.

(٥) انظر: فتح الباري (١٣ / ٥١٩)، مرجع سابق.

(٦) انظر: شرح النووي (٦ / ٨٤)، مرجع سابق.

(٧) انظر: القرطبي (١ / ٧)، مرجع سابق.

(٨) انظر: شرح النووي (٦ / ٨٤)، مرجع سابق.

❖ وليس معنى الحديث أن الذي يتتبع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً؛ «لأنه مع السفارة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره»^(١) كما يقال أيضاً: «درجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متعتاً عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة»^(٢).

٧- فرضية أداء المستطاع في تلاوة القرآن الكريم من الترتيل:

كما دل عليه الحديث السابق.

٨- وكان النبي ﷺ يجعل ميادين تجويد القرآن مختلفة ليرسخ بأكثر من

أسلوب:

وذلك كالصلاة الجهرية الجماعية، وحلقة التعليم، والتعليم الفردي، والصلاة الفردية، والقراءة الفردية فكان يرفع الصوت بالقراءة، ولا شك أن من المقاصد الشرعية لذلك سماع القرآن لفظاً وكيفية (أداء) فعن أم هانئ قالت: كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي^(٣).

❖ وتسلسلت هذه المنهجية فقد علم الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم ذلك كما تعلموه من النبي ﷺ فأخبروهم أن من أعظم واجبات حامل القرآن تلاوته بالحق أي بأحكامه ليس التلاوة المجردة فعن شقيق قال: أتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بمصحف قد زين فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق^(٤).

(١) انظر: شرح النووي (٦ / ٨٤)، مرجع سابق.

(٢) انظر: القرطبي (١ / ٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن ماجه (١ / ٤٢٩)، وقال في مصباح الزجاجة (١ / ١٥٩)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٤) سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٤٨٥)، مرجع سابق، وقال المحقق: «سنده صحيح».

وقد نبه الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم إلى ضرورة التزام التجويد:

❖ وذموا تاركه فعن حذيفة رضي الله عنه: «إن من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع منه واواً ولا ألفاً، يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلى بلسانها»^(١)، فقد وسم من لا يعطي الحروف حقها بالنفاق وذلك أن اللفت هنا من قولهم: الرَّاعِي يلفت الماشية بالعصا، أي يضربها بها، لا يبالي أيها أصاب، والمعنى: «يقرؤه من غير روية ولا تبصّر بمخارج الحروف، وتعتمد للمأمور به من الترتيل والترسل في التلاوة، غير مبال بمتلوه كيف جاء؛ كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته، وأصل اللفت لي الشيء عن الطريق المستقيمة»^(٢)، وقد يحتمل عند الباحث أن يكون المعنى: اهتمام المنافق بالقراءة حتى لا يترك منه ألفاً ولا واواً إلا أتقنه ليفتن الناس بذلك.

❖ ومن ذلك ما جاء عن أبي جرة قال قلت لابن عباس: إني (رجل) سريع القراءة، إني أهدّ القرآن «و ربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين». فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله «فإني كنت فاعلاً لا بد فاقراه قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك»^(٣)... وهذا الأخير هو حدّ الحدر الاصطلاحي.

❖ وصيغة التفضيل (أحب) في قول ابن عباس لا تدل على جواز قراءة القرآن بغير ترتيل بل تدل على الاستبداد، وتشبه في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ حَرِّ لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التاني والتؤدة (يطابق التحقيق الاصطلاحي)، والمفاضلة بينه وبين الهدّ وهو

(١) ابن أبي شيبة (٦ / ١٢٧)، مرجع سابق، صفة المنافق ص ٥٩ للفريابي.

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث (٣ / ٢٢٤).

(٣) البيهقي في الكبرى (٣ / ١٣)، مرجع سابق.

الإسراع (يطابق الحدر الاصطلاحي) مع بقاء الأحكام الواجبة في كل منهما، كما سيأتي في مراتب الترتيل - إن شاء الله عزّ وجلّ - في المبحث القادم. ومن أهم معالم تعليم النبي ﷺ لهم أهمية التجويد: تعليمه اجتناب اللحن، وهو ما يأتي في الفصل التالي.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ اجتناب اللحن^(١)

الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحن:

ذكر بعضهم للحن ستة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة والتعريض والمعنى^(٢) ومنه قول الشاعر:

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً

وأما اللحن في اصطلاح القراء فهو: هو الميل عن الصواب فهو خطأ يطرأ على القراءة فيخل بعرف القراءة وبمعناها وهو الجلي، أو يخل بعرف دون المعنى وهو الخفي.

وقد جعل النسفي «الخطأ في القراءة ستة أنواع أحدها: في الآية والثاني في الكلمة والثالث في الحروف والرابع في الإعراب والخامس في قطع الكلمة والسادس في الوقف والابتداء» ثم جعل للثلاثة الأولى ستة أوجه «وهي الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال والتكرار... وجعل الضابط في فساد الصلاة

(١) انظر في مناقشة موضوع اللحن من زاوية تجويدية: التمهيد ص ٧٦، مرجع سابق، نهاية القول المفيد ص ٢٢، مرجع سابق.

(٢) انظر: لسان العرب (١٣ / ٣٧٩ و ١٣ / ٣٨١)، مختار الصحاح (١ / ٢٤٨)، مرجعان سابقان.

في الغالب هو تغير المعنى عند أبي حنيفة ومحمد وأما أبو يوسف فيشترط اللفظ^(١)، وعلى هذا الجماهير أن الخطأ اللفظي لا يغتفر في فساد الصلاة لقادر على التعلم.

ومن معالم أمر النبي ﷺ باجتنب اللحن وتصحيحه:

١- الأمر بإعراب القرآن: وذلك كائن بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه، وهو معنى التجويد، والأمر بإعراب القرآن إبعاد للركن الأساسي من أركان اللحن الجلي، وقد «جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم من تفضيل إعراب القرآن، والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه»^(٢) كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب»^(٣)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن فإن من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات»^(٤)، ومعنى إعراب القرآن كما قال الحلبي: «شيثان أحدهما أن يحافظ على الحركات التي بها يتميز لسان العرب على لسان العجم، والآخر أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيئاً منه بغير لأن ذلك ربما أوقع اللحن أو غير المعنى»^(٥)، وكذلك أن يؤدي لكل حرف حقه

(١) من مصورة مخطوطة للشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي ورقة ١ وجه أ في ملك الباحث، والصورة مستجلبه من مخطوطات كتب خانة بالهند.

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٣)، مرجع سابق وقد نقل ذلك عن أبي بكر الأنباري.

(٣) الحاكم (٢/ ٤٧٧)، مرجع سابق وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه»، وفي مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣): «رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك»، وهو في ابن أبي شيبة (٦/ ١١٦)، وانظر: خلدون الأحديب (دكتور): زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (٦/ ٢١٦)، دار القلم - دمشق ط ١، ١٩٩٦ م - ١٤١٧ هـ وقال في إسناده عند الخطيب: «إسناده ضعيف جداً».

(٤) الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٧)، مرجع سابق، مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك».

(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، وإنما تكون دقائق العربية بتطبيق دقائق التجويد لأن حقيقة التجويد البحث عن أحوال الحروف ودقائق النطق بها^(١).

وتسلسلت المنهجية فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أعربوا القرآن فإنه عربي وسيكون بعدكم أقوام يثقفونه وليسوا بخياركم»^(٢)، والظاهر أن معنى يثقفونه أي يلتقطون كلامه التقاطاً كأنهم لا يباليون بإعرابه، أو يسردونه دون مبالاة ببيانه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أعربوا القرآن فإنه عربي، وتفقهوا في السنة، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وإذا قص أحدكم على أخيه فليقل اللهم إن كان خيراً فلنا وإن كان شراً فعلى عدونا»^(٣).

٢- الأمر الصريح باجتناّب اللحن عموماً وتصحيحه لمن وقع فيه:

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن فقال رسول الله ﷺ: «أرشدوا أحاكم»^(٤) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلموا القرآن»^(٥)، وعن أبي بن كعب قال: «تعلموا اللحن في القرآن كما تعلمون القرآن»^(٦). وأما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «إذا قرأ القارئ فأخطأ أو لحن أو كان أعجمياً كتبه الملك كما

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٥٩٠)، مرجع سابق.

(٢) سعيد بن منصور (١/ ١٤٦)، الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٩)، شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مراجع سابقة، وقال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣)، مرجع سابق: «رواه الطبراني من طرق وفيها ليث بن أبي سليم وفيه ضعف وبقية رجال أحد الطرق رجال الصحيح»، ومعنى يثقفونه كما قال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٤١)، مرجع سابق: «يعني يسردونه»، وجاء الجزء الأول منه «أعربوا القرآن» مرفوعاً وموقوفاً في المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٣٩)، مرجع سابق.

(٣) سعيد بن منصور (٢/ ٢٦٧)، مرجع سابق.

(٤) الحاكم (٢/ ٤٧٧)، مرجع سابق، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

(٦) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

نزل»^(١) فالمراد به- إن صح- كأن يبدل «حرفاً بحرف لفقد معلم أو عجز أو لحن فيه بأن حرفه أو غير إعرابه»^(٢)، وليس معنى هذا الحديث إلا معنى الآخر (الماهر بالقرآن) ففي هذا الحديث «أن القارئ يكتب له ثواب قراءته، وإن أخطأ ولحن لكن محله إذا لم يتعمد ولم يقصر في التعلم وإلا فلا يؤجر بل يؤزر»^(٣).

والتجويد معرفة الصواب في القراءة واجتناب الخطأ، فمعرفة اللحن هي الركن الثاني من ركني الإتقان في هذا الباب، وقد أشار إلى ذلك الخاقاني بقوله: فأول علم الذكر إتقان حفظه ومعرفة باللحن من فيك إذ جرى فكن عارفاً باللحن كيما تزيله وما للذي لا يعرف اللحن من عذر»^(٤)

❖ ملحوظة: ظهر أن أكثر ما ورد من أحاديث وآثار في هذا المطلب ضعيفة ضعفاً غير منجبر لكن الباحث ذكرها محاولة للإحاطة بما ورد في الباب، ولأن أصل الموضوع قائم في التلقي ذاته... إذ عملية الإقراء والتلقين قائمة على سماع الصواب وتسميحه في اللفظ والأداء، ونفي الخطأ المنع منه في اللفظ والأداء أيضاً.

المطلب الثالث تعليمه ﷺ ضوابط التجويد

وكما أن النبي ﷺ علمهم التجويد وأهميته، ونفّروهم من اللحن فقد علمهم الضوابط التي تضبط طريقة أداء اللفظ القرآني لئلا يحدث البغي في ترتيل ألفاظ القرآن، وهيئات التصويت بحروفه بحيث لا يغالي في تجويد القرآن، ولا يوغل في

(١) الفردوس (١ / ٢٨٩)، مرجع سابق.

(٢) فيض القدير (١ / ٤١٦)، مرجع سابق، وقال: «و فيه هشيم بن بشير قال الذهبي حافظ حجة مدلس عن أبي بشر مجهول».

(٣) فيض القدير (١ / ٤١٦)، مرجع سابق.

(٤) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٢، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: راجع هذه النسخة وصححها على محمد الضباع ربيع الثاني ١٣٤٩ هـ.

التغني به حتى يخرج عن كونه قرآناً معظم اللفظ والمعنى إلى جعله كلاماً مغنى اللفظ متروك المعنى، ومن معالم تعليمه في ذلك:

١- المنع من الغلو في ترتيل لفظ القرآن:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام... حامل القرآن غير الغالي فيه والجاافي عنه...»^(١)، والغلو هو المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنع عن تدبر المعنى، والتشديد ومجاوزة الحد في العمل به، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وأما قوله «و لا الجافي عنه» أي وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه^(٢)، ولذا نبه أهل العلم على ضرورة ألا يخرج التغني بالقرآن عن حده المعلوم، فالأمر بالتجويد وما يتبعه من تغن: «إذا لم يخرج التغني عن التجويد، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهة»^(٣).

٢- التخفيف في المطالبة بالدقة البالغة لأحكام التجويد خاصة للعامة:

كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: «اقرأوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه»^(٤)، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نقترئ فقال:

(١) أبو داود (٤ / ٢٦١)، مرجع سابق.

(٢) انظر: عون المعبود (١٣ / ٣٢)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

(٤) سنن أبي داود (١ / ٢٢٠)، مرجع سابق.

«الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود اقرؤه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله»^(١).

❖ فقله: «اقرؤا فكل حسن»: أي فكل واحدة من قراءتكم حسنة مرجوة للثوب، ولا عليكم ألا تقيموا ألسنتكم إقامة القدح وهو السهم قبل أن يراش «وسيجيء أقوام يقيمونه»: أي يصلحون ألفاظه وكلماته ويتكلفون في مراعاة مخارجه وصفاته (كما يقام القدح): أي يباليغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة، وقال الطيبي - رحمه الله تعالى -: «وفي الحديث رفع الحرج وبناء الأمر على المساهلة في الظاهر، وتحري الحسبة والإخلاص في العمل، والتفكر في معاني القرآن»^(٢)، وهذا يعطي سعة في عدم التعمق في إتقان التجويد، والتساهل في ذلك ما دامت أصول القواعد ظاهرة وذلك مثل وجود الحد الأدنى من المدود الفرعية فيغض النظر عن توفر الكمال فيها، وجاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ عليّ الحدر، فقال نافع: ما الحدر؟ ما أعرفها، أسمعنا. قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحدر، أو قال حدرنا، ألا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشدداً، «ولا نشدد مخففاً»، ولا نقصر ممدوداً، ولا نمد مقصوراً، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله ﷺ سهل جزل، لا نمضغ، ولا نلوك^(٣).

❖ وقد أشار إلى بعض ذلك الإمام السخاوي في منظومه بقوله:

لا تحسب التجويد ممدأ مفراطاً أو مدمالاً مد فيه لوان
أو أن تشدد بعد مدمزة أو أن تلوك الحرف كالسكران

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

(٢) عون المعبود (٣/ ٤٢)، مرجع سابق.

(٣) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت ٤٤٤ هـ: التحديد في الإتقان والتجويد هامش ص ٩٣،

مرجع سابق.

أو أن تفوه بهمزة متهوعاً فيفر سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلا تك طاغياً فيه ولا تك مخسر الميزان^(١)
٣- ألا تؤدي أحكام الترتيل إلى إلغاء الغاية من التلاوة وهي التدبر:

فتصبح القراءة بذلك مجرد مثار للطرب: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْتَهُ
إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَبُوهَا إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُلَاقِيَكُمْ
صَوْتُهُ مَدًّا﴾ «أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر والتفكير
وتذكير من يتذكر»^(٢) وليس الإطالة للتطريب المجرد.

وهذا الوصف هو الذي يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل كما
في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، كما أنه هو الوصف
الذي يتأتى معه الغرض من خشوع القلب كما في قوله جل جلاله: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كُنْبًا مَتَشَبِهًا مَتَانِي نَقَشِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] ولا تتأثر
به الجلود والقلوب إلا إذا كان مرتلاً، فإذا كان هذا كالشعر أو الكلام العادي لما
فهم، وإذا كان مطرباً كالأغاني لما أثر، فوجب الترتيل كما بين^(٣).

وتسلسلت المنهجية فنقل الصحابة ذلك لهم فعلموه تلاميذهم فعن حذيفة
قال: «ليقرآن القرآن أقوام يقيمونه كما يقام القدح لا يدعون منه ألفاً ولا يجاوز
إيمانهم حناجرهم»^(٤).

(١) (ابن أم قاسم) الحسن بن قاسم المرادي ت ٧٤٩ هـ: المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ص ١٥،

تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الزرقاء - الأردن.

(٢) حاشية السندي (٢/ ١٧٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: أضواء البيان (٨/ ٦١٠)، مرجع سابق.

(٤) سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٤٩)، مرجع سابق.

٤- عدم التدافع المعنوي واللفظي في القرآن:

فنهاهم النبي ﷺ عن أن يخطئ بعضهم بعضاً فيما كان الأمر فيه واسعاً في تأدية الألفاظ أو في دلالاتها، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارءون في القرآن فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه»^(١).

(١) أحمد (٢/ ١٨٥)، مرجع سابق، الجامع لمعمر بن راشد (١١/ ٢١٦)، مرجع سابق.

المبحث الرابع:

تعليمه ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

التجويد- كمصطلح- استحدث ليعبر عن الترتيل ونحوه من المصطلحات الشرعية، فلا بد من بسط مفهوم الترتيل لنرى كيف علمه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، واقتضى ذلك أن ينقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترتيل وأركانه.

المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي ﷺ.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ مراتب الترتيل.

المطلب الأول: الترتيل وأركانه

الترتيل في الوضع اللغوي:

يفهم من دلالات الوضع اللغوي للترتيل أنه الذي يجمع عدة دلائل^(١):

١- حسن التنسيق والتنضيد للشيء المرتل: ومنه «ثغر ركل ورّتل: حسن التنضيد مستوي النبات» والرتل: حسن تناسق الشيء.

٢- حسن التنسيق بين أجزاء الشيء المرتل مع شدة البيان والظهور لها بحيث يتميز بعضها عن بعض: ومنه يقال «ثغر رتل وهو المفلج الذي بين أسنانه فروج لا

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

يركب بعضها بعضاً، ورتل الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه»، وهذا لا يكون إلا إذا ميز كل حرف عن الآخر، وأبان كل حركة من الأخرى.

٣- أن يكون حسنه على تؤدة: ومنه كلام رتل أي مرتل إذا كان «حسناً على تؤدة».

٤- أن يكون التبيين والتمهل والتؤدة بغيربغي يخرج عن سنن الكلام المرتل، ويضبط هذا في ترتيل لفظ القرآن الكريم التلفي.

٥- وهذا المعنى اللغوي للترتيل هو الذي يستلزم السكينة والوقار فلا يكون التنسيق والتنضيد للكلام القرآني، والإبانة والتأني... مخرجاً له عن الكلام القرآني إلى الغناء المتخلع لما هو غير قرآن...

واجتمع هذا كله في تأويل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]؛ فقد قال بعض اللغويين فيها: «ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين»، أراد في قراءة القرآن؛ وترتيل القراءة: التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات^(١)، ولذا ففي صفة قراءة النبي ﷺ كان يرتل آية آية^(٢).

وإذا كان الرسول ﷺ كما قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها -: يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه لم يكن يسرد كسر دكم وفي لفظ إنما كان حديث رسول الله فضلاً تفهمه القلوب^(٣)... فكيف به في ترتيل لفظ القرآن؟، وإذا كانت عائشة - رضي الله تعالى عنها - قد حفظت عنه ذلك في كلامه الشريف فكيف تراها تعلمت منه ترتيل لفظ القرآن الكريم، والله جل جلاله يقول: ﴿وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي

(١) لسان العرب (١١ / ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) نص حديث حذيفة مرفوعاً: (فقرأ قراءة حسنة يرتل فيها يسمعون...) أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٤٠١)، مرجع

سابق.

(٣) البخاري (٣ / ١٣٠٧)، مسلم (٤ / ٢٢٩٨)، أبو داود (٣ / ٣٢٠)، مراجع سابقة.

يُؤَيِّدُكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿[الأحزاب: ٣٤]، ولذا حفظ عنه ترتيله للفظ القرآن الكريم بدقة بالغة أزواجه ﷺ.

مواضع ذكر كلمة الترتيل في القرآن الكريم:

وردت كلمة الترتيل في موضعين في القرآن الكريم:

الأول: جاء على سبيل الإخبار عن كيفية قراءة الملك الذي أقرأ النبي ﷺ حال تعليمه له ﷺ وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَوَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقد كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالعشر من القرآن أو نحوها نزل به مرتلاً، وإسناد الفعل إلى الله سبحانه وتعالى من باب إسناد ما هو للمأمور للأمر زيادة في التأكيد على أن ما أداه جبريل عليه السلام هو ما أمر بتأديته حرفياً، وعن ابن عباس في هذه الآية قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على النبي ﷺ يرتل ترتيلاً»، وفي لفظ: «فجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتله ترتيلاً» قال سفيان: خمس آيات ونحوها^(١) هكذا (يرتله ترتيلاً) والفعل المضارع دال على أن الجملة حالية يراد به الكيفية المعروفة.

الثاني: في سورة المزمل على سبيل الأمر، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتِّلْ

الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

أركان الترتيل:

اجتمع لنا من خلال السابق أن متضمنات الترتيل وأركانه ستة هي:

أولاً: تبين الكلام المرتل:

وذلك يكون بتبيين الحروف والحركات المكونة للكلام، فقد قال ابن عباس

رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]؛ قال: «بينه

(١) الضياء في المختارة (١٠ / ١٥٤)، مرجع سابق.

تبييناً»^(١)، وقد أكد الأمر بالترتيل والإخبار عنه في آيتي الفرقان والمزمل بالمصدر، وذلك لما لأنه: «يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينتقص من النطق من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة»^(٢).

❖ وهذا التبيين في قراءة المرثل يجب أن يكون بحيث يتميز كل حرف عن الآخر، ولا يتميز عن الآخر إلا إذا عرف حق الحرف ومستحقه (التجويد)، ولا يكون ذلك بالضرورة بالتوصيف العلمي الذي درج عليه المتأخرون، بل بالتطبيق العملي، فقد كان النبي ﷺ يعلمهم هذا على هيئة دقيقة، وكانوا يتعلمون منه الحروف وحقوقها عملياً، على أن معظم أحكام التجويد كان معروفاً عند العرب بسليقتهم اللغوية، حتى استدل العلماء على جواز نطق الضاد ظاء بأدلة ليس منها - فقط - ما ذكره «ابن جني في كتاب التنبية وغيره أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً في جميع كلامهم وهذا قريب وفيه توسع للعامة»^(٣)، بل ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره من أن «المختار عندنا أن اشتباه الضاد بالطاء لا يبطل الصلاة ويدل عليه أن المشابهة حاصلة فيهما جداً والتميز عسير فوجب أن يسقط التكليف بالفرق وبين المشابهة، وإذا ثبت هذا فنقول لو كان الفرق معتبراً لوقع السؤال عنه في زمن رسول الله ﷺ وفي أزمته الصحابة لا سيما عند دخول العجم فلما لم ينقل وقوع السؤال عن هذا البتة علمنا أن التمييز بين هذين الحرفين ليس في محل التكليف»^(٤).

(١) لسان العرب (١١ / ٢٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج.

(٣) (شعلة) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي ت ٦٥٦ هـ: شرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعاني شرح حرز الأماني ص ٢٨، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) انظر: تفسير الرازي.

ثانياً: التؤدة والتمهل في النطق بأجزاء الكلام المرتل:

سواء كانت حركات وحروفاً، حتى كأن الناطق به يقرؤه حرفاً حرفاً، فمعنى (رتل) أي: «انبذه حرفاً حرفاً»، والصورة التطبيقية من تعليم النبي ﷺ لصحابته رضي الله عنهم ما تعلمته أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - من كيفية ترتيل القرآن الكريم فقد سأل يعلى بن مملك أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت: وما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً^(١).

❖ فقوله في الرواية (ثم نعتت) أي وصفت قراءة مفسرة أي مبينة حرفاً حرفاً أي كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ، قال الطيبي: «يحتمل وجهين الأول أن تقول كانت قراءته كيت وكيت والثاني أن تقرأ مرتلة كقراءة النبي ﷺ»^(٢)، و«المراد حسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد»^(٣).

❖ ومن أقوى أدلة التائي والتؤدة قوله جل جلاله: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْنٍ» [الإسراء: ١٠٦]، وقد استدل البخاري بهذه الآية على الترتيل^(٤)، وعن كريب قال: سألت ابن عباس عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل. فقال: «كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يتعلمها لتعلمها»^(٥).

❖ تسلسل المنهجية: فقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على تلاميذه الهدى في القراءة فعن أبي وائل قال غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأت المفصل

(١) صحيح ابن خزيمة (٢ / ١٨٨)، مرجع سابق.

(٢) تحفة الأحوذى (٨ / ١٩٤)، مرجع سابق.

(٣) تحفة الأحوذى (٨ / ١٩٤)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤ / ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٥) شعب الإيمان (٢ / ٣٨٣)، مرجع سابق.

البارحة. فقال: «هدّاً كهذا الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم»^(١).

❖ ومثل ذلك ما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه: «إياكم والذين يحرفون القرآن وإياكم والهدّاذين بالقرآن الذين يهدّون القرآن ويسرعون بقراءته فإنما مثل ذلك كمثل الأكمة لا أمسكت ماء ولا أنبت كلاً»^(٢).

❖ وليس معنى ذلك أن يبطأ في إخراج الحرف الآخر حتى يخرج ذلك عن سنن الكلام المعتاد، بل المراد التمهّل الزائد عن الكلام المعتاد مع إبقاء الحرف منسجماً ككلام، ولذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]: «بعضه على أثر بعض»، وقال الشافعي رحمه الله: «أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة»^(٣).

❖ وكذلك مما يستشهد به على تعليم النبي ﷺ لهم الثاني وتبيين الحروف ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بت عند خالتي ميمونة، فقام رسول الله ﷺ فزعا فاستقى ماء فتوضأ ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر السورة، ثم افتتح البقرة فقرأها حرفاً حرفاً حتى ختمها..^(٤)

(١) البخاري (٤ / ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢ / ٥٤١)، مرجع سابق.

(٣) (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر ت ٤٥٨ هـ: السنن الصغرى (١ / ٥٥٦)، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٨٩.

(٤) الطبراني في الكبير (١٢ / ٢٠)، مرجع سابق.

ثالثاً: إشباع الحروف والحركات:

بحيث تأخذ حقها دون شطط، وهذا ما نطلق عليه (التمكين) حيث يتم «بأن يبين جميع الحروف ويوفّيها حقها من الإشباع»^(١)، وقال ابن حجر في معنى آية المزمّل: «اقرأه مترسلاً بتبيين الحروف وإشباع الحركات»، حتى يكاد المرء يعد الحروف الخارجة من فم القارئ، وأخرج العسكري في المواعظ عن علي: «بينه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل، ولا تهذّه هذّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»^(٢).

رابعاً: حسن التنسيق والتنضيد:

والمراد التنضيد لعلاقة كل حرف بالآخر، وهذا ما نطلق عليه تحقيق الحروف، ولذا جعل الزجاج أصل الترتيل: «التفنين والتنسيق وحسن النظام»، وقد كان النبي ﷺ يعلمهم التّشهاد كما يعلمهم السورة من القرآن.

خامساً: أن يكون ذلك كله بغير بغي:

فلا يتولد من الحرف آخر، ولا من الحركة حرفاً، فالترتيل في القراءة «الترسل فيها والتبيين بغير بغي»^(٣).

وسلك الباحث هذا السبيل في الجمع بين الأقوال لأن عادة السلف أن يفسروا الشيء ببعض معناه، «إذ المراد من هذا الأمر التبيين والإفصاح والتحسين، حتى يؤدي القرآن على أكمل وجه، فيظهر حسنه، ويبدو رونقه، وذلك لا يتم إلا بالتجويد»^(٤).

(١) لسان العرب (١١ / ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) روح المعاني (٢٩ / ١٠٤)، مرجع سابق.

(٣) مختار الصحاح (١١ / ٩٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: سنن القراء ص ٦٨، مرجع سابق.

سادساً: أن يكون ذلك على نحو مستملح مستطاب:

في حدود التلقي الذي ضبط وحدّد بقواعد موزونة، وهو الذي أمر به النبي ﷺ فقال: «زينوا أصواتكم بالقرآن» كما سيأتي إن شاء الله عزّ وجلّ.

وقد كان النبي ﷺ يعلمهم ذلك عملياً في حلقات الإقراء:

أو في التبليغ العام، أو في الصلوات الجهرية من فرائض وتطوع، وحسبك أن تكون ثلاث صلوات يعلمهم فيها أداء القرآن تلقيناً.

ومن ذلك ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ ذات ليلة لأصلي بصلاته فافتتح فقرأ قراءة ليست بالخفية ولا بالرفيعة قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا..^(١)..

وتستلزم هذه الستة ركناً سابعاً هو: السكينة والوقار:

إذ لا بد منه في الترتيل لتضبطه «و هو ضابط من ضوابط التجويد والتغني».

زمن القراءة حال الترتيل:

لا شك أن الترتيل بهذه الأركان يقتضي أن تكون القراءة أطول من المقروء وهذا سمت النبي ﷺ في ترتيله فعن حفصة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ في سبحة قاعداً قط حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي قاعداً ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها^(٢). وهذا هو المعمول به عند المسلمين في قراءة القرآن، وإن تفاوت زمن القراءة عندهم.

وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم كيفية ترتيله حتى النساء، كما في السؤال الذي سئلته أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - عن قراءة رسول الله ﷺ فوصفتها له بالأداء التطبيقي كما سبق.

(١) أحمد (٥ / ٤٠١)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١ / ٥٠٧)، ابن خزيمة (٢ / ٢٣٨)، ابن حبان (٦ / ٢٥٣)، أبو عوانة (١ / ٥٣٢)، مراجع سابقة.

والترتيل مطلوب من القارئ في الدنيا والآخرة:

وقد روى هذا سلسلة القراء فعن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبیش عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن آخر آية تقرأها»^(١)، فقوله «و ارتل» أي: «اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»^(٢).

العلاقة بين الترتيل والتجويد:

ومما سبق، وبمقارنة ما فصلناه من أركان الترتيل السبعة بأركان التجويد الثلاثة، وبالمقارنة التي تضمنها الكلام التفصيلي عن أركان الترتيل بتعريف التجويد نصل إلى حقيقة ظاهرة في العلاقة بين الترتيل والتجويد: فالعلاقة بينهما هي المثلية، فترتيل القرآن هو التجويد، إلا أنه اصطلاح حادث، ثم صار يطلق أكثر على التوصيف العلمي الدقيق منه على المطلوب العملي.

المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي ﷺ (المد):

يمثل المد أساس هيئة التغني الواضحة المميزة للقرآن من أحكام التجويد (الترتيل)، فكان لا بد من الكلام على ما يدل على تعليم النبي ﷺ لأصحابه هذا الحكم، وقد اعتنى العلماء بإيضاح ذلك حتى بوب أهل العلم له أبواباً مستقلة، ومنهم الإمام البخاري^(٣) مع أن التلقي كاف في الإثبات لذلك، لكن نذكر هذا التفصيل لزيادة البيان والإيضاح:

(١) السنن الكبرى للنسائي (٥/ ٢٢)، مرجع سابق.

(٢) تحفة الأحوذى (٨/ ١٨٧)، مرجع سابق.

(٣) انظر: البخاري (٤/ ١٩٢٤)، مرجع سابق، وانظر: أصوات القرآن ص ٢٠، مرجع سابق.

١- فقد كانت يظهر في قراءة النبي ﷺ المد فقد قال قتادة: سألت أنساً كيف كانت قراءة النبي ﷺ قال: «كانت مداً»^(١)، وفي لفظ: «كان يمد مداً»^(٢)، وفي لفظ «كان يمد صوته مداً»^(٣)، أي كانت ذات مد^(٤)، فيطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر وتذكير من يتذكر^(٥).

٢- ومثل أنس لهذا النوع من المد فقراً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ويمد ب﴿الرَّحْمَنِ﴾ ويمد ب﴿الرَّحِيمِ﴾^(٦).

وهذا التمثيل يدل على غاية التحقيق في الترتيل فإن مد الكلمات الثلاث (الله، الرحمن، الرحيم) والمراد مد اللام التي قبل الهاء من الجلالة، والميم التي قبل النون من الرحمن، والحاء من الرحيم في غير الوقف عليها هو من نوع الأصلي، ومعلوم أن المد الأصلي مقداره حركتان فهو مد طبيعي، وأجاز بعض علماء التجويد مده ثلاث حركات عند الأخذ بوجه التحقيق... وهذا ما ينطبق على هذه الرواية ولذا رجح العلماء أن «المراد من الترجمة الضرب الأول»^(٧)، وفي هذا إثبات للمد الفرعي من باب الأولى، وقد قال الداني في حديث أنس رضي الله عنه: «ويمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم)، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ»

(١) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، مرجع سابق، وانظر: (الترمذي) أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ: مختصر الشمائل المحمدية، اختصره وصححه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٣ هـ.

(٢) البخاري (٤ / ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١ / ٣٤٧)، صحيح ابن حبان (١٤ / ٢٢٢)، مرجعان سابقان.

(٤) فتح الباري (٩ / ٩١)، مرجع سابق.

(٥) (السندي) أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي (١١٣٨ هـ): حاشية السندي على النسائي (٢ / ١٧٩)، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب.

(٦) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، مرجع سابق.

(٧) فتح الباري (٩ / ٩١)، مرجع سابق.

وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من تبين ومد وتمكين وإطباق وتنفش وصفير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من غير زيادة ولا نقصان^(١).

٣- وأخرج ابن أبي داود من طريق قطبة بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في الفجر (ق) فمر بهذا الحرف ﴿لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فمد نضيد^(٢)، والمد في ﴿نَضِيدٌ﴾ من نوع العارض للوقف؛ إذ عادة رسول الله ﷺ الوقف على رؤوس الآي. وهذا المد في قراءته ﷺ دائم سواء كان في الصلاة وغيرها.

٤- ولا تنبغي المماراة في مده ﷺ لما يمد من الحروف في قراءة القرآن فقد كان كذلك ديدنه فيما يردده من شعر مرتجز يشبه الحداء في أماكنه فعن البراء بن عازب يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخذق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر، فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أينا

قال: ثم يمد صوته بأخرها^(٣) ولا يعترض على هذا بأن المراد هو رفع الصوت لا إطالته لأن المقام مقام ارتجاز مسموع على ما هو معتاد معلوم، ومد الصوت يناسب الألف تماماً في أبنينا وتدل عليه الأحوال المعتادة في مثل هذا.

(١) التحديد في الإتيان والتجويد ص ٧٩، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩/ ٩١)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٥٠٧)، مرجع سابق.

وقد يمد المدود غير الواجبة مما هو جائز المد في قراءة التحقيق مثل ما اصططح على تلقيه بمد البدل كمده لكلمة (أمين) فعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قال آمين رفع بها صوته، وفي رواية: سمعت النبي ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: آمين رفع بها صوته في الصلاة، وقال رأيت رسول الله ﷺ لما قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال آمين يمد بها صوته^(١)، ف «رفع صوته بآمين وطول بها»^(٢) حتى يسمعها الصف الأول فيرتج بها المسجد^(٣)، ومد الصوت يأتي للمعنيين: إطالة الحرف، والجره به^(٤).

٥- وفي قول عبد الله بن مغفل رضي الله عنه يحكي ترجيع النبي ﷺ بمد الهمزة والسكوت «دلالة على أنه ﷺ كان يراعي في قراءته المد والوقف»^(٥).

وتسلسلت المنهجية: فعن مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يقرأ رجلاً فقراً الرجل ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسله، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ. قال: كيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فمددوها^(٦).

هل اختلاف أهل الأداء والمجودين من علماء القراءة في بعض الفروع الصغيرة مؤثر على التواتر القرآني؟

الجواب: كل الاختلافات الأدائية التجويدية تعود إلى الترجيح اللغوي في بعض الفروع الموعلة في الدقة من حيث الأداء نحو المد المتصل هل يكون ثلاث

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن ماجه (١/ ٢٧٨)، مرجع سابق.

(٤) انظر: تحفة الأحوذى (٢/ ٥٩)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (١٣/ ٥١٥)، مرجع سابق.

(٦) مجمع الزوائد (٧/ ١٥٥)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

حركات أو أكثر، والميم الساكنة هل تخفى عند الباء أم تظهر، ولا ضير من ذلك كله، كما هو واضح.

ملحوظات هامة:

١- لا يخفى أن الواجب من المد قراءة لا رواية هو القدر المجمع عليه من المد؛ إذ هو أصل المد الذي لا تستقيم الكلمة بدونه وأما الزيادة على ذلك مما اختلف فيه القراء فواجب صناعي لا شرعي، كالوجوب في أداء الرواية.

٢- اختلف أهل العلم في تقدير المراتب للقراء بالألفات في ما زاد على المد الطبيعي من أنواع المدود، وهذا الاختلاف «لا تحقيق وراءه بل يرجع إلى أن يكون لفظياً وذلك أن المرتبة الدنيا وهي القصر إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى وهذه الزيادة بعينها إن قدرت بألف أو بنصف ألف هي واحدة فالمقدر غير محقق، والمحقق إنما هو الزيادة، وهذا ما تحكمه المشافهة، وتوضحه الحكاية، ويبينه الاختبار، ويكشفه الحسن قال الحافظ أبو عمرو رحمه الله: وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف، وتخليص السواكن، وتحقيق القراءة وحدها وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف عليه في اللغة، والمتعارف في القراءة بل ذلك قريب بعضه من بعض، والمشافهة توضح حقيقة ذلك، والحكاية تبين كلفه»^(١)، وإنما يزداد في ذلك للمبتدئ ليتقن كما قال حمزة يقول: إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى^(٢).

وبذا يستبين أن الوجوب المذكور في حكم التجويد يراد به أصول هذه الأركان من الناحية العملية، وليس التفاصيل الموغلة في الأداء من غير المجمع عليه بين القراء إظهاراً وإدغاماً، وغناً ومداً، وتفخيماً وترقيقاً... وأما المختلف فيه إظهاراً وإدغاماً مثلاً فالسعة في القراءة بأيهما قائمة ما لم يسند ذلك إلى الرواية... ومثل

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٦)، مرجع سابق.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٦)، مرجع سابق.

ذلك حسن الأداء، والتزيين، والتحسين؛ إذ يراد منها ليس الوجوب على كل بحسب القدرة بقدر ما يراد أن يغير تصويته بالقرآن إلى هيئة مغناة مزينة، وهو ما يفعله كل المسلمين على تفاوت بينهم في مقدار حسن ذلك.

تواتر أركان التجويد (الترتيل):

بعد هذا العرض يتضح أن عمل المسلمين في التلاوة المقبولة بينهم يجعل التواتر لهذا العلم - عملياً - بينهم أمراً قطعياً لا يحتاج إلى أسانيد أصلاً؛ إذ هو عمل الأمة بأسرها: خاصتها وعامتها... فبعضه جزء من صميم لسانها الذي نزل القرآن به (وهو المخارج والصفات على التفصيل السابق) وبعضه هو المميز لتلاوة القرآن الكريم عن قراءة أي كتاب آخر... والمراد المجمع عليه مما يمثل الحد الأدنى المطلوب في الوجوب الشرعي.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ مراتب الترتيل

ملحوظة في معنى الترتيل:

سبق معنى الترتيل ودلالته اللغوية والشرعية، ولكن علماء القراءة يستعملون

الترتيل في معنيين:

أحدهما عام وهو ما تقدم.

والثاني: أن هذا الترتيل العام من حيث مدى التؤدة والتأني ينقسم إلى مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة، وهذا يعني أن الترتيل هنا يأتي بالمعنى العام الشامل للحدرد والتدوير والمرتبة الثالثة التي قد تدعى بالترتيل، وقد تدعى بالتحقيق، وقد يستعمل هذا المصطلح في معنى خاص هو ما توفرت فيه

الأركان السابقة مع أعلى مراتب التؤدة اللائقة بقراءة القرآن وهو الذي اصطلح عليه بعض علماء القراءة ب (التحقيق)^(١).

مراتب الترتيل:

وعلى هذا فإن مراتب الترتيل بالمعنى العام ثلاثة: ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التآني والتؤدة، مع بقاء الأركان الأخرى للترتيل كما هي، فالتآني وللطمأنينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلح عليه بالتحقيق أو بالترتيل (بالمعنى الخاص) والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدرد... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل (بالمعنى العام)، وتتفاوت في ركن واحد هو التآني والتؤدة... كما أنها تتفق جميعاً في الركنين الأولين من أركان التجويد العملي، وتتفاوت في مدى الإشباع الجائز للحركات والحروف والصفات العارضة التي تتعلق بالركن الثالث من التجويد العملي، ولذا قال العلماء في الفرق بين مراتب الترتيل - بعد أن جعلوها كصفات جائزة للقراءة:-

الأولى: التحقيق^(٢):

وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات،

(١) عن اصطلاح عليه بالتحقيق: الإمام السيوطي في الإتقان (١ / ٢٦٥)، وذهب بعضهم مذهباً مغايراً فجعل مراتب القراءة أربعة يجمعها الترتيل بالمعنى العام، وأعلها التحقيق وبعده الترتيل وجعل الفرق بين الترتيل وبين التحقيق فيما ذكره بعضهم أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقاً. انظر: الإتقان (١ / ٢٦٥)، مرجع سابق.

(٢) لم يستقر - حتى الآن - الفرق المصطلحي بين الترتيل والتحقيق، فقد ذهب البعض إلى عد مراتب القراءة أربعة مراتب منها التحقيق والترتيل والتدوير والحدرد كما فعل ذلك الشيخ محمد مكي نصر في نهاية القول المفيد ص ١٤، وذهب البعض إلى جعلها ثلاثة مراتب هي الترتيل والحدرد والتوسط كما فعل ابن أم قاسم في المفيد ص ٣٨، وذهب القدماء إلى جعل المراتب ثلاثة هي التحقيق والترتيل والحدرد كما فعل الداني في التحديد ص ٧٠، والجزري في التمهيد ص ٦٢... وقد ألف هذا الكتاب وهو في التاسعة عشرة من عمره كما ذكر في آخره، وفي هذه الحالة فإن هذه المراتب - اصطلاحاً - هي المراتب الثلاث عند البعض: التحقيق (كما هو)، والتدوير (هو) الذي أطلقوا عليه الترتيل)، والحدرد (كما هو)، وهو الذي ارتضاه الباحث... وذلك أن المتقدمين يجعلون التحقيق

واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ، ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الرءات... كما قال حمزة لمن سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة ققط وما فوق القراءة ليس بقراءة، وكذا يجترز من الفصل بين حروف الكلمة كمن يقف على التاء من نستعين وقفة لطيفة مدعياً أنه يرتل، وهذا النوع من القراءة يظهر في بعض طرق الإمام حمزة وورش بصورة جلية^(١).

وقد صرح بمصطلح التحقيق في حديث عزيز أسنده الداني مما يدل على تعليم النبي ﷺ هذا الأمر بدقة بالغة، فأسند الداني إلى ورش التحقيق، قال:

قرأ على نافع التحقيق، قال نافع: إنه قرأ على الخمسة (ذكر خمسة من مشايخه) التحقيق، قال: وأخبرني الخمسة أنهم قرأوا على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق، وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبي بن كعب رضي الله عنه التحقيق، وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق، قال: وقرأ رسول الله ﷺ علي التحقيق، ثم قال أبو عمرو: هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الأخبار الغريبة والسنن العزيزة التي لا توجد روايته إلا عند الكثيرين الباحثين، ولا يكتب

للتعلم، والترتيل لطريقة التلاوة كالحدر... ولكن التحقيق مستعمل واقعاً في التلاوة كالترتيل من جهة، ومن جهة أخرى فإن جعل الترتيل مرتبة مع الحدر والتحقيق يوهم خروجهما من المعنى العام للترتيل الوارد في سورة المزمل، وليس كذلك؛ إذ الترتيل يشمل كل المراتب بمعناه العام وخروجاً من هذا اللبس ارتضى الباحث تقسيم المراتب إلى ثلاثة تنضوي تحت الترتيل هي: التحقيق، والتدوير، والحدر، وهو ما قرره ابن الجزري، ورجع إليه في آخر أمره حيث ذكر ذلك في النشر الذي ألفه في سنة ٧٩٩ هـ أي وعمره تسع وأربعون سنة، فقسم في النشر (١/ ٢٠٥) المراتب إلى تحقيق، وتدوير، وحدر، وقال عن التحقيق: «هو نوع من الترتيل».

(١) انظر: الإتيان (١/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

إلا عند الحفاظ الماهرين، وهو أصل كبير في استعمال قراءة التحقيق وتعلم الإتقان والتجويد، لاتصال سنده وعدالة نقلته، ولا أعلمه يأتي متصلاً إلا من هذا الوجه^(١).

الثانية: الحدر:

هو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقويم اللفظ، وتمكن الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، وهذا النوع يظهر بصورة جلية في بعض طرق مذهب ابن كثير وأبي جعفر ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب^(٢).

ويظهر الفرق جلياً بين الترتيل والحدر:

بما يسمعه الناس من الأذان والإقامة فإن الترتيل يكون في الأذان، والحدر يكون في الإقامة فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نرتل الأذان ونحدر الإقامة^(٣)، ومثله من فعل ابن عمر^(٤)، ومعنى الترتيل كأنه يقطع الكلام بعضه عن بعض، والحدر هو الإسراع من الحدور ضد الصعود^(٥) فالترتيل هنا بالمعنى الخاص هو المبالغة في التأنى... وعلى المرتبتين لا بد من إعطاء الحروف حقوقها كما قال الخاقاني:

(١) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: الإتقان (١ / ٢٦٥)، مرجع سابق، وانظر وصفاً لطبيعة القراءات السبع من حيث مراتب القراءة في: التحديد ص ٩٤، مرجع سابق.

(٣) الدارقطني (١ / ٢٣٨)، مرجع سابق، وانظر: تلخيص الحبير (١ / ٢٠٠).

(٤) مسند ابن الجعد ص ٣١٨.

(٥) النهاية في غريب الأثر (٢ / ١٦)، مرجع سابق.

فذو الحذق معطر للحروف حقوقها إذا رتل القرآن أو كان ذا حدر
الثالثة: التدوير:

وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة،
وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء^(١).
وكل هذه المراتب يصحبها الترتيل إلا أنها تختلف في مدى التؤدة والتأني،
ولذلك أشار بعضهم فقال:

حدود حروف الذكر في لفظ قارئ بحدود وتحقيق ودور مرتلا
فإني رأيت البعض يتلو القرآن لا يراعي حدود الحرف وزناً ومنزلاً^(٢)
أي مراتب الترتيل هي الأفضل؟

وعلاقة هذا السؤال بالبحث تستبين بأن يقال بصيغة أخرى:

هل علمهم النبي ﷺ القراءة بالتحقيق أم بغيره؟

الجواب: الظاهر أن النبي ﷺ علمهم القراءة بمراتبها المختلفة، وإن لم تكن
التسمية الاصطلاحية سائدة لكن الغالب على قراءته وأصحابه التحقيق المتوسط
(يقرب من التدوير) لما تقدم من حديث حفصة تصف قراءة النبي ﷺ يقرأ بالسورة
فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها^(٣)، ولا يكون ذلك إلا بالتحقيق (الترتيل
بمعناه الخاص) أو بالتدوير، وحديث حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة...
فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ
تعوذ ثم ركع... الحديث^(٤).

(١) انظر: الإتيان (١/ ٢٦٦)، مرجع سابق.

(٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٩، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١/ ٥٠٧)، مرجع سابق.

(٤) مسلم (١/ ٥٣٦)، أبو عوانة (١/ ٤٦٠)، مرجعان سابقان.

وقد تعلم منه الصحابة رضي الله عنهم التحقيق وأمروا به تلاميذهم ونفروهم من الهدّ الذي يتجاوز الحدّ ولذا قال البخاري - رحمه الله تعالى - : «باب الترتيل في القراءة وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقوله: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وما يكره أن يهذ كهذ الشعر»^(١) وبوب النووي في مسلم: «باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة»، وجاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله، فقال: يا أبا عبد الرحمن! كيف تقرأ هذا الحرف ألفاً تجده أم ياء من آسن أو من ياسن؟ قال فقال: عبد الله وكل القرآن قد هذا قال إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: هذا كهذ الشعر؟ إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع إن أفضل الصلاة الركوع والسجود...^(٢).

وهذا كله يدل على أن الغالب على قراءته التحقيق.

وقد علمهم النبي ﷺ الفرق بين الهدّ وبين الحدّ:

فالهدّ هو السرعة المفرطة التي تخل بقواعد التلاوة، والحدّ هو الهدّ المعتدل الملتزم بأركان الترتيل بمعناه العام: ويدل لهذا قول النبي ﷺ - فيما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه - قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «... ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً»^(٣)، وفي رواية «فهو في صعود ما دام يقرأ حدراً كان أو ترتيلاً»^(٤)، فقوله «هذا كان أو ترتيلاً» يدل على أن المراد مدى السرعة في تتابع الصوت لا على ترك الأحكام،

(١) البخاري (٤ / ١٩٢٤)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١ / ٢٦٩)، مسلم (١ / ٥٦٣)، مرجعان سابقان.

(٣) الدارمي (٢ / ٥٤٣)، مرجع سابق.

(٤) وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٩)، مرجع سابق: «روى ابن ماجة منه طرفاً رواه أحمد ورجاله رجال

الصحيح».

فالترتيل هنا بمعناه الخاص لا العام الشامل للحدرد التدوير والتحقيق^(١)، ويدل على هذا حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن آخر آية تقرؤها»^(٢)، فإن هذا الحديث يبين معنى التخيير في الحديث الأول بأنه تخيير بين أنواع الترتيل بالمعنى العام الشامل لجميع مراتب الترتيل فلذا قال له هنا «ورتل كما كنت ترتل في الدنيا» أي بأحد أنواع الترتيل التي كان غالب قراءتك ترجع إليها، كما يبين هذا الحديث أن كلمة ترتيل في الحديث الأول هي بالمعنى الخاص التي ترادف التحقيق، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التأني والتؤدة «يطابق التحقيق الاصطلاحي».

❖ وقد علم الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم الحرص على الترتيل واجتناب الهذو والسرة المفرطة: فعن أبي جرة قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إني رجل سريع القراءة إني لأقرأ القرآن في ليلة فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن اقرأ سورة أحب إليّ، فإن كنت لا بد فاعلاً فاقراً قراءة تسمعها أذنيك ويوعها قلبك^(٣)، وهذا الأخير هو الحدرد الاصطلاحي، وسئل مجاهد - رحمه الله تعالى - عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة فقط قيامهما واحد ركوعهما واحد وسجودهما واحد فقال: الذي قرأ البقرة فقط أفضل ثم تلا ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] ^(٤).

(١) ويحتمل أن للقارئ ذلك حتى لو لم يقرأه على الطريقة الواجبة رحمة من الله وفضلاً... وهذا الاحتمال ضعيف.

(٢) النسائي في الكبرى (٥ / ٢٢)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (٣ / ١٣)، مرجع سابق.

(٤) أبو عبيد في الفضائل ص ١٥٨، مرجع سابق.

❖ وعلى الرغم من أن الغالب على قراءة الرسول ﷺ هو التحقيق إلا أنه ﷺ لا ريب قد قرأ لهم بالحدرد فإن حديث قراءته بطولى الطوليين في المغرب يدل على ذلك استنباطاً.

❖ ولذا ذكر الحنفية استعمال الحدرد في تهجد الليل فقيده الحنفية القراءة بالليل بالإسراع في القراءة، ولعل «وجه التقيده أن عادة المتهجدين كثرة القراءة في تهجدهم فلهم الإسراع ليحصلوا وردهم من القراءة»^(١)، ولكن كل الفقهاء يجعلون الإتيان بأقل الواجب الشرعي للتجويد أمر لا بد منه لصحة الصلاة، ونصوا في هذا على المد الواجب فقالوا وهم يتكلمون عن الحدرد: «أن يمد أقل مد قال به القراء وإلا حرم لترك الترتيل المأمور به شرعاً»^(٢).

❖ والصحيح في هذا الباب التفصيل، فالقرآن العزيز «يقرأ للتعلم، فالواجب التقليل والتكرير، ويقرأ للتدبر، فالواجب الترتيل والتوقف، ويقرأ لتحصيل الأجر بكثرة القراءة، فله أن يقرأ ما استطاع»^(٣)، ومعنى هذا أنه يستحب لكل إنسان ما يوافق طبعه ويخف عليه فرمما يكلف غير ذلك مما يخالف طبعه فيشق عليه ويقطعه ذلك عن القراءة أو الإكثار أما من تساوى عند الأمران فالترتيل أولى...

وأشار الخاقاني إلى ذلك بقوله:

وترتيلنا القرآن أفضل للذي أمرنا به من لبثنا فيه والفكر
ومهما حدردنا درسنا فمرخص لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر

(١) حاشية ابن عابدين (١ / ٥٤١)، مرجع سابق.

(٢) حاشية ابن عابدين (١ / ٥٤١)، مرجع سابق.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (٢ / ٥٤٧)، مرجع سابق.

وكان الناس منذ العهد الأول قد تعلموا ذلك من النبي ﷺ:

فصاروا يستعملون كل مرتبة في مواضعها فعن أبي عثمان النهدي قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بثلاثة قراء فاستقرأهم فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ للناس ثلاثين آية، وأمر أوسطهم أن يقرأ خمساً وعشرين وأمر أبطأهم أن يقرأ للناس عشرين آية^(١)، وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان - قال - فكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثمان ركعات فإذا قام بها في اثني عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف^(٢).

(١) البيهقي في الكبرى (٢ / ٤٩٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢ / ٤٩٧)، مرجع سابق.

المبحث الخامس:

تعليمه ﷺ مراتب الأداء الأعلى من التجويد

إذا كان الترتيل هو أساس التجويد، فإن ثمّ أسساً أخرى في علم القراءة تطلب شرعاً من القارئ، فعقد هذا المبحث لدراستها، ولتحقيق هذه الغاية انقسم المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعليمهم تزيين التصويت بألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعليمهم التغمي بألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تعليمهم الترجيع لألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الرابع: القراءة بالألحان.

المطلب الأول: تعليمهم تزيين التصويت بألفاظ القرآن الكريم

علمهم النبي ﷺ ضرورة تزيين القرآن بالأصوات في عدة أحاديث كالذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(١)، ولكن في مستدرک الحاكم ورد بلفظ: «زينوا أصواتكم بالقرآن»^(٢)، أي بتقديم الأصوات على القرآن، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا أصواتكم بالقرآن» وفي رواية: «أحسنوا أصواتكم بالقرآن»^(٣)، وقال البخاري

(١) أبو داود (٢/ ٧٤)، النسائي في الكبرى (١/ ٣٨٤).

(٢) مستدرک الحاكم (١/ ٧٦٢)، عبد الرزاق (٢/ ٤٨٥)، مرجعان سابقان، وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٨١).

بعد ذكر أحاديث تحسين وتزيين القرآن: «و عامة هذه الأخبار مستفيضة عند أهل العلم»^(١).

معنى التزيين:

تدور معاني زين على: الملاحظة والغاية في الحسن؛ إذ الزاي والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه^(٢).

معنى الحديث:

اختلف العلماء في معناه حتى ذكر القرطبي ست تأويلات في معناه^(٣)، والبحث يذكر أشهرها مما يتعلق بموضوعنا:

التأويل الأول: معناه اللهج بقراءته، وكثرة ترداده حتى يصير زينة الصوت، وحليته في الكلام أي أشغلو أصواتكم بالقرآن، والهجوا بقراءته، واتخذوه زينة وشعاراً^(٤): فعلى هذا «هو مقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن، والمعنى الهجوا بقراءته وتزينوا به وليس ذلك على تطريب القول والتحزين»^(٥)، وقالوا: «فالزينة للصوت لا للقرآن»^(٦)، وبين أصحاب هذا المذهب أنهم اضطروا إلى هذا التأويل اضطراباً لأنه: لا يجوز على القرآن - في نظرهم - وهو كلام الخالق أن يزينه صوت مخلوق بل هو بالتزيين لغيره والتحسين له أولى^(٧)، ولذا فقد توفى هذه الرواية قوم، وأسند الخطابي عن شعبة قال: نهاني أيوب أن أحدث «زينوا القرآن بأصواتكم»،

(١) خلق أفعال العباد ص ٦٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة (١ / ٣٤١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١ / ١١)، مرجع سابق.

(٤) انظر: الغريب للخطابي (١ / ٣٥٧)، حاشية السندي (٢ / ١٧٩)، مرجعان سابقان.

(٥) النهاية (٢ / ٣٢٥)، مرجع سابق.

(٦) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

(٧) انظر: الغريب للخطابي (١ / ٣٥٦)، مرجع سابق.

وقالوا: لم يرد تطريب الصوت به والتحزين له؛ إذ ليس «هذا في وسع كل أحد ففعل من الناس من إذا أراد التزيين له أفضى به إلى التهجين»^(١)، كما استدل القرطبي على ذلك بأن المراد بالتغني الجهر به كما ثبت ذلك في حديث أبي هريرة^(٢)، ولكن الظاهر أن هذا اللفظ (يجهر) يدل على تحسين الصوت وهو ما جعل الإمام السيوطي يستدل بقوله (يجهر به) على تحسين الصوت^(٣).

التأويل الثاني: وقيل هو تزيين القرآن بجمال الصوت:

فإن القرآن قد يخرج بصوت جاف فظّ يلقيه قارئه ولا يبالي بتجميله فلا تلتفت إليه القلوب لا لأنه كلام الله بل لأن المتلفظ به ما أبان البلاغ، ولا أجمل الأداء وعلى هذا فلا «حاجة إلى القلب وإنما معناه الحثّ على الترتيل الذي أمر به في قوله تعالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾»^(٤) فحقيقة الحديث: أنه يحث على ترتيل القرآن «و رعاية إعرابه وتحسين الصوت به وتنبه على التحرز من اللحن والتصحيف فإنه إذا قرئ كذلك كان أوقع في القلب وأشد تأثيراً وأرق لسامعه»^(٥)، والرواية الأخرى - إن ثبتت - فهي تتميم لها ف «زينوا أصواتكم بالقرآن» أي الهجوا بقراءته واشغلوا أصواتكم به، واتخذوه شعاراً وزينة لأصواتكم^(٦)، كما ينبغي لكم أن تخرجوه بأحسن لفظ وأجمل أداء.

(١) انظر: الغريب للخطابي (١ / ٣٥٧)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤ / ١٩١٨)، مسلم (١ / ٥٤٥)، مرجعان سابقان.

(٣) الديباج على صحيح مسلم (٢ / ٣٩٣)، مرجع سابق.

(٤) النهاية (٢ / ٣٢٥)، مرجع سابق.

(٥) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

(٦) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

توجيه الزينة في الحديث:

ويكون للحديث على هذا توجيه حسن جداً؛ إذ تكون «الزينة للمرثّل لا للقرآن كما يقال ويل للشعر من راوية السوء فهو راجع إلى الراوي لا للشعر»^(١)، وسماء تزييناً «لأنه تزيين للفظ والمعنى فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً، وفي أدائه بحسن الصوت، وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه، وتدبره، والإصغاء إليه»^(٢).

ويؤيد هذا المعنى للحديث الأحاديث المستفيضة الأخرى التي تحض على التحبير والترتيل والتحسين والتحزين مما هو في مستوى العلمي الضروري، كما يؤيد هذا المعنى رواية «أحسنوا أصواتكم بالقرآن»^(٣) والمعنى: «رتلوه واجهروا به»^(٤) ولذا «قال الطيبي: هذا الحديث لا يحتمل القلب لتعليقه بقوله فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»^(٥)، ويشهد لصحة هذا التأويل حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ استمع إلى قراءته فقال: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود فقال لو علمت أنك تستمع لحبّرته لك تحبيراً» أي حسّنت قراءته وزينتها، ويؤيد ذلك تأييداً لا شبهة فيه حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لكلّ شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت»^(٦).

(١) النهاية (٢ / ٣٢٥)، مرجع سابق.

(٢) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٨١).

(٤) فيض القدير (٣ / ٣٨٧)، مرجع سابق.

(٥) فيض القدير (٣ / ٣٨٧)، مرجع سابق، ولا ينبغي أن يستدل بهذا الحديث على جواز الغناء كما ذهب إليه القشيري حيث قال: «هذا دليل على فضيلة الصوت الحسن فالسمع لا بأس به وتعقبه ابن تيمية بأنه إنما يدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله لا بالغناء فمن شبه هذا بهذا فقد شبه الحق بالباطل».

(٦) النهاية (٣ / ٣٢٦)، مرجع سابق.

والكاتب يؤيد الجمع بين هذه المعاني:

فالنبي ﷺ قد علمهم تحسين الصوت بالقرآن، وتحسين القرآن بالصوت بعد أن وجدنا الروايات تذكر ذلك ولا شذوذ يظهر لنا ولذا فلا وجه لقول البعض «القلب لا وجه له»^(١)، والقول الثاني لا ينفي الأول أما الأول فنفي أصحابه الثاني، وقولهم مقبول لكن نفيهم مردود، فالتزيين لكلام الله عز وجل لأن الصوت صوت القاري، وإن كان الكلام كلام الباري.

وواقع المسلمين بشيبيهم وشبابهم وذكورهم وإناثهم، وكبارهم وصغارهم شاهد على ذلك فإنك تجد كل واحد منهم لو كان أمياً إن أراد أن يقرأ غير صوته على هيئة تتشابه بينهم جميعاً، وإن كانت تتفاوت في حسنها، وانضباط قواعدها في تظاهرة عجيبة تدل على مقدار الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.

ويبقى - بعد ذلك - الاختلاف في الأصوات البشرية مسألة طبيعية:

كما قال الإمام البخاري: «فبين النبي ﷺ أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراساتهم وتعليمهم وألستهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل والحن وأعلى وأخف وأغض وأخشع وقال: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] وأجهر وأخفى وأمهر وأمد وألين وأخفض من بعض»^(٢).

❖ وهنا نلاحظ معلماً هاماً هو أن النبي ﷺ علمهم تقديم حسن الصوت في الأذان فأحرى أن يكون ذلك في القرآن: فعن عبد الله بن زيد قال: لما أصبحنا أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته بالرؤيا فقال: «إن هذه الرؤيا حق فقم

(١) النهاية (٣/ ٣٢٦)، مرجع سابق.

(٢) خلق أفعال العباد ص ٧٣، مرجع سابق.

مع بلال فإنه أُندي أو أمد صوتاً منك فألق عليه ما قيل لك فينادي بذلك»^(١).

و(أُندي) أصله «من الندي أي الرطوبة يقال صوت ندي أي رفيع واستعارة النداء للصوت من حيث أن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه»^(٢)، فأُندي: «أي أرفع وأعلى، وقيل أحسن وأعذب، وقيل أبعد»^(٣) فالأحسن أن يراد بأندي «ههنا أحسن وأعذب وإلا لكان في ذكر قوله أمد بعده تكرار»^(٤)، وعلى هذا ففي الحديث «دليل على اتخاذ المؤذن حسن الصوت»^(٥).

❖ وفي حديث أبي محذورة قال: لما خرج رسول الله ﷺ من حنين خرجت عاشر عشرة من أهل مكة نطلبهم فسمعناهم يؤذنون بالصلاة فقمنا نؤذن لنستهزئ بهم فقال رسول الله ﷺ: «قد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت»، فأرسل إلينا فأذنا رجل رجل وكنت آخرهم، فقال حين أذنت: «تعال»، فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي فبرك علي ثلاث مرات ثم قال: «اذهب فأذن عند البيت الحرام»^(٦) فإذا كان ذلك كذلك في الأذان، فكيف به في القرآن؟.

(١) اللفظ المذكور لابن خزيمة (١/ ١٨٩)، وابن حبان (٤/ ٥٧٣)، والضياء في المختارة (٩/ ٣٧٤)، ورواه الترمذي (١/ ٣٥٩)، مراجع سابقة، وهو عند أبي داود (١/ ١٣٥)، مرجع سابق بلفظ (أُندي)، وفي تلخيص الحبير (١/ ١٩٧)، مرجع سابق.

(٢) انظر: عون المعبود (٢/ ١٢١)، مرجع سابق.

(٣) النهاية (٥/ ٢٦)، مرجع سابق.

(٤) انظر: تحفة الأحوذى (١/ ٤٨٠)، مرجع سابق.

(٥) انظر: تحفة الأحوذى (١/ ٤٨٠)، مرجع سابق.

(٦) ابن خزيمة (١/ ٢٠١)، أبو داود (١/ ١٣٦)، عبد الرزاق (١/ ٤٥٩)، الدارقطني في سننه (١/ ٢٣٥)، مراجع سابقة.

❖ وكان الصحابة رضي الله عنهم يلتمسون حسن الصوت بالقرآن فعن عمر أنه قال لرجل: اقرأ سورة الحجر. قال: أو ليست معك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما بمثل صوتك فلا^(١).

المطلب الثاني: تعليمهم التنغي بألفاظ القرآن الكريم

الأحاديث الواردة في ذلك:

❖ بين النبي ﷺ فضيلة التنغي بالقرآن فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى بالقرآن» وقال صاحب له: يريد يجهر به^(٢)، و(يأذن): «معناه الاستماع ومنه قوله تعالى وأذنت لربها»^(٣)، فالمعنى - كما قال أبو عبيد - يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن^(٤)، والمراد بالاستماع هنا الاستماع الخاص، وذلك كتفريق العلماء بين المعية العامة الواردة في قوله جل جلاله: ﴿وَهُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، والمعية الخاصة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وهو ما يعني قرب القارئ من الله سبحانه وتعالى، وعظيم شرفه بالقراءة.

❖ ولم يقف ذلك عند مجرد الفضيلة حتى ورد الأمر بالقراءة بهذه الكيفية فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا كتاب الله

(١) شعب الإيمان (٢/ ٥٢٧)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ١٩١٨)، مرجع سابق.

(٣) شرح النووي (٦/ ٧٨)، مرجع سابق.

(٤) النسائي في الصغرى (١/ ٥٥٨)، مرجع سابق.

وتعاهدوا واقتنوه وتغنوا به فو الذي نفسي بيده هو أشد تفلتاً من المخاض في العقل»^(١).

❖ وفي المقابل فقد ورد الزجر الشديد والتنفير من القراءة بغير هذه الكيفية فعن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أتيتُه فسألني من أنت فأخبرته عن نسي فقال سعد: تجار كسبة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٢) ومثله عن ابن عباس^(٣)، ونحوه عن عائشة^(٤) وابن الزبير رضي الله عنهم^(٥)، وعن أبي لبابة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» فقيل: لابن أبي مليكة: يا أبا محمد! أرايت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع^(٦)، وعن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص - وقد كف بصره - فسلمت عليه فقال: من أنت؟ فأخبرته فقال: مرحباً بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن نزل مجزئ فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا»^(٧).

معنى التغني الوارد في الأحاديث:

اختلف العلماء في معنى التغني الوارد في الحديث على قولين مشهورين:

(١) النسائي في الكبرى (٥ / ٥٢١) والصغرى (٢ / ٥٤٣).

(٢) ابن حبان (١ / ٣٢٧)، الضياء في المختارة (٣ / ١٧٢).

(٣) الحاكم (١ / ٧٦٠)، مرجع سابق.

(٤) قال في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٠): «رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح».

(٥) قال في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٠)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٦) البيهقي في الكبرى (٢ / ٥٤)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٧١)، مرجع سابق: «رواه

الطبراني ورجاله ثقات».

(٧) ابن ماجه (١ / ٤٢٤)، مرجع سابق.

المعنى الأول: معنى التغني الاستغناء وحدوث الكفاية به، وقد ذهب إلى هذا الإمام البخاري فقال: «باب من لم يتغن بالقرآن وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]»^(١)، وهو مذهب سفيان بن عيينة قال: تفسيره يستغني به»^(٢).

المعنى الثاني: معناه التطريب به والحداء و«تخزين القراءة وترقيقتها»^(٣)، وفق قواعد معلومة لأنه أوقع في النفوس، وأنجع في القلوب^(٤)، وقد ذهب إلى هذا «الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون يحسن صوته به»^(٥)، «و قال صالح قلت لأبي (أي أحمد بن حنبل): «زينوا القرآن بأصواتكم» ما معناه؟ قال: أن يحسنه، وقيل له: ما معنى «من لم يتغن بالقرآن» قال: «يرفع صوته به، وقال الليث: يتحزن به، ويتخشع به، ويتباكى به»^(٦)، ورد الإمام الشافعي على ابن عيينة تأويله، فقال رحمه الله تعالى: نحن أعلم بهذا. لو أراد النبي ﷺ الاستغناء به لقال ليس منا من لم يستغن بالقرآن فلما قال ليس منا من لم يتغن بالقرآن علمنا أنه التغني به»^(٧) وقال: معناه يقرأه حزناً وتخزيناً^(٨).

(١) البخاري (١ / ١٩١٨)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١ / ١٩١٨)، مرجع سابق.

(٣) شرح النووي (٦ / ٧٩)، مرجع سابق، وقد أوصل القرطبي في تفسيره التاويل الواردة في معنى التغني الوارد في حديث «ما أذن الله.. إلى ست تأويلات، ورد بقوة أن يكون المعنى هو تحسين الصوت والترنم بالقرآن. انظر تفسير القرطبي (١ / ١٥)، مرجع سابق.

(٤) شرح السنة (٤ / ٤٨٥).

(٥) شرح النووي (٦ / ٧٨)، مرجع سابق.

(٦) المغني (١٠ / ١٧٨)، مرجع سابق.

(٧) النسائي في الصغرى (١ / ٥٥٩)، مرجع سابق.

(٨) النسائي في الصغرى (١ / ٥٥٩)، مرجع سابق.

تعريف الغناء:

❖ هو كما قال «الأصمعي: كل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء»^(١)، فالغناء عند العرب هو المردد المرجع من الكلام لا شأن له بالآلات، «وفي حديث عائشة: وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعث، ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللّهُو واللّعب، وقد رخص عمر رضي الله عنه في غناء الأعراب وهو صوت كالخداة»^(٢).

وقد تأيد هذا التأويل بالتالي:

١ - بقوله ﷺ لأبي موسى الأشعري: «لقد أعطى هذا مزماراً من مزامير آل داود»^(٣).

٢ - ويؤيد هذا المعنى تأييداً متيناً رواية (يجهر به) فعن الشافعي أنه قال: معناه تحسين القراءة وترقيقها، قال: ومما يحقّق ذلك الحديث الآخر: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٤)، والعرب تقول: سمعت فلاناً يتغنى بكذا أي يجهر به^(٥).

٣ - سئل ابن أبي مليكة - وهو أحد رواة الحديث - : يا أبا محمد! رأيت أن لم يكن حسن الصوت قال: يحسنه ما استطاع^(٦)، وهذا يدل على إرادة الصوت.

٤ - ويدل له رواية «ما أذن لني في الترم في القرآن» أخرجه الطبري^(٧)، وفي لفظ: «ما أذن لني حسن الصوت»^(٨)، وفي لفظ «حسن الترم بالقرآن»^(٩) «والترم

(١) لسان العرب (١٥ / ١٣٦)، مرجع سابق.

(٢) لسان العرب (١٥ / ١٣٧)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الصغرى (١ / ٥٥٩)، مرجع سابق.

(٤) لسان العرب (١٥ / ١٣٦)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (٩ / ٧١)، وانظر: شرح النووي (٦ / ٧٩)، مرجعان سابقان.

(٦) سنن البيهقي الكبرى (٢ / ٥٤)، مرجع سابق، مجمع الزوائد (٧ / ١٧١)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٧) فتح الباري (٩ / ٧١)، مرجع سابق.

لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه القارئ وطرب به قال: ولو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر الصوت ولا لذكر الجهر معنى»^(٣).

❖ وأما حديث «إن الله لم يأذن لمتروم بالقرآن»^(٤) فإن كان معناه المنع فهو ممنوع بعدم ثبوته بل هو إلى الوضع أقرب، ولقد علمهم النبي ﷺ تحسين أصواتهم بالقرآن، وكان يثني على حسن الصوت منهم حتى قال عن سالم مولى أبي حذيفة: «الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا»^(٥)، وذلك لما قالت عائشة عن حسن صوته: كنا نسمع قراءة رجل من أصحابك في المسجد لم أسمع مثل صوته ولا قراءة من أحد من أصحابك، «و أخرج ابن أبي داود أن عمر: كان يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم، ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب، وإجراء الدمع»^(٦).

الجمع بين المعنيين أولى عند الباحث:

ولأن الجمع مقدم على الترجيح فيين أن إرادة المعنيين واردة، بل ظاهرة فأما من حيث اللغة فهو صالح للمعنيين، فما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع، وإن كانت

(١) البخاري (٦ / ٢٧٤٣)، مسلم (١ / ٥٤٥)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى ١٠ / ٢٢٨، وفي الترغيب والترهيب ٢ / ٢٣٧، مرجع سابق: «خرجه ابن جرير الطبري بإسناد صحيح».

(٣) ذكر ابن حجر في فتح الباري (٩ / ٧١)، مرجع سابق.

(٤) في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٠)، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو كذاب».

(٥) ابن ماجه (١ / ٤٢٥)، مرجع سابق، وقال في مصباح الزجاجة (١ / ١٥٨)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح».

(٦) انظر: فتح الباري (٩ / ٧٢)، مرجع سابق.

ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت^(١)، إلا أن ورود يتغنى بمعنى يستغني ليس منكراً عربية كما أنكره الشافعي، ولذا رد ابن حجر على الطبري فقال: «و أما إنكاره أن يكون تغنى بمعنى استغنى في كلام العرب فمردود، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ،... (و) في حديث الخيل: «ورجل ربطها تعففاً وتغنياً» وهذا من الاستغناء بلا ريب، والمراد يطلب الغنى بها عن الناس بقريته قوله تعففاً^(٢) فيكون الجمع بين التأويلات المذكورة هو الصحيح البين، ومال إليه عدد من المحققين كابن حجر فيقال في معنى التغني الوارد في الأحاديث: يحسن به صوته جاهراً به مترمماً على طريق التحزن متغنياً به عن غيره من الأخبار طالباً به غنى النفس راجياً به غنى اليد، ونظم ابن حجر ذلك في بيتين فقال:

تغنّ بالقرآن حسن به الصوت حزيناً جاهراً رنم
واستغن عن الألى طالباً غنى يدٍ والنفس ثم الزم^(٣)
وكذلك أن يجعل القرآن مكان الغناء أمر مقصود شرعاً كما هو ظاهر، وتقدم ذكر الزجر عن الامتلاء بالشعر ولذلك صار القرآن هو الذي يترنم به العارفون مكان غناء القوم وحدوهم وإنشادهم فقد قال بعض العارفين لمريد: أتحفظ القرآن؟ قال: لا، قال: وا غوثاه يا لمريد لا يحفظ القرآن فيم يتغنى؟ فيم يترنم؟ فيم يناجي ربه تعالى؟^(٤)

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتفاضلون في حسن تغنيهم بالقرآن، ويثني النبي ﷺ عليهم في كل ذلك، وتقدم ما قاله في سالم، وأبي موسى، وقال رسول الله ﷺ في الأشعرين: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين

(١) فتح الباري (٩ / ٧١)، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩ / ٧١)، مرجع سابق.

(٣) انظر: فتح الباري (٩ / ٧٢)، مرجع سابق.

(٤) الشريعة الإسلامية والفنون ص ٣٠٧ - ٣١٨.

يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»^(١)، وقد عدوا من حكم تلاوة النبي ﷺ على أبي «أن يتعلم أبي ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره»^(٢).

ينبغي أن يتجه التغني بالقرآن وتزيين التصويت بألفاظه نحو التحزن:

من الضوابط الهامة في التغني بالقرآن الكريم أنه لا بد من الميل باتجاه التصويت نحو الحزن، ويدل على ذلك في تعليم النبي ﷺ لأصحابه قوله ﷺ: «اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن»^(٣)، ويشهد لهذا الحديث قوله ﷺ: «إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن»^(٤)، والميل بالقراءة نحو الحزن إخبار ضمني من القارئ بفقره وخشيته من ربه، واعترافه بالتقصير، وهي الضابط الحقيقي لحسن القراءة وزينتها، ثم ضبط النبي ﷺ لهم هذا التحزن وهو يعلمهم بأنه الذي يحقق هذا المقصد من إظهار الجزع على النفس بين يدي الله جل جلاله، والخشية منه، والإشفاق من عذابه، والطمع في رحمته كما في حديث ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ: «من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: من إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل»^(٥).

(١) البخاري (٤ / ١٥٤٧)، مسلم (٤ / ١٩٤٤)، مرجعان سابقان.

(٢) شرح النووي (١٦ / ١٩)، مرجع سابق.

(٣) مجمع الزوائد (٧ / ١٧٠)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف».

(٤) مجمع الزوائد (٧ / ١٧٠)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف».

(٥) سعيد بن منصور (١ / ١٩٤)، وفي زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة (٢ / ٥٤٣)، مرجع سابق: «و الحديث حسن بمجموع طرقه».

- ❖ ولا ينبغي أن يقال إن في ذلك رثاء؛ إذ هذا أمر قلبي لا يُحكم به ها هنا فقد كان ﷺ القدوة العظمى في ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، قال: نعم! فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.
- ❖ وتسلسلت المنهجية فكان الترتيل سمت الصحابة رضي الله عنهم يميل نحو الحزن فعن ابن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة كان إذا نزل قام شطر الليل، فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال قرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَمَيِّدًا﴾ [ق: ١٩] فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج^(١)، وهكذا علم النبي ﷺ أصحابه من أئمة الإقراء، فكانت قراءتهم كذلك: فعن سليمان بن مسلم بن جهم الزهري قال: سمعت أبا جعفر يحكي لنا قراءة أبي هريرة رضي الله عنه في إذا الشمس كورت يجزئها شبه الرثاء^(٢).

المطلب الثالث: تعليمهم الترجيع لألفاظ القرآن الكريم

الأحاديث التعليمية الواردة في ذلك:

علمهم النبي ﷺ الترجيع ففي حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملة وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينته يقرأ وهو يرجع^(٣) قال معاوية بن قرة: لولا أن أخشى

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٠).

(٢) السبعة ص ٥٧، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٥٦٠)، مرجع سابق.

أن يجتمع عليكم الناس لحكيت لكم عن عبد الله بن مغفل ما حكى عن رسول الله ﷺ، فقيل لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ ثلاث مرات^(١)، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع من حديث أم هانئ- رضي الله تعالى عنها-: كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجع القرآن^(٢).

هل حدث منه ذلك عمداً؟ ذهب بعضهم إلى هذا «إنما حصل منه يوم الفتح لأنه كان راكباً فجعلت الناقة تحركه وتنزّيه فحدث الترجيع في صوته»^(٣)، ورجح عدد من المحققين أن ذلك تحسين للصوت وتغن بالقرآن على سبيل القصد، وهو أشبه بالسياق ففي لفظ: وهو يقرأ قراءة لينة فقال: لولا أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك للحن^(٤).

الدلالة اللغوية والشرعية للترجيع:

الترجيع هو التريد ومنه قوله جل جلاله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١] أي يتلاومون، والمراجعة المعاودة يقال راجعه الكلام، ورجع الرجل وترجع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به^(٥)، وعلى هذا فالترجيع في القراءة يتضمن ما يلي:

١- تريد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، فترجيع الصوت هو ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الألحان^(٦).

(١) فتح الباري (١٣ / ٥١٥)، مرجع سابق.

(٢) ابن ماجة (١ / ٤٢٩)، شرح معاني الآثار (١ / ٣٤٤)، مرجعان سابقان، وقال في مصباح الزجاجة (١ / ١٥٩)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٣) انظر: النهاية (٢ / ٢٠٢)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (٥ / ٥٨٤، ٩ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٥) انظر: لسان العرب (٨ / ١١٥)، مرجع سابق.

(٦) انظر: لسان العرب (٨ / ١١٥)، مختار الصحاح (١ / ٩٩)، مرجعان سابقان.

٢- «تقارب ضروب الحركات في الصّوت، وقد حكى عبد الله ابن مغفل ترجيعه بمدّ الصّوت في القراءة نحو آء آء آء»^(١)، والمراد أن في الترجيع إشباعاً للمد في مواضعه^(٢).

٣- ويظهر في الترجيع حسن الصوت بتقطيعه، وعلوه، ومنه رجّع الحمام في غنائه^(٣)؛ ويدل على العلاقة الوطيدة بين الترجيع والتنغيم ما جاء في رواية أخرى: «لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن» أي النغم^(٤).

وعند التأمل فلا تنافي بين التأويلات الثلاثة، فتنغيم القراءة يستلزم مد الصوت في مواضعه على هيئة التحقيق البالغ، كما يستلزم التريديد للمقروء، ومنه التريديد الذي يعمد إليه القراء في المحافل عند بلوغ النهاية في تزيين القرآن بالأصوات. والقول الجامع في تعريف الترجيع:

أنه تريديد القراءة، وتقارب ضروب الحركات في الصّوت^(٥)، وفي ذلك تريديد للصوت في الحلق أي تنغيم له وترنيم مع تفاوت الصوت في الجهر والإخفاء على هيئة الترجيع في الأذان، ومد الصّوت في القراءة نحو آء آء آء.

العلاقة بين الترجيع والترتيل:

❖ يظهر بهذا أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل، فهو تزيين للقرآن بالألحان: ف «في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان المملذذة للقلوب بحسن الصوت، وقول معاوية: لولا أن يجتمع الناس يشير إلى أن

(١) النهاية (٢/ ٢٠٢)، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩/ ٩٢)، مرجع سابق.

(٣) انظر: لسان العرب (٨/ ١١٦)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٩٢)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (٩/ ٩٢)، مرجع سابق.

القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء، وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة الحكمة المهيمنة»^(١).

وأما ما روي عن أبي بكره قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المد ليس فيها ترجيع^(٢) فحديث ضعيف بل قد رماه صيارفة الجرح والتعديل بالوضع، فلا يقاوم ما سبق، ومثله في الضعف وعدم الصحة ما ورد عن قتادة قال: «ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه، حسن الصوت، وكان لا يرجع»^(٣).

العلاقة بين الترجيع والغناء والتغني:

- ❖ بين الترجيع والغناء: هذا الترجيع ليس كترجيع الغناء وقوانين النغم، إذ إن الغناء المعروف لا ينضب أو ينضب بقواعد غير القواعد الضابطة لتلاوة القرآن كما قال بعض أهل العلم: «معنى الترجيع تحسين التلاوة، لا ترجيع الغناء لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة»^(٤).
- ❖ بين الترجيع والتغني: الترجيع تدقيق لوصف التغني فالمعروف «في كلام العرب أن التغني الترجيع بالصوت كما قال حسان:

(١) فتح الباري (١٣ / ٥١٥)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الأوسط (٥ / ٨٦)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٢ / ٢٦٦)، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن وجيه وهو ضعيف»، وقال المناوي في فيض القدير (٥ / ١٧٣)، مرجع سابق: «رمز المصنف لحسنه وليس كما ظن فقد قال الهيثمي وغيره فيه عمرو بن وجيه وهو ضعيف وقال مرة أخرى فيه من لم أعرفه وفي الميزان تفرد به عمرو بن موسى يعني ابن وجيه وهو متهم أي بالوضع».

(٣) قال الألباني فيه: «هذا الحديث مرسل لأنه من رواية تابعي الذي لم يذكر فيه الصحابي. قلت: طرفه الأول ليس بحديث، لأنه لم يرفعه إلى النبي ﷺ، ثم إن إسناده غير صحيح، فيه حسان بن مصك، قال الحافظ: «ضعيف يكاد يترك» فلا داعي للتوفيق بينه وبين حديث ابن مغفل الذي قبله كما فعل في الأصل». انظر: مختصر الشمائل المحمدية ص ١٦٥، مرجع سابق.

(٤) فتح الباري (٩ / ٩٢)، مرجع سابق.

تغن بالشعر إما أنت قائله إن الغناء بهذا الشعر مضمار»^(١)
 فالترجيع وصف دقيق لكيفية التغني المشروع الذي أمر به النبي ﷺ، والظاهر أنه يمثل إحدى الكيفيات التي يتم بها التغني، وقد يكون التغني بغيره فعن علقمة بن قيس قال: بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة فقام أول الليل ثم قام يصلي فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه يرتل ولا يرجع، يسمع من حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها ثم أوتر^(٢).

علاقة الترجيع والتزين والترتيل بالواجب:

[مراتب قراءة القرآن الكريم] في قراءة القرآن الكريم توجد عندنا مراتب:

١- المرتبة الأولى: هي مرتبة القراءة المجردة لألفاظ القرآن الكريم، وهذه المرتبة هي أصل الكلام لا يسمى الكلام كلاماً بدونها.

٢- المرتبة الثانية هي الترتيل لألفاظ القرآن الكريم: وهي واجبة وجوباً لا مرية فيه، وتزيد على القراءة المجردة بضرورة توفر أركان الترتيل السبعة للكلام المقروء.

٣- المرتبة الثالثة مرتبة التزين للكلام المرتل أو التحسين له: فقول النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» هو شيء زائد على ذات الكلام العربي أي شيء زائد على مخارج الحروف، وصفاتها الأصلية؛ لأن هذه تمثل ذات الحرف. فيكون التزين المراد في الحديث يتعلق: بالصفات الفردية العارضة، والصفات التركيبية العارضة فقط... فالأمر بالتزين دال على وجوب التزين لألفاظ القرآن الكريم أي يدل على وجوب إدغام النون الساكنة في حروفها، وتفخيم الرءاءات في مواضعها،

(١) فتح الباري (٧١ / ٩)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٢ / ٨٤)، مسند ابن الجعد ص ٣٦٨ مجمع الزوائد (٢ / ٢٦٠)، مراجع سابقة، وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» وعزاه في فتح الباري (٩٢ / ٩)، مرجع سابق لابن أبي داود.

والزيادة على أصل المد الأصلي، أو المد الواجب الفرعي، كالزيادة على مقدار ثلاث حركات في المتصل، وعلى مقدار حركتين في المنفصل، وعلى مقدار ما يقوم به الكلام في اللازم...

٤- والمرتبة التالية للتزيين: مرتبة التغني وهو تحسين الصوت في ذاته، وتحويله على هيئة الغناء والحداء، فالتزيين للفظ والتغني للصوت، وكمثال على ذلك فإن قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، قراءتها بحروفها وصفاتها الأصلية يسمى قراءة، فإذا كانت القراءة مع الاهتمام بالصفات العارضة فيها وهي القلقلة في الدال، والزيادة على أدنى ما يقوم به المتصل، والإدغام صار ترتيلاً وتزييناً، فإذا ما نغم الصوت صار تزييناً وتغنياً... ولا شك في التداخل بين الترتيل والتغني والتزيين. فالتغني مرتبة من أعلى مراتب الأداء... ومن الكيفيات الأعلى في التغني: الترجيع والتحبير:

❖ فأما الترجيع فقد تقدم، ووصف الترجيع يدل على أنه أخص من التغني، فقد يحصل التغني بدون ترجيع، ولكنه ليس في قوته وجماله، ويدل على العلاقة الوطيدة بين الترجيع والتنغيم قول الراوي: «لولا أن يجتمع الناس لقراءت لكم بذلك اللحن» أي النغم^(١).

وأما التحبير:

فلما مر النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان ذا صوت حسن، فوقف واستمع لقراءته وقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود قال: يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً»^(٢) وقال أبو

(١) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان (١٦ / ١٧٠)، الحاكم (٣ / ٥٢٩)، المختارة (٥ / ٤١)، النسائي في الصغرى (١ / ٥٦٠)، مرجع

عثمان النهدي: ما سمعت صوت صنج ولا بربط^(١) ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه، ومع هذا قال ﷺ: «لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود»^(٢).

والتحجير هنا هو شدة التحسين، وقوة الجمال، مع المبالغة في ذلك والمراد بذلك هنا في الصوت حتى يسر به المرء^(٣)، فأبو موسى يريد بالتحجير شدة تحسين الصوت وتحزينه^(٤).

وهذا القدر من شدة الحسين ليس بواجب لكنه قد يزيد النشاط في التلاوة، إذ لم ينكر النبي ﷺ عدم وجوده، وتدخل فيه الخلقة البشرية، والمنحة الإلهية وفق القواعد المتلقاة.

خاتمة في التأكيد على تعليم النبي ﷺ أصحابه حسن التصويت بالقرآن الكريم:

وقد كان النبي ﷺ يعلمهم تحسين أصواتهم بالقرآن ويتحري منهم ذلك فإن الصوت الحسن بالقرآن يجعل المخلوقات تميل مع القارئ، وتجيبه ويدل لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وذلك

(١) الصَّنَجُ العربيّ: هو الذي يكون في الدّفوف ونحوه؛ فأما الصَّنَجُ ذو الأوتار فدخيل معرّب، تختص به العجم وقد تكلمت به العرب... انظر: لسان العرب (٢/ ٣١١)، مرجع سابق. البربَط: ملهارة تشبه العود، وهو فارسي معرّب وأصله برت، لأن الضارب به يضعه على صدره، واسم الصّدْر: بر... انظر: النهاية (١/ ١١٢)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١/ ٥٤٦)، البخاري (٤/ ١٩٢٥)، ابن حبان (٣/ ١٧٤)، الترمذي (٥/ ٦٩٣)، مراجع سابقة، وذكر الشيخ القاري في (سنن القراء) ص ٨٨، مرجع سابق أنه جاءت رواية بلفظ: لشوقت تشويقاً وحررت تحبيراً... ولم أعر عليها.

(٣) النهاية (١/ ٣٢٧)، مرجع سابق.

(٤) النهاية (١/ ٣٢٧)، مرجع سابق.

لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويباً.

❖ وقد أوتي النبي ﷺ من حسن الصوت حظاً عظيماً، فبوب ابن حبان: «ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ كان من أحسن الناس قراءة إذا قرأ»^(١)، وفي ذلك يقول البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ والتين والزيتون في العشاء وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة^(٢).

❖ وكان الصحابة رضي الله عنهم يقومون بذلك على قدرهم ويسمع النبي ﷺ لهم، ويحثهم على المزيد، ويشجع أئمة الإقراء على زيادة التأنيق في قراءة القرآن ويتعهدهم في ذلك فيقرأ على أبي ويسمع من ابن مسعود شيئاً قد أقرأه إياه، ويستمتع لأبي موسى في غير وقت التعليم، ويسمع هو وعائشة له ولسالم مولى أبي حذيفة^(٣)... وربما يتفنون في ذلك بما يزيد عن الحد الواجب فيصلون إلى الترجيع والتحجير.

ولأن الترجيع والتحجير يعتبران من الأنواع الخاصة للتغني بالقرآن الكريم فإن هذا يقود البحث إلى الكلام عن القراءة بالألحان، وهو ما خصصنا له المطلب الرابع لأهميته.

(١) ابن حبان (١٤ / ٢٢٤)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١ / ٢٦٦)، ابن خزيمة (١ / ٢٦٣)، ابن حبان (١٤ / ٢٢٤)، مراجع سابقة.

(٣) ابن ماجه (١ / ٤٢٥)، مرجع سابق، وقال في مصباح الزجاجه (١ / ١٥٨)، مرجع سابق: «هذا إسناد

صحيح»، مجمع الزوائد (٩ / ٣٠٠)، مرجع سابق، وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح»، الحاكم (٣ / ٢٥٠)، مرجع سابق.

المطلب الرابع: القراءة بالألحان^(١)

وسبب إيراد هذه المسألة أنها «مبنية على أساس تحسين الصوت بالقرآن»^(٢).

الدلالة اللغوية للحن في هذا الباب:

لا يعدو معنى اللحن في اللغة - من هذه الجهة - أن يكون الصوت المغنى على نسق منضبط محدد مستملح دون أن يتبادر إلى الذهن أن تصحبه أدوات المعازف كما هو الشائع في لغة الناس اليوم؛ فاللحن هو الغناء وترجيع الصوت والتطريب، والتطريب هو تطريب المراد به تقطيع الصوت بالأنغام دون صحبة آلة أو معها^(٣) ويشهد له قول الشاعر:

لقد تركت فؤادك مستجناً مطوّقة على فنن تغنى
يميل بها، وتركبه بلحن إذا ما عنّ للمحزون آنا
فلا يحزنك أيام تولّى تذكّرها، ولا طير أرّنا^(٤)

- ❖ وظهر من هذا أن اللحن والترنم والتغني هو ترديد الكلام المقفى الموزون على هيئة منضبطة، وقوانين خاصة، دون علاقة له بأصوات المعازف.
- ❖ والظاهر أن لا حرج في استعمال كلمة ألحان دلالة على نمط معين لقراءة القرآن الكريم، لجريانها في لسان العرب، ولورودها في المصطلح الشرعي كما سيأتي بعض ذلك، ومن ثم فإن استخدام ألفاظ: الإيقاع والنغم للدلالة على ذلك ليس فيه ما يسوء، وإن كان الاستعمال العرفي العصري يجعل عدم

(١) أشار إلى هذا الموضوع، كثرة من مؤلفي علم التجويد والتفسير، ويدرجونه ضمن موضوع أعم منه هو أنواع

القراءة المتنوعة، انظر - مثلاً -: التمهيد ص ٥٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: الشريعة الإسلامية والفنون ص ٣٠٧ - ٣١٨، مرجع سابق.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤ / ١٨).

(٤) انظر: لسان العرب (١٣ / ٣٨٢)، مرجع سابق.

الاستعمال أولى لارتباطه في لسان العصر بالمعازف مباشرة، وتتلخص معالم

تعليم النبي ﷺ لهذا النوع من التغيي بالقراءة في التالي:

أولاً: الأصل الشرعي للقراءة بالألحان:

يعود إلى عدة أركان، وقد علمهم النبي ﷺ كل هذه الأركان، وهي:

١- الترتيل المقتضي للتأني.

٢- تزيين الأصوات وتحسينها بالقرآن الكريم - على ما تقدم - فيه إيحاء لطلب أجمل أنواع التحسين والتزيين، وقد أمرهم ﷺ بتحسين أصواتهم عند تلاوة القرآن الكريم، وتحسين الصوت من حيث هو أمر مختلف عن القراءة بالألحان، ولذا فقد «كان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره لا نزاع في ذلك»^(١). والمراد بتحسين الصوت على القواعد المتلقاة ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم^(٢). فالتحسين والتزيين أمران عامان والقراءة بالألحان أمر خاص يدخل ضمنهما ما دام الالتزام بقواعد التلاوة وأحكام التجويد قائماً.

٣- علمهم النبي ﷺ أجمل أنواع التحسين عملياً بأن قرأ بالترجيع وأقرهم على تحبير الصوت، وكان صوته ﷺ في قراءة القرآن غاية في الملاحظة وهو المقتدى به، وقد تقدم ذلك كله.

❖ فتحسين الصوت مطلوب من حيث العموم فإن كان التحسين على خصوص قواعد النغم فيظهر ألا مانع بحسب المقدمات السابقة، إلا أن يُخاف من المشابهة بين لحن القراءة ولحن الغناء مما يؤدي إلى تهوين شأن

(١) انظر: فتح الباري (٩ / ٧٢)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٩ / ٧٢)، مرجع سابق.

القراءة، وترك التعظيم الواجب لها فيمنع... وقد تقدم أن من أركان الترتيل السكينة والوقار... فيلتزم ذلك كذلك.

❖ والذي يتحصل من الأدلة هو ما قاله ابن حجر: «أن حسن الصوت مطلوب فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات؛ ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراعى الأداء فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت واجتناب الممنوع من حرمة الأداء»^(١)، حتى تقرر عند المالكية أن «القراءة بالتلحين سنة، وسماعه يزيد إيماناً بالقرآن وغبطة ويكسب القرآن خشية»^(٢)، وقال القاضي عياض: «من إعجاز القرآن أن قارئه لا يمله وسماعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة... وسواء من الكتب لا يوجد ذلك فيها حتى أحدث أصحابها ألحاناً وطرقاً يستجلبون بتلك اللحنون تشييطهم على قراءتها»^(٣)، وقالوا: «القلب يخشع للصوت الحسن كما يخضع للوجه الحسن، وما تتأثر به القلوب في التقوى فهو أعظم في الأجر، وقال في العارضة: للصوت الحسن أثر عظيم في النفوس فإن كان المنطق رخيماً رقيقاً

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٧٢)، مرجع سابق.

(٢) (العبدري) محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله ت ٨٩٧ هـ: التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.

(٣) (أبو الفضل) القاضي عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ هـ: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٧٧)، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، بيروت - لبنان.

الحواشي أوسع الأذن سماعاً والنفس ميلاً وقبولاً وإن كان منغماً... وذلك هو التحبير في الكلام والتنغيم في الغناء»^(١).

«و أشار الجعبري إلى ذلك بقوله:

أقرأ بالألحان الأعارب طبعها وأجيزت الأنغام بالميزان»^(٢)

❖ وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن النبي ﷺ قد علمهم تحسين أصواتهم بتلاوة القرآن الكريم عموماً قولاً وفعلاً تطبيقياً وإقراراً، والقراءة بالألحان إن كانت لا تُخرج قراءة القرآن الكريم عن كونها قراءة للقرآن الكريم فهي داخلة ضمناً.

❖ وبالجمع بين كل هذه النصوص يتقرر «أنه لا تلازم بين التلحين المذموم وتحسين الصوت المطلوب، وأن التلحين المذموم والأنغام المنهي عنها هو إخراج الحروف عما يجوز له في الأداء كما يصرح به كلام جمهور الأئمة ومنهم الإمام أحمد فإنه سئل عنه في القرآن فمنعه فقيل له: لم؟ فقال: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أيعجبك أن يقال لك يا محامد»^(٣).

ثانياً: علمهم النبي ﷺ أن التلحين المطلوب ليس مقصوداً بالأصالة بل هو مطلوب بالتبع لعظمة القرآن وتدبره:

فإن كان التلحين مقصوداً بالأصالة، والترنم مرغوباً لذاته فقد كرهه النبي ﷺ لأصحابه فيما رواه عابس الغفاري رضي الله عنه أنهم كانوا معه فوق أجار له فمر يقوم يتحملون فقال: ما هؤلاء؟ قيل: قوم يفرون من الطاعون؟ قال: يا طاعون خذني! يا طاعون خذني! يا طاعون خذني! فقال له ابن أخ له وكانت له صحبة: تتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنى أحدكم الموت...»

(١) التاج والإكليل (٢/ ٦٢)، مرجع سابق.

(٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٩، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٢/ ٦٥)، مرجع سابق.

قال: يا ابن أخي أني أبادر خلافاً سمعتهن من رسول الله ﷺ تكون في آخر الزمان يتخوفهن على أمتهم إمارة السفهاء، وكثرة الشرط، واستخفاف بالدم، وقطيعه الرحم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم في الدين ولا بأعلمهم وفيهم من هو أفقه منه وأعلم يقدمونه يغنيهم غناء، وفي رواية الطبراني في الأوسط «يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم ولا بأفضلهم بعينهم غنى»^(١) وفي لفظ: «و الرجل يقرأ القرآن مزامير يغني به القوم، والقوم يقدمون الرجل ليس بخيرهم ولا بأفقههم يغنيهم بالقرآن»^(٢).

فالنشء المذكور اتخذوا أئمة في الصلوات لصوتهم فقط وليسوا أهلاً لها لوجود من هو أهل لها ممن هو أقرأ^(٣) وإن لم يكن لهم حسن الصوت ورجبوا عن ذلك إلى حسن الصوت راغبين عن السنة فذموا فلذا بادر الموت، «و ليس من ذلك من يحسن صوته ليرق قلبه، أو قلوب سامعيه في شيء حتى لو اجتمع مستحقان للإمامة وأحدهما حسن الصوت يقدم على الذي ليس معه حسن الصوت، فلا تعارض كيف وقد وصفه الله تعالى بأنه لا ينطق عن الهوى وعن عمر بن الخطاب أنه كان إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده وكان حسن الصوت»^(٤).

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٩٤)، الطبراني في المعجم في الكبير (٣/ ٢١١)، وفي الأوسط (١/ ٢١٢)، ابن أبي شيبة (٧/ ٥٢٩)، مصنف عبد الرزاق (٢/ ٤٨٨)، شعب الإيمان (٢/ ٥٤١)، مراجع سابقة، وقال ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ١٤٧): «و هذا حديث مشهور»، وانظر: مجمع الزوائد (٢/ ٣١٦، ٤/ ١٩٩)، مرجع سابق، وفي (٥/ ٢٤٥)، وقال: «و في إسناد أحمد عثمان بن عمير البجلي وهو ضعيف واحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح»، ونحوه في مسند أحمد (٦/ ٢٢)، مرجع سابق عن عوف بن مالك، وهو في الحاكم (٣/ ٥٠١)، مرجع سابق، عن الحكم بن عمرو الغفاري.

(٢) الأحاد والمثاني (٢/ ٢٦٨)، مرجع سابق.

(٣) وليس لوجود الأعلام كما في معتصر المختصر (٢/ ٢٨٢)، مرجع سابق لأنه لا يقدم على الأقرأ.

(٤) معتصر المختصر (٢/ ٢٨٢)، مرجع سابق.

ثالثاً: علم النبي ﷺ أصحابه قراءة القرآن بلحون العرب وعاداتها في التنغيم، ونهاهم عن قراءته باللحون التي يستخدمها أهل الفسق والكبائر:

فمن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم»^(١)، والذي ذكره ابن الأثير في النهاية في رواية هذا الحديث أنه «وإياكم ولحون أهل العشق»^(٢).

فقوله: «اقرأوا القرآن بلحون العرب» أي تطريبها «و أصواتها» أي ترنماتها الحسنة التي لا يختل معها شيء من الحروف عن مخرجه؛ لأن القرآن لما اشتمل عليه من حسن النظم، والتأليف والأسلوب البليغ اللطيف يورث نشاطاً للقارئ لكنه «إذا قرئ بالألحان التي تخرجه عن وضعه تضاعف فيه النشاط وزاد به الانبساط، وحتت إليه القلوب القاسية، وكشف عن البصائر غشاوة الغاشية»^(٣) وقوله «وإياكم ولحون أهل الكتابين» «أي احذروا لحون اليهود والنصارى وأهل الفسق من المسلمين يخرجون القرآن عن موضعه بالتمطيط بحيث يزداد حرف أو ينقص حرف فإنه حرام إجماعاً كما ذكره النووي في التبيان «ترجيع الغناء» أي أهل الغناء

(١) الطبراني في الأوسط (٧ / ١٨٣)، شعب الإيمان (٢ / ٥٤٠)، مرجعان سابقان، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٩)، مرجع سابق: «و فيه راو لم يسم وبقيه أيضاً»، وفي فيض القدير (٢ / ٦٦): «رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي من حديث بقية عن الحصين الفزاري عن أبي محمد عن حذيفة»، قال ابن الجوزي في العلل: «حديث لا يصح وأبو محمد مجهول وبقيه يروي عن الضعفاء ويدلسهم» قال الهيثمي: «فيه راو لم يسم وفي الميزان تفرد عن أبي حصين بقية وليس بمعتمد والخبر منكر».

(٢) النهاية (٤ / ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٢ / ٦٥)، مرجع سابق.

ورهبانية النصارى وأهل النوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم بنحو محبة الشبان والنساء وقلوب من يعجبهم شأنهم فإن من أعجبه شأنهم فمآل مصيره منهم»^(١).

فقراءة القرآن تكون باللحن الذي يتنوع ويُستعمل من قبل فئتين متقابلتين:

الفئة الأولى: فئة تقرؤه وفق ما اعتادته العرب في تلحينها منضبطاً بقواعد لغتها وهو ما عليه عامة المسلمين الذين يقرأون القرآن منضبطاً أداؤه بأحكام التجويد ويبقى الاختلاف بينهم عائداً إلى مدى الملاحظة في الصوت وهو أمر عائد إلى الجبلية البشرية، والطبيعة الخلقية^(٢)، ويحكى عن الشيخ تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ ت ٧٢٥ هـ أنه قرأ يوماً في صلاة الصبح (و تفقد الطير) وكررها فنزل طائر على رأسه يسمع قراءته فنظروا إليه فإذا هو هدهد، وقد أسلم جماعة من اليهود والنصارى بمجرد سماع قراءة سبط الخياط عبد الله بن علي البغدادي ت ٥٤١ هـ.

الفئة الثانية: فئة هم أهل الكتائب والنوح والغناء والرهبانية حيث يسير إما على ذوق فاعله دون قواعد ضابطة، وإما على قواعد ونواميس الإيقاع والغناء غير المنضبطة بأحكام التجويد فهذا هو الممنوع، «و يشبه أن يكون أراد هذا الذي يفعله قرآء الزمان من اللحن التي يقرأون بها النظائر في المحافل فإن اليهود والنصارى يقرأون كتبهم نحواً من ذلك»^(٣).

كيف ظهر أتباع ألحان الغناء في القراءة:

أول من قرأ بالألحان عُبيد الله بن أبي بكرة، وكانت قراءته حزناً ليست على شيء من ألحان الغناء والحداء، فورثه عنه حفيده عُبيد الله بن عمر، ولذلك يقال قرأت العمري، وأخذ ذلك عنه سعيد العلاف الإباضي^(٤)، وصار سعيد رأس هذه

(١) فيض القدير (٢/ ٦٥)، مرجع سابق.

(٢) النهاية (٤/ ٢٤١)، مرجع سابق.

(٣) النهاية (٤/ ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٤) لسان العرب (١٥/ ١٣٧)، مرجع سابق.

القراءة في زمنه وعرفت به، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويعطيه حتى عرف بين الناس بقارئ أمير المؤمنين، وكان القراء بعده: كاهيثم، وأبان، وابن أعين، وغيرهم ممن يقرءون في المجالس أو المساجد، يدخلون في القراءة من أحيان الغناء والحداء والرهبانية، فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً خفياً، ومنهم من يجهر به حتى يسلخه، فمن هذا قراءة الهيثم ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ [الكهف: ٧٩] فإنه كان يختلس المد اختلاساً فيقرؤها (لمسكين) وإنما سلخه من صوت الغناء كهيئة اللحن في قول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق عندي بعض (مفيها)
أي ما فيها، حتى كان الترمذي محمد بن سعيد في المائة الثالثة، وكان الخلفاء والأمراء يؤمئذ قد أولعوا بالغناء، فقرأ محمد هذا على الأغاني المولدة المحدثه سلخها في القراءة بأعيانها^(١).

وعلى هذا فالنواميس التي يجوز بها استعمال قوانين الإيقاع عند التلاوة هي^(٢):

- ١- الالتزام بضوابط التجويد وأركان الترتيل دون شطط.
- ٢- وإبقاء الجو القرآني على حاله من التحزين والخشوع والإخبات.
- ٣- أن لا يتولد من حروف ليست من القرآن كزيادة ألف أو تطويل الحركة القصيرة إلى طويلة، وهو ما يعبر عنه العلماء بالتمطيط.

(١) تاريخ آداب العرب (١/ ٦١)، مرجع سابق.

(٢) قد ظهر مما سبق وما يتلخص الآن الإطار العام لبحث هذه القضية، فالبحت لا يتناولها بالإسفاف الذي تناولها به صاحب كتاب (ألحان السماء) الذي يشير إلى الثروة الكبيرة التي يكتسبها القارئ الفنان عند امتلاكه أسطوانات باخ وموزارت وبيتهوفن ولست، وضرورة النهل منها... وعلى الرغم من أن المكتبة الإسلامية العصرية تفتقر إلى تراجم القراء المتأخرين، وقد ظهر في هذا الكتاب أنه يريد أن يسد جزءاً من ذلك... إلا أن أسلوب التناول كان غير لائق، ولا يستند على البحث العلمي، أو الصبغة الشرعية. انظر: محمود السعدني: ألحان السماء، كتاب اليوم يصدر عن دار أخبار اليوم أول كل شهر، عدد يناير ١٩٩٦ م.

٤- ألا يترتب على ذلك التقصير في أداء حركة طويلة، أو البتر في حرف لين، أو حرف مشدد مثل التقصير في تشديد (ذرية) ونحو ذلك.

٥- عدم الغلو في التلحين حتى يظهر أنه الغاية من القراءة لا أنه يعين على تدبر القراءة، فيكون صاحبه مفتوناً قلبه وقلبه من يسمعه لدرجة أنه لا يسمع القرآن إلا له، لا لأنه القرآن.

٦- عدم الغلو في طلب اللحن حتى يبحث عن أصوله من غناء اللاهين، ويصبح فناً مستقلاً عن المراد منه^(١)، يبذل له التكلف، ويخرج به عن طبيعة المرء... كما قال ابن الجزري:

مكماً من غير ما تكلف باللفظ في النطق بلا تعسف

❖ فالقراءة بالألحان مع مخالفة هذه الشروط هو الذي كرهه العلماء ومنعوه، وهو الذي قالوا فيه «ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقى فيأخذون في كلام الله مأخذهم في التشبيب والعزل فإنه من أسوأ البدع فيجب على السامع النكير وعلى التالي التعزير»^(٢)، وجاء زياد النميري مع القراءة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه فقيل له: اقرأ فرفع صوته وطرب، وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه، وفي ترجمة الحافظ السلفي: أزال من جواره منكرات كثيرة رأته منع القراءة بالألحان وقال: هذه القراءة بدعة اقرأوا ترتيلاً^(٣).

(١) انظر: أيمن سويد: البيان لحكم قراءة القرآن الكريم بالألحان، قرظه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، حيث نقل المؤلف فتاوى للعلماء الأقدمين والمعاصرين الذين منعوا القراءة بالألحان، وانظر: كيف يتلقى القرآن؟ آداب التلاوة وأحكام التجويد ص ٢٩، مرجع سابق.

(٢) فيض القدير (٤ / ٦٨)، مرجع سابق.

(٣) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٣٠٢)، مرجع سابق.

الاستعانة على تحسين الصوت بالوسائل المشروعة كالمحاكاة:

ويستفاد من النصوص السابقة، ومنها قول ابن أبي مليكة راوي حديث (التغني) حينما قيل له: أرايت إذا لم يكن حسن الصوت ماذا يصنع؟ قال: يحسنه ما استطاع. «أنه لقارئ القرآن أن يستعين بما تيسر له من الوسائل لتحسين صوته، ومنها أن يتعلم من قانون النغم وما يختاره أو يختار له من الألحان المناسبة لقراءة القرآن، وذلك بقدر ما يحتاج إليه للتغني بالقرآن، يتلقى ذلك عن شيخه الذي يقرئه إن كان ممن يتقن ذلك.

ومنها: التقليد والمحاكاة، بأن يحاكي شيخه، وهذا لا بد منه عند التعلم، أو يحاكي أحد المتقنين من القراء أصحاب الأصوات الحسنة، والأنغام المؤثرة، كالمنشأوي، أو عبد الباسط عبد الصمد، أو أصحاب الترتيل المتقن حدرأً وتحزيناً من أئمة التراويح الذين يصدحون في المحاريب بأجمل الأصوات وأحسن الأداء»^(١) ففي حديث الترجيع «قلد الصحابي - وهو عبد الله بن مغفل - النبي ﷺ في ترجيعه بذلك اللحن، والتابعي - وهو معاوية بن قرة - كاد أن يفعل.

أفلا يشرع لكل قارئ أن يحاكي النبي ﷺ في هذا اللحن؟ وهل يلزم أن ينقل إلينا نص بأن الصحابة كانوا يحاكونه ﷺ في لحنه؟ ألا يكفي ما نعلمه من شدة حرصهم على متابعتة والافتداء به.

إذا كان لكل تلميذ أن يحاكي شيخه في أدائه، وصوته، ولحنه، أفلا نحاكي معلمنا الأول وإمامنا ونبينا وسيدنا ﷺ في ذلك كله؟!^(٢)

(١) انظر: سنن القراء ص ١٠٧، مرجع سابق.

(٢) انظر: سنن القراء ص ١٠٨، مرجع سابق.

المبحث السادس:

تعليمه ﷺ الملحقات بأحكام التجويد

من الأبواب التي تطرقها كتب التجويد أبواب الاستعاذة والبسملة، وأحكام الختم، وأحكام الوقف، وأحكام الجهر والإسرار، وقد صنفتها الباحث اجتهاداً فجعلها ملحقات بأحكام التجويد وليست منه لأنها لا تتعلق بحق الحرف أو مستحقه، ويروم هذا المبحث كشف تفاصيل تعليم هذه الأبواب والمسائل من النبي ﷺ لأصحابه، ولذا انقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أحكام الابتداء.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أحكام الختم.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ أحكام الوقف.

المطلب الرابع: تعليمه ﷺ أحكام الجهر والإسرار بقراءة القرآن.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أحكام الابتداء

والمراد بالابتداء هنا ابتداء القراءة لا الابتداء المعروف في أحكام التجويد الذي يقابل الوقف، وتتعلق بالابتداء الأحكام التالية من حيث تعليمه ﷺ:

أولاً: تعليمه ﷺ الاستعاذة في أول القراءة:

أمر الله جل جلاله نبيه ﷺ بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال سبحانه

وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أي إذا أردت أن

تقرأ فأوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر:

وإني لآتيكم لذكرى الذي مضى من الود واستئناف ما كان في غد أراد ما يكون في غد، ومثله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وهو كثير^(١).

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الاستعاذة بعد القراءة وقال به داود وعقب ابن العربي على ذلك قائلاً: «انتهى العيِّ بقوم إلى أن قالوا: إذا فرغ القارئ من قراءة القرآن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم وقد روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة وهذا نص»^(٢).

والظاهر أنه إن صح عن البعض أن الاستعاذة تكون بعد القراءة: فإنهم لا يعنون بها حال الفراغ وإنما أثناء القراءة زيادة على التعوذ قبل القراءة، وذلك طرداً للوسواس الحادث في الأثناء إن قوي شيطانه على الإنسان، كما يحدث في الصلاة فإن التعوذ مجمع على مشروعيته قبل قراءة الفاتحة في الصلاة، وقد يتكرر لعارض اشتداد الوسواس كما جاء ذلك عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني^(٣)، فتكون فائدتها امتثال الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]؛ إذ إن معنى الاستعاذة: الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، والله عياذي أي ملجئي... فالالتجاء والاعتصام مطلوب ابتداء وأثناء حتى يتم

(١) انظر: القرطبي (١/ ٨٦)، مرجع سابق.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٨٨)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (٤/ ١٧٢٨)، مرجع سابق.

العمل، ولذا مال بعض المفسرين إلى اعتبار التعوذ فرض، لظاهر الأمر في الآية فإذا نسيه القارئ، وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ ثم ابتداء من أوله، وقيل: يستعيد ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف فيه^(١).

الصيغة التي علمهم ﷺ إياها:

❖ هي تلك الواردة في سورة النحل، لكن أولها أعوذ، ولم يثبت أنه استخدم لفظة أستعيد، وقد قالها النبي ﷺ بصيغتها في غير ما موقف كما في الحديث السابق، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى! قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا: فأمر من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار في النار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ﴿الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ١ - ٢]^(٢)، وفي هذا إشارة إلى أن النبي ﷺ كان يبدأ الآية التي يتلوها في حديثه بالاستعاذة.

وقد وردت الزيادة على هذه الصيغة^(٣):

إن كانت الزيادة تنزيها لله سبحانه وتعالى، أو ذمًا للشيطان فقد علمهم النبي ﷺ ذلك فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل إلى الصلاة كبر ثلاثاً ثم قال: «سبحانك اللهم وبمحمدك تبارك

(١) انظر القرطبي (١ / ٨٨)، مرجع سابق.

(٢) وقال في جمع الزوائد (٧ / ٤٥)، مرجع سابق، «رواه الطبراني وفيه خالد بن نافع الأشعري قال أبو داود: متروك قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره وبقيته رجاله ثقات».

(٣) انظر في هذه المسألة: الشاطبية باب الاستعاذة ص ٢٥، طيبة النشر باب الاستعاذة ص ٣٨، وشروحهما وانظر: القرطبي (١ / ٨٧).

اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول لا إله إلا الله» ثلاث مرات ثم يقول «الله أكبر» ثلاثاً ثم يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ»^(١)، ومثله عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه^(٢)، ومثله في صيغة الاستعاذة عن أبي أمامة الباهلي^(٣) إلا أنه قال في رواية أخرى: ثم يقول «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزة ونفخه وشركه»^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها في ذكر الإفك قالت: جلس رسول الله ﷺ وكشف عن وجهه وقال: «أعوذ بالسميع» أو قال «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» الآية^(٥) ولكن قال أبو داود: أخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد^(٦)، هذا مع أن العلماء أجمعوا على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه^(٧)، وأما ما روي عن ابن مسعود أنه قال: قلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي النبي ﷺ: «يا ابن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قرأني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم»^(٨) فهو حديث لا يعرف ويرده ما سبق من أحاديث.

(١) أحمد (٣/ ٥٠)، أبو داود (١/ ٢٠٦)، الترمذي (٢/ ١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٦٥): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) سنن أبي داود (١/ ٢٠٣)، أحمد (٤/ ٨٥)، مرجعان سابقان، وفيه: قال عمر وهمزه الموتة ونفخه الكبير ونفثه الشعر، وقال ابن ماجه: المؤتة يعني الجنون والنفت: نفخ الرجل من فيه من غير أن يخرج ريقه والكبر: التيه.

(٣) أحمد (٥/ ٢٥٣)، مرجع سابق.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٥٣)، مرجع سابق، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٥)، مرجع سابق: «رواه أحمد وفيه من لم يسم».

(٥) أبو داود (١/ ٢٠٨)، البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٣)، مرجعان سابقان.

(٦) انظر: سنن أبي داود (١/ ٢٠٨)، مرجع سابق.

(٧) انظر: القرطبي (١/ ٨٦)، مرجع سابق.

(٨) القرطبي (١/ ٨٧)، مرجع سابق.

ولذا ذهب المقرئون إلى عدم التزام هذه اللفظة بعد إذ رأوا أن التزامها ليس واجباً، فجاء عن ابن القاسم أن الاستعاذة: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم^(١) فهذا مما للاجتهاد البشري مدخل في التصرف في لفظه، وإن كان الوارد في الآية هو الأفضل، ولذا قال ابن عطية: «و أما المقرئون فأكثرُوا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى كقول بعضهم: أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة ولا أقول: إنه لا يجوز»^(٢).

ثانياً: تعليمه ﷺ بالبسملة^(٣):

❖ علمهم النبي ﷺ أن البسملة فصل بين السور من الناحية العامة، وأنها تقرأ حال الابتداء بالسورة، عند ابتداء القراءة أو أثنائها وهذا مجمع عليه بين القراء^(٤)، بغض النظر عن كونها آية من الفاتحة، أو من كل سورة، أو ليست باية، ومن المؤشرات على هذا التعليم: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم^(٥)، وهذا يعني أنهم كانوا يعلمون أن هذه الآية أو الآيات التي نزلت ابتداء سورة جديدة بأن يقرأ النبي ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم عند قراءتها، وإلا فهي من سورة سابقة يخبرهم بها ﷺ كما تلقاه من جبريل عليه السلام فعند ابتداء السورة لا بد من ذكر البسملة في القراءة بغض النظر عن الخلاف المذكور؛ ولما وصفت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ ذكرت أنه يبدأ

(١) انظر: القرطبي (١ / ٨٦)، مرجع سابق.

(٢) تفسير ابن عطية (١ / ١٢٠)، مرجع سابق.

(٣) انظر في معناها: القرطبي (١ / ١٠٠)، مرجع سابق.

(٤) لذا قال الشاطبي - رحمه الله تعالى -: ولا بد منها في ابتدائك سورة سواها... انظر الشاطبية ص ٢٦، مرجع سابق.

(٥) المختارة (١٠ / ٣١٥)، النسائي في الصغرى (١ / ٢٥٠)، أبو داود (١ / ٢٠٩)، مراجع سابقة.

بالبسمة فقالت: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته (اية آية) ^(١)، ولما قرأ عليهم سورة الكوثر قرأها عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر]... الحديث ^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول: تفتح القراءة ب بسم الله الرحمن الرحيم ^(٣)، وهل هذا اجتهاد منه أم له حكم الرفع؟ احتمال...

وقوله (القراءة) قد يريد السورة كما سبق في حديثه المرفوع، وقد يريد القراءة ولو كانت من غير أول السورة.. ويكون عند هذا شاهداً لمن قال: ييسم في أثناء السور ^(٤).

وعلمهم ﷺ كيفية ترتيلها:

فسئل أنس بن مالك رضي الله عنه كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ قال: كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم ^(٥).

وعلمهم ﷺ كيفية الوقف فيها:

وأنه يكون عند آخرها كما روت ذلك أم سلمة رضي الله تعالى عنها ففي لفظ عنها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدّها آية، الحمد لله رب العالمين آيتين، الرحمن الرحيم ثلاث آيات، مالك يوم الدين أربع آيات، وقال هكذا إياك نعبد وإياك نستعين وجمع خمس أصابعه ^(٦).

(١) أبو داود (٤ / ٣٧)، الحاكم (٢ / ٢٥٢)، واللفظ له، البيهقي في الكبرى (٢ / ٤٤)، مراجع سابقة، وما بين القوسين له، الدارقطني (١ / ٣٠٧)، مرجع سابق، وخرجه أيضاً في (١ / ٣١٢) وقال: «إسناده صحيح وكلهم ثقات».

(٢) مسلم (١ / ٣٠٠)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (٢ / ٤٩)، مرجع سابق، ولم يذكر الاستعاذة لأنها ليست من القرآن بالإجماع.

(٤) انظر: الشاطبية عند قول الناظم في باب البسمة ص ٢٦، مرجع سابق: وفي الأجزاء خير من تلا.

(٥) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، ابن حبان (١٤ / ٢٢٣)، مرجعان سابقان.

(٦) انظر تخريج ما قبله.

وكان ﷺ يعلمهم أنها من لوازم القراءة في سورة الفاتحة:

وهذا متفق عليه بين القراء، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آية من كتاب الله أغفلها الناس بسم الله الرحمن الرحيم^(٢).

وعلمهم ﷺ الجهر بها أحياناً في الصلاة^(٣):

فعن نعيم الجمر قال: كنت وراء أبي هريرة رضي الله عنه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ﴿وَلَا تَسْكَبْنَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: آمين وقال: الناس امين... ويقول إذا سلم والذي نفسي بيده إنني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ^(٤).

وعلمهم ﷺ المخافتة بها أحياناً أخرى في الصلاة وغيرها:

وقد تكون المخافتة لعارض يقتضي ذلك كما جاء عن سعيد بن جبير قال: كان المشركون يحضرون بالمسجد فإذا قرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم قالوا: هذا محمد يذكر رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فأمر أن يخافت بسم الله الرحمن الرحيم ونزل: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ﴾ [الإسراء: ١١٠] «فبقي ذلك إلى يومنا هذا

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٥)، الدارقطني (١/ ٣١٢)، مرجعان سابقان.

(٢) الفضائل لأبي عبيد ص ٢١٨، مرجع سابق، وانظر: تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، وقال ابن كثير: «إسناده جيد».

(٣) وهذا اختيار ابن القيم في الجمع بين النصوص. انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٠٦).

(٤) ابن خزيمة ٢٥١، ابن حبان (٥/ ١٠٠)، ورواه الدارقطني (١/ ٣٠٥)، وقال: «هذا حديث صحيح ورواه كلهم ثقات».

على ذلك الرسم وإن زالت العلة كما بقي الرمل في الطواف وإن زالت العلة وبقيت المخافتة في صلاة النهار وإن زالت العلة»^(١)، والقول بهذا الحديث حال صحته.

هل هي آية؟:

ليس هذا من نطاق البحث، ولكن الباحث يود الإشارة إلى أن الرجوع إلى مناهج كل علم يزيل كثيراً من الخلاف فالصحيح هنا ما قرره حذاق العلماء من أنها آية من القرآن في بعض القراءات دون بعض^(٢) شأنها في ذا كشأن لفظة كلمة (من) في الآية ١٠٠ من سورة براءة، بعدد الكوفيين، فهي من القرآن في قراءة ابن كثير دون غيرها، أو كلمة (هو) في الآية ٢٤ من سورة الحديد فهي من القرآن في قراءة الجمهور دون قراءة نافع وابن عامر، ولذا اختلف علماء العدد في عدها في الفاتحة^(٣)، ولذا فالاستدلال بالاختلاف فيها على نفي قرآنيها غير سديد، كما فعل كثير من المالكية^(٤)... وبذلك تجتمع الأقوال ويزول الخلاف - إن شاء الله تعالى -، وأشار إلى هذا الجمع صاحب مراقبي السعود في أصول الفقه بقوله:

وليس للقرآن تعزى البسمة وكونها منه الخلاف نقله
وبعضهم إلى القرآن نظراً وذلك للوفاق رأي معتبر
وقد اتفقوا على ابتداء السورة بالبسمة ولذا فإن الإمام مالك قال: ولا بأس أن

(١) القرطبي (١ / ٩٦)، مرجع سابق.

(٢) انظر: (الشنقيطي) محمد الأمين بن المختار: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة ص ٥٥، دار القلم، بيروت، وانظر: شرحه نثر الورود على مراقبي السعود، مع تمتته للدكتور محمد ولد سيدي الشنقيطي (١ / ٩٠)، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة.

(٣) انظر: تفصيل الخلاف في هذه المسألة في: روح المعاني (١ / ٤٠)، أحكام القرآن للجصاص (١ / ١٩)، بدائع الصنائع (١ / ٢٠٤)، حاشية ابن عابدين (١ / ٤٩١)، الإحكام للآمدي (١ / ٢١٥)، المستصفى (١ / ٨٢)، مراجع سابقة.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١ / ٩٥)، مرجع سابق.

يقرأ بها النافلة ومن يعرض القرآن عرضاً^(١)، بل اختلفت الرواية عنه في إثباتها في أول كل سورة فُرُوِي عنه ابتداء القراءة بها في الصلاة الفرض والنفل ولا تترك مجال^(٢).

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أحكام الختم

أحكام الختم كثيرة، ونذكر هنا ما ورد فيه التعليم تصریحاً:

أولاً: علمهم ﷺ الأمد الزمني لختم القرآن:

فقد علم النبي ﷺ أصحابه مدة الختم فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال لي النبي ﷺ: في كم تقرأ القرآن؟ وفي لفظ: قلت يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: «اخرمه في شهر» وفي لفظ للدارمي: قلت يا رسول الله إنني أطيق أفضل من ذلك. قال: «اخرمه في خمسة وعشرين» قلت: إنني أطيق أفضل من ذلك، وفي لفظ: قلت إنني أجد قوة قال: «اخرمه في عشرين» قلت: إنني أطيق أفضل من ذلك قال: «اخرمه في خمسة عشر». قلت إنني أطيق أفضل من ذلك قال: «اخرمه في عشر» قلت إنني أطيق أفضل من ذلك، وفي لفظ: - حتى قال: - «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»^(٣)، وفي رواية: قال: «اخرمه في خمس» قلت إنني أطيق أفضل من ذلك قال: «فما رخص لي» ولفظ للدارمي: قال: «لا»^(٤) وعنه أيضاً قال أمره النبي ﷺ أن يقرأ في أربعين ثم في شهر ثم في عشرين ثم في خمسة عشر وفي عشر ثم في سبع قال انتهى إلى سبع^(٥) وفي لفظ لأبي داود: لم ينزل من سبع^(٦).

(١) القرطبي (١ / ٩٥)، مرجع سابق، وأما بقية الأئمة الثلاثة فمتفقون على كونها من القرآن مع خلاف بينهم في تفصيل ذلك.

(٢) القرطبي (١ / ٩٦)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٧ / ١٩٧٢)، مرجع سابق.

(٤) الترمذي (٥ / ١٩٦)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٥) سنن النسائي الكبرى (٥ / ٢٥)، ونحوه في سنن أبي داود (٢ / ٥٦)، وانظر: سنن البيهقي الكبرى (٢ / ٣٩٦)، مراجع سابقة.

(٦) أبو داود (٢ / ٥٦)، مرجع سابق.

وقوله: «و لا تزد على ذلك» «أي لا يغير الحال المذكورة إلى حالة أخرى، أي لا يقرؤه في أقل من سبع»^(١).

❖ والجمع بين روايتي الثلاث والسبع أن يحمل على «تعدد القصة فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ذلك تأكيداً، وكان النهي عن الزيادة ليس على التحريم كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وأغرب بعض الظاهرية فقال: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٢) ولكن ما استغربه ابن حجر هو الغريب؛ إذ لم يرخص النبي ﷺ في أقل من ذلك، إلا أن يوضحه بعمل بعض الصحابة على خلافه دلالة على الجواز، ويكون سبيله في هذا التحقيق سبيل التحقيق في جواز صوم الوصال مع النهي عنه.

❖ وليس هذا خاصاً بعبد الله فقد انتشر تعليم النبي ﷺ لذلك بين أصحابه فعن سعد بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث قال: «نعم». قال: وكان يقرؤه حتى توفي^(٣)، وسعد بن المنذر أنصاري عقي بدري^(٤).

وهل المراد بالقرآن الوارد في هذه الأحاديث الذي سبقه: جميع القرآن أم بعضه: إذ القصة وقعت قبل وفاة النبي ﷺ وقبل أن يكتمل القرآن؟.

(١) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٧)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٧)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الكبير (٦ / ٥١)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٧١)، مرجع سابق: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف»، وفي الإصابة (٣ / ٨٦): «سعد بن المنذر الأنصاري ذكره البخاري وقال روى حديثه ابن لهيعة ولم يصح قلت وأخرجه بن المبارك في الزهد عن أبي لهيعة حدثني واسع بن حبان عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث قال نعم إن استطعت وكان يقرؤه كذلك إلى أن توفي وأخرجه الحسن بن سفيان والبخاري من طريق بن لهيعة عن حبان».

(٤) فيض القدير (٢ / ٦١)، مرجع سابق.

الجواب: بل المراد من لفظة القرآن هنا جميعه لعدة أوجه:

١- أن بعض القرآن لا يحتاج إلى ختم لأنه يصدق على الآية والسورة القصيرة التي تختم في أقل من دقيقة ولا يصدق على ذلك اسم ختم.

٢- أن العبرة بما دل عليه الإطلاق في قوله ﷺ في كم تقرأ القرآن، ويضاف إلى هذا الوجه إشعار السياق بذلك للوجه السابق.

٣- أن هذا هو الذي فهمه الصحابي رضي الله عنه: «فكان يقول: ليتني لو قبلت الرخصة» ولا شك أنه بعد نزول شيء جديد من الوحي على النبي ﷺ كان يضيفه الصحابي إلى محفوظه، «فالمراد بالقرآن جميع ما كان نزل إذ ذاك وهو معظمه ووقعت الإشارة إلى أن ما نزل بعد ذلك يوزع بقسطه»^(١).

ثانياً: علمهم ﷺ الحد الأعلى لختم القرآن:

فلا ينبغي لمسلم أن يتجاوزه في ختم الكتاب الكريم فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال له: «اقرأ القرآن في أربعين»^(٢)، قال بعض أهل العلم: ولا نحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث^(٣).

ثالثاً: علمهم ﷺ الحد الأدنى لمدة الختم:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أمرني رسول الله ﷺ أن لا أقرأ القرآن في أقل من ثلاث^(٤) وبين ﷺ علة ذلك فقال: «لم يفقه من قرأ القرآن في

(١) فتح الباري (٩ / ٩٨)، مرجع سابق.

(٢) الترمذي (٥ / ١٩٧)، وقال: «هذا حديث حسن»، أبو داود (٢ / ٥٦)، مرجع سابق.

(٣) الترمذي (٥ / ١٩٦)، مرجع سابق.

(٤) الدارمي (٢ / ٥٠٢)، مرجع سابق.

أقل من ثلاث»^(١)، وشاهده عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح من وجه آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأوا القرآن في سبع ولا تقرأوه في أقل من ثلاث»، وعن عائشة أن النبي ﷺ كان لا يجتم القرآن في أقل من ثلاث^(٢) وقد أوصى النبي ﷺ عدداً من الصحابة بذلك، ومنهم سعد بن المنذر الأنصاري كما تقدم قيل قليل.

❖ وفي أن الأصل لزوم ذلك يقول الترمذي «وقال بعض أهل العلم: لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث للحديث الذي روي عن النبي ﷺ»^(٣) وهذا اختيار أحمد وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهم^(٤) وهذا «أولى ما يرجع إليه في التقديرات... وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل»^(٥).

من الصحابة رضي الله عنهم لتلاميذهم: كان الصحابة رضي الله عنهم يوصون أصحابهم بذلك فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اقرأوا القرآن في سبع ولا تقرأوه في أقل من ثلاث وليحافظ الرجل في يومه وليلته على جزئه»^(٦)، وقال عبد الله رضي الله عنه: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز»^(٧)، وكان ابن مسعود «يقرأ القرآن في كل ثلاث وقلمما يستعين بالنهار»^(٨)، وعنه رضي

(١) الترمذي (٥ / ١٩٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، سنن النسائي الكبرى (٥ / ٢٥)، وفي سننه

الصغرى (١ / ٥٦٢)، مراجع سابقة، وقال في تحفة الأحوذى (٨ / ٢٢٠)، مرجع سابق: «أي لم يفهم ظاهر معانيه

وأما فهم دقائقه فلا يفي به الأعمار والمراد نفي الفهم لا نفي الثواب».

(٢) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٧)، مرجع سابق.

(٣) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٧)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (٩ / ٩٧)، مرجع سابق.

(٥) إحياء علوم الدين (١ / ٢٧٥)، مرجع سابق.

(٦) البيهقي في الكبرى (٢ / ٣٩٦)، ابن أبي شيبة (٢ / ٢٤٢)، مرجعان سابقان، وانظر: تحفة الأحوذى (٨ /

٢١٩)، التبيان في آداب حملة القرآن ص ٣١ للوقوف على أمثلة كثيرة لعادات السلف الصالح في مدة الحتم.

(٧) ابن أبي شيبة (٢ / ٢٤١)، مرجع سابق.

(٨) ابن أبي شيبة (٢ / ٢٤٢)، مرجع سابق.

الله عنه أنه كان يقرأ القرآن من الجمعة إلى الجمعة وفي رمضان يختمه في كل ثلاث^(١) وقد أخذ أصحابه بذلك فعن علقمة أنه كان يقرأ القرآن في خمس، وكان الأسود بن يزيد يقرؤه في ست^(٢)، وعن أبي بن كعب أنه كان يختم القرآن في ثمان وأن تميمًا الداري كان يختم القرآن في سبع^(٣)، وعن أبي العالية قال: كان معاذ يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث^(٤)، وعن زيد بن ثابت قال: لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إلي من أن أقرأه في خمس عشرة وأن أقرأه في خمس عشرة أحب إلي من أن أقرأه في عشر ولأن أقرأه في عشر أحب إلي من أن أقرأه في سبع وأدعو^(٥)، وسئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع فقال زيد: حسن ولأن أقرأه في نصف أو عشر أحب إلي وسلي لم ذاك قال فإني أسألك قال زيد لكي أتدبره وأقف عليه^(٦).

تنبيه حول قراءة الفاتحة وأول سورة البقرة بعد تمام الختمة:

جعل البعض من تعليم النبي ﷺ لأصحابه ختم القرآن الكريم: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله! وما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ومن آخره حتى يبلغ أوله كلما حل ارتحل»^(٧).

(١) شعب الإيمان (٢/ ٤١٥)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٣) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٥) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، مرجع سابق.

(٦) الموطأ (١/ ٢٠٠)، مرجع سابق.

(٧) الترمذي (٥/ ١٩٧)، مرجع سابق، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي» وهو عند الحاكم (١/ ٧٥٧)، مرجع سابق، وقال: «تفرد به صالح المري وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين لم يخرجاه».

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي العمل أفضل أو أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل الذي يفتح القرآن ويختمه صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل»^(١) «و حديث ابن عباس روي أيضاً بلفظ قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ أو قال أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله! وما الحال المرتحل؟ قال: «فتح القرآن وختمه من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل»^(٢).

❖ وعلى فرض ثبوت هذا الحديث^(٣) فإن العلماء اختلفوا في معنى الحال المرتحل فذهب بعضهم إلى أنه الذي يختم القرآن بتلاوته، ثم يفتح التلاوة من أوله شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحلّ فيه، ثم يفتح سيره: أي يتدوّه، وكذلك قرأ أهل مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى وأولئك هم المفلحون، ثم يقطعون القراءة، ويسمّون فاعل ذلك: الحالّ المرتحل، أي ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان، وقيل: أراد بالحالّ المرتحل الغازي الذي لا يقفل عن غزو إلّا عقبه بآخر^(٤) وهو الذي أبى ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الإعلام سواء وقال عن التأويل الأول: «وهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا استحبه أحد من الأئمة، والمراد بالحديث الذي كلما حل من غزاة ارتحل في أخرى أو كلما حل من عمل ارتحل إلى غيره تكميلاً له كما كمل الأول، وأما

(١) الحاكم (١ / ٧٥٨)، مرجع سابق.

(٢) تحفة الأحوذى (٨ / ٢٢٠)، مرجع سابق.

(٣) إذ إن آفته آتية من صالح المري فهو ضعيف. انظر: تهذيب التهذيب (٤ / ٣٣٤).

(٤) انظر: النهاية (١ / ٤٢٠)، مرجع سابق.

هذا الذي يفعله بعض القراء فليس مراد الحديث قطعاً^(١)، ولكن يردّ هذا القطع تفسير الحديث في آخره - حال قبوله - سواء كان مرفوعاً أم مدرجاً، وأشار الإمام الشاطبي إلى عمل أهل مكة في ذلك فقال: وفيه عن المكين تكبيرهم مع الخواتم قرب الختم يروى مسلسلاً^(٢)

ولكن أعمل أهل مكة عن عادة محدثة أم هي عن سنة قديمة توارثها القوم منذ كانت قراءة القرآن؟ وهل تفسير الحديث يتحقق في هذه الصورة التي يعملون بها؟ فقد قال بعض العلماء: «المقصود من الحديث السير دائماً لا يفتر كما يشعر به قوله (من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله) فقارئ خمس آيات ونحوها عند الختم لم يحصل تلك الفضيلة، وليس المراد الارتحال لفور الحلول فالمسافر السائر لا بد أن ينزل فيقيم ليلة أو بعض ليلة أو بعض يوم أو يعرس»^(٣).

والظاهر: أن ذلك قائم على سنة متوارثة، فقد ورد ذلك نصاً عن القارئ المكي ابن كثير - رحمه الله تعالى - من رواية البزي وقبل وغيرهما أنه كان إذا انتهى في آخر الختمة إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] قرأ سورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفيين وهو إلى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٥] لأن هذا يسمى الحال المرتحل ثم يدعو بدعاء الختمة، وقال الحافظ أبو عمرو الداني - رحمه الله تعالى - لابن كثير في فعله هذا دلائل من آثار مروية ورد التوقيف فيها عن النبي ﷺ وأخبار مشهورة مستفيضة جاءت عن الصحابة والتابعين والخالفين^(٤)، وقد روى الحافظ أبو عمرو أيضاً

(١) (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ت ٧٥١ هـ: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤)

(٢٠٦)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣ م.

(٢) الشاطبية ص ١٤٩، مرجع سابق.

(٣) انظر: تحفة الأحوذى (٨/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٤٩)، مرجع سابق.

بإسناد صحيح عن الأعمش عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرأوا من أوله آيات، وهذا صريح في صحة ما اختاره القراء وذهب إليه السلف^(١).
 رابعاً: علمهم ﷺ تنزيه الله سبحانه وتعالى أو تصديقه، والشهادة لرسوله ﷺ
 بالبلاغ حال الانتهاء من قراءته:

فمن آداب ختمه إذا انتهت قراءته أن يصدّق ربه جل جلاله، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ، ويشهد على ذلك أنه حق، ولا يقتصر في ذلك على لفظ بعينه بل بأي لفظ حصل المقصود شرع^(٢)، وقد ناقش بعضهم هذه المسألة من زاوية فقهية^(٣)، والبحث يذكرها هنا من حيث تعليم النبي ﷺ لأصحابه هذا الأدب:

بعض الألفاظ المشروعة عند الانتهاء من القراءة:

قد وردت مشروعية أن يقول المقرئ للقارئ حسبنا، أو حسبك، أو أمسك لورود روايات مختلفة في هذا الشأن فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم!» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٤) وفي رواية فدمعت عيناه وقال حسبنا^(٥) وفي لفظ قال أمسك

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ٢ / ٤٤٠، مرجع سابق.

(٢) فلا يرد على هذا التقرير التبديع بلزوم لفظ معين، مع أن ما سيرد عن الصحابة من تعلم من النبي ﷺ ينفي ذلك.

(٣) انظر - مثلاً -: لؤي محمد قبيصي علي الشريف: القسطاس المستقيم في بيان مدى مشروعية صدق الله العظيم عقب تلاوة القرآن الكريم، المجموعة المتحدة للطباعة، القاهرة، ط بدون، وما ذكرها هنا أضعاف ما استشهد به من السنة وهو يصح أن يكون أدلة له.

(٤) البخاري (٤ / ١٩٢٥)، مرجع سابق.

(٥) النسائي في السنن الكبرى (٥ / ٢٨)، مرجع سابق.

وعيناه تذرّفان^(١)، ولكن ليس شيء من هذا يدل على تخصيص هذا اللفظ بالذكر حال الانتهاء من القراءة، ويدل على هذا تعدد اللفظ، ولعل المراد من التبويب بيان جواز الإسكات بأي لفظ كان، مع أن المتكلم يرتل كلام الله سبحانه وتعالى، وعدم ذكر التصديق ونحوه من ألفاظ التعظيم والتنزيه هنا لا يدل على العدم المطلق.

أدلة مشروعية الصدقة^(٢) أو ما يقوم مقامها من ألفاظ التنزيه:

ويستدل لذلك - حال وجود ضرورة للاستدلال هنا - بقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٩٥]، «أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن»^(٣)، والاستماع إلى القرآن استماع لخبر الله عزّ وجلّ وكلامه - أخباراً أو أحكاماً - فكيف لا يُصدق عند الانتهاء من الاستماع وقد علمنا النبي ﷺ ذلك بهذه الآية والمعنى «قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به»^(٤)، وقد فعل النبي ﷺ وأنفذ أمر الله عزّ وجلّ في نفسه فكان يقول صدق الله في مواقف متعددة منها:

١ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم جاءه فقال: إنني سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال: «اسقه عسلاً» فقال لقد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ:

(١) النسائي في السنن الكبرى (٢٩ / ٥)، مرجع سابق.

(٢) أي صدق الله العظيم، وهو مصدر منحوت كالبسمة والحوقة.

(٣) ابن كثير (١ / ٣٨٣)، مرجع سابق.

(٤) الطبري (٤ / ٦)، مرجع سابق.

«صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فبرئ^(١)، وما قال ذلك إلا أنه استحضر قوله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٢- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء ثم يرجع فيصلي بأصحابه فرجع ذات يوم فصلى بهم وصلى خلفه فتى من قومه فلما طال على الفتى صلى وخرج فأخذ بخطام بعيره وانطلقوا فلما صلى معاذ ذكر ذلك له فقال إن هذا لنفاق لأخبرن رسول الله ﷺ فأخبره معاذ بالذي صنع الفتى فقال الفتى: يا رسول الله! يطيل المكث عندك ثم يرجع فيطول علينا فقال رسول الله ﷺ: «أفتأنت أنت يا معاذ؟» وقال للفتى: «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟» قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ. فقال رسول الله ﷺ: «إني ومعاذ حول هاتين أو نحو ذين» قال: قال الفتى: ولكن سيعلم معاذ إذا قدم القوم، وقد خبروا أن جيش العدو قد دنا قال: فقدموا قال: فاستشهد الفتى. فقال النبي ﷺ بعد ذلك لمعاذ: «ما فعل خصمي وخصمك؟» قال: يا رسول الله! صدق الله وكذبت استشهد^(٢). وذلك أنه استحضر قول الله جل جلاله: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

٣- وعن بريدة بن حصيب رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ على المنبر يخطب إذ أقبل الحسن والحسين يمسيان ويعثران عليهما قميصان أحمران قال: فنزل رسول الله ﷺ فحملهما ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

(١) البخاري (٥ / ٢١٣٥)، مسلم (٤ / ١٧٣٦)، مرجع سابق.

(٢) ابن خزيمة (٣ / ٦٤)، مرجع سابق.

[التغابن: ١٥] إني رأيت هذين الغلامين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى نزلت وحملتهما»^(١).

❖ وأثنى الله سبحانه وتعالى على المؤمنين لما قالوا ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وذلك أنهم استحضروا إخبار الله عز وجل بنصر المؤمنين في الآيات المختلفة، وإخبار النبي ﷺ لهم بهزيمة الأحزاب وذلك وحي لا غير.

وكان هذا ديدن العلماء عند ذكر كلام لله سبحانه وتعالى يقتضي المقام منهم إظهار هذه الكلمة، قال القرطبي عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] «إنا نقول صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وأن الرزق هنا المطر»^(٢).

وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم هذا من نبينهم ﷺ فكانوا يرددون التصديق بصفة خاصة عند استحضار شيء من كلام الله سبحانه وتعالى:

١- فقد فعل ذلك علي رضي الله عنه لما رأى الرجل المخدج بين قتلى الخوارج ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله^(٣) وكان هذا ديدنه رضي الله عنه، فقد قالت عائشة: قالت: أجل صدق الله ورسوله يرحم الله علياً إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق فيكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث^(٤)، وفي هذا دليل على التفوه بما يدل على تنزيه الله

(١) ابن خزيمة (٢ / ٣٥٥)، مرجع سابق.

(٢) القرطبي (١٣ / ١٥)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (٢ / ٧٤٢)، مرجع سابق.

(٤) الضياء في المختارة (٢ / ٢٢٥)، مرجع سابق.

وتعظيمه وتصديقه عند رؤية ما يعجب من خبر الله عز وجل ورسوله ﷺ، فما يفعل المرء بالخبر الأعجب - القرآن الكريم - ؟.

٢- وقال معاوية - وهو من كتاب النبي ﷺ - لما حدثه رجل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن أول ثلاثة الذين تسعر بهم النار بعد أن بكى معاوية بكاء شديداً فقال: «صدق الله ورسوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]»^(١).

٣- ومن ذلك أنه جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريني فقال زيد: ما يريك من يدي إنها الشمال فقال الأعرابي: «والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله ورسوله ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]»^(٢).

٤- وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه فقد لقيه رجل فقال: السلام عليك يا ابن مسعود فقال عبد الله: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف»^(٣)، ولم يرد في السنة أن يقول الإنسان صدق رسول الله عما قاله رسول الله، إلا من فعل الصحابة فكذلك في قول الله عز

(١) ابن حبان (٢/ ١٣٨)، الطبري (٢١/ ١٣)، مرجعان سابقان.

(٢) ابن كثير (٢/ ٤٨٣)، مرجع سابق.

(٣) ابن خزيمة (٢/ ٢٨٣)، مرجع سابق.

وجلّ، وهو أعظم وأجل... ولكنه الأدب مع الله ورسوله، والبديهية عند سماع خبره، أو قوله أو تذكره.

❖ ولا يُعترض على هذا التقرير بأن الصدق «ذكر مطلق، فتقييده بزمان أو مكان، أو حال من الأحوال، لا بد له من دليل، إذ الأذكار المقيدة لا تكون إلا بدليل، وعليه: فإن التزام هذه بعد قراءة القرآن، لا دليل عليه، فيكون غير مشروع، والتعبد بما لم يشرع من البدع، فالتزامها والحال هذه بدعة»^(١) لأن الباحث لا يقول بالتزامها دوماً بلفظها، وتراجع تقسيمات العز بن عبد السلام للبدعة؛ إذ ذكر العز أن من البدع ما يكون مشروعاً واجباً أو مندوباً أو مباحاً على تفصيل مهم في هذا الباب^(٢).

وأما الشهادة لرسول الله ﷺ بالبلاغ:

فهي السنة التي تعلمناها من النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم:

١- عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشرة شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» ثم قال: «أي شهر هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس ذا الحجة» قلنا: بلى! قال: «أي بلد هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا البلدة» قلنا: بلى! قال: «أي يوم هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى! قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم إلا فلا ترجعوا

(١) معجم المناهي اللفظية ويليهِ فوائد في الألفاظ ص ٣٣٧.

(٢) انظر: (العز) أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ت ٦٦٠ هـ: قواعد الأحكام في مصالح

الأنام (٢/ ١٧٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.

بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه» قال: فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق الله ورسوله قد كان ذاك ثم قال ﷺ: «ألا هل بلغت ألا هل بلغت»^(١).

٢- وعن أبي مسلم الخولاني حج فدخل على عائشة زوج النبي ﷺ فجعلت تسأله عن الشام وعن بردها فجعل يخبرها فقالت: كيف يصبرون على بردها؟ قال: يا أم المؤمنين! إنهم يشربون شراباً لهم يقال له الطلاق قالت: صدق الله وبلغ حيي ﷺ سمعته يقول: «إن ناساً من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها»^(٢).

٣- وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمار بن ياسر دعا غلاماً له بشراب فأتاه بقدح من لبن فشربه ثم قال: صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء أزوده من الدنيا ضيحة لبن» ثم قال: «و الله لو هزمونا حتى يبلغوا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل»^(٣).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، نجتزئ بهذه.

خامساً: تعليمه ﷺ الدعاء عند ختم القرآن:

فمن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة»^(٤)، وعن

(١) ابن حبان (١٣ / ٣١٣)، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٤ / ١٦٤)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) مجمع الزوائد (٩ / ٢٩٧)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن».

(٤) مجمع الزوائد (٧ / ١٧٢)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف».

أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مع كل ختمة دعوة مستجابة»^(١) وقد ذكر البيهقي وغيره^(٢) ثلة من أحاديث الختم لعلها صالحة للاعتبار مقبولة في هذا الباب من الفضائل، وقال البيهقي: «قال أحمد: وقد روي عن النبي ﷺ في دعاء الختم حديث منقطع بإسناد ضعيف، وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال ما لم تكن من رواته من يعرف بوضع الحديث أو الكذب في الرواية»^(٣) وأخذ بذلك أصحابه رضي الله عنهم فعن ثابت أن أنس ابن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم^(٤)، وعن الحكم بن عتيبة قال: كان مجاهد، وعبد بن أبي لبابة، وناس؛ يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إلي، وإلى سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم فأحببنا أن تشهدونا فإنه كان يقال: إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته^(٥)، وكان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان اجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية إلى أن يختم القرآن وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال وكان يختم بالنهار كل يوم ختمه، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة^(٦).

(١) شعب الإيمان (٢ / ٣٧٤)، مرجع سابق، وقال البيهقي: «في إسناده ضعف والله أعلم وروي من وجه آخر ضعيف عن أنس».

(٢) انظر: شعب الإيمان (٢ / ٣٧٣)، مرجع سابق.

(٣) انظر: شعب الإيمان (٢ / ٣٧١)، مرجع سابق.

(٤) مجمع الزوائد (٧ / ١٧٢)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٥) مرويات دعاء ختم القرآن ص ٢٧، مرجع سابق، وقال: «و عن مجاهد قال: «الرحمة تنزل عند ختم القرآن» ورواه سعيد بن منصور في سننه بلفظ: «من ختم القرآن أعطي دعوة لا ترد»، وأشار الحافظان: النووي، وابن حجر إلى أن أسانيده صحيحة موقوفاً».

(٦) شعب الإيمان (٢ / ٤١٦)، مرجع سابق.

❖ وأما قول بعض المعاصرين: «و لا حديث يصح عن النبي ﷺ، فهي ما بين موضوع أو ما يتقاعد عن الجابر، ولم يصح سوى قول مجاهد رحمه الله تعالى..»^(١) فغير ضائر في إثبات مشروعية الدعاء عند الختم؛ إذ كان ذلك فعل أنس، وفعل بعض التابعين وفق نقده هو؛ ولذا قال: «و أما الرواية في حضور الأهل والأولاد للختم: فثابتة من فعل الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه، وروايته له مرفوعاً لا تصح»^(٢).

❖ وأما قوله: «و لعله لما كانت الرواية في هذا الباب لا يثبت منها شيء في المرفوع إلى النبي ﷺ، وقد خلت منها دواوين الإسلام المشهورة كالسنة والموطأ، ومسند أحمد- تنكب المؤلفون في الأحكام ذكر هذا الباب بالكلية، أمثال: ابن دقيق العيد في «الإمام» والمجد في «المنتقى» وابن حجر في «البلوغ» وغيرهم، لا يعرجون على شيء من ذلك»^(٣) فما الضير في ذلك؟ إذ كانوا قد فعلوا في غيرها من الكتب كالبيهقي والنووي... وقد قرر القائل ذاته مشروعية الدعاء عقب الختم فقال: «و دعاء القارئ لختم القرآن خارج الصلاة، وحضور الدعاء في ذلك:- أمر مأثور من عمل السلف الصالح من صدر هذه الأمة»: كما تقدم من فعل أنس ورفاه جماعة من التابعين والإمام أحمد، ولأنه من جنس الدعاء المشروع، وتقدم قول ابن القيم رحمه الله تعالى: «و هو من أكد مواطن الدعاء ومواطن الإجابة»^(٤).

❖ نعم ما ذكره بعد من عدم وضوح الدليل على دعاء الختم في الصلاة فصحيح لا مرء وإن كان قول أحمد لما قيل له: إلى أي شيء تذهب في هذا، قال:

(١) القائل هو الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد. انظر: مرويات دعاء ختم القرآن ص ٣٤، مرجع سابق.

(٢) انظر: مرويات دعاء ختم القرآن ص ٣٤، مرجع سابق.

(٣) مرويات دعاء ختم القرآن ص ٣٤، مرجع سابق، وهناك ملحوظات أخرى على هذا الجزء ليس هذا ميدانها.

(٤) مرويات دعاء ختم القرآن ص ٧٢، مرجع سابق.

رأيت أهل مكة يفعلونه... دليل على أن له سنة مندثرة كانت عامة مشتهرة ولا يضير اندثارها أن يعمل بها دون اشتهار وحرص حذو التكبير، وشأنهم في هذا شأن القراءة التي ثبتت عندهم وكتبت في مصاحفهم دون غيرها كقراءة (من) في الآية (١٠٠) من براءة، ولا تحتاج الألوف المؤلفة من سكان المصرين إلى متابع، أو شاهد... بل هل لا بد من (الاعتبار) بمعناه في مصطلح الحديث ليقبل فعلهم؟.

سادساً: تعليمه ﷺ التكبير:

إذا وصل القارئ إلى سورة الضحى فإنه يكبر من أولها فيقول الله أكبر، وقد يكبر من آخرها، وقد يضيف إلى التكبير التهليل في أوله وقد يضيف التحميد في آخره.

المستند في تعليمه ﷺ التكبير:

❖ جاءت الرواية به عن ابن كثير القارئ: قال تلاميذه: «قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك» ولكن هذه السنة تفرد بها رواية (حديثية) أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة وكان إماماً في القراءات فأما في الحديث فقد ضعفه بعض أئمة الجرح والتعديل لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال أحسنت وأصبت السنة وهذا يقضي صحة هذا الحديث عند الشافعي^(١)، وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى «أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفترتلك المدة وجاءه الملك فأوحى إليه «و الضحى والليل إذا

(١) إبراز المعاني ص ٧٣٥، مرجع سابق.

سجى» السورة بتمامها كبر فرحاً وسروراً ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف»^(١).

- بعد هذا العرض الحديثي - هل التكبير مما علمه النبي ﷺ لأصحابه؟:

فهذا مما علمه النبي ﷺ لأصحابه حال الختم، وإن ضعف البعض هذا الحديث، وذلك يتجلى بما يلي:

١- هذا التفرد في هذه الرواية الحديثية- القرائية، عضده عمل أهل مكة، فقد قال الفاكهي: «و يروى عن بعض من مضى من قراء أهل مكة أنهم كانوا في الختمة إذا بلغوا والضحي كبر الخاتم بعد فراغه من كل سورة يقول الله أكبر في الصلاة ثم تركوا ذلك بعد وجعلوا التكبير عند قراءة القرآن في المسجد الحرام في غير شهر رمضان ثم تركوه بعد ذلك»^(٢)، فهي بذات سنة قديمة عليها عمل أهل مكة، وتلقي أهل مكة لها بالقبول زمناً مع كونها تروى في حلقات الإقراء عن البيزي، وقد تروى عن قبل، بل وعن سائر القراء العشرة الذين تُتناقل قراءتهم إلى اليوم تلاوة للقرآن الكريم... كل هذا يجعلها مقبولة داخلة ضمن منهاج التواتر القرائي، بل إن ابن الجزري قال: «التكبير صح عند أهل مكة قرائهم وعلمائهم وأئمتهم ومن روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت وذاعت حتى بلغت حد التواتر... ووردت أيضاً عن سائر القراء»^(٣)، وقال أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون: وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وهي سنة بمكة لا يتركونها البتة ولا يعتبرون رواية البيزي ولا غيره»^(٤).

(١) ابن كثير (٤/ ٥٢٢)، مرجع سابق.

(٢) (الفاكهي) محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله ت ٢٧٥ هـ: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٢/ ١٥٦)، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش دار خضر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٤٠)، مرجع سابق.

(٤) إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع ص ٧٣٦، مرجع سابق.

٢- وهذه السنة بمكة شوهدت في زمن ابن الجزري فقد وصف ذلك بقوله: «ولما منّ الله تعالى علي بالمجاورة بمكة ودخل شهر رمضان فلم أر أحداً ممن صلى التراويح بالمسجد الحرام إلا يكبر من الضحى عند الختم فعلمت أنها سنة باقية فيهم إلى اليوم»^(١).

٣- معلوم أن الأمر إن عاد إلى الرواية القرائية فإن منهاجها في جعل القراءة قراءة أن ترويه وفق قواعدها وضوابطها لا وفق قواعد الحديث بالضرورة، وهذه الرواية التي تتداولها أمهات كتب القراءات رواية وعملاً مقبولة عند القراء بلا مخالف... وذلك كاف في إثباتها... وإلا لقل أين السند الحديثي للإدغام، والإظهار، وتخفيفات الهمز، وتحقيقاته، والإمالة والفتح، والترقيق والتفخيم...، بل أين سند البخاري ومسلم وجامعي الحديث في أن كلمات سورة البقرة (الم...م) و أن كلمات سورة النساء (يا أيها الناس...م)؟... ومثل هذا العوج في التفكير، والخلط بين مناهج العلوم مدمر لأسس العلم، والدين والعقل...

٤- ولأجل ذلك قبله الأئمة وعلى رأسهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقد «قال في المغني والشرح: واستحسن أبو عبد الله التّكبير عند آخر كلّ سورة من الضّحى إلى أن يختم، والرّواية الثّانية يكبّر من أوّل ألم نُشْرَحْ اختاره المجد (قلت) قد صحّ هذا وهذا عمّن رأى التّكبير، فالكلّ حسن، وتحرير التّقل عن القراء أنّه وقع بينهم اختلاف، فرواه الجمهور من أوّل ألم نُشْرَحْ أو من آخر الضّحى على خلاف..»^(٢).

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٢٨)، مرجع سابق.

(٢) (ابن مفلح) محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله ت ٧٦٢ هـ: الفروع وتصحيح الفروع (١/ ٤٩٤)، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، وانظر: المغني (١/ ٤٥٨)، مرجع سابق.

٥- وقبل أحد ذلك لأن المنهج القرائي يلزم بالقبول وذلك لأن التكبير هو قراءة أهل مكة أخذها البرقي عن ابن كثير وأخذها ابن كثير عن مجاهد وأخذها مجاهد عن ابن عباس وأخذها ابن عباس عن أبي بن كعب وأخذها أبي عن النبي ﷺ، وقال الماوردي: كان ابن عباس يفصل بين كلّ سورتين بالتكبير من الضحى وهو راوي قرآء مكة^(١).

٦- ولذلك تعد سنة التكبير من سنن القراءة لا من السنن (مطلقاً) وهي التي ثبتت عادة بالمنهج الحديثي فقد سئل ابن حجر الهيتمي عن استحباب التكبير من سورة الضحى إلى الآخر هل هو مختصّ بمن يختم القرآن من أوله إلى آخره أو عامّ فيمن ابتداء القراءة أو ممّا قبلها وفيمن ابتدأها ممّا بعدها؟ وكيف الحكم في ذلك؟ (فأجاب) بقوله: الذي حكاه الزركشي عن الحلبي والبيهقي وابن الجزري في النشر عن طوائف من السلف وجمع من متأخري الشافعية، وأطال فيه (أنّ من سنن القراءة التكبير في آخر سورة الضحى إلى أن يختم... وقال الشافعي: «إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك يقتضي تصحيحه لهذا الحديث)، واقتضى إطلاقهم أيضاً أنّه لا فرق بين القراءة بقراءة ابن كثير وغيرها^(٢).

٧- ولكن قال أبو الفتح فارس بن أحمد: لا نقول إنه لا بد لمن ختم أن يفعله لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه وهو سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين^(٣).

(١) (ابن مفلح) محمد بن مفلح بن محمد المقدسي ت ٧٦٢ هـ: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣٤)، عالم الكتب.

(٢) (ابن حجر) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ت ٩٧٣ هـ: الفتاوى الفقهية الكبرى (١/ ٣٤٥)، المكتبة الإسلامية، عمان.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤١١)، مرجع سابق.

وهذا يدل على أن أمر التكبير اختياري ولا تعلق له بالقرآن فلا وجه للمحافظة الشديدة ولا للتبديع أيضاً.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ أحكام الوقف

فقد علمهم ﷺ الوقف والابتداء كما قال ابن عمر رضي الله عنه: ... وتنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم اليوم القرآن ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل^(١)، فقلوه: (و ما ينبغي أن يقف عنده منها) تحتمل الوقف الاصطلاحي عند أئمة الإقراء وهو الظاهر إذ لو رجح غيره لما كان ثم فائدة لما قبله؛ إذ ما قبله من وصف يدل على الوقف المعنوي... وقد علمهم ﷺ الوقف عند رؤوس الآي فعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته [آية آية] يقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف^(٢) أي يقف عند كل آية...

وحاول أهل العلم تبسيط ذلك على الناس، فاصطلحوا على تسمية الأوقاف بتسمية معينة حسب حسن الوقف، لا حسب حسن القرآن إذ القرآن كله حسن فقالوا: «الوقف على مراتب: أعلاها التام، ثم الحسن، ثم الكافي، ثم الصالح ثم

(١) البيهقي في الكبرى (٣/ ١١٩)، مرجع سابق.

(٢) أبو داود (٤/ ٣٧)، الترمذي (٥/ ١٨٥)، وخرجه الدارقطني (١/ ٣١٢) وقال: «إسناده صحيح وكلهم

ثقات».

المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح،..^(١). وأكثر ما ذكر الناس في أقسامه غير غير منضبط ولا منحصر^(٢).

ولكن أهناك أوقاف محرمة في القرآن الكريم، وأوقاف واجبة؟

يذهب بعض العلماء كالبقاعي إلى أنه لا وقف تام في كتاب الله، فالاصطلاحات للتقريب والتبسيط، وبيان القبح في السمع أو الحسن، لا أنه يجب شيء من ذلك أو يحرم لعدم النص، فما كان من جهة الوقف فإنه لا يجب على القارئ الوقف على محل معين بحيث لو تركه يأنم، ولا يحرم الوقف على كلمة بعينها إلا إذا كانت موهمة وقصدها... فإن اعتقد معناها كفر والعياذ بالله كأن وقف على قوله إن الله لا يستحيي - وما من إله - وإني كفرت وشبه ذلك... ومعنى قولهم لا يوقف على كذا معناه أنه لا يحسن الوقف صناعة على كذا، وليس معناه أن الوقف يكون حراماً أو مكروهاً بل خلاف الأولى إلا أن تعمد الوقف على نحو قوله (لقد كفر الذين قالوا) ونحو قوله: (لقد سمع الله قول الذين قالوا) وابتدأ بما بعد ذلك فيحرم عليه فإن اعتقد معناه كفر كما هو ظاهر^(٣)، وفي ذلك يقول ابن الجزري:

وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ماله سبب^(٤)
سبب^(٤)

ويقول في النشر: «قول الأئمة لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون المفعول، ولا على المبتدأ دون

(١) (الأنصاري): شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري: المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء ص

ص ٥ - بذيل منار الهدى ط ٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

(٢) النشر في القراءات العشر (١ / ٢٥٥)، مرجع سابق.

(٣) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٥، مرجع سابق.

(٤) طيبة النشر ص ٣٧، مرجع سابق.

الخبر... إلى آخر ما ذكروه وبسطوه من ذلك إنما يريدون بذلك الجواز الأدائي وهو الذي يحسن في القراءة، ويروق في التلاوة، ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه بل أرادوا بذلك الوقف الاختياري الذي يبتدأ بما بعده، وكذلك لا يريدون بذلك أنه لا يوقف عليه البتة فإنه حيث اضطر القارئ إلى الوقف على شيء من ذلك باعتبار قطع النفس أو نحوه من تعليم أو اختبار جاز له الوقف بلا خلاف عند أحد منهم ثم يعتمد في الابتداء ما تقدم من العود إلى ما قبل فيبتدئ به، اللهم إلا من يقصد بذلك تحريف المعنى عن مواضعه، وخلاف المعنى الذي أراد الله تعالى فإنه والعياذ بالله يحرم عليه ذلك ويجب رده بحسبه على ما تقتضيه الشريعة المطهرة»^(١).

ولذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الغداة فقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وب (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وفي الثانية بفاتحة الكتاب وب (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) ثم سلم، وأي مقتدى به أعظم من ابن عباس ترجمان القرآن^(٢).

تنبيه: وليس المراد من هذا تهوين شأن الوقف، وتحسين التلعب بأوقاف القرآن، فإن الناس يمقتون من يعي في الحديث العابر أو يعبث به، ويعدون ذاك خلل، بل يراعي المغنون الأوقاف في كلامهم ليجعلوا السامع أمام وقع أعظم تأثيراً... وكلام الله أحسن الكلام، يؤدي بأحسن أداء ترتيلاً، وتغنياً، وقفاً وابتداءً، ومعرفة الوقف الحسن فيه كما قال الإمام الهذلي: «الوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالم...»^(٣).. ولكن الضرورة اقتضت الإشارة إلى هذه الحقيقة الخافية عن بعض الذين يُغالون في هذا الباب فيوغلون... ولأن

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٠)، مرجع سابق.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٤)، مرجع سابق.

(٣) (الهذلي): الكامل في القراءات ورقة (٥٥) وجه أ، مرجع سابق.

الكلام عن تعليم النبي ﷺ؛ فإنه قد يرد على البحث سؤال عن الأوقاف الاصطلاحية: هل علمها النبي ﷺ كما هي الآن؟.

المطلب الرابع: تعليمه ﷺ أحكام الجهر والإسرار بقراءة القرآن الكريم

١- علمهم ﷺ أن الجهر بالقراءة هو الأصل في قراءة القرآن، ويشرع مشروعية مؤكدة إذا أريد منه التعليم أو الاقتداء أو تعظيم شعائر الله، أو التعود على الترم بكلام الله ليكون هجيراً، ويدل على ذلك أنه كان يرفع صوته بالقراءة في قيامه بالليل تعليماً وتنبهاً فعن كريب قال سألت ابن عباس فقلت: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقال: كان يقرأ في بعض حجره فيسمع قراءته من كان خارجاً^(١) وعن أم هانئ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالليل وأنا على عريشي بمكة^(٢) كما يدل على هذا جهره بالقراءة وهو راكب على ناقته عند فتح مكة، ففي ذلك «إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل...»^(٣) كما أقر أبا بكر رضي الله عنه على قراءته رفع صوته بالقرآن في بيته، بل كان يحث عليه أصحابه، ويثني عليهم إن سمعهم فعن عائشة أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها (ولفظ البخاري أنسيتها) من سورة كذا وكذا»^(٤)، وعن جابر رضي الله عنه قال: روى في المقبرة ليلاً نار فإذا النبي ﷺ في قبر وهو يقول: «ناولوني صاحبكم»، وفيه: هو الرجل (الأواه) الذي كان يرفع

(١) البيهقي في سننه الكبرى (٣ / ١١)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢ / ٣٨٣)، مرجع سابق.

(٣) فتح الباري (٩ / ٩٢)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤ / ١٩٢٩)، مسلم (١ / ٥٤٣) واللفظ له، مرجعان سابقان.

صوته بالقرآن^(١) وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه وذلك إنه كثير الذكر لله عز وجل في القرآن وكان يرفع صوته في الدعاء^(٢).

٢- وعلمهم النبي ﷺ بأمر الله تعالى له أن يسلكوا طريقاً وسطاً في قراءة القرآن بين الجهر والإسرار- لعارض خارجي يمنع الجهر- فعن ابن عباس في قوله عز وجل قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وَأَبْتَحْ بَيْنَ ذَلِكَ سَيْلاً﴾ يقول بين الجهر والمخافة^(٣)... وهذا يدل على أصالة الجهر أيضاً، وعلمهم النبي ﷺ ذلك حتى في المدينة لدرء مفسدة مترتبة على الجهر الشديد من إزعاج نائم ونحو ذلك فعن أبي قتادة أن النبي ﷺ مر بأبي بكر وهو يصلي يخفض من صوته، ومر بعمر وهو يصلي رافعاً صوته قال فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال لأبي بكر: «يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك» فقال: «قد أسمعت من ناجيت» فقال: «مررت بك يا عمر وأنت ترفع صوتك» فقال يا رسول الله احتسب به أوقظ الوسنان قال فقال لأبي بكر «ارفع صوتك شيئاً» وقال لعمر: «اخفض من صوتك شيئاً»^(٤).

٣- وعلمهم ﷺ أنه يمكن المبادلة بين الجهر والإسرار لزيادة النشاط وطرذاً للفتور العارض، ومحافظة على الحزب اليومي بحسب نشاط المرء فعن أبي هريرة

(١) شرح معاني الآثار (١/ ٥١٢)، مرجع سابق، وأوله في الحاكم (١/ ٥٢٣)، مرجع سابق.

(٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٩)، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن».

(٣) البخاري (٤/ ١٧٤٩) مسلم (١/ ٣٢٩)، مرجعان سابقان.

(٤) الحاكم (١/ ٤٥٤)، مرجع سابق، ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٣/ ١١)، مرجع سابق.

رضي الله عنه: أنه كان إذا قام من الليل رفع صوته طوراً وخفضه طوراً وكان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك^(١) وعن عبد الله بن أبي قيس أنه سأل عائشة - رضي الله تعالى عنها - كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ من الليل كان يجهر أم يسر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل ربما يجهر وربما يسر قال قلت الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة^(٢)، «و قد استحب بعض أهل العلم الجهر ببعضها والإسرار ببعضها لأن السر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر ومن قرأ بالنهار أسر بالأكثر إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صحب ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن»^(٣).

٤- كما علمهم ﷺ عدم الجهر إن ترتب عليه الإيذاء، وخاصة في الصلاة فعن علي رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقرآن قبل العتمة وبعدها يغلط أصحابه في الصلاة^(٤) وفي لفظ لأبي يعلى: والقوم يصلون، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف النبي ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبة فكشف الستور وقال: «ألا كلكم يناجي ربه فلا يؤذون بعضهم بعضاً ولا يرفعن بعضهم على بعض في القراءة في الصلاة»^(٥)، وخرج رسول الله ﷺ على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة

(١) الحاكم (١ / ٤٥٤)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) الحاكم (١ / ٤٥٤)، مرجع سابق، شعب الإيمان (٢ / ٣٨٤)، وانظر: مختصر الشرائع الحمدي ص ١٦١، مرجع سابق.

(٣) شعب الإيمان (٢ / ٣٨٣)، مرجع سابق.

(٤) مسند أحمد (١ / ١٠٤)، أبو يعلى (١ / ٣٨٤)، مرجعان سابقان.

(٥) الحاكم (١ / ٤٥٤)، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وأخرجه كذلك البيهقي في سننه الكبرى (٣ / ١١)، مرجع سابق.

فقال: «إن المصلي مناج ربه فلينظر ما ينجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة»^(١).

٥- وكان يعلمهم الإسرار بالقرآن إذا خيف العجب والرياء^(٢) فعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة»^(٣)، وبوب له ابن حبان: «ذكر البيان بأن قراءة المرء القرآن بينه وبين نفسه تكون أفضل من قراءته بحيث يسمع صوته» قال الترمذي: «ومعنى هذا الحديث أنّ الذي يُسرّ بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن لأنّ صدقة السرّ أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية وإنّما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العُجب لأنّ الذي يُسرّ العمل لا يُخاف عليه العُجب ما يُخاف عليه من علانيته» وقال البيهقي رحمه الله: «وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وهذا والله أعلم لأن إخفاءها يكون أبعد من الرياء وكذلك قراءة القرآن»^(٤).

٦- وعلمهم حدود الإسرار: فأقل الإسرار أن يحرك لسانه، فالقراءة النفسية لا تسمى قراءة: ولذا بوب البيهقي «باب لا تجزئه قراءته في نفسه إذا لم ينطق به لسانه»^(٥) ثم ذكر حديث أبي معمر عبد الله بن سخبرة قال: سألت خباباً: أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الأولى والعصر قال نعم قال قلنا بأي شيء كنتم تعرفون

(١) البيهقي في سننه الكبرى (٣/ ١١)، مرجع سابق.

(٢) وانظر: التمهيد في علم التجويد ص ٥٧، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (٣/ ٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤١)، الترمذي (٥/ ١٨٠)، مراجع سابقة.

(٤) شعب الإيمان (٢/ ٥٢٨)، مرجع سابق.

(٥) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٤)، مرجع سابق.

ذاك قال باضطراب لحيته^(١) قال البيهقي: «و فيه دليل على أنه لا بد من أن يحرك لسانه بالقراءة»^(٢).

(١) البخاري (١/ ٢٦٤)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢/ ٥٤)، مرجع سابق.

الفصل الرابع:

تعليمه ﷺ جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة

«المخرجات التعليمية»

ويبحث هذا الفصل في كيفية تعليمه ﷺ جمع القرآن الكريم استظهاراً له، ووقاية لهذا الاستظهار بالكتابة، وعدم عرقلة عامل الصغر للمنهجية النبوية التعليمية لألفاظ القرآن الكريم، والألقاب التي ميز بها الشارع الحكيم أهل القرآن في المجتمع الإسلامي عن غيرهم، وما تستدعيه هذه الألقاب من صفات حتى يستحق أصحابها الدخول في هذه الفئة المتميزة... كما يبحث في أئمة الإقراء من أصحابه رضي الله عنهم، وعددهم (مخرجات التعليم)، وما يتبع ذلك من تعليمه ﷺ جمع القرآن كتابة بأمره لهم بذلك ومتابعته مع بقاء أميته ﷺ، وتعليمه ﷺ تحزيب القرآن وبيانه لعدد آياته، وتسمية سوره...

واقضى تحقيق البيان لهذه الغاية أن ينقسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر عامل السن في أسلوب تعليمه (منهجية النبي ﷺ في تعليم الصغار).

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ ألقاب حامل القرآن وصفاته.

المبحث الثالث: أصحاب (تلاميذ) النبي ﷺ من أئمة الإقراء.

المبحث الرابع: تعليمه ﷺ جمع القرآن.

المبحث الأول:

أثر عامل السن في أسلوب تعليمه

«منهجية النبي ﷺ في تعليم الصغار»

تعليمه ﷺ حُكم تعليم الصبيان:

علمهم النبي ﷺ أن تعليم الصبيان مستحب استحباباً مؤكداً: وعلمهم ﷺ ذلك بقوله جل جلاله: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] والمعنى كما قال غير واحد من السلف: معناه علموهم ما ينجون به من النار، وثبت في الصحاحين عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلكم راع ومسئول عن رعيته»^(١) ف: «الصبيّ أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كلّ نقش وصورة، وهو قابل لكلّ نقش وقابل لكلّ ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، يشاركه في ثوابه أبواه وكلّ معلّم له ومؤدّب، وإن عود الشرّ وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيمّ به والوليّ عليه، ومهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فينبغي أن يصونه من نار الآخرة، وهو أولى، وصيانتته بأن يؤدّبه ويهديه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعودّه التّنعم، ولا يجبّ إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ويهلك هلاك الأبد»^(٢)، وقال ابن الحاج: «وينبغي له أن يمثل السنة

(١) البخاري (١/ ٣٠٤)، مسلم (٣/ ١٤٥٩).

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: الموسوعة الفقهية (١٣/ ٢٣٤).

في الإقراء ومن جملة ذلك أنّ السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين إنّما كانوا يقرءون أولادهم في سبع سنين»^(١).

وقد بوب البخاري: باب تعليم الصبيان القرآن^(٢) «كأنه أشار إلى الرد على من كره ذلك وقد جاءت كراهية ذلك عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وأسنده ابن أبي داود عنهما ولفظ إبراهيم: (كانوا يكرهون أن يعلموا الغلام القرآن حتى يعقل)، وكلام سعيد بن جبير يدل على أن كراهة ذلك من جهة حصول الملل له ولفظه عند ابن أبي داود أيضاً: كانوا يحبون أن يقرأ الصبي بعد حين^(٣)، فكلام من كره يدل على استحباب تعليم الصبي لكن بعد التمييز، لا فور النطق، وهو ما عضده ابن الحاج بقوله: «بل بعضهم يكون سنّه بحيث لا يقدر أن يمكسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك في المكتب ويلوّث به ثيابه ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل هؤلاء إذ لا فائدة في إقراءه لهم إلا وجود التعب غالباً وتلوّث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعيّن...»^(٤).

«وأما كلام سعيد بن جبير فيدل على ترك التعليم إذا خيف تسرب الملل من القرآن إلى الصبي، وهو أمر مطلوب بكل حال، فالأصل أن يجب القرآن إليه لا أن يبغض...»^(٥).

(١) المدخل لابن الحاج (٢/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤/ ١٩٢٢)، مرجع سابق.

(٣) فتح الباري (٩/ ٨٣)، مرجع سابق.

(٤) المدخل لابن الحاج (٢/ ٣٤٥)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (٩/ ٨٣)، مرجع سابق.

منهجية النبي ﷺ في تعليم الصغار:

لم تختلف منهجية تعليم الصغار عن تعليم الكبار في عهده ﷺ: بل كانت تسير على الهيئة ذاتها: تعليم الألفاظ مع معانيها والعمل بها: الترتيل، الترجيع، حفظ القرآن... ويدل لذلك مما علمهم النبي ﷺ إياه:

١- أن ابن عباس بنباهته وذكائه ومع كونه ترجمان القرآن إلا أنه لم يتقن إلا المفصل مع وفاة النبي ﷺ فقد بوب البخاري: «باب تعليم الصبيان القرآن» ثم روى عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم قال: وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم وفي لفظ: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ فقلت له: وما المحكم؟ قال: المفصل^(١).

٢- ما رواه جندب قال: كنا غلماناً حزاورة مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل القرآن، ثم يعلمنا القرآن فإزددنا به إيماناً وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان^(٢).

ومن دلائل الحديثين:

أن الصغار يتدثون حفظهم من آخر القرآن لا من أوله، ومثلهم من يكون على شاكلتهم، وأنه لا حرج في هذا التنكيس، ورأى البعض في هذا الحديث ما يدل «على أنه يستحسن ألا يبلغ عشر سنين إلا وقد حفظ المفصل، ومعنى هذا أنه يبدأ بتعليمه في سن السابعة، إذ لا يحتاج الصغير إلى أكثر من ثلاث سنين ليحفظ المفصل ويجوده»^(٣).

(١) البخاري (٤/ ١٩٢٢)، مرجع سابق.

(٢) ابن ماجه (١/ ٢٣)، مرجع سابق، البيهقي في الكبرى (٣/ ١١٩)، مرجع سابق، وقال في مصباح الزجاجة

(١/ ١٢)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٣) انظر: سنن القراء ص ٥١، مرجع سابق.

كما أن في الحديثين الدلالة الصريحة على اتباع تلك المنهجية دون تفريق بين صغار وكبار، إلا أنه لا شك في مراعاة مدى الاستيعاب بين الفئات المختلفة للمعاني والأحكام، فيدربون على ما يدرسه الراشدون بحسب الاستيعاب العقلي.

تدريب النبي ﷺ لهم:

كان من هديه ﷺ تدريبهم على أمور الكبار:

فقد كان ﷺ يسلم على الصبيان فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على غلمان فسلم عليهم^(١).

وكان ﷺ يدخلهم في ثنايا الصف في الصلاة بحسب النضج العقلي مع أن الأصل أن صفوفهم متأخرة فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بقبر قد دفن ليلاً فقال: «متى دفن هذا؟» قالوا: البارحة قال: «أفلا آذنتموني؟». قالوا: دفناه في ظلمة الليل فكرهنا أن نوقظك، فقام فصففنا خلفه، قال ابن عباس: وأنا فيهم، فصلى عليه^(٢).

وكان ﷺ يخرجهم إلى مجامع المسلمين العامة كمصلى العيد، ولذا بوب البخاري: «باب خروج الصبيان إلى المصلى»^(٣)، وذكر في ذلك حديث ابن عباس في خروجه إلى المصلى مع النبي ﷺ.

وكان يخرجهم في الغزو للخدمة ومشاهدة القتال ولذا قال ابن حبان: ذكر إباحة خروج الصبيان إلى الغزو ليخدموا الغزاة في غزاتهم - ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: «التمس لي غلاماً من

(١) صحيح مسلم (٤ / ١٧٠٨)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١ / ٤٤٤)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (١ / ٣٣١)، مرجع سابق.

غلمانكم يخدمني حتى آتي خيبر» فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل^(١).

وقد كانوا يجعلونهم أئمة لهم، ولا بد للإمامة من وقارها فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كنا نأخذ الصبيان من الكتاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم القلية والخشكناج^(٢)، وقدم الأشعث غلاماً فقيل له فقال: إنما قدمت القرآن^(٣).

ضرورة المراعاة بين الفروق الفردية:

وهذه المراعاة للفروق الفردية والقدرات العقلية بين الكبار والصغار، بل بين أفراد الفئة الواحدة هي التي تسوغ أن يبدأ الصبي في تعلمه للقرآن الكريم من سورة الناس.

كما أن هذه المراعاة هي التي تجعل تعليم القرآن لبعض الصبيان محدوداً لأن الكمية التي يتعلمها تختلف باختلاف الأشخاص.

(١) ابن حبان (١١ / ٢٧)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (٢ / ٤٩٥)، مرجع سابق.

(٣) ابن أبي شيبة (١ / ٣٠٥)، مرجع سابق، وأخرجه ابن أبي داود كما قال ابن حجر في فتح الباري (٩ / ٨٣)، مرجع سابق بإسناد صحيح.

المبحث الثاني:

تعليمه ﷺ ألقاب حامل القرآن وصفاته

يتناول المبحث هذا الجانب من الناحية الأكثر تعلقاً بالكتاب، وهي الأقرب لتعلم ألفاظ القرآن الكريم^(١)، ويبين الألقاب التي ميز بها الشارع الحكيم أهل القرآن في المجتمع الإسلامي عن غيرهم، وما تستدعيه هذه الألقاب من صفات حتى يستحق أصحابها الدخول في هذه الفئة المتميزة: ولذا انقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ تلقيب القراء والمقرئين بألقاب مميزة.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ صفات حامل القرآن الذي يستحق هذه الألقاب.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ تلقيب القراء والمقرئين بألقاب مميزة:

أولاً: مصطلح (حامل القرآن):

ذكر هذا المصطلح في قوله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط»^(٢)، وفي قوله ﷺ: «ثلاث لا يكثرثون للحساب ولا تفرعهم الصيحة، ولا يجزئهم الفرع الأكبر: حامل القرآن يؤديه إلى الله بما فيه يقدم على ربه عز وجل سيداً شريفاً حتى

(١) أفاض العلماء في ذكر صفات حملة القرآن، وألف الإمام الاجري لذلك (أخلاق حملة القرآن) وألف النووي (التبيان في آداب حملة القرآن)، وانظر لمزيد من ذلك: القرطبي (١/ ٢٠)، مرجع سابق، وما بعدها.
(٢) أبو داود (٤/ ٢٦١)، وقال في تلخيص الحبير (٢/ ١١٨)، مرجع سابق: «وإسناده حسن».

يوافق المرسلين...»^(١)، وفي غير ذلك من الأحاديث، وذكر هذا المصطلح على السنة الصحابة رضي الله عنهم فسالم مولى أبي حذيفة قيل له يوم اليمامة في اللواء: تخشى من نفسك شيئاً فتولي اللواء غيرك فقال: بنس حامل القرآن أنا إذاً فقطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره، فقطعت يساره فاعتنق اللواء وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢) وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ^(٣) وَكَأَيُّ مَن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا^(٤) وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤ - ١٤٦] فلما صرع قال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ قيل: قتل قال: فما فعل فلان؟ لرجل قد سماه قيل: قتل قال: فأضعوني بينهما^(٥).

تحريره:

يدل على من يحفظ عن ظهر قلب كما هو واضح من كونه يحمل القرآن، وليس معتاداً في عصر النبي ﷺ أن يحملوا مصاحفاً معهم لعسر ذلك في وقتهم، فتعين أنه يريد من حفظه وقرأه عن ظهر قلب، وقد بين أهل العلم أن مصطلح حامل القرآن إنما يكون لمن «يلزمه بالتلاوة والعمل لا من يقرؤه ولا يعمل به»^(٦)، ولا يدعى بحامل للقرآن من لا يرتل القرآن، ويتقن أداءه، فمن حفظ لفظه ولم يتقن أداءه فلا يدعى حاملاً للقرآن ولا ينال الثواب المتميز الوارد في حملة القرآن وقراءه على ما قرره علماء الإسلام، إذ «يؤخذ من الحديث أنه لا ينال هذا الثواب الأعظم

(١) شعب الإيمان (٢/ ٥٥٥)، مرجع سابق، وقال محقق لمحات الأنوار (١/ ٢٨): وهو حسن بشواهد، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٣/ ٢٥٢)، وانظر: الجهاد ص ٩٨ لابن المبارك، تحقيق: نزيه هاد، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢ م.

(٣) عون المعبود (٤/ ٢٣٧)، مرجع سابق.

إلا من حفظ القرآن وأتقن أداءه وقراءته كما ينبغي له»^(١)، وعلى هذا فحملة القرآن «أي حفظته عن ظهر قلب المداومين لتلاوته العاملين بأحكامه»^(٢) العاملون بما فيه الواقفون عند حدوده ورسومه الامرون بما أمر به الناهون عما نهى عنه^(٣)... ولكن الواقع هو الأخذ بالظاهر فينادى بهذا اللفظ من جمع القرآن ما دام لم يظهر منه علناً ما ينافي القرآن، مع الأخذ بعين الاعتبار الحقيقة السابقة.

ثانياً: مصطلح (صاحب القرآن):

وورد مصطلح (صاحب القرآن): في قول النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»^(٤)، وقوله ﷺ: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره..»^(٥).

تحريره:

يدل على المؤالفة بين القرآن والإنسان الملقب بهذا اللقب؛ إذ المصاحبة هي المؤالفة، وهو كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَحَبَّ الْجَنَّةَ﴾ [القلم: ١٧] والإلف المطلوب هنا إلف لتلاوته وهو أعم من أن يألفها نظراً من المصحف، أو عن ظهر قلب فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه، ويسهل عليه قراءته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة، وشقت عليه^(٦)، ولكن المصطلح الشرعي حصر (صاحب بالقرآن) بمن يقرؤه عن ظهر قلب، ويحفظه غيباً فيما يظهر من قول النبي ﷺ: «مثل القرآن إذا

(١) عون المعبود (٤/ ٢٣٧)، مرجع سابق.

(٢) فيض القدير (١/ ٢٢٦)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٢/ ١٩)، مرجع سابق.

(٤) ابن حبان (٣/ ٤٣)، الحاكم (١/ ٧٣٩)، النسائي في الصغرى (١/ ٥٦٠)، الترمذي (٥/ ١٧٧)، وقال:

«هذا حديث حسن صحيح».

(٥) رواه مسلم (١/ ٥٣٦)، مرجع سابق.

(٦) انظر: فتح الباري (٩/ ٨٠)، مرجع سابق.

عاهد عليه صاحبه فقراه بالليل والنهار كمثّل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن»^(١)... إذ المفهوم العام يدل على أن المراد تنبيه الحافظ لديمومة حزه... وقد يعترض على هذا بأن الذي يترك قراءته نظراً أمداً طويلاً... يشق عليه بعد ذلك... فيصدق على القارئ للمصحف نظراً هذا المصطلح، وهو ما يظهر أن ابن حجر حاول إثباته عندما قال: «وقوله إنما يقتضي الحصر على الراجح لكنه حصر مخصوص بالنسبة إلى الحفظ والنسيان بالتلاوة والترك»^(٢) ولكن ذلك غير راجح - وإن قبل - لأن الحفظ المذكور في الحديث يقرب أن يكون المراد عن ظهر قلب.

ثالثاً: أهل القرآن:

وقد ورد هذا المصطلح في قوله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٣)، وعن عبيدة المليكي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته في آناء الليل والنهار، وأفشوه، وتغنوا به، واذكروا ما فيه لعلمكم تفلحون ولا تستعجلوا ثوابه فإن له ثواباً»^(٤)، وعن طاووس أنه سأل ابن عباس رضي الله عنه: ما معنى قول الناس: أهل القرآن عرفاء أهل الجنة. فقال: رؤساء أهل الجنة^(٥).

وانتشر هذا المصطلح فيما بعد فقد جاء عن عبيد بن عمير كان يقول إذا جاء الشتاء: يا أهل القرآن طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصيامكم فاغتنموا^(٦).

(١) البخاري (٤ / ١٩٢٠)، مسلم (١ / ٥٤٣)، ابن حبان (٣ / ٤٢)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٩ / ٨٠)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الكبرى (٥ / ١٧)، ابن ماجه (١ / ٧٨)، وفي مصباح الزجاجة (١ / ٢٩)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون».

(٤) شعب الإيمان (٢ / ٣٥٠).

(٥) لسان العرب (٩ / ٢٣٩)، مرجع سابق.

(٦) ابن أبي شيبة (٢ / ٣٤٤)، مرجع سابق.

رابعاً: مصطلح (جَمَعَ القرآن) فالاسم منه جامع:

ورد هذا المصطلح في أحاديث عديدة ومنها: حديث أنس رضي الله عنه: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة... الحديث، وحديث أبي هريرة في أول ثلاثة يقضى بينهم يوم القيامة وفيه: «فأول من يدعوا به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به أثناء الليل وآثناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل...» الحديث^(١).

تحرير هذا المصطلح:

واضح أن المراد به القراءة عن ظهر قلب، ومن ذلك قول المحدث أبي صالح: لأن أكون جمعت القرآن ثم قمت به سنة كان أحب إلي من كذا وكذا، وذلك أنه بلغني أنه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل فيرجى إذا كان جمع القرآن أن يكون من المقربين^(٢)، وقد يرد هذا المصطلح بمعنى كتابته كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً هذا جمع في الصحائف والسطور وذاك جمع في القلوب والصدور^(٣).

خامساً: مصطلح (حافظ القرآن):

ورد في حديث الماهر بالقرآن قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له»^(٤)، وورد بصيغة الفعل منه، وورد بلفظه في لغة التابعين فعن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على وائلة بن الأسقع فقلنا: يا أبا الأسقع حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان فقال:

(١) ابن خزيمة (٤/ ١١٦)، ابن حبان (٢/ ١٣٦)، الحاكم (١/ ٥٧٩)، الترمذي (٤/ ٥٩١)، مراجع سابقة.

(٢) سعيد بن منصور (١/ ٦٩)، مرجع سابق.

(٣) مناهل العرفان (١/ ١٦٧)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٤/ ١٨٨٢)، مرجع سابق.

هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً فقلنا نعم وما نحن له بالحافظين جداً إنا لنزيد الواو والألف وننقص..^(١).. وورد أصل اسم الفاعل وهو الفعل، وقد كثر هذا فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال»^(٢).

وقد شاع هذا المصطلح لموافقته لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ولأنه يحقق مراد مصطلح الصاحب والحامل وهو (الحافظ) ليطلقوه على من قرأ القرآن عن ظهر قلب... ولذا كثر في عبارات المتأخرين... ولا شك أن مصطلح (حامل القرآن) أكثر دلالة وظهوراً على المطلوب مع التواضع الظاهر فيه مقارنة بمصطلح حافظ القرآن.

سادساً: مصطلح القارئ، وجمعه القراء:

وقد ورد كثيراً في الأحاديث النبوية وتقدم بعضها وسيأتي بعضها بعد هذا - إن شاء الله -.

تحرير هذا المصطلح:

بيان حقيقة هذا المصطلح مسألة جليلة تغفل عنها كثير من مؤسسات تعليم القرآن الكريم ولذا لا بد من التوسع في تبينها فإن لمصطلح (القراء) عند القوم إطلاقين: مطلق العالم بما يتعلق بالكتاب والسنة، والجامع للقرآن الكريم الذي يقرؤه عن ظهر قلب، ولكن لم يكن الفرق بينا في عهد رسول الله ﷺ بين هذين المعنيين، ويدل على شمول مصطلح القارئ لمفهوم العالم قولها ﷺ: «فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما

(١) الطبراني في الكبير (٢ / ٥٤)، مسند الشاميين (٢ / ٣٦٨)، مرجعان سابقان.

(٢) مسلم (١ / ٥٥٥)، الحاكم (٢ / ٣٩٩)، أبو داود (٤ / ١١٧)، مرجع سابق.

علمت قال كنت أقوم به أثناء الليل وأثناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل...» الحديث^(١).

وهذان اللفظان: قارئ وعالم إن اجتماعا افترقا، وإن انفرد القارئ فالأصل فيه الدلالة على العلم، ويؤيد هذا الرواية الأخرى لهذا الحديث: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار...» الحديث^(٢).

وغلب على الصحابة رضي الله عنهم علم نقل اللفظ القرآني لأنه مادة البلاغ الأصلية حتى قال فيهم المنافقون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء^(٣).

❖ ومن هذا الباب: «أن القارئ لا يكون قارئاً إلا مع فهم القرآن» قال ابن زيد في قوله: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]: «الذكر القرآن» وقرأ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [فصلت: ٤١]^(٤).

❖ فقد دخل في معنى قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» «تعليم حروفه ومعانيه جميعاً، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان»^(٥).

(١) ابن خزيمة (٤/ ١١٦)، ابن حبان (٢/ ١٣٦)، الحاكم (١/ ٥٧٩)، الترمذي (٤/ ٥٩١)، مراجع سابقة.

(٢) مسلم (٣/ ١٥١٣)، النسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٧)، مرجعان سابقان.

(٣) ابن كثير (٢/ ٣٦٢)، مرجع سابق.

(٤) الطبري (١٤/ ١٠٩)، مرجع سابق.

(٥) ابن تيمية (١٣/ ٤٠٣)، مرجع سابق.

❖ صفة أئمة الإقراء من أصحابه رضي الله عنهم: وهذه صفة تلاميذه (أصحابه) من القراء فقد كانوا أعلم الناس بالعلوم الشرعية فعن عبد الله بن مسعود قال: من تعلم القرآن فليتعلم الفرائض ولا يكن كرجل لقيه أعرابي فقال له: يا عبد الله أعرابي أم مهاجر؟ فإن قال: مهاجر. قال: إنسان من أهلي مات فكيف نقسم ميراثه فإن علم كان خيراً أعطاه الله إياه وإن قال لا أدري قال فما فضلكم علينا؟ أنكم تقرؤون القرآن ولا تعلمون الفرائض^(١)، وقال أبو موسى رضي الله عنه: من علم القرآن ولم يعلم الفرائض فإن مثله مثل البرئس لا وجه له أو ليس له وجه^(٢).

ومن أعظم مخاطر اقتصار المقرئ على مجرد تلقين الألفاظ أن يفسد عمله في تعليم الناس القرآن دون أن يشعر:

❖ إذ أصناف القراء على التحقيق ثلاثة: «فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلمات البصير بعيب القراءات المتقدم للآثار فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين، ومنهم من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم لا يعرف الإعراب ولا غيره فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده فيضيع الإعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ولا بصير بالمعاني يرجع إليه وإنما اعتماده على حفظه»^(٣).

(١) سنن البيهقي الكبرى (٦ / ٢٠٩)، مرجع سابق.

(٢) الدارمي (٢ / ٤٤١)، مرجع سابق.

(٣) السبعة ص ٤٦، مرجع سابق.

- ❖ وعلى ضوء هذا يفهم معنى ما جاء عن ابن المبارك عندما قام رجل إليه فقال: يا أبا عبد الرحمن! في أي شيء أجعل فضل يومي في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن^(١).
- ❖ كما أن المراد بتعلم المعاني ليس تعلم العلوم بالمعنى المصطلحي - وإن كان مطلوباً للمتأهل والمتصدر للإقراء، بل المراد بالنسبة للعامة من المقرئين التدبر وفهم المعنى على الأقل.
- ❖ ولكن ينبغي ذلك مع عدم الإكثار من المادة المصاحبة لحفظ ألفاظ القرآن الكريم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم «أي لا تقرنوا به شيئاً من الأحاديث ليكون واحده مفرداً وقيل أراد ألا يتعلموا من كتب الله شيئاً سواه...، والمعنى اجعلوا القرآن لهذا وخصّوه به، واقصروه عليه، دون النسيان والإعراض عنه، لينشأ على تعلّمه صغاركم، ولا يتبعاد عن تلاوته وتدبره كباركم»^(٢).

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ صفات حامل القرآن الذي يستحق هذه

الألقاب

علم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم صفات حامل القرآن الذي يستحق الألقاب السابقة:

أولاً: أول صفات الحافظ التي تجعله يعتز بكونه حاملاً للقرآن: محاولته الدائمة للتفكير في جلال الله، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلی:

(١) حلية الأولياء (٨ / ١٦٥)، مرجع سابق.

(٢) النهاية في غريب الأثر (١ / ٢٥٦)، مرجع سابق.

فإن ذلك هو الذي يولد في قلبه مقدار جلال كلامه جل جلاله، وقد علم النبي ﷺ أصحابه ذلك أشد التعليم وأعظمه؛ إذ تلاحظ ذلك من أحاديثه المتوافرة، ومن إضافة آيات الكتاب إليه سبحانه في مثل قوله جل جلاله: ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، ومن تبجيل كلام الله سبحانه وتعالى ببيان كيف تلقاه جبريل عليه السلام، وكيف كان يتلقاه النبي ﷺ... وهو الذي جعله الغزالي في جواهر القرآن أهم ما يستعان به على حفظ القرآن وفهمه، ومما قاله: «حال العارفين ونسبة لذتهم إلى لذة الغافلين: واعلم أنه لو خلق فيك شوق إلى لقاء الله، وشهوة إلى معرفة جلاله أصدق وأقوى من شهوتك للأكل والنكاح لكنت تؤثر جنة المعارف ورياضها وبساتينها على الجنة التي فيها قضاء الشهوات المحسوسة»^(١)، فإذا استقر في ذهن المرء وسويداء قلبه أن القرآن كلام الله جل جلاله أنزله الله على البشر مباركاً وهدى للناس... علم مقدار جلاله، وعظمته.

وإنما كان خير الناس هو المقرئ إلا لأن خيرهم بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعلمه^(٢) بعد أن استقر أن خير الكلام كلام الله، فقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أي خير المتعلمين والمعلمين من كان تعلمه وتعليمه في القرآن لا في غيره إذ خير الكلام كلام الله فكذا خير الناس بعد النبيين من اشتغل به^(٣)، ولذا فإن معنى كونه مع الملائكة أنه يكون رفيقاً لهم هناك لاتصافه بصفاتهم من حمل كتابه^(٤).

(١) جواهر القرآن ص ٨٢، مرجع سابق.

(٢) شرح سنن ابن ماجه (١/ ١٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: فيض القدير (٣/ ٤٩٩)، مرجع سابق.

(٤) فيض القدير (١/ ٢٢٦)، مرجع سابق.

ثانياً: تعلم معاني الألفاظ مع تلقيها:

فيتعلمون مع ألفاظه معانيه، ويتدبرونه، ويعلمون حلاله وحرامه: فإن النبي ﷺ هكذا علمه فلم يكن تعليم النبي ﷺ لأصحابه ألفاظ القرآن الكريم إلا مع معانيه وتدل لهذا الأدلة التالية:

١- ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]: فقد قال الضحاك فيها: «حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً» وقد قال الفضيل بن عياض في المكثرين من العلوم الأخرى تاركين كتاب الله... وقد ضيعتم كتاب الله ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون قال قلنا: قد تعلمنا القرآن قال: إن في تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم... إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨] (١).

٢- لم يعلمهم النبي ﷺ أن يتقنوا الألفاظ إلا لتحقيق مقاصد القرآن:

كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وأنكر النبي ﷺ على قوم يقرؤونه لا يفقهونه فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع» فالمطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب (٢). ولذا نعى العلماء على قارئ أو مقرئ لا يحسن غير ذلك، فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى:- «أنبهك على رقدتك أيها المسترسل في تلاوتك المتخذ دراسة القرآن عملاً المتلقف من معانيه ظواهر وجمالاً إلى كم تطوف على ساحل

(١) القرطبي (١/ ٢٢)، مرجع سابق.

(٢) الديباج على صحيح مسلم (٢/ ٤١٥)، مرجع سابق.

البحر مغمضاً عينيك عن غرائبها، أو ما كان لك أن تركب متن لجتها لتبصر عجائبها وتساfer إلى جزائرها لاجتناء أطايبها، وتغوص في عمقها فتستغني بنيل جواهرها؟ أو ما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين؟»^(١).

٣- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا نَعْلَمُ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهُنَّ حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا أَنْزَلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ مِنَ الْعَمَلِ^(٢)... فهذا بيان للمنهجية النبوية في تعليم اللفظ القرآني.

٤- عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثني الذين كانوا يقرئونا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم وفي رواية الطحاوي كان أصحابنا يقرئونا ويعلمونا ويخبرونا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ أَحَدَهُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا يَجَاوِزُهَا حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْعَمَلَ فِيهَا قَالَ: وَقَالُوا عَلِمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً^(٣) وفي لفظ: فعلمنا العلم والعمل^(٤).

٥- وقال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوزها هنا ووضع يده على الحلق^(٥).

(١) جواهر القرآن ص ٢١، مرجع سابق.

(٢) مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ٤٥٦)، مرجع سابق، البيهقي في الكبرى (٣/ ١١٩)، مرجع سابق.

(٣) مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ٤٥٦)، مرجع سابق.

(٤) أحمد (٥/ ٤١٠)، ابن أبي شيبة (٦/ ١١٧)، مرجعان سابقان، وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ١٦٥)، مرجع سابق.

(٥) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت ٢٣٠ هـ: الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٢)، دار صادر بيروت.

٦- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل^(١).

وهذا يقتضي منهجياً أن يتدرج القائمون على دور القرآن وكلياته وجامعاته في تدريس المواد الشرعية الضرورية مع تعليم القرآن الكريم بحسب المرحلة المناسبة للطالب.

وكان مجلس أئمة الإقراء رضي الله عنهم يمتلئ بالذاكرة العلمية فمثلاً كان الناس عند عبد الله بن مسعود فوقع بين رجلين ما يقع بين الناس فوثب كل واحد منهم إلى صاحبه فقال بعضهم: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال: بعضهم عليك نفسك إن الله تعالى قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فسمعها ابن مسعود فقال: لم يجيء تأويل هذه الآية بعد، إن القرآن أنزل حين أنزل وكان منه آي مضى تأويله قبل أن ينزل، وكان منه آي وقع تأويله اليوم، ومنه آي يقع تأويله عند الساعة، وما ذكروا من أمر الساعة، ومنه آي يقع تأويله بعد يوم الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرو ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها^(٢).

(١) مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ٤٥٧)، الإيمان لابن منده (١/ ٣٦٩).

(٢) البيهقي في الكبرى (١٠/ ٩٢)، مرجع سابق.

ثالثاً: تعلم الإيمان مع تعلم ألفاظ القرآن^(١):

والمراد به هنا العمل؛ إذ لفظ الإيمان يستغرق العلم والعمل جميعاً، ولكن تخصيص مدلول الإيمان بالعمل يقتدى فيه بالتعبير القرآني في قوله جل جلاله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الروم: ٥٦]، وسلب الإيمان (العمل) من أخوف ما يتقيه حامل القرآن، وقد علمهم النبي ﷺ ذلك حتى أخبرهم بأن القرآن قد يستظهره ألد أعدائه فقال ﷺ: «يخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون بعده»^(٢).

وأما ما أشار إليه بعض الصحابة كجندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر وغيرهما بقولهم: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان، وكذلك قال حذيفة: إنا قوم أوتينا الإيمان قبل أن نوتى القرآن، وإنكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان^(٣)... فالمراد بالإيمان هنا أخص العمل وهو الاستعداد والخشية والحب والتلهف، ومثله ما جاء عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة..^(٤) على أن تعلم لفظ القرآن سابق على كل شيء.

❖ ولا يتوهم من قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»: «أن العمل خارج عنهما؛ لأن العلم إذا لم يكن مورثاً للعمل ليس علماً في الشريعة إذا أجمعوا على أن من عصى الله فهو جاهل»^(٥)، وقد قال ابن عبد البر: «وحملة

(١) وينظر - مثلاً - في أعمال الباطن في التلاوة: الإحياء (١/ ٢٨٠)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٩٧)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (٣/ ١١٩)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٥/ ٢٣٨٢)، مرجع سابق.

(٥) تحفة الأحوذى (٨/ ١٧٩)، مرجع سابق.

القرآن هم العاملون بأحكامه وحلاله وحرامه بما فيه»^(١)، ولذا فالأجر إنما يكون لمن يعمل به فعن التّوَّاس بن سمعان الكلابيّ قال: سمعت النّبِيَّ ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهنّ بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صوافّ تحاجّان عن صاحبهما»^(٢).

❖ مثال تطيقي من تلاميذ النبي ﷺ: وقد أثنى النبي ﷺ على رجل ذكر عنده بأنه يعمل بالقرآن: فعن السائب بن يزيد أنّ شريحاً الحضرميّ ذكر عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا يتوسّد القرآن»^(٣)، فقوله: «لا يتوسّد القرآن» مدح على الراجح بأنه يعظّم القرآن ويجلّه ويداوم على قراءته، لا كمن يمتهنه ويتهاون به ويخلّ بتلاوته^(٤).

❖ ومن الأمور العملية التي خص حملة القرآن بالنداء إليها: ما ورد عن علي رضي الله عنه قال: إن الوتر ليس مجتم ولا كصلاتكم المكتوبة ولكن رسول الله ﷺ أوتر ثم قال: «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر»^(٥)، وذكر بعض أهل العلم أن تخصيصه أهل القرآن بالأمر فيه يدل على أنه واجب^(٦)، ويؤكد التخصيص نص حديث عبد الله بن مسعود عن

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٧ / ٤٣٠)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١ / ٥٥٣)، ابن حبان (١ / ٣٢٢)، الحاكم (١ / ٧٤٧)، مراجع سابقة.

(٣) أحمد (٣ / ٤٤٩)، النسائي في الكبرى (١ / ٤١٢)، والصغرى (٣ / ٢٥٦)، مراجع سابقة.

(٤) انظر: الفائق (٤ / ٥٩)، النهاية (٥ / ١٨٢)، حاشية السندي (٣ / ٢٥٧)، مراجع سابقة.

(٥) ابن خزيمة (٢ / ١٣٦)، الحاكم (١ / ٤٤١)، المختارة (٢ / ١٣٦)، أبو داود (٢ / ٦١)، الترمذي (٢ / ٣١٦)، مراجع سابقة.

(٦) عون المعبود (٤ / ٢٠٥)، مرجع سابق.

النبي ﷺ قال: «إن الله وتر يحب الوتر أوتروا يا أهل القرآن» فقال أعرابي: ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: ليس لك ولا لأصحابك.

❖ وعلمهم النبي ﷺ أن شيوخ القرآن ترتيلاً وتغنياً دون إيمان وعمل وتدبر من الخصال التي يخاف أن تصيبهم فعن عابس الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يعني خصلاً يتخوفهن على أمته من بعده إمارة السفهاء واستخفافاً بالدم وقطيعة الرحم وكثرة الشرط ونشء يتخذون القرآن مزامير يتغنون غناء يقدمون الرجل بين أيديهم ليس بأفضلهم ولا أعلمهم لا يقدمونه إلا ليغنى لهم^(١) «فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب، وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه»^(٢).

وكتسلسل لهذه المنهجية كان أبو موسى رضي الله عنه يقول لتلاميذه: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً وكائن بكم نوراً وكائن عليكم وزراً. أتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة ومن أتبعه القرآن يزخ في قفاه فيقذفه في جهنم^(٣)، وكان أبو عبد الرحمن السلمي إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذي عملت^(٤) وذكر أبو بكر الأنباري عن عبد الله بن مسعود: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به.

(١) شعب الإيمان (٢ / ٥٤١)، مرجع سابق.

(٢) القرطبي (١ / ٢١)، مرجع سابق.

(٣) الدارمي (٢ / ٥٢٦)، سعيد بن منصور في سننه (١ / ٤٩)، ابن أبي شيبة (٧ / ١٤٢)، مراجع سابقة.

(٤) القرطبي (١ / ٧)، مرجع سابق.

تعلم العلم والعمل جميعاً أساس في المنهجية النبوية:

فقد ظهر مما سبق المنع من تعلم المعشر الجديد حتى يتم العلم بما في القديم من العمل، وهذا يقتضي العلم بما فيها من المعنى.

والمقتضى المنهجي لذلك:

❖ إعادة هذا الأسلوب، وتطبيقه، وإتحافه بعدد من الأنشطة العملية التي تواكب تطبيق الآيات: كالإنفاق ولو بمبلغ رمزي عند قراءة آية الإنفاق، والتفكير عند قراءة آية التفكير، وأمر المتعلم بشرح أحكام الزواج مثلاً بعد قراءتها كنوع من الإصرار على الفهم العام.

❖ ومن المقتضيات إعداد منهج مواكب لعمل التحفيظ أو التلقين أو الإقراء تشرح فيه معاني القرآن بيسر، وتقترح فيه الأنشطة العملية المقترحة لمواكبة الآيات المتعلمة.

اعتراض وجوابه:

قد يعترض على هذا بأنه يطيل أمد الحفظ ومدته والجواب أن هذا هو الأمر الشرعي، ولا دخل لما آل إليه الأمر هذه الأيام في كثير من مؤسسات التحفيظ، كما أن من مقتضيات ذلك إعداد معلم القرآن إعداداً قوياً يناسب قيامه بهذه الوظيفة الجليلة.

كما لا يعترض على هذا بتفاوت مدارك المتعلمين لأن هذا المبدأ يفرض تفاوت التعامل مع كل طالب بحسب حاله.

وأما الصغار فلا بد من مراعاة مقدار ذلك معهم لا إزالة الفكرة من أصلها.

رابعاً: ورأس الصفات العملية للإيمان الإخلاص لله تعالى:

وهو ما كان النبي ﷺ يعلمهم إياه مذ بعث، وبين القاري أن الخيرية في قوله ﷺ: «خيركم من تعلم»؛ «لكن لا بد من تقييد التعلم والتعليم

بالإخلاص»^(١)، فمن أخلصهما وتخلق بهما دخل في زمرة الأنبياء^(٢)، ولإذكاء صفة الإخلاص في نفس القارئ، فقد كان من أسلوب النبي ﷺ في نفوس حملة القرآن أن يبين لهم مقدار الوعيد الشديد فيمن يزيغ عن آيات الله بعد أن يعلمها كما في قوله جل جلاله: ﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]، ففي ذلك زيادة التشنيع لمن يفعل فعل الذي أخلد إلى الأرض، وبيان حقيقة مكانة حامل القرآن إن اهتدى أو ضل، وقد جذب بعض المقرئين تحفيظ القراء - مع قراءتهم - حديث أبي هريرة في أول ثلاثة يقضى بينهم يوم القيامة وفيه: «فأول من يدعوا به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به أثناء الليل وأثناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل...» الحديث^(٣)..

وتسلسل منهجية التذكير بالإخلاص للقراء، فقد خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرنا النبي ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق وقد انقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ومن أظهر منكم لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه سرائركم بينكم وبين ربكم ألا إنه قد أتى عليّ حين وأنا أحسب أنّ من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل

(١) شرح سنن ابن ماجه (١ / ١٩)، مرجع سابق.

(٢) انظر: فيض القدير (٣ / ٤٩٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن خزيمة (٤ / ١١٦)، ابن حبان (٢ / ١٣٦)، الحاكم (١ / ٥٧٩)، الترمذي (٤ / ٥٩١)، مراجع سابقة.

إليّ بأخرة إنّ رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم^(١).

خامساً: مداومة تلاوته:

والمراد بالتلاوة هنا معناها الخاص، وهو القراءة فقد علمهم النبي ﷺ ذلك فيما رواه أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل علّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»^(٢). وقد علمهم أن ذلك يجب ألا يعدل ما سواه حتى لو كان حديث رسول الله فقد حدث عقبه بن عامر الجهني عن رسول الله ﷺ أحاديث فقال أبو موسى: إنّ صاحبكم هذا لحافظ أو هالك إنّ رسول الله ﷺ كان آخر ما عهد إلينا أن قال عليكم بكتاب الله وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني فمن قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ومن حفظ عني شيئاً فليحدّثه^(٣).

وكثرة التلاوة لأن الله عزّ وجلّ «أراد انصبغ النفوس بصبغة هذه المعلومات وتردادها بالنسبة إلى العالم... ولأجل ذلك أمرنا بتكرار التلاوة والإكثار منها، ولم يكتف بمجرد الفهم»^(٤).

ولذا علمهم النبي ﷺ القراءة في الطريق، بل علمهم التلاوة قائماً، أو مضطجاً، أو في فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال، وله أجر^(٥). فعن عائشة

(١) المختارة (١/ ٢١٩)، عبد الرزاق (٣/ ٣٨٣)، أحمد (١/ ٤١)، أبو يعلى (١/ ١٧٥)، وانظره في مجمع الزوائد (٥/ ٢١١)، مراجع سابقة.

(٢) البخاري (١/ ٣٩)، مسلم (١/ ٥٥٨)، ابن حبان (١/ ٢٩٢)، مراجع سابقة.

(٣) المسند المستخرج على مسلم (١/ ٤٣)، مرجع سابق.

(٤) الفوز الكبير في أصول التفسير ص ٩٧، مرجع سابق.

(٥) التبيان في آداب حمل القرآن ص ٤١، مرجع سابق.

قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض وبقراً القرآن»، «ورأسه في حجري»، وعن أبي موسى الأشعري قال: «إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي، وعن عائشة قالت: «إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير»^(١).

❖ وكان النبي ﷺ يعلمهم ذلك ويشد فيه حتى قال: «تعلموا القرآن واقروه وارقدوا فإن مثل القرآن ومن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه كل مكان ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك»^(٢).

❖ وقد ضرب لهم النبي ﷺ الأمثال التعليمية المحسوسة التي ترغّب في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم لكل المؤمنين من حملة القرآن وغيرهم، فمن ذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ریح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»^(٣)، وقد زاد البخاري في لفظ له «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به»، «وهي زيادة مفسرة للمراد وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي لا مطلق التلاوة»^(٤).

❖ وقد حذرهم النبي ﷺ من ازدياد حفظهم وتكريرهم لأمر آخر فوق حفظ القرآن الكريم وتكريره، فقال ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خيراً له

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤١)، مرجع سابق.

(٢) ابن ماجه (١/ ٧٣)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٥/ ٢٠٧٠)، مسلم (١/ ٥٤٩)، ابن حبان (٣/ ٤٧)، مراجع سابقة.

(٤) فتح الباري (٩/ ٦٧)، مرجع سابق.

من أن يمتلى شعراً^(١)، وهو ما فقهه البيهقي فبوب: «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن»^(٢)، ووجهه أن يمتلى قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان^(٣) فالامتلاء يكون للقرآن.

المقصود من الديمومة في التلاوة:

المراد بها الحزب اليومي الذي لا ينبغي لحامل القرآن تركه، والذي علمهم النبي ﷺ إياه كما في قوله: «إنه طراً عليّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أمّه»^(٤)، ولا مانع من الزيادة لا النقصان مع عمل توازن بين هذه الزيادة والمتطلبات الأخرى لحامل القرآن على ما قرره ابن تيمية في قوله: «وأما الأفضل في حق الشخص فهو بحسب حاجته ومنفعته فإن كان يحفظ القرآن وهو محتاج إلى تعلم غيره فتعلمه ما يحتاج إليه أفضل من تكرار التلاوة التي لا يحتاج إلى تكرارها»^(٥)، وكذلك إن كان قد حفظ القرآن أو بعضه وهو لا يفهم معانيه فتعلمه لما يفهمه من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معانيه»^(٦).

وتسلسلت المنهجية حيث كان أئمة الإقراء من الصحابة رضي الله عنه يأمرّون بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم: فعن شقيق قال: قال عبد الله: إن أحسن ما زين به المصحف لتلاوته في الحق»^(٧).

(١) مسلم (٤ / ١٧٦٩)، والبخاري (٥ / ٢٢٧٩)، وابن حبان (١٣ / ٩٣)، مرجع سابق.

(٢) البيهقي في الكبرى (١٠ / ٢٤٤)، مرجع سابق.

(٣) البيهقي في الكبرى (١٠ / ٢٤٤)، مرجع سابق.

(٤) ابن ماجة (١ / ٤٢٧)، مرجع سابق.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٥٥)، مرجع سابق.

(٦) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٥٦)، مرجع سابق، وانظر فتوى جيدة له - بعد هذا - في المفاضلة بين التلاوة والذكر

المطلق.

(٧) خلق أفعال العباد (١ / ٨٧)، مرجع سابق.

سادساً: تحري الصواب مع خفض الجناح في طلبه:

فقد علمهم النبي ﷺ أن مجرد قراءة القرآن لا تنجي صاحبها ولا ترفع عنه إصره فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم»^(١)، وعن أم الفضل وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قام ليلة بمكة من الليل فقال: «اللهم هل بلغت» ثلاث مرات فقام عمر بن الخطاب: وكان أوامها فقال: اللهم نعم وحرضت وجهدت ونصحت فقال: «ليظهروا الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه ولتخاضن البحار بالإسلام وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرؤونه ويقولون قد قرأنا وعلمنا فمن ذا الذي هو خير منا فهل في أولئك من خير؟ قالوا: يا رسول الله! ومن أولئك؟ قال: أولئك منكم وأولئك وقود النار»^(٢).

وعلمهم النبي ﷺ خطورة جدال المنافق بالقرآن: فقال ﷺ: «إياكم وثلاثة: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فأما زلة عالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وإن يزل فلا تقطعوا عنه آمالككم، وأما جدال منافق بالقرآن فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق فما عرفتم فخذوه وما أنكرتم فردوه إلى عالمه، وأما دنيا تقطع أعناقكم فمن جعل الله في قلبه غنى فهو غني»^(٣).

سابعاً: المحافظة على ما يقرب من الله ويُنال به حبه من النوافل مع الترفع عن سفاسف الدنيا وإن جازت:

(١) البخاري (٣/ ١٣٢١)، مسلم (١/ ٥٦٣)، المتقى (١/ ٢٧٢)، ابن ماجه (١/ ٥٩)، مراجع سابقة.

(٢) الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٥٠).

(٣) ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٨)، الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٠٧) مرجعان سابقان.

فقال: «إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن» فقال أعرابي: ما تقول قال ليس لك ولا لأصحابك^(١)، وقال ﷺ: «تعلّموا القرآن وارقؤه وارقدوا فإنّ مثل القرآن ومن تعلّمه فقام به كمثّل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه كلّ مكان ومثّل من تعلّمه فرقد وهو في جوفه كمثّل جراب أو كفي على مسك»^(٢) وعليه يحمل نهى النبي ﷺ عن بعض المظاهر التي قد يُجتنى منها الخير بزيادة التورع، والمحاسبة الدقيقة لقراءة القرآن كحديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن أناساً من أمّتي سيتفقّهون في الدين وبقروؤن القرآن ويقولون نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزّهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد ألا الشوك كذلك لا يجتنى من قريبهم إلا قال محمد بن الصباح كأنه يعني الخطايا»^(٣)، وقام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أيّ النّاس خير؟ فقال ﷺ: «خير النّاس أقرؤهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرّحم»^(٤).

ويمكن تلخيص تعليمه ﷺ الدوافع لتعلم القرآن الكريم:

أولاً: تعليمه ﷺ الدوافع الصحيحة لتعلم القرآن الكريم وهي:

١- الدافع الإيماني العام: نصرة للعقيدة، ورفعة للشريعة، وحلاً للوائها كما قال عبد الله بن عمر يقول لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن... الأثر^(٥).

(١) الترمذي (٢ / ٣١٦).

(٢) ابن ماجة (١ / ٧٣)، مرجع سابق.

(٣) ابن ماجة (١ / ٩٣).

(٤) أحمد (٦ / ٤٣٢).

(٥) البيهقي في الكبرى (٣ / ١١٩)، مرجع سابق.

٢- التشرف بأن يكون الحافظ أحد الأدوات الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهي للقرآن الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فيكون من أهل الله وخاصته.

٣- زرع الرغبة في الأجر العظيم للحافظ كما سبقت الإشارة إليه.

ثانياً: تعليمه ﷺ الدوافع الخاطئة التي قد تغرس في فؤاد رائم تعلم ألفاظ القرآن الكريم:

١- التاكل بالقرآن الكريم: كأن يكون الدافع ابتداء هو المشاركة في مسابقة أو لأجل وظيفة: فمن أهم القواعد التربوية في التعليم لألفاظ القرآن ما أجمله النبي ﷺ في قوله: «تعلموا القرآن فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تاكلوا به ولا تستكثروا به...»^(١)، وقال ﷺ: «فيكم كتاب الله يتعلمه الأسود والأحمر والأبيض تعلموه قبل أن يأتي زمان يتعلمه ناس ولا يجاوز تراقيهم ويقومونه كما يقوم السهم فيتعجلون أجره ولا يتأجلونه»^(٢).

٢- الرثاء والمباهاة، والرئاسة ونحوها من الأخلاق المرذولة: وتقدم اقتراح تحفيظ متعلم القرآن حديث أول ثلاثة يقضى بينهم يوم القيامة، وعن عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم! إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير وتتر سنة مبتدعة يجري عليها الناس فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن قال: إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم، وقل أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين^(٣)، وعن ابن عباس أنه قال: لو

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ١٧)، مرجع سابق.

(٢) أحمد (٥/ ٣٣٨)، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٤/ ٥٦٠)، الدارمي (١/ ٧٥)، ابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٥)، مرجع سابق.

أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس^(١).

(١) القرطبي (١ / ٢٠)، مرجع سابق.

المبحث الثالث:

أصحاب (تلاميذ) النبي ﷺ من أئمة الإقراء

«المخرجات التعليمية»

يروم هذا المبحث أن يبين أن حفظ القرآن الكريم وجمعه بين الصحابة قد صار من العلم العام الأساسي في حياة الأمة الإسلامية، وأن النبي ﷺ قد أخرج عدداً كبيراً من حفاظ القرآن ختموه في حياته، وتابعوا جمع آياته النازلة أولاً بأول، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: مؤشرات وقواعد عامة في عدد حفاظ القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ.

المطلب الثاني: من أشهر أئمة الإقراء من أصحاب النبي ﷺ على سبيل التفصيل.

فإلى الصحب الألى حفظوا القرآن ورفعوه نتجه... فماذا سنرى؟

حدّث عن القوم فالألفاظ ساجدة خلف المحاريب والأوزان تبتهلُ

المطلب الأول: مؤشرات وقواعد عامة في عدد حفاظ القرآن الكريم في

عهد النبي ﷺ:

لأن تلاوة القرآن تعليماً وهدايةً (تزكية) هي وظيفة النبي ﷺ، ولأن معجزته

الأولى الخالدة، وبرهان خاتمته للأنبياء هو القرآن الكريم، وهو أصل أصول الدين-

فقد لزم من ذلك ما يلي:

١- ضرورة اليقين في ثبوت كل لفظ من ألفاظه، وهيئة من هيئات أدائه... وذلك لأن العادة تقتضي تواتر تفاصيل ذلك، وذلك يقتضي بالضرورة القطع بالثبوت، والجزم بصحة النقل، واليقين بعدم التغيير، ويتفاوت ذلك بحسب تأثير هيئة الأداء على المعنى.

ذلك بأن القرآن «معجزة للرسول عليه السلام، وأمر الرسول عليه السلام بإظهاره مع قوم تقوم الحجة بقولهم وهم أهل التواتر فلا يظن بهم التطابق على الإخفاء ولا مناجاة الآحاد به حتى لا يتحدث أحد بالإنكار فكانوا يببالغون في حفظ القرآن حتى كانوا يضايقون في الحروف ويمنعون من كتابة أسامي السور مع القرآن ومن التعاشير والنقط كيلا يختلط بالقرآن غيره فالعادة تحيل الإخفاء فيجب أن يكون طريق ثبوت القرآن القطع»^(١).

٢- انتشار القرآن في الأمة حتى تصير ألفاظه وهيئات أدائه على سبيل الإجمال من المشاع المعلوم عندهم بالضرورة فلا تستطيع بادرة التغيير أن تتسرب إليه لفظاً وأداء (العلم العام بمحتوى القرآن).

٣- أن يشمل تعليمه كل الأمة، مع وجود متخصصين في دقائقه؛ لطبيعة رسالة النبي ﷺ وهي أنه ما جاء إلا لتبليغهم كلام ربهم الحافظ المهيمن على معاشهم ومعادهم، وهذا الكلام هو هذا الكتاب.

٤- أن تكون الأمة بمجموعها هي الأداة الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهية.

وهذا اليقين القاطع بنقل القرآن، والدقة البالغة بتوثيقه هو ما اصطلاح عليه العلماء بالتواتر، ومرادهم نتيجة التواتر، أو مقتضاه وهو العلم اليقيني الاضطراري بتوثيق نقل القرآن.

(١) المستصفى ص ٨٢، مرجع سابق.

ولهذه الأمور مجتمعة صح - واقعياً - «بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهورة في الآفاق كلها»^(١).

ولذا ظهر الفرق بين القرآن الكريم وبين الحديث بنوعيه القدسي والنبوي لزاماً واقعياً وشرعياً؛ إذ إن هذين للخاصة، بخلاف القرآن المحفوظ كلياً في صدور عدد كبير من الأمة، المكتوب في المصاحف المتلو في المحارب، وفي سائر الأمكنة التي تسوغ قراءته فيها آناء الليل وأطراف النهار.

قاعدة في حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ:

بالنظر إلى الطبيعة الأصلية لرسالة النبي ﷺ وهي تبليغ الوحي السماوي المنزل (القرآن الكريم)، وبالنظر إلى تفصيل وظائف النبي ﷺ، وبيانها، وبالتأمل في واقع الصحابة رضي الله عنهم، وبعيداً عن اتهام الكاتب بالعاطفية المفرطة، أو بالتأثر العاطفي الديني فإنه يمكن إرساء القاعدة التالية:

الأصل في الصحابي المهاجر (التمدن) - وهو الملازم المقيم في المدينة الذي حُرِّمَ عليه التعرب بعد الهجرة - أن يكون حافظاً للقرآن، ولكن قد يتلقنه كله أو بعضه من النبي ﷺ مباشرة، وقد يتلقن البعض من النبي ﷺ وبقيته من غيره من الصحابة رضي الله عنهم، وقد يتلقنه كله من الصحابة أمثاله، ومما يُستدل به في طريق ذلك:

١- كان حفظ القرآن بديهياً بالنسبة للصحابة الكرام:

أما أولاً فللطبيعة العربية في ذلك الوقت فهم أميون:

ومن شأن الأمي أن يعول على حافظته فيما يهمه أمره ويعنيه استحضاره وجمعه خصوصاً إذا أوتي من قوة الحفظ والاستظهار ما ييسر له هذا الجمع والاستحضار، وكذلك كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن وهي متمتعة

(١) الإحكام لابن حزم (١/ ٩٢)، مرجع سابق.

بخصائص العروبة الكاملة التي منها سرعة الحفظ وسيلان الأذهان حتى كانت قلوبهم أناجيلهم، وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم، وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم، ثم جاء القرآن فبهزم بقوة بيانه، وأخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه، وأستأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة^(١).

وأما ثانياً: فلأنه المادة العلمية الوحيدة المقررة عليهم في رسالة النبي ﷺ التعليمية كما سبق تفصيله في الفصل الأول.

٢- تقدمت في الفصل الأول أحاديث تبين اعتماد النبي ﷺ على كثير من المسلمين في إقراء المسلمين الجدد، أو النائين عن المدينة، ومن ذلك:

ما جاء عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منّا يعلمه القرآن..^(٢)

٣- ثبوت حفظ كثير من أئمة الإقراء في عهد النبي ﷺ:

والمراد غير الذين حددهم بعض الصحابة أو التابعين، ولذا فالحصر لا مفهوم له في كلام من حصر، وقد وصل عدد الحفظة من الأنصار إلى سبعين شخصاً من المتفرغين للقرآن دون غيره، فقد قال ابن حبان: «ذكر وصف القراء من الأنصار» ثم أسند عن أنس بن مالك قال: كان شباب من الأنصار يسمون القراء يكونون في ناحية من المدينة يحسب أهلهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهلهم فيصلون من الليل حتى إذا تقارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا من

(١) انظر: مناهل العرفان (١ / ١٦٨)، مرجع سابق.

(٢) المختارة (٨ / ٢٦٧)، أحمد (٥ / ٣٢٤)، مرجعان سابقان.

الماء فوضعه على أبواب حجر رسول الله فبعثهم جميعاً إلى بئر معونة فاستشهدوا فدعا النبي ﷺ على قتلهم أياماً^(١).

٤- القرآن إنما نزل ليُقرأ ويُحفظ ويُنشر، ويُنذر به:

ولأنها كذلك فقد كانت قراءة القرآن وحفظه في عهد النبي ﷺ لا تحتاج إلى التصريح حديثياً بأنها قد تمت، لضرورة ذلك بما علم من حال المسلمين، وطبيعة الرسالة، وغلبة الحافظة عليهم، والأهمية التي كانت تلقاها الآيات النازلة وحيماً من الله عز وجل... ولذا فالتصريح القائم في الأحاديث لزيادة أهمية المصرح بهم لا لضرورة التصريح، ولذلك كان الصحابة حتى المتأخرون منهم يختلفون في قراءة القرآن لعدم العلم بتقرير نزوله على الأحرف السبعة... دلالة على إتقانهم لحرف واحد منه على الأقل... وأذعن لهذه الحقيقة بعض الباحثين الأوروبيين فقال: «فور تنزيل القرآن، وأولاً بأول، كان النبي ﷺ والمؤمنون من حوله يتلون عن ظهر قلب وكان الكتبة من صحبه يدونونه. إذن فالقرآن يتمتع، منذ البداية، بعنصري الصحة هذين اللذين لا تتمتع بهما الأناجيل، وظل الأمر هكذا حتى مات النبي ﷺ وفي عصر لا يستطيع فيه الكل أن يكتب، وإن كان يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب، تصبح التلاوة ذات فائدة لا تقدر، وذلك لإمكانيات التحقيق العديدة التي تعطيها ساعة التثبيت النهائي للنص»^(٢).

٥- تنافس الصحابة رضي الله عنهم في حفظ القرآن الكريم:

وقد كان كتاب الله جل جلاله بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم «في المحل الأول من عنايتهم يتنافسون في استظهاره، وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته، وتفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه وربما كانت قررة عين

(١) ابن حبان (١٦ / ٢٥٣)، وهو في البخاري.

(٢) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (قراءات) ص ٩٦ نقلاً عن موريس بوكاي في كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم).

السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها، وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود إثارةً للذة القيام به في الليل والتلاوة له في الأسحار والصلاة به والناس نيام حتى لقد كان الذي يمر بيوت الصحابة في غسق الدجى يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن^(١)، وكانوا يتبارون في المحفوظ في الصلاة- وهي المحل النموذجي للمراجعة- فقد اعتكف النبي ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبة له فكشف المستورة وقال ألا أن كلكم يناجي ربه فلا يؤذنين بعضكم بعضاً، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة في الصلاة^(٢).

٦- وقد كان الاعتماد على الحفظ مقدماً على أي شيء آخر للأحاديث فضلاً عن القرآن كما هو معلوم.
٧- نُزِلَ القرآن منجماً:

وكان من حكم نزول القرآن منجماً استظهار القرآن، وحفظه عن ظهر قلب، وزيادة على بلاغ النبي ﷺ للنازل من الوحي القرآني أولاً بأول كان كتابة الوحي يقومون بذلك: فعن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سرى عنه فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة فأكتب وهو يملي عليّ فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً فإذا فرغت قال اقرأ فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس^(٣).

(١) مناهل العرفان (١/ ١٦٨)، مرجع سابق.

(٢) ابن خزيمة (١/ ١٩٠)، الحاكم (١/ ٥٩٤)، النسائي في الكبرى (٥/ ٣٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٣/

١١)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٥٧)، والكبير (٥/ ١٤٢).

وقد كان القاص يوم اليرموك وهو يوم قريب من وفاة النبي ﷺ أبو سفيان بن حرب مع قرب إسلامه، وهم لا يجعلون شخصاً غير متأهل بالقرآن.

٨- ومن أقوى أدلة هذه القاعدة:

وأقوى أدلة هذه القاعدة أن القراء قد كثروا كثرة عظيمة منذ استقرت قواعد دولة الإسلام في المدينة، فكان منهم السبعون من أصحاب بئر معونة، وأشخاصهم بدقة لم تعرف كلها حتى الآن، وكان منهم سبعون على الأقل ممن قتل من قراء المسلمين يوم اليمامة، ولا شك أن القتلى قد جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ إذ تسارعت أحداث الردة ولم تكن لتجعلهم يفرغون لذلك بعد وفاته.

ولهذه القاعدة فقد كان الصحابة يبحثون عن الآية مكتوبة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر للاستيثاق مع أنها كانت محفوظة في صدورهم، وهذا معنى قول زيد بن ثابت: «ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين»^(١)، فالمراد أنه فقد الآية مكتوبة؛ لأن وجود الآية مكتوبة أمر حتمي فهمه الصحابة من تسمية القرآن كتاباً، ومن اجتهاد النبي ﷺ في كتابة المصحف وكانوا يطلبون على كتابتها بين يدي النبي ﷺ شاهدين إضافة إلى كونها محفوظة في صدورهم وهذا يبين أن حفظ القرآن صار بينهم شيئاً عاماً شائعاً.

وكان الصحابة لا يظهرون أحسن ما عندهم شأنهم في شأن شأن الصالحين الذين اقتفوا آثارهم فعن الحسن قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده وردت الزور- الضيوف- وما يشعرون به.

(١) البخاري (٣/ ١٠٣٣)، مرجع سابق.

ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرّون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم عز وجل»^(١).

وعلى هذه القاعدة فإن هشام بن حكيم بن حزام يعد ممن كان يحفظ في عهد النبي ﷺ، وقد أم قوماً فيهم عمر بن الخطاب كما في صحيح البخاري^(٢).

وقد يعترض على هذه القاعدة بما يلي:

١- بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم^(٣).

والجواب: أن الحديث يؤيد ما ذكر من القاعدة؛ إذ لم تفترض القاعدة أن الجميع يحفظ القرآن الكريم كله، بل التنافس بينهم جار على قراءته، فالأصل فيهم حفظه، ولذا ترى النص هنا يدل على أن صيغة التفضيل (أيهم أكثر أخذاً للقرآن)، كما يدل هذا النص الذهبي على أن أخذ القرآن مسألة عامة فاشية أكثر من كتابته، وبدهيته وهو الموافق للطبيعة العربية.

٢- وقد يُعترض بتسمية السبعين من أصحاب بئر معونة ب (القراء) دلالة على حصر ذلك فيهم ونفيها عن غيرهم...

والجواب: أين الحصر؟ وقد اشتهر بجمع القرآن من ليس فيهم كالأنصار الذين سماهم أنس رضي الله عنه، ويرد تفصيل ذلك في المطلب الثاني - إن شاء الله جل

(١) الزهد لابن المبارك (١ / ٤٥)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤ / ١٩٠٩)، مسلم (١ / ٥٦١)، المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢ / ٤١٣)، الترمذي (٥ / ١٩٣).

(٣) البخاري (١ / ٤٥٠)، مرجع سابق.

جلاله - فامتنع الحصر، إنما سموا بذلك دلالة على تفرغهم لها، وعدم امتهانهم شيئاً آخر ولزومهم المسجد غالباً.

٣- كما قد يعترض بما روي أن ابن عمر البقرة في ثمان سنين فعن مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها وعنه عن نافع عن ابن عمر قال تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثني عشرة سنة فلما أتمها نحر جزوراً^(١).

والجواب: أما الأول فبلاغ عن مالك، وهو مع الثاني يحتاجان زيادة نظر في الإسناد، وعلى كل فالتعلم هنا هل المراد به الحفظ أم قراءته بتدبر وتفهم؟ الأمر محتمل على أنه سيأتي في المطلب الثالث أن عمر بن الخطاب كان من حفظة كتاب الله سبحانه وتعالى.

٤- وقد يعترض أيضاً: بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ورزقوا العمل بالقرآن وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»^(٢)...

والجواب: واضح أن ابن عمر - إن صح هذا عنه - يريد أن الفاضل لا يحفظ السورة حتى يعمل لا أنه لا يحفظ غيرها، وأما غيره فيحفظ القرآن كله وعلى الرغم من ذلك تجد أنه لما يعمل به بعد.

قاعدة في التنصيص على بعض الأشخاص في أمر معين:

الثناء على صحابي في ميدان علمي لا يعني عدم إمامة غيره لذلك الميدان، ومما يوضح ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) شعب الإيمان (٢/ ٣٣١)، مرجع سابق.

(٢) مجتث عنه ولم أجده.

«أرحم أمي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»^(١).

فذكر أبي في الإقراء لا يعني أن غيره من المذكورين ليست لهم الإمامة والريادة في القراءة بل هي لهمن ولذا ذكر النبي ﷺ معاذاً وأبا عبيدة بالقراءة وتعليم الناس القرآن في مواضع أخرى.

وبمثل ذلك تفهم كثير من الأحاديث التي فيها تنصيب فلا تقتضي تخصيصاً بل بيان لمزية ظاهرة قد توجد في الغير وإنما قيلت في البعض للتأكيد أو نحوه من الأغراض.

وعلى هذه القاعدة العظيمة تُنزل رواية أنس رضي الله عنه قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد»^(٢) فإن هذا الحديث لا يدل على الحصر، ومثل حديث أنس أو أبعد منه في الحصر - ما أخرج البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم... ومثله ما أخرجه هو وأبو داود عن عامر الشعبي قال: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة..^(٣)، فكله تنصيب فلا يدل على التخصيص خاصة وأن أنس هو ذاته راوي حديث السبعين قارئاً... وهذا إن صحت هذه الآثار وتفصيل ذلك في الأصل.

واقعية الإحاطة بحفظ ألفاظ القرآن:

ولذا فقد كانت الأمة كلها تسمع القرآن الكريم إجمالاً منه ﷺ أو ممن سمع منه، أما حفاظه المحيطون بألفاظه، ودقائقها، وتفصيل هيئات أدائه فقد كثروا كثرة

(١) الضياء في المختارة (٦/ ٢٢٦)، الترمذي (٥/ ٦٦٤)، ابن ماجة (١/ ٥٥)، مراجع سابقة.

(٢) البخاري (٣/ ١٣٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩١٤).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢٦١) مرسلًا، وانظر: الإتقان (١/ ١٩٥)، مرجع سابق.

غامرة، ويظهر أول فرق بين حفاظ القرآن وحفاظ الحديث في أن حفاظ القرآن لا بد أن يحيطوا به حفظاً بخلاف حفاظ الحديث؛ إذ لا يوجد واحد يدعي أنه قد أحاط بالحديث حفظاً.

تفرغ الأصحاب رضي الله عنهم لحفظ القرآن:

وقد كان تلاميذ النبي ﷺ الذين تعلموا على يديه القرآن يفرغون أنفسهم من كل شاغل في الغالب حتى الضرب في الأرض لأجل الرزق، وفيهم نزل قول الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ إذ المراد أنهم على قول بعض المفسرين: «أهل الصفة منعهم تعلم القرآن، أو شدة الحاجة والجهد عن الضرب في الأرض للتكسب»^(١).

وما يتنبه له في هذا الموضوع، وهو مثير للانتباه في منهجية النبي ﷺ التعليمية أنه كان يوجه من توسم فيه الأهلية للتصدر في علم معين إليه:

وخاصة في علم القرآن فإنه كان يشجع أصحاب الأصوات الحسنة ويثني على قراءتهم كما ورد ذلك في ثنائه على سالم مولى أبي حذيفة، وأبي موسى الأشعري، وابن مسعود، وأسيد بن حضير، ومن ذلك توجيهه ﷺ لأبي محذورة ليكون مؤذناً بعد أن رأى حسن صوته، فعن أبي محذورة قال لما رجع النبي ﷺ من حنين خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم فسمعتهم يؤذنون بالصلاة فقمنا نوذن نستهزئ بهم فقال النبي ﷺ: «لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت»، فأرسل إلينا فأذنا رجل رجل فكننت آخرهم فقال حين أذنت: «تعال» فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي وبارك علي ثلاث مرات ثم قال اذهب فأذن عند البيت الحرام قلت كيف يا رسول الله فعلمني الأذان... الحديث^(٢).

(١) حاشية على كتاب الهداية (٣/ ١٢٥).

(٢) ابن خزيمة (١/ ٢٠١)، مرجع سابق.

تتبع الأصحاب للنازل أولاً بأول:

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا أيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة إني لم أسمعها إلا الآن فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تجربني فقال أبي ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت فذهب إلى رسول الله ﷺ فذكر له وأخبره بالذي قال أبي فقال رسول الله ﷺ: صدق أبي^(١)، وكلام أبي ذر دال على أنهم كانوا يتتبعون القرآن النازل، وأبو ذر لم يذكر في عداد الحفاظ.

ومثل ذلك قول عمار رضي الله عنه فقال: «إنا كنا ضلالاً فهدانا الله، وكنا أعراباً فهاجرنا يقيم مقيم يتعلم القرآن، ويغزو الغازي فإذا قدم الغازي أقام يتعلم القرآن وغزا المقيم»^(٢).

كثرة القراءة:

ومن المؤشرات التي تدل على كثرة هؤلاء القراء كثرة ظاهرة: قصة بئر معونة فعن أنس قال: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة كانوا يدعون القراء..^(٣)، والقراء هنا هم «الذين كانوا يحفظون القرآن»^(٤).

ومما يدل على هذه الكثرة أيضاً كثرة من قتل من القراء في وقعة اليمامة كما

قال الشاطبي:

(١) ابن ماجه (١/ ٣٥٢)، مرجع سابق، وفي مصباح الزجاجة (١/ ١٣٤)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٨٣)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١/ ٤٦٧)، مرجع سابق.

(٤) حاشية الجبرمي على شرح منهج الطلاب (١/ ٢٠٨)، مرجع سابق.

إن اليمامة أهواها مسيلمة الـ كذاب في زمن الصديق إذ خسرا
وبعد بأس شديد حان مصرعه وكان بأسا على القراء مستعرا^(١)
وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه إن
عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن
يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن... الحديث^(٢) يدل على
انتشار القراء في المواطن والثغور، وأقل ما قيل في عدد من قتل من القراء أنهم
سبعون قارئاً ولم نعرف أكثرهم باسمه على ما هو معلوم.

❖ وقد بلغت القراء في عهد النبي ﷺ كثرة غامرة، وتخصصوا في دقائقه النطقية
حتى تنازعوا في بعض الأمور التي اختلفوا فيها، وكان منهم الأعرابي
والأعجمي فقد خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يقرؤون القرآن - قال
جابر بن عبد الله: وفينا الأعرابي والأعجمي - فقال: «أقرؤوا فكل كتاب الله
من قبل أن يأتي قوم يقومونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه»^(٣).

❖ وقد أخذ هؤلاء دورهم في قراءة القرآن على المسلمين والكفار كما اتضح من
واقعة بئر معونة؛ إذ أرسل النبي ﷺ القراء إلى القبائل لنشر القرآن الكريم، وقد
كثرت قراءة الأصحاب القرآن الكريم على المسلمين والكفار حتى أنزل الله في
سماع الكفار آيات تدل على ردود الفعل الهائجة أمام تأثير القرآن الكريم
كقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢] «أي

(١) شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القوائد ص ١٠.

(٢) البخاري (٤/ ١٧٢٠)، ابن حبان (١٠/ ٣٦٤)، مرجعان سابقان.

(٣) سعيد بن منصور في سننه (١/ ١٥٠)، أبو داود (١/ ٢٢٠).

أن أثر الإنكار من الكراهة وتعييس الوجوه معروف عندهم (يكادون يسطون) أي يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ»^(١).

❖ كما كثر حفظة القرآن كثرة عظيمة بعد عهد رسول الله ﷺ ويكفي مؤشراً على ذلك أن يعلم أن عدد التلاميذ من حفاظ القرآن الذين كانوا في البصرة وحدها من تلاميذ أبي موسى الأشعري كانوا قد بلغوا قريباً من ثلاثمائة؛ فعن معاوية بن قرة رضي الله عنه أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه جمع الذين قرؤوا القرآن فإذا هم قريب من ثلاثمائة فعظم القرآن وقال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زخ في قفاه فقفذه في النار»^(٢).

❖ وأما تلاميذ أبي الدرداء فبلغوا ألفاً وستمائة ونيفاً يقرئهم جميعاً في يوم واحد بطريقة فذة، كأنه أسس بها جامعة قرآنية^(٣).

❖ ويدل على كثرتهم ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم على عمر رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فقال ابن عباس رضي الله عنه فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال: فزبرني عمر ثم قال: مه قال: فانطلقت إلى أهلي مكتئباً حزيناً فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل منزلة فلا أراني إلا قد سقطت من نفسه قال: فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، وما هو إلا الذي تقبلني به عمر قال: فبينما أنا على ذلك أتاني رجل: فقال: أجب أمير المؤمنين قال:

(١) زاد المسير (٤ / ٤٥١)، مرجع سابق.

(٢) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (٣ / ١١٥)، ابن أبي شيبة (٧ / ١٤٢)، حلية الأولياء (١ / ٢٥٧)، مراجع سابقة.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (٢ / ٤٥٤)، مرجع سابق، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٥٣)، مرجع سابق.

خرجت فإذا هو قائم ينتظرنني، قال: فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت قال: لتحديثي بالذي كرهت مما قال الرجل فقلت: يا أمير المؤمنين! متى ما تسارعوا هذه المسارعة، يحيفوا ومتى ما يحيفوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا فقال عمر: لله أبوك لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها^(١).

❖ وقد خرج على علي رضي الله عنه ثمانية آلاف من قراء الناس... ولما طلبهم قيل لا يدخل إلا رجل قد حمل القرآن فلما أن امتلأ الدار من القراء.... الحديث^(٢). وهؤلاء القراء من الخوارج جزء من قراء الأمة ضرورة، فإذا كانوا هنا ثمانية آلاف في مكان واحد، ومن فرقة خارجة على جمهور الأمة، فكم يكونون في الأمة؟.

❖ وظهرت حافظات القرآن حتى كن يناقشن المقرئين فيه كما في مناقشة أم يعقوب القارئة لابن مسعود بشأن حديث النامصات.

هيئة الإقراء في عهده ﷺ:

وعلى الرغم من هذه الكثرة إلا أن المقرئين المتخصصين في إقراء الناس في عهد النبي ﷺ أناس معروفون قد حددهم النبي ﷺ بنفسه، فشكلوا مثل هيئة إقراء، ويدل على هذا حديث بئر معونة، كما يدل عليه قصة إسلام عدد من الصحابة الذين ورد فيهم التصريح بتعليمهم القرآن دلالة على أن ذلك دأب وعادة كما في

(١) الجامع لمعمر بن راشد (١ / ٢١٧)، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٢ / ١٦٥)، المختارة (٢ / ٢٢٣)، أحمد (١ / ٨٦)، أبو يعلى (١ / ٣٦٨)، مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٣)،

مراجع سابقة، وقال: «و رجاله ثقات».

قص إسلام عمير بن وهب: فقال رسول الله ﷺ: «اجلس نواسك» وقال: «علموا أخاكم القرآن» وأطلق له أسيره^(١).

❖ وبذا يكون النبي ﷺ قد اصطفى من أصحابه رضي الله عنهم نخبة أقرأهم القرآن، كله أو بعضه، حتى أتقنوا صفة أدائه وهيئة قراءته، وأقبلت الأمة على هؤلاء فتلقت القرآن عنهم مشافهة، ونوه بهم في مثل قوله: «خذوا القرآن عن أربعة...»، أو «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً...»، أو في بعثه مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى المدينة، أو في بعثه أبا عبيدة إلى نجران أو في بعثه علياً ومعاذاً إلى اليمن..^(٢)

وقد ابتغى الباحث من إبراز كثرة عدد القراء في الأمة تثبت حقيقة أن علم القراءة بذلك صار علماً عاماً شائعاً.

المطلب الثاني: من أشهر أئمة الإقراء من أصحاب النبي ﷺ على سبيل

التفصيل:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

فقد كان من حفظة كتاب الله عزّ وجلّ ومن جمع القرآن عن ظهر قلب، ومن أكثر القوم قراءة، وذلك لا مرأى فيه لمن يعرف حال أبي بكر رضي الله عنه مع شدة حرصه على تلقي القرآن من النبي ﷺ، وفراغ باله له وهما بمكة، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى بينت عائشة أن النبي ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية^(٣) فماذا ترى النبي ﷺ كان يفعل إلا بيان آخر ما نزل من الوحي عليه، مع ظهور

(١) المعجم الكبير (١٧ / ٥٧)، مرجع سابق.

(٢) وانظر: سنن القراء ص ١٥، مرجع سابق.

(٣) البخاري (١ / ١٨١)، ابن خزيمة (١ / ١٣٣)، مرجعان سابقان.

اهتمام أبي بكر وحفظه وتلاوته، حتى اتخذ له مسجداً في بيته يقرأ فيه مستعلناً، وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عدة أمور أساسية:

أ- أن أبا بكر كان يحفظ القرآن أولاً بأول، كيف والنبي ﷺ يغدو إليه ويروح، وهل يكون حديث بينهما أهم من الوحي المنزل؟.

ب- أن أبا بكر كان يقرأ القرآن بالترتيل (التجويد) الذي أمر الله به في السورة الثالثة في ترتيب النزول^(١)... وذلك هو الذي أعجب النساء والأطفال وجذبهم نحوه. فهذا حاله رضي الله عنه في مكة من ملازمة النبي ﷺ حتى كان صاحبه الوحيد الذي انفرد بمنقبة مصاحبتة له في هجرته ﷺ بأمر رسول الله ﷺ له، وأما حاله في المدينة من الملازمة فقد وصفها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة في الأمر من أمور المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه^(٢)، وقول عمر (لا يزال) يدل على الاستمرار والديمومة، وأبو بكر في المدينة هو الذي نعتة رسول الله ﷺ بصاحبه مطلقاً (مفرداً معيناً) دون غيره في قوله لعمر بن الخطاب: «فهل أنتم تاركو لي صاحبي» مرتين^(٣) حتى كاد أن يتخذه خليلاً لولا أن الله عزّ وجلّ اتخذ رسوله ﷺ خليلاً...

وبعد هذا البيان لمدى ملازمة أبي بكر وصحبته رسول الله ﷺ تكون هذه هي المقدمة الصغرى في قضيتنا المنطقية، والمقدمة الكبرى هي قول النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»^(٤)، ورواية الحاكم: «يؤم القوم أكثرهم قرآناً»، وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فدل ذلك على أنه كان أقرأهم رضي الله عنه، ونص على حفظه للقرآن أجلّة المحققين منهم: أبو الحسن الأشعري،

(١) انظر: الإتيان (١٦٩)، مرجع سابق.

(٢) ابن حبان ٥ / ٣٧٩، موارد الظمآن ١ / ٩١، مرجع سابق.

(٣) البخاري ٣ / ١٣٣٩، أبو عوانة في مسنده ٤ / ٢٤٠، مرجعان سابقان.

(٤) مسلم ١ / ٤٦٥، المتقى ١ / ٨٥، ابن خزيمة ٣ / ٤، ابن حبان ٥ / ٥٠١، الترمذي ١ / ٤٥٩.

ومكي بن أبي طالب، والداني، ويُستأنس ها هنا بموقفين في تلاوة القرآن لأبي بكر غير ما تقدم تظهر فيهما تلاوة أبي بكر للقرآن الكريم:

الأول: ما أورده البخاري في قصة وفاة النبي ﷺ حيث قال أبو بكر لعمر: «أيها الخالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فنشج الناس ليكون»^(١)... فانظر لشدة الاستحضار عند أبي بكر رضي الله عنه، وهذا استثناس لما نحن بصده وليس استدلالاً.

الثاني: ما جاء من وصف لتلاوة أبي بكر القرآن في صلاته فعن أنس قال: صلّى بنا أبو بكر صلاة الصبح، فقرأ آل عمران فقالوا: كادت الشمس تطلع قال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(٢)، وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: صلّى بنا أبو بكر رضي الله عنه صلاة الصبح، فقرأ بسورة البقرة في الركعتين جميعاً..^(٣) فأين يكون هذا إلا من محفوظه رضي الله عنه، وقد أخذ عمر ذلك منه فعن أبي عثمان النهدي قال: صليت خلف عمر رضي الله عنه الفجر فما سلم

(١) البخاري (٣/ ١٣٤١)، ابن حبان (١٤/ ٥٨٩)، المختارة (٢/ ٢٣٣)، الحاكم (٣/ ١٣٦)، النسائي في الكبرى (٥/ ١٢٥)، مراجع سابقة.

(٢) عبد الرزاق (٢/ ١١٣)، شرح معاني الآثار (١/ ١٨١)، البيهقي في سننه الكبرى (١/ ٣٧٩)، مراجع سابقة.

(٣) ابن أبي شيبة (١/ ٣١٠)، البيهقي في سننه الكبرى (١/ ٣٨٩)، شرح معاني الآثار (١/ ١٨٢)، مراجع سابقة.

حتى ظن الرجال ذوو العقول أن الشمس قد طلعت فلما سلم قالوا: يا أمير المؤمنين كادت الشمس تطلع قال: لو طلعت الشمس لم تجدنا غافلين^(١).

وقد ذكر البعض أن تقديم أبي بكر كان لأجل الفضل والعلم لا القراءة، وللإشارة للخلافة^(٢)، فأما الإشارة للخلافة فصحيح ظاهر، وأما نفي أن يكون أبو بكر أقرأهم فغريب مستبعد؛ فإن قراءة أبي بكر للقرآن كانت مشهورة، وفي حديث تأمين ابن الدغنة لأبي بكر: قالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإننا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وبرز فكان يصلي فيه، وقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين..^(٣) على أن في قبول ذلك القول إبعاد لعالم تطبيق المنهج الشرعي، وهو ادعاء بأن النبي ﷺ يقول قولاً ويعمل بغيره دون صارف، أو بصارف غير ظاهر.

وإنما أطال الباحث النفس في تقرير حفظ أبي بكر للأهمية الشديدة واكتفاء به عن بقية الخلفاء الراشدين الذين قيل بأنهم لم يحفظوا القرآن أو لم يجمعوه، وإنما كان هذا القول وارداً عن بعض التابعين مع الانقطاع وعدم التأكد من صحة سند الرواية.

٢- ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وجعله أبو بكر مساعداً لزيد في جمع القرآن في عهده حيث قال لهما - كما عند ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه -: اقعدا على باب المسجد فممن

(١) عبد الرزاق (٢/ ١١٥)، البيهقي في سننه الكبرى (١/ ٣٧٩).

(٢) انظر: السنة للخلال (٢/ ٣٠٣).

(٣) البخاري (٢/ ٨٠٤)، مرجع سابق.

جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه^(١)، وقد بلغ ذلك من عمر حداً جعل جابر بن عبد الله يقول: «ما رأيت أحداً كان أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله ولا أعلم بالله من عمر»^(٢).

❖ ويؤيد هذا أيضاً حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم أتيت بقدر لبن فشربت حتى إنني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم^(٣)، وهل يكون علم أو عالم بدون حفظ القرآن، وقد قال ابن مسعود: من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين^(٤)، وفي حديث أبي بكر: استخلفت عليهم خير أهلك مع قول النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه كان يصلي الصبح فيقرأ فيها سورة يوسف وسورة الحج قراءة بطيئة^(٥) وعن الأحنف قال: صليت خلف عمر الغداة فقرأ بيونس وهود ونحوهما وعن زيد بن وهب أن عمر قرأ في الفجر بالكهف^(٦).

❖ وانتشر تلاميذ عمر الذين قرأوا عليه فعن زيد بن وهب قال: أتينا ابن مسعود فوجدناه يصلي فانتظرناه حتى فرغ من صلاته فجاءه رجلان قد اختلفا في آية فقرأ أحدهما فقال عبد الله: أحسنت من أقرأك؟ قال: أقراني أبو حكيم المزني، واستقرأ الآخر فقال: من أقرأك فقال أقراني عمر بن

(١) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٨)، مرجع سابق، وفي تحفة الأحوذى (٨/ ٤٠٨)، مرجع سابق: «و رجاله ثقات مع انقطاعه».

(٢) ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٩)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (١/ ٤٣)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٥)، الزهد لابن أبي عاصم (١/ ١٥٧).

(٥) خرج هذه الآثار البيهقي في الكبرى (٢/ ٣٨٩)، مرجع سابق.

(٦) خرج هذه الآثار ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣١٠)، مرجع سابق.

الخطاب فبكي عبد الله حتى خضبت دموعه الحصى ثم قال: اقرأ كما أقرأك
عمر ثم دور دارة بيده ثم قال: إن عمر كان حصناً حصيناً للإسلام يدخل
الناس منه، ولا يخرجون منه فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون
منه ولا يدخلون^(١).

وقد ثرّب الإمام أبو القاسم الهذلي على ابن قتيبة في كونه لم يذكر أبا بكر
وعمر في جملة الحفظة فقال: «و قد تجاوز ابن قتيبة حين قال توفي أبو بكر وعمر ولم
يكمل القرآن»^(٢).

٣- وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه:

فأمراه أشهر من أن يذكر، وهو مجمع على حفظه القرآن الكريم، وقد ذكره
الذهبي في طبقاته في القراء كأول صحابي^(٣).

٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وقد ذكره الذهبي - رحمه الله تعالى - في جملة من حفظ القرآن من الصحابة في
أول كتابه (طبقات القراء)، وقد ذكر عن علي رضي الله عنه جمعه للقرآن فور وفاة
النبي ﷺ كما ذكر ذلك ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ
أقسم علي ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل
إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا! والله إلا إني أقسمت
ألا أرتدي برداء إلا لجمعة فبايعه ثم رجع^(٤)... ولكن ابن أبي داود ضعف هذه
الرواية، وقال: «لم يذكر المصاحف أحد إلا الأشعث، وهو لين الحديث، وإنما روي
حتى أجمع القرآن، يعني أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن»،

(١) الطبراني في الكبير (٩ / ١٦٢)، مرجع سابق.

(٢) الكامل ص ٣٨ وجه ب، مرجع سابق.

(٣) معرفة القراء الكبار (١ / ٢٤)، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي داود في المصاحف (١ / ١٨٠).

وقال ابن حجر: «و بتقدير صحته فمراده بجمعه حفظه في صدره»^(١). وبمثل هذه الرواية اعتمد من زعم أن علياً لم يجمع القرآن، ولكن الذي لا مرأى فيه أن لزوم ابن عم رسول الله ﷺ علياً لرسول الله ﷺ مسألة لا تستحق النقاش، ووافر ذاكرته حيث أسلم وهو صغير دال على صفاء نفسه وقريحته، وقد كان هو المبلغ عن رسول الله ﷺ في حجة العام التاسع بسورة براءة، وهي من آخر ما نزل^(٢)، وهو من كتاب الوحي المعدودين... كل هذا يرجح لنا حفظه للقرآن قبل، وإنما تحمل الرواية المقبولة منها على محمل آخر عند المؤلف هو أن يراجع علي القرآن بعد أن وثق أنه قد كمل، وأن الوحي قد انقطع، وهذا اللائق به، وبيئته المحيطة.

٥- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

وتقدم تقرير حفظه في الكلام على العرضة الأخيرة من الفصل الثاني، وقد اشتهر بذلك بين الصحابة فعن قيس بن أبي حازم قال سئل علي عن عبد الله بن مسعود فقال: قرأ القرآن ووقف عند متشابهه وأحل حلاله وحرم حرامه..^(٣)، وقد قرأ على النبي ﷺ حباً من النبي ﷺ لسماعه، «فقرأ ابن مسعود عليه في هذا الموضع لإسماعه إياه لا لأجل التصحيح والتلقين»^(٤)، وحسب ابن أم عبد أن يكون أستاذ معاذ بن جبل إمام العلماء.

وشأنه في الترتيل وجودة الأداء عظيم كأنه يقرأ الوحي غصاً طرياً كما قرر ذلك النبي ﷺ، وعن أبي عثمان النهدي: صلى بنا ابن مسعود المغرب ب «قل هو الله أحد» والله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله^(٥).

(١) فتح الباري (٩ / ١٢)، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري (٤ / ١٧٠٩)، ابن حبان (١٥ / ١٧)، مرجعان سابقان.

(٣) انظر: مجمع الزوائد (٩ / ١٥٧)، مرجع سابق.

(٤) ابن تيمية (١٦ / ٤٨٢)، مرجع سابق.

(٥) ابن أبي شيبه (١ / ٣١٤)، خلق أفعال العباد ص ٧٢، مرجعان سابقان.

❖ وكان له أسلوبه البديع في إقراء الناس فعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرئ الرجل الآية ثم يقول: هي خير مما طلعت عليه الشمس أو مما على الأرض من شيء حتى يقول ذلك في القرآن كله، وفي رواية كان ابن مسعود إذا أصبح أتاه الناس في داره فيقول: على مكانكم ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن فيقول: أيا فلان بأي سورة أتيت؟ فيخبره في أي آية يفتح عليه الآية التي تليها ثم يقول: تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض. قال: فنظر الرجل آية ليس في القرآن خير منها ثم يمر بالأخرى فيقول آية مثل ذلك حتى يقول ذلك لكلهم^(١).

❖ وقد ورث علمه لتلامذته، فقد مر خباب بن الارت بجلقته فقال: يا أبا عبد الرحمن! أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ؟ قال: أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك قال: اقرأ يا علقمة...، فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن. قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقي؟ قال: أما إنك لن تراه علي بعد اليوم فألقاه^(٢).

٦- أبي بن كعب رضي الله عنه:

سيد القراء وإمامهم، وقد قرأ عليه النبي ﷺ بصفة خاصة فقال له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» قال: الله سماني لك؟ قال الله: «سماك لي» قال: فجعل أبي يبكي^(٣)، ومن حكم قراءة النبي ﷺ على أبي أن ينبه «الناس على فضيلة أبي في ذلك، ويحثهم على الأخذ منه، وكان كذلك فكان بعد النبي ﷺ رأساً وإماماً

(١) عبد الرزاق (٣/ ٣٦٧)، الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٥)، مرجعان سابقان وانظر مجمع الزوائد (٧/ ١٦٦)، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٥٩٥)، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١/ ٥٥٠)، البخاري (٤/ ١٨٩٦)، مرجع سابق.

مقصوداً في ذلك مشهوراً به»^(١)، وعن عاصم بن بهدلة قال: قلت للطفيل بن أبي بن كعب: إلى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله له أمرت أن أقرأ القرآن عليك فقال ليقرأ علي فأخذوا ألفاظه^(٢)، وذلك «لفضيلة أبي واختصاصه بعلم القرآن»^(٣).

٧- وكان أبو عبيدة بن الجراح معدوداً:

فيمين جمع القرآن العظيم^(٤) وحسبنا به معلماً لأهل اليمن (نجران) للقرآن الكريم، وكان معلماً للقرآن في المدينة فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ادفعني إلى رجل حسن التعليم فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم قال: «قد دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك»^(٥)..

٨- ومنهم عبد الرحمن بن عوف:

فقد أم بالنبي ﷺ فعن المغيرة بن شعبة قال: عدل رسول الله ﷺ وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر فعدلت معه... فأقبلنا نسير حتى نجد الناس في الصلاة قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حين كان وقت الصلاة ووجدنا عبد الرحمن قد ركع بهم ركعة من صلاة الفجر فقام رسول الله ﷺ مع المسلمين وراء عبد الرحمن بن عوف. لما سلم رسول الله ﷺ قال لهم أحسستم أو قد أصبتم^(٦). فما لهم يقدمون ابن عوف إلا لاستحقاقه ذلك؟.

(١) شرح النووي (١٦ / ١٩)، مرجع سابق.

(٢) السبعة ص ٥٥، مرجع سابق.

(٣) ابن تيمية (١٦ / ٤٨٢)، مرجع سابق.

(٤) سير أعلام النبلاء (١ / ٨)، مرجع سابق.

(٥) الطبراني في الكبير (١ / ١٥٧)، مرجع سابق، وانظر: مجمع الزوائد (٥ / ١٨٩)، مرجع سابق.

(٦) ابن حبان (٥ / ٦٠٣).

٩- سالم مولى أبي حذيفة:

وهو من المذكورين في حديث «خذوا القرآن...»، وقد قال النبي ﷺ فيه لحسن صوته: «الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا»^(١).

١٠- ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

فقد قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال أقرأه في شهر... الحديث^(٢).

١١- أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

وقد تقدم ذكر عدد من جمع عليه القرآن، ومن تلاميذه عامر بن عبد قيس، وكان مشهوراً بالإقراء فعن الحسن قال: كان عامر بن عبد قيس إذا صلى الصبح تنحى في ناحية المسجد فقال: من أقرئه؟ قال: فيأتي قوم فيقرئهم حتى إذا طلعت الشمس وأمكنت الصلاة قام يصلي إلى أن يتتصف النهار ثم يرجع إلى منزله فيقبل ثم يرجع إلى المسجد إذا زالت الشمس فيصلي حتى يصلى الظهر، ثم يصلى حتى يصلي العصر، فإذا صلى العصر تنحى في ناحية المسجد ثم يقول: من أقرئه؟ قال: فيأتيه قوم فيقرئهم حتى إذا غربت الشمس صلى المغرب ثم يصلي حتى يصلي العشاء الآخرة، ثم يرجع إلى منزله فيتناول أحد رغيفيه، فيأكل ثم يضطجع هجعة خفيفة ثم يقوم فإذا كان السحر تناول رغيفه الآخر، فيأكله ثم يشرب عليه شربة من ماء ثم يخرج إلى المسجد^(٣).

(١) ابن ماجه (١/ ٤٢٥)، مرجع سابق، وقال في مصباح الزجاجه (١/ ١٥٨)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح».

(٢) ابن حبان (٣/ ٣٣)، النسائي في الكبرى (٥/ ٢٤)، ابن ماجه (١/ ٤٢).

(٣) الزهد لابن أبي عاصم ص ٢٢٤، مرجع سابق.

١٢- أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

فقد أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله خمسة من الأنصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري^(١)، وقد أراد عمر إرساله إلى الشام ليقرئ أهلها، فلما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني برجال يعلمونهم فدعا عمر الخمسة فقال: إن إخوانكم قد استعانوني من يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتسأهم هذا شيخ كبير لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم لأبي فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بجمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتهم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين^(٢).

١٣- عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

كما تقدم، وهو من الذين كانوا يقرئون القرآن على عهد رسول الله ﷺ أهل الصفة.

١٤- أبو الدرداء رضي الله عنه:

كالسابق، وكان أبو الدرداء مقرئ الشام ورئيساً لجامعة قرآنية عظيمة، وسنذكر طرفاً من كيفية إقرائه ليستبين كيف كان يأخذ أهل الشام عنه وكيف سادت قراءته: فقد قال سويد بن عبد العزيز التنوخي: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، ويجعل على كل

(١) فتح الباري (٩/ ٥٣)، مرجع سابق.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦ و ٢/ ٣٤٤)، مرجع سابق.

عشرة منهم عريفاً، ويقف هو قائماً في الحراب يرمقهم ببصره وبعضهم يقرأ على بعض، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك. وكان ابن عامر عريفاً على عشرة، وكان كبيراً فيهم، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر، وقام مقامه مكانه، وقرأ عليهم جميعهم فاتخذاه أهل الشام إماماً، ورجعوا إلى قراءته، وعن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفاً وستمئة ونيفاً، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً يستفتونه في حروف القرآن، فإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء، فقد بلغ تلاميذه ألفاً وستمئة ونيفاً يقرئهم جميعاً في يوم واحد بطريقة فذة، كأنه أسس بها جامعة قرآنية لها نظمها الإدارية المختلفة^(١).

١٥- معاذ بن جبل رضي الله عنه:

وهو الذي ورد في حديث أنس وعبد الله بن عمرو السابقين، وقد كان شيخ الناس في القرآن وإمام العلماء، والناس يصدرون عنه لولا أنه لم يعمر فعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد حمص فإذا حلقة فيها نيف وثلاثون رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فجعل الرجل يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا وينصت له الآخرون، وفيهم فتى أدعج براق الثنايا فإذا اختلفوا في شيء انتهوا إلى قوله، فلما انصرفت إلى منزلي بت بأطول ليلة قلت: جلست في مجلس فيه كذا وكذا من أصحاب النبي عليه السلام لا أعرف منازلهم، ولا أسماءهم، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد فإذا الفتى الأدعج قاعد إلى سارية فجلست إليه: فقلت: إني أحبك لله تعالى قال: فأخذ بجبوتي ثم قال: الله إنك لتحبني في الله؟ قلت: الله إني لأحبك في الله تبارك وتعالى. قال: أفلا أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون في

(١) جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٤٥٤)، مرجع سابق، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٣)، مرجع سابق.

اللَّهِ يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»، فبينما نحن كذلك إذ مر رجل ممن كان في الحلقة فقمتم إليه فقلت: إن هذا حدثني حديثاً عن رسول الله ﷺ فهل سمعته؟ قال: ما كان ليحدثك إلا حقاً فما هو؟ فأخبرته فقال: سمعت هذا من رسول الله ﷺ وما هو أفضل منه. قلت: يرحمك الله وما الذي أفضل منه؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يَأْثُرُ عن الله تعالى: «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في» قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عبادة بن الصامت. قلت: فمن الفتى؟ قال: معاذ بن جبل (١).

ولكنه تتلمذ على يد ابن مسعود رضي الله عنه ابتداءً: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء معاذ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقرئني. فقال رسول الله ﷺ: «أقرئه» فأقرأته ما كان معي ثم اختلفت أنا وهو إلى رسول الله ﷺ فقرأه معاذ فكان معلماً من المعلمين على عهد رسول الله ﷺ (٢).

١٦ - خباب بن الأرت رضي الله عنه:

وكان مقرئاً من أوائل البعثة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من بني زهرة لقي عمر قبل أن يسلم وهو متقلد بالسيف فقال: إلى أين تعمد؟ قال: أريد أن أقتل محمداً قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن خنتك سعيداً وأختك قد صبوا وتركا دينهما الذي هما عليه. قال: فمشى عمر إليهم ذامراً حتى إذا دنا من الباب قال: وكان عندهما رجل يقال له خباب يقرئهما سورة طه فلما سمع خباب بحس عمر دخل تحت سرير لهما.. (٣). الحديث.

(١) المختارة (٨ / ٣٠٩)، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٦ / ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٤ / ٧٤)، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٤ / ٦٥)، مرجع سابق.

ويتضح مدى حفظ خباب من إحالة ابن مسعود عليه فقد جاءه بعضهم فسأله أن يقرأ عليهم طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت، فأتينا خباب ابن الأرت فقرأها علينا^(١)، وحكم على مدى جودة وحفظ أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه.

١٧- أسيد بن حضير:

وقد كان من القراء المعدودين المشهورين في عهد النبي ﷺ فعن أسيد بن حضير أنه قال: يا رسول الله بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسي انطلق فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا أبا عتيك فالتفت فإذا مثل المصباح ملئ بين السماء والأرض ورسول الله ﷺ يقول: «اقرأ يا أبا عتيك» فقال: يا رسول الله فما استطعت أن أمضي فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب»^(٢)، وقد كان شديد التأثر بالقرآن فعن عائشة أنها قالت: كان أسيد بن حضير من أفاضل الناس، وكان يقول: لو أكون كما أكون على حال من أحوال ثلاث لكنت من أهل الجنة وما شككت في ذلك: حين أقرأ القرآن، أو حين أسمعه يُقرأ، وإذا سمعت بخطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة... وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي سوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه^(٣) وفي ترجمة إبراهيم بن جابر الصحابي: أنه كان من جملة العبيد الذين نزلوا على النبي ﷺ أيام حصاره الطائف فأعتقه وبعثه إلى أسيد بن حضير وأمره أن يمونه ويعلمه.

(١) أحمد (١/ ٤١٩).

(٢) ابن حبان (٣/ ٥٨)، مرجع سابق.

(٣) الضياء في المختارة (٤/ ٢٧٥)، مرجع سابق.

١٨ - مصعب بن عمير رضي الله عنه:

فقد كتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله ﷺ ابعث إلينا مقرئاً يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري، فنزل على أسعد بن زرارة فكان يقرئهم القرآن فروى بعضهم أن مصعباً كان يجمع بهم ثم خرج مع السبعين حتى وافوا الموسم مع رسول الله ﷺ^(١)، وعن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإمام يقرئ: قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل^(٢).

«وكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة، وفي الاستبصار لابن قدامة المقدسي لما قدم مصعب بن عمير المدينة نزل على أسعد بن زرارة فكان يطوف به على دور الأنصار يقرئهم القرآن ويدعوهم إلى الله عز وجل فأسلم على يديهما جماعة منهم سعد بن معاذ وأسد بن حضير وغيرهما»^(٣).

١٩ - عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه: وما سبق يدل على ذلك، وهو صاحب قصة عبس... وهنيئاً له مقامه.

٢٠ - عثمان بن أبي العاص:

وتقدمت قصته في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وكانت تعرض المصاحف عليه للتصحيح فعن أبي نضرة قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٣/ ١٤٢٨)، مرجع سابق.

(٣) (الكتاني) عبد الحي الإدريسي الحسني الفاسي: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (١/ ٤٠)،

دار الكتاب العربي - بيروت.

لنعرض مصحفاً لنا بمصحفه فجلسنا إلى رجل يحدث ثم جاء عثمان بن أبي العاص فتحولنا إليه ^(١).

ومن أخباره رضي الله عنه: أنه تزوج امرأة من نساء عمر بن الخطاب فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة في مال ولا ولد ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر رضي الله عنه فسألها كيف كانت صلاة عمر بالليل قالت: كان يصلي العتمة ثم يأمر أن نضع عند رأسه تورا من ماء نغطيه ويتعار من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر ثم يتعار مراراً حتى يأتي على الساعة التي يقوم فيها لصلاته ^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ على المنبر ومعه كتاب فقال: لأعطين هذا الكتاب رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قم يا عثمان بن أبي العاص فقام عثمان بن أبي العاص فدفعه إليه ^(٣)، وعن أبي نضرة قال: أتيت عثمان بن أبي العاص في أيام العشر وكان له بيت قد أخلاه للحديث فمر عليه بكبش فقال لصاحبه: بكم أخذته؟ فقال: باثني عشر درهماً فقلت: لو كان معي اثنا عشر درهماً اشتريت بها كبشاً فضحيت وأطعمت عيالي فلما قدمت اتبعني بصرة فيها خمسون درهماً فما رأيت دراهم قط كانت أعظم بركة منها أعطاني وهو لها محتسب وأنا إليها محتاج ^(٤)، وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي: أن النبي ﷺ قال له: «أم قومك» قال قلت: يا رسول الله إني أجد في نفسي شيئاً قال أدنه فجلسني بين يديه ثم وضع كفه في

(١) ابن أبي شيبة (٧ / ٤٩١)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الكبير (٩ / ٤٤٣)، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (٩ / ٧٣)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٣) الطبراني في الأوسط (١ / ٢٣٩)، مسند الحارث (٢ / ٦٢٤)، مرجعان سابقان، وانظر: مجمع الزوائد (٩ / ٣٧١)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني (٩ / ٤٢)، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (٩ / ٣٧١)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

صدري بين ثديي ثم قال تحول فوضعها في ظهري بين كتفي ثم قال: أم قومك..^(١)..

٢١- غيرهم رضي الله عنه:

١- عمرو بن سلمة: وتقدمت قصته في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

٢- شريح الحضرمي: كان من أفضل أصحاب النبي ﷺ^(٢)، فعن السائب بن يزيد أن شريحاً الحضرمي ذكر عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا يتوسد القرآن»^(٣).

٣- سعد بن المنذر الأنصاري: وقد قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث قال نعم قال وكان يقرؤه حتى توفي^(٤).

٤- عبد الله بن سعد بن خيثمة كنيته أبو خيثمة الأوسي الأنصاري ممن شهد بدرًا والعقبة وجوامع المشاهد وكان من المعدودين في القراء والمشهورين في البراز توفي بالمدينة^(٥).

٥- أبو زيد المذكور في حديث أنس: وليس هو سعد بن عبيد بن النعمان لأن هذا أوسي وأنس خزرجي وقد قال: إنه أحد عمومته وعند ابن أبي داود بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن

(١) مسلم (١/ ٣٤١)، مرجع سابق.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٠٢)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٣) أحمد ٣/ ٤٤٩، النسائي في الكبرى ١/ ٤١٢، والصغرى ٣/ ٢٥٦، مراجع سابقة.

(٤) الطبراني في الكبير (٦/ ٥١)، الزهد لابن المبارك ص ٤٥٢، مرجعان سابقان، وصرح ابن لهيعة في إسنادهما بالتحديث.

(٥) مشاهير علماء الأمصار (١/ ٢٦)، مرجع سابق.

السكن قال وكان رجلاً منا من بني عدي بن النجار أحد عمومتي ومات ولم يدع عقبا ونحن ورثناه، وكان عقيباً بديراً^(١).

٦- سعد بن عبيد: وهو الذي قال فيه أبو أحمد العسكري: لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد وقال ابن حبيب في المحبر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ^(٢)، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان سعد بن عبيد يسمى على عهد رسول الله ﷺ القاري^(٣).

٧- قيس بن أبي صعصعة: ذكره ابن أبي داود فيمن جمع القرآن وهو خزرجي يكنى أبا زيد^(٤).

٨- ثابت بن قيس بن شماس: وأخرج أبو داود من طريق مرسلته قال النبي ﷺ: «ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصاييح»^(٥).

٩- سلمان الفارسي: فعن خلود العصري قال لما ورد علينا سلمان أتيناها لنستقرئه فقال إن القرآن عربي فاستقرئوه عربياً فكان زيد بن صوحان يقرئنا فإذا أخطأ أخذ عليه سلمان وإذا أصاب قال: أيم الله^(٦).

١٠- زياد بن لييد الأنصاري البياضي: من بني بياضة بن عامر بن زريق قال الواقدي: خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ

(١) فتح الباري (٩/ ٥٣)، وانظر: الإتيقان (١/ ١٩٥)، مرجعان سابقان.

(٢) الإتيقان (١/ ١٩٥)، مرجع سابق.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٦/ ٥٣) مرسلأ، مرجع سابق، وانظر: مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٢)، مرجع سابق.

(٤) فتح الباري (٩/ ٥٣)، مرجع سابق. ملحوظة مهمة: وجدت أن ابن حجر في الفتح والسيوطي في الإتيقان يعزوان لابن أبي داود ما ليس في كتابه المصاحف، والظاهر أن عزوهما غير المصرح به إنما هو لكتاب الشريعة إما شريعة المقاري وهو الأرجح كما يظهر من اسمه، وإما شريعة التفسير، وله ثالث هو كتاب فضائل القرآن، ورابع هو كتاب نظم القرآن - انظر: كتاب المصاحف (١/ ٥٧)... فيحتمل العزو لها جميعاً.

(٥) تحفة الأحوذى (٨/ ١٥٧)، مرجع سابق.

(٦) ابن أبي شيبة (٦/ ٤١٠)، مرجع سابق.

إلى المدينة فكان يقال لزياد مهاجري أنصاري شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله ﷺ على حضرموت^(١) وقد ورد ما يشير إلى تقدمه وحفظه فعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء» فقال زياد بن ليبيد الأنصاري: يا رسول الله! وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فو الله لنقرانه ولتقرئته نساءنا وأبناءنا، وفي لفظ للحاكم: قال زياد: بأبي وأمي وكيف يذهب أوان العلم ونحن نقرأ القرآن ونعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم إلى أن تقوم الساعة فقال: «ثكلتك أمك يا زياد إني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذا التوراة والإنجيل ثم اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم»^(٢).

١١- ومنهم وبر بن مشهر الحنفي: فعنه رضي الله عنه أن مسيلمة بعثه هو وابن سعاف الحنفي وابن النواحة حتى قدموا على رسول الله ﷺ قال وبر بن مشهر رضي الله عنه: كانا هما أسن مني فتشهدا أنه رسول الله ﷺ وأن مسيلمة من بعده قال فأقبل علي رسول الله ﷺ فقال: «بم تشهد يا غلام؟» فقلت: أشهد بما شهدت به وأكذب بما كذبت به قال: «فإني أشهد عدد ترب الدهناء وترب يثرب أن مسيلمة كذاب». قال وبر رضي الله عنه: شهدت بما شهدت به. فقال رسول الله ﷺ: «خذوهما» قال فأخذنا فأخرج بهما إلى البيت يجلسان فقال رجل: هبهما لي يا رسول الله ففعل فأخرجنا وأقام وبر بن مشهر ثم رسول الله ﷺ يتعلم القرآن حتى قبض رسول الله ﷺ ورجع أصحابه فلما توفي رسول الله ﷺ قدم وبر رضي الله عنه فنزل على أمه بعرقبا فسمع به مسيلمة فأرسل إليه فقال: لا يراني الله تعالى أمشي إليه أبداً فأرسل إليه إذا لأدمينك في حجر أمك فأبى

(١) الاستيعاب (٢/ ٥٣٣)، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (١/ ١٧٩)، الترمذي (٥/ ٣١)، مرجعان سابقان.

فأصرف عنه حتى جاء خالد بن الوليد رضي الله عنه فغزاه وغزا معه وقتل مسيلمة وخرج وبر..^(١)..

١٢- وهناك أسماء أخرى غير مشهورة ومنها: أبان بن سعيد بن العاص فقد ذكر ابن حجر في الإصابة عن الواقدي أن صحابياً يقال له وردان أسلمه النبي ﷺ إلى أبان بن سعيد بن العاص ليمونه ويعلمه القرآن^(٢)... ويؤكد هذا استعمال عثمان لأبان في نسخ المصاحف.

١٣- وذكر في التراتيب الإدارية^(٣) عدداً من المعلمين للقرآن على عهد النبي ﷺ، والأصل في معلم القرآن أن يكون حافظاً له على ما هو معلوم، فمنهم: رافع بن مالك الأنصاري ترجمه في الإصابة فذكر عن ابن إسحاق أنه أول من قدم المدينة بسورة يوسف، وأن الزبير بن بكار روى في أخبار المدينة أن رافعاً لما لقي المصطفى ﷺ بالعقبة أعطاه ما أنزل إليه في العشر سنين التي خلت فقدم به رافع إلى المدينة ثم جمع قومه فقرأ عليه في موضعه قال وعجب المصطفى ﷺ من اعتدال قلبه^(٤).

١٤- ومنهم خالد بن سعيد بن العاص ففي ترجمة لأزرق بن عقبة الثقفي من عبيد الحارث بن كلدة الثقفي أنه ممن نزل على النبي ﷺ في حصار الطائف وأنه أسلم وأعتقه وسلمه لخالد بن سعيد بن العاص ليمونه ويعلمه^(٥).

(١) الأحاد والمثاني (٣/ ٣٠٨)، مرجع سابق، وانظر ترجمته في الإصابة (٦/ ٥٩٨)، مرجع سابق.

(٢) الإصابة (٦/ ٦٠٢)، مرجع سابق.

(٣) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (١/ ٤٤)، مرجع سابق.

(٤) الإصابة (٢/ ٤٤٤).

(٥) الإصابة (١/ ٤٦).

١٥- ومنهم عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري قال في الاستبصار في أنساب الأنصار: استعمله رسول الله على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر^(١).

١٦- وذكر أبو القاسم الهذلي منهم أيضاً غير من تقدم: طلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وأبو برزة، ومعاوية بن أبي سفيان^(٢).

١٧- وقد يقال بأن حارثة بن النعمان منهم: فعن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال: دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا؟ فقيل: «حارثة بن النعمان» فقال رسول الله ﷺ: «كذلكم البر» وكان براً بأمه، وفي لفظ: كان أبر الناس بأمه^(٣).

١٨- ومن النساء الحافظات في عهد رسول الله ﷺ عائشة ولذا كانت تضبط الآيات وعددها: فعنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالساً فيقرأ وهو جالس فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك^(٤)، وهي نفت عن نفسها الحفظ الكامل في أوائل زواجها برسول الله ﷺ حين رميت بجادث الإفك إفكاً وزوراً وهي الطاهرة المطهرة فقالت: «فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن»^(٥)، والنبي ﷺ إنما توفي بعد حادثة الإفك بخمس سنوات على الأقل... فعائشة العالمة التي يصدر عن فتواها كبار الأئمة من الصحابة أفما كانت تحفظ القرآن؟.

(١) نظام الحكومة النبوية المسمى الترتيب الإدارية (١ / ٤٤)، مرجع سابق.

(٢) الكامل ص ٤٠ وجه ب، وكذا عددهم الكردي في تاريخ القرآن ص ٦٩. انظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ٨.

(٣) الإصابة (١ / ٦١٨)، مرجع سابق، وقال ابن حجر: «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (١ / ٣٧٦)، مسلم (١ / ٥٠٥)، مرجعان سابقان.

(٥) مسلم (٤ / ٢١٣٥)، ابن حبان (١٠ / ٢٠)، مرجعان سابقان.

١٩- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٢٠- وأم سلمة: ويدل على ذلك شدة عنايتهن باتخاذ المصاحف.

وتعلمت حفصة الكتابة من الشفاء بنت عبد الله فعن الشفاء قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»^(١).

٢١- أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث: فقد كان رسول الله ﷺ يقول عنها: انطلقوا بنا نزور الشهيدة وأذن لها أن يؤذن لها مؤذن، وأن تؤم أهل دارها في الفريضة وكانت قد جمعت القرآن^(٢)، وكان من شأنها: أن رسول الله ﷺ كان يزورها ويسميها الشهيدة ولما غزا رسول الله ﷺ بدرأ قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم، وأمراض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة قال: «إن الله مهد لك شهادة»، وكان قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فغمها غلام لها وجارية كانت دبرتهما فقتلها في إمارة عمر فقال عمر صدق رسول الله كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

٢٢- أم هشام بنت حارثة بن النعمان فعنها قالت: لقد مكثنا سنة أو سنتين كان تتورنا وتتور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق والقرآن المجيد إلّا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرأ بها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس وفي لفظ: كان يعلم الناس يقرأها كل جمعة على المنبر^(٣).

وهل يفهم من كلامها حفظها الكامل للقرآن الكريم، أو جعل الحفظ بدهية في حياتها؟ احتمال.

(١) أبو داود (٤/ ١١)، النسائي في الكبرى (٤/ ٣٦٦)، مرجعان سابقان.

(٢) ابن خزيمة (٣/ ٨٩)، البيهقي في الكبرى (٣/ ١٣٠)، مرجعان سابقان.

(٣) مسلم (٢/ ٥٩٥)، الحاكم (١/ ٤٢١)، المسند المستخرج على مسلم (٢/ ٤٥٨).

وأما بعد النبي ﷺ فقد كثرت الحافظات من التابعيات، ومن أشهرهن: حفصة بنت سيرين أم الهذيل الفقيهة الأنصارية روت عن أم عطية، وروي عن إياس بن معاوية قال: ما أدركت أحداً أفضله عليها، وقال: قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة وعاشت سبعين سنة فذكروا له الحسن وابن سيرين فقال: أما أنا فما أفضل عليها أحداً^(١).

٢٣- وعدّ ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري، وعقبة بن عامر، ومن الأنصار معاذاً الذي يكنى أبا حليلة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي ﷺ وعدّ بعض المتأخرين من القراء سعد بن عبادة^(٢).

٢٤- ولما تقدم فقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي ﷺ فعّد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالمًا وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة^(٣).
فعدة المذكورين من المشتهرين بأنهم أئمة للقراءة والإقراء نافت على خمسين صحابياً.

ولو ذهب المرء يعدد المشهورين بالحفظ بعد النبي ﷺ من الصحابة فإنهم سيستطيون إلى المئات... وهناك من القراء الذين لم تعرف أسماء كثير منهم: أصحاب بئر معونة، وأصحاب اليمامة، وكثير من أهل أحد... فذلك ما لا يقل عن مائة وعشرين حافظاً بالإضافة إلى هؤلاء الخمسين.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧)، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩/ ٥٢)، مرجع سابق.

(٣) الإقنآن (١/ ١٩٥)، ونقل ذلك صاحب مناهل العرفان (١/ ١٦٩)، مرجعان سابقان.

لا تنافي بين ذكر هذا العدد الكثير وما اشتهر من قلة حفاظ الصحابة رضي الله عنهم:

«لا تنافي بين ذكر هذا العدد الكثير المصرح باسمه وبين ما اشتهر من الذين جمعوا القرآن هم عشرة؛ إذ قد وجه البعض هذه الشهرة بأنها محمولة على جمعهم له بأوجه القراءات والسبعون من أصحاب بئر معونة، وغيرهم من المذكورين تصريحاً أو تلميحاً مما سبق كانوا يحفظونه بدون أوجه القراءات، وقد نظم بعضهم العشرة فقال:

لقد جمع القرآن في عهد أحمد علي وعثمان وزيد بن ثابت
أبيّ أبو زيد معاذ وخالد تميم أبو الدرداء وابن لصامت^(١)
وعند الباحث أن هؤلاء العشرة تفرغوا للإقراء واشتهروا به بخلاف غيرهم
الذين شُغلوا بأمور أخرى.

ولن يتوسع البحث في الكلام عن الطبقة الثانية من الصحابة وهم الذين أخذوا عن الصحابة رضي الله عنهم، وما أكثرهم - فضلاً عن التابعين - والإحصاء المذكور عن تلاميذ أبي موسى يوضح الانتشار الهائل للقرآن الكريم، ومن هؤلاء الصحابة من ذكرهم الذهبي في الطبقة الثانية في طبقاته كأبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب بن أبي السائب مقرئ مكة، وهو من صغار الصحابة^(٢) وقال فيه مجاهد: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبد الله بن السائب^(٣).

(١) حاشية البجيرمي على تحفة الطلاب (١/ ٢٠٨)، مرجع سابق.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٨)، مرجع سابق.

(٣) ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٩)، مرجع سابق.

المبحث الرابع:

تعليمه ﷺ جمع القرآن

والمراد بالجمع هنا هو كتابة آيات القرآن وترتيب سورته عند كتابته، وقد يطلق على هذا الباب من العلم تأليف القرآن كما قال الإمام البخاري «باب تأليف القرآن أي جمع آيات السورة الواحدة أو جمع السور مرتبة في المصحف»^(١)، وقد استعملت كلمة تأليف فيما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقراً ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١] قال: قلت كاهن قال: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤١﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٣﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٥﴾ فَمَا يَنْكُرُونَ أَعْلِيَّعَهُ حَجْرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢ - ٤٧] إلى آخر السورة قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^(٢)، وتنحصر معالم تعليمه ﷺ لهذا الموضوع في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ كتابة القرآن.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ ترتيب آيات القرآن الكريم، وسوره.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ تحزيب القرآن.

المطلب الرابع: تعليمه ﷺ عد الآي (علم الفواصل).

(١) فتح الباري (٩ / ٣٩)، مرجع سابق.

(٢) أحمد (١ / ١٧)، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (٩ / ٦٢).

وغير غائب عن القارئ الكريم أن هذه المطالب تمثل تأصيلاً لعلوم مستقلة من علوم القراءة.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ كتابة القرآن

١- أمرهم النبي ﷺ بكتابة القرآن، وتطبيق المقتضى الفعلي لتسميته كتاباً مع أنه لم يكن كاتباً ﷺ، واشتد في ذلك حتى منع ابتداء من كتابة غير القرآن معه فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»^(١)، وقد استقر الاصطلاح الكتابي نسبياً إلى عهد البعثة كما جاء عن زياد بن أنعم المعافري قال: قلت لعبد الله بن عباس: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرقون ما افرق هجاء بالألف واللام والميم، والشكل والقطع، وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله النبي ﷺ؟ قال: نعم^(٢)...

٢- علمهم النبي ﷺ تسمية ما يكتب فيه القرآن بالصحف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] «يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن، ويدل على ذلك أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب»^(٣)، وفي ذلك تعليم ظاهر بأن يكتب القرآن في صحف.

٣- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع..^(٤)..

(١) مسلم (٤/ ٢٢٩٨)، الحاكم (١/ ٢١٦)، ابن حبان (١/ ٢٦٥)، المختارة (٩/ ٨٢)، مراجع سابقة.

(٢) المحكم (١/ ٢٦)، مرجع سابق.

(٣) فتح القدير (٥/ ٤٧٥)، مرجع سابق.

(٤) ابن حبان (١/ ٣٢٠)، الحاكم (٢/ ٢٤٩)، الترمذي (٥/ ٧٣٤)، أحمد (٥/ ١٨٤)، مراجع سابقة.

٤- وأنكر عليهم ﷺ ابتداء الكتابة لغير القرآن بصيغ أشد فعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما قالوا: خرج رسول الله ﷺ معصوباً رأسه فرقي المنبر فقال: «ما هذه الكتب التي يبلغني أنكم تكتبونها؟ أكتب مع كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لكتابه فيسري عليه ليلاً فلا يترك في ورقة ولا في قلب منه حرفاً إلا ذهب به» فقال بعض من حضر المجلس: فكيف يا رسول الله بالمؤمنين والمؤمنات؟ قال: «من أراد الله به خيراً أبقى في قلبه لا إله إلا الله»^(١)، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة»^(٢)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا فقال: «ما هذا تكتبون» فقلنا: ما نسمع منك. فقال: «أكتب مع كتاب الله امحضوا كتاب الله وأخلصوه» قال: فجمعنا ما كتبناه في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار..^(٣)

جمع القرآن في عهد النبي ﷺ:

وهذه الأدلة المتعاضدة بصحتها وسقيمتها تدل على أن تأليف القرآن من الرقاع أي جمعه كان أمراً معتاداً في حياة النبي ﷺ كما تدل عليه لفظة (كنا)، وهو ما يعني أن القرآن قد أُلّف في حياة النبي ﷺ أي جُمع.

الإذن لهم بكتابة غير القرآن:

١- ثم أذن لهم النبي ﷺ بكتابة غير القرآن من بعد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي وأستاذن

(١) الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٨٨)، مرجع سابق، وانظر: مجمع الزوائد (١/ ١٥١)، مرجع سابق.

(٢) الدارمي (١/ ١٣٥)، الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٩).

(٣) أحمد (٣/ ١٢)، مرجع سابق.

رسول الله ﷺ في الكتابة عنه فأذن له^(١)، وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقالوا: «تحدثوا وليتبعوا من كذب علي مقعده من جهنم» قلت: يا رسول الله! إنا نسمع منك أشياء فنكتبها. قال: «اكتبوا ولا حرج»^(٢).

٢- وبعد أن أذن لهم بكتابة غير القرآن معه ربما ترخصوا فكتبوا التفسير الذي سمعوه من النبي ﷺ أو استنبطوه بما دل على الجزم به عندهم، فيعدها من لا يعلم قراءة وهماً فعن أبي يونس مولى عائشة أنه قال ثم أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت إذا بلغت هذه الآية فأذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغت آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله ﷺ^(٣) فما الذي سمعته؟ أيقراً تلاوة أم يقرأ قراءة تفسير؟... وتفصيل ذلك في الفصل الخامس عند الكلام على القراءة التفسيرية- إن شاء الله تعالى-

٣- وكانوا يعرضون ما يملي عليهم من كتاب بعد إملائه فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته بُرحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سرى عنه فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة فأكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً فإذا فرغت قال اقرأ فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس^(٤).

(١) أحمد (٢/ ٤٠٣)، وانظر: مجمع الزوائد (١/ ١٥١)، مرجع سابق.

(٢) وقال الطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٦).

(٣) مسلم (١/ ٤٣٧)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٥٧)، والكبير (٥/ ١٤٢).

٤- وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في كتابة القرآن عنه ﷺ كما قال علي رضي الله عنه: ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن وما في هذه الصحيفة^(١).

ومما يدل على انتشار الكتابة: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت المصاحف لا تباع كان الرجل يأتي بورقة عند النبي ﷺ فيقوم الرجل فيحتسب فيكتب ثم يقوم آخر فيكتب حتى يفرغ من المصحف^(٢).

٥- وقد اتخذ لكتابة الوحي عدداً كبيراً من صحابته واشتهر أمرهم، ومن ذكرهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم فكان يكتب إلى الملوك، فبلغ من أمانته عنده أنه كان يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ثم يأمر به أن يطينه ثم يختم لا يقرأ لأمانته عنده واستكتب أيضاً زيد بن ثابت فكان يكتب ويكتب إلى الملوك أيضاً فكان إذا غاب عبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب لإنسان كتاباً يقطعه أمر من حضر أن يكتب وقد كتب له عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت والمغيرة بن شعبة ومعوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن قد سمي من العرب^(٣)، وقد أفردت بأخبارهم المصنفات في كتاب النبي ﷺ ومن أكبرها: «المصباح المضيء لابن حديدة، وقد أوصلهم العراقي في ألفيته إلى (٤٢) كاتباً»^(٤).

ولكن المكتوب المجموع (المؤلف) في عهد النبي ﷺ هل بقي مع زيد وأمثاله من الكتبة أو كان رسمياً مع النبي ﷺ؟ النصوص تدل على الأول، ولذا احتج إلى جمع مصحف رسمي في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

(١) البخاري (٣/ ١١٦٠)، ابن حبان (١/ ٥٥١)، مرجعان سابقان.

(٢) البيهقي في الكبرى (٦/ ١٦)، مرجع سابق.

(٣) الطبراني في الكبير (٥/ ١٠٨)، مرجع سابق.

(٤) فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة (٢/ ١٠٤).

وما سبق يدل على أن النبي ﷺ علمهم كتابة القرآن:

وبهذا الاعتبار يكون النبي ﷺ قد علمهم كتابة القرآن^(١) أي أمرهم وتابعهم مع أنه بقي لا يكتب إلى آخر حياته على الراجح، وعلى إثر ذلك نشأ فن رسم المصحف.

وأشار إليهم النبي ﷺ بكتابة المصحف بين دفتين:

وواضح مما سبق أن النبي ﷺ أشار إليهم بكتابة القرآن في مكان واحد مما يبين التبكير في كتابة القرآن وجمعه وأنه ليس من أمر أبي بكر بل بإشارات النبي ﷺ كما تقدم ومن ذلك قوله ﷺ: «بل قوم يأتون من بعدكم يأتهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجراً»^(٢)، ولعل هذا الحديث وأمثاله هو الذي احتج به عمر في إقناع أبي بكر بجمع القرآن، ولعله ذكره به، وبنحوه من الأدلة مما يشير إلى جمع القرآن كاملاً في مصحف. وقد علمهم النبي ﷺ أن آيات القرآن المجيد كتبت في الملاء الأعلى (التنزيل الجملي) كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وهذا يشير إلى ضرورة كتابته كذلك في الأرض، ومن الإشارات القرآنية لذلك كما في قوله جل جلاله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] ففي ذلك إشارة واضحة لتلاوة القرآن من صحف مطهرة، فكان النبي ﷺ «يكتبه كتبه بإملائه إياه عليهم، وهل يخفى على متصور معنى صحيحاً في قلبه أن ذلك كان تنبيهاً على كتبه وضبطه بالتقييد في الصّحف، ولو كان ما ضمنه الله من حفظه لا عمل للأمة فيه لم يكتبه رسول

(١) في موضوع رسم المصحف يرجع إلى كتبه المتعددة: ومن أخصر هذه الكتب وأجمعها: (ابن وثيق) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأموي الأندلسي ت ٦٥٤ هـ: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف، تحقيق د. غانم قدوري حمد، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، بغداد - العراق.

(٢) خلق أفعال العباد ص ٨٨، مرجع سابق.

اللَّهُ ﷺ بعد إخبار الله له بضمآن حفظه، ولكن علم أن حفظه من الله يحفظنا وتيسيره ذلك لنا وتعليمه لكتابته وضبطه في الصّحف بيننا^(١).

تعليمه ﷺ تسمية القرآن المكتوب بالمصحف:

فقد سماه النبي ﷺ بالمصحف صريحاً في قوله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف»^(٢)، وقد كانت تسمية المصحف شائعة عندهم، ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ بابن له فقال: يا رسول الله إن ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل. فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقم أن ابنك يظلّ ذاكراً ويبيت سالماً»^(٣)..

على أي حرف كتب القرآن في عهد النبي ﷺ؟

الظاهر أن المصحف في عهد النبي ﷺ كتب على قراءة العامة ولذا كان الصحابة في عهد أبي بكر يبحثون عن المكتوب بأمر النبي ﷺ ويستشهدون على كتابته بين يدي النبي ﷺ شاهدين، وأما ما «وقع من اختلاف مصاحف الأمصار في عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض، وعدة هاءات وعدة لامات، ونحو ذلك فهو محمول على أنه نزل بالأميرين معاً، وأمر النبي ﷺ بكتابه لشخصين، أو أعلم بذلك شخصاً واحداً، وأمره بإثباتهما على الوجهين»^(٤).

تواتر المصحف كما هو يضاف إلى التواتر القرآني:

ولذا كان أكبر دليل يضاف إلى التواتر القرآني ليجعل القطع بصحة القرآن مع التناقل الشفوي اضطرارياً أن مصاحف المسلمين هي «التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون، فمن قرأ بحرف ولا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٣٢) عند تفسير قوله جل جلاله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤٠٨)، مرجع سابق، ورواه (أبو نعيم) في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٠٩).

(٣) أحمد (٢/ ١٧٣)، مرجع سابق وهو في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٠).

(٤) فتح الباري (٩/ ٣٠)، مرجع سابق.

تقديم مؤخر أو تأخير مقدم وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف وخالف في ذلك جمهور القراء المعروفين فهو غير مصيب وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً^(١).

معنى جعل (رسم المصحف) ركناً من أركان القراءة:

وصار بموجب هذا الإلحاح الشرعي على كتابة المصحف، والتعليم لضرورة الكتابة لا بد من التزام المكتوب المتيقن من كتابته أمام الرسول ﷺ لأنه الضابط للتلقي، مع أمن عدم التغيير بكثرة الحفاظ، وكثرة الترداد، ثم تداعى الصحابة رضي الله عنهم على إثر ذلك لجمع هذا المكتوب في مكان واحد هو المصحف الذي أشار النبي ﷺ بكتابته باكراً وذلك في زمان أبي بكر، ثم تداعوا - بعد - لكتابة نسخ متعددة منه وتوزيعه على الآفاق ليكون ضابط الشرعية لأي قراءة تتلقى وذلك زمن عثمان، ولذا أشار العلماء سلفاً وخلفاً إلى ضرورة التزام رسم المصحف، وأن «الرسم دليل علمي»^(٢)، ومن أوائل من أشار إلى لزوم اتباع خط المصحف الإمام الطبري^(٣).

وعمم عثمان رضي الله عنه المصاحف في عهده لذلك تعميماً رسمياً بحيث يكون في كل أفق مصحف كتبه الجماعة:

إذ «علم أن الوهم لا يعرى منه بشر، وأن في الناس منافقين يظهرهم الإسلام ويكونون الكفر، فجمع من حضره من الصحابة رضي الله عنهم على نسخ مصاحف مصححة كسائر مصاحف المسلمين ولا فرق، إلا أنها نسخت بحضرة الجماعة فقط، ثم بعث إلى كل مصر مصحفاً يكون عندهم فإن وهم واهم في نسخ

(١) لسان العرب (٩ / ٤١)، مرجع سابق.

(٢) نيل الأوطار (٢ / ٢٢٨)، مرجع سابق.

(٣) الطبري (٢ / ٣٢٨)، مرجع سابق.

مصحف وتعمد ملحد تبديل كلمة في المصحف أو في القراءة رجح إلى المصحف المشهور المتفق على نقله ونسخه، فعلم أن الذي فيه هو الحق»^(١).

❖ وليس اشتراط الرسم لأنه توقيفي والنبي ﷺ قد علمه بنفسه؛ إذ هو أمي فكيف يفعل ذلك؟... بل المراد هو الضبط للمنقول المتلقى وهو ما كان يؤكد عليه ابن حزم - رحمه الله تعالى - معتبراً كل ما ورد من قراءة خلاف المتلقى فهو تفسير أو نحو ذلك أو كذب^(٢).

كما أنه ليس المراد من اشتراط موافقة خط المصحف أن يكون المصحف إماماً في القراءة:

بل هو تابع في القراءة للمشافهة لزيادة الضبط ومحاصرة المشافهة، ولدرء ادعاء الزيادة عليه أو النقصان منه على ما هو مفهوم ذاتي لمعنى (قرآن)، ولأنه تابع للمشافهة فإنه لا يتابع إجماعاً من الناحية الصوتية في عدد من الكلمات التي رسمت خلاف النطق نحو السموات، الربوا، الحيوة.

وكانت المصاحف قد انتشرت بينهم:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه^(٣)، وبذا صار لمعظم الصحابة مصاحفهم الشخصية التي تنسب إليهم نسبة تملك.

المصاحف الشخصية المنسوبة للصحابة رضي الله عنهم:

«وهناك مصاحف أخرى منسوبة إلى مجموعة من الصحابة ذكرها السجستاني في المصاحف نذكر منهم: عبد الله بن عباس - عمر بن الخطاب - حفصة بنت عمر عائشة بنت أبي بكر - أم سلمة - عبد الله بن عمرو - عبد الله بن الزبير^(١).

(١) الأحكام لابن حزم (٤ / ٥٥٢)، مرجع سابق، وانظر نحو هذا التقرير: ابن العربي (٢ / ٣٣٢) عند تفسير آية براءة، مرجع سابق.

(٢) انظر: الأحكام لابن حزم (٤ / ٥٥٦)، مرجع سابق.

(٣) الطبري (٧ / ٢٥٧)، مرجع سابق.

والحقيقة أن هذه المصاحف ليست إلا مصحفاً شخصياً ينسب إلى الصحابي نسبة تملك، وقد تكون أجزاء من القرآن الكريم كتبها كل واحد منهم بناء على ما سمع من الرسول ﷺ، وأطلق عليها اسم المصاحف مجازاً لأن جمع المصحف لم يكن لأحد من الصحابة قبل أبي بكر وإلا لما تكلف عناء جمعه على المنهج الصارم في عهد أبي بكر^(١)، وكل هذه المصاحف ما اكتمل إلا بعد جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن في مكان واحد.

وأما ما يعزى إليها من قراءات مخالفة للقراءات العامة المتناقلة، أو من ترتيب مخالف فعليه الملاحظات التالية:

١- الشك الكبير في صحة الروايات الواردة فيها؛ فإن الروايات الواردة آتية إما مما أسنده ابن أبي داود في كتاب المصاحف ومعظمها منقطع أو معضل^(٢)، أو تكون استنباطاً، أو مما رواه الفضل بن شاذان في كتاب الفهرست وأمثاله يقول: أخبرنا الثقة من أصحابنا^(٣) وهذا سند منقطع لقرون... والشك في بقاء هذه المصاحف التي رتبت ترتيباً آخر كبير بعد أن أمر عثمان بإحراق المصاحف وكان أشهر من وافقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد لوحظ أن أكثر الروايات التي تذكر مخالفة مصحف ابن مسعود رضي الله عنه للمصحف الإمام تعود للشيعة... وهذا فيه ما هو ظاهر.

٢- بحث ظاهرة تعدد المصاحف يتم من وجهين: من حيث ثبوت نسبتها ثم ما نسب إليها من قراءات، فقد تعامل معها كثرة من الباحثين على أنها حقائق مسلمة، وذلك يفتقر إلى الإسناد الصحيح، ولا يعني ذلك أن الباحث يميل إلى نفي ما ورد

(١) انظر المصاحف (١/ ٤٠٠)، مرجع سابق، وانظر: معجم القراءات القرآنية (١/ ٢٩)، مرجع سابق.

(٢) وانظر: معجم القراءات القرآنية (١/ ٢٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: كتاب المصاحف ١/ ٢٤٦ وما بعدها.

(٤) الفهرست (١/ ٤١)، مرجع سابق.

بالكلية بل المراد أن ما أسند وما لم يسند مما نقل يطرأ عليه الشك في عينه لا في أصله، ولذا فتعامل كثرة من الباحثين على أن ما نقل كله صحيح فيه نظر كبير إن لم يرجح نفيه، ومما يؤلم أن يجعل بعض من الباحثين جميع ما ورد في كتب التفسير والقراءات قراءات صحيحة - تأثراً بمنهج المستشرقين في قبول كل ما نقل -^(١) ولا يعني هذا نفي وجودها بالكلية... وقد قال الجصاص - رحمه الله تعالى - مبيناً خطورة القول بما يشاع من القراءة بما ينسب إلى مصحف عبد الله: «وفي القول بهذا المصحف خروج عن الملة، ويكون معنى قولهم أنه في حرف عبد الله أن ذلك كان من القرآن في حرف عبد الله ثم نسخت التلاوة وبقي الحكم، لأنه لو كان المراد أنه ثابت في حرف عبد الله بعد وفاة الرسول عليه السلام لما جاز أن يكون نقله إلينا إلا من الوجه الذي نقل إلينا منه سائر القرآن، وهو التواتر والاستفاضة حتى لا يشك أحد في كونه منه»^(٢).

٣- وقد أكثر صاحب كتاب المباني من نقل الردود على من يقر بوجود هذه المصاحف المخالفة في الترتيب لمصحف العامة، حتى نقل عن المصحف المنسوب لأبيّ قوله: «ليس يعرف لأبيّ مصحف يخالف هذا المصحف إلا ما ينسب بخبر الواحد دون الجمع الذي يلزم اليقين وإنما كانت قراءته هذه القراءة التي عليها العامة»... إلى أن يقول: «وقد ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله أنه رأى مصحفاً منسوباً إلى أبيّ خالف ببعض حروفه حروف هذا المصحف، لكننا لا نأمن أن يكون

(١) انظر مقدمة كتاب (معجم القراءات القرآنية) الصفحة (ز) فقد أشارا الكاتبان إلى الحاجة لإعداد معجم قرائي يضم بين دفتيه كل ما صحت به القراءة عن الرسول ﷺ، وأن هذا هو ما فعلاه فلا يدرى أي معيار للصحة اعتمدها... على أن على منهج المعجم ملاحظات كثيرة يبدو أن عدم تخصص الجامعين أو عدم إلمامهما بالقراءات سنداً متلقى سبب لذلك مع أن الجهد المبذول جهد هائل مشكور.

(٢) (الرازي) أحمد بن علي الرازي الجصاص ت ٣٧٠ هـ الفصول في الأصول (٢/ ٢٥٢)، تحقيق: د. عجيل

جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب، فإن هذه بلية قد أضرت بالدين، وأخلت بمصالح المسلمين»^(١).

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره

أولاً: تعليمه ﷺ ترتيب آيات القرآن الكريم:

وهذه مسألة بدهية، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يميزون أرقام الآيات وأماكنها دون أن يختلف فيهم اثنان في تحديد المكان، حتى قال السيوطي - رحمه الله تعالى -: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك» أي بتعليم النبي ﷺ^(٢) وقال مكي - رحمه الله تعالى -: «ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة»^(٣)، وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: «ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم فقد كان جبريل عليه السلام يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا»^(٤).

ومن ذلك قول النبي ﷺ: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى آخرها^(٥)، وعن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ﴾

(١) (ابن عطية) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية أبو محمد الغرناطي ت ٥٤٦ هـ: مقدمتان في علوم القرآن (وهما مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية ص ٤٧ - ٤٨، نشرهما المستشرق الدكتور آرثر جفري - ووقف على تصحيح الطبعة الثانية: عبد الله إسماعيل الصاوي - مكتبة الناجي بالقاهرة، وانظر: معجم القراءات القرآنية ص ٣٨.

(٢) الإتيان (١/ ١٦٧).

(٣) الإتيان (١/ ١٦٨).

(٤) بواسطة الإتيان (١/ ١٦٨).

(٥) أحمد (٤/ ٢١٨)، مرجع سابق، وحسن إسناد الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٩)، والسيوطي في الإتيان (١/ ١٦٨)، مرجعان سابقان.

أزواجاً﴾ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها قال يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه^(١)، وعن عمر رضي الله عنه قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء^(٢)، وما تقدم في حفظ عشر آيات من سورة الكهف أولاً أو آخرها، ومن ذلك النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته لسور عديدة وتحدد الصحابة لها بعدد الآيات، ومن أشهر ما يدل على ذلك نزول القرآن خمساً خمساً، «وتدل قراءته لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آياتها توقيفي وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه فبلغ ذلك مبلغ التواتر»^(٣).

ملحظ منهجي:

وها هنا ملحظ ضروري أن الباحث اضطر إلى ذكر ذلك اضطراراً تبعاً لبعض العلماء الذين يذكرونها، ولكن الظاهر أن منهج قراءة القرآن الكريم ليس بحاجة إلى الاستدلال بهذه النصوص المتوافرة؛ وإن كان يستأنس بها؛ فالدليل الكلي لإثبات هذه حقيقة التوقيفية النبوية التعليمية لترتيب آيات القرآن الكريم والتلقي أمماً عن أمم، وشعوباً عن شعوب وهو ما يسمى بالتواتر القرآني، وحال تثبت هذا الاحتياج لهذه الأدلة فإننا سنحتاج إلى أن نثبت بالمنهج الحديثي أن آيات سورة البقرة هي ﴿الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاكَ فِيهِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٢٨٦] وذلك ما لا يقوله أحد، وذلك ما أكده الباقلاني في الانتصار حيث قال: «الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه،

(١) البخاري (٤ / ١٦٤٦)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١ / ٣٩٦)، ابن حبان (٥ / ٤٤٤)، مرجعان سابقان.

(٣) الإقتان (١ / ١٦٩)، مرجع سابق.

وإن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة»^(١).

ثانياً: تعليمه ﷺ ترتيب سور القرآن:

الصحيح أن النبي ﷺ هو الذي علم الصحابة رضي الله عنهم ترتيبها:

خلافًا لما ذهب إليه بعض أهل العلم^(٢) من أن ترتيب السور اجتهادي، ويدل على ذلك:

١- النزول الجملي للقرآن الكريم إلى السماء الدنيا يقتضي ترتيب سورته:

فقد ذكر «أبو بكر الأنباري في كتاب الرد: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرق على النبي ﷺ في عشرين سنة وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات»^(٣)، وقال الكرمانلي: السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان يعرض على جبريل عليه السلام كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين»^(٤)، وفي ذلك قيل:

وليس ترتيب النزول كالأدا وفي الأدا الترتيبُ بالوحي اقتدى
فهو كما هو عليه مستطر وذاك في لوحه المحفوظ نعم المستطر

(١) انظر: الإتيقان (١/ ١٦٩)، فتح الباري (٩/ ٤٠).

(٢) انظر: الإتيقان (١/ ١٧٠)، مرجع سابق.

(٣) الإتيقان (١/ ١٧١)، مرجع سابق.

(٤) البرهان في متشابه القرآن ص ١١٥ للكرمانلي.

وذاك في السور في القول الأحق والقول في الآي عليه متفق^(١)

٢- قال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] فهذه الآية تبين ضرورة أن جميع القرآن كما هو من ترتيب حروفه وكلماته وآياته وسوره حتى جمع كما هو فإنه من فعل الله عز وجل وتوليه جمعه أوحى به إلى نبيه عليه السلام وبينه عليه السلام للناس^(٢).

٣- الأحاديث التي تدل على الترتيب نحو: ما جاء عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ السبع الأول، (وفي لفظ الطول) من القرآن فهو حَبْرٌ»^(٣).. وهذا حديث دال أصحح الدلالة على أن ترتيب سور القرآن توقيفي محض.

٤- ضرورة المناسبة في الترتيب القائم: فلا يظهر أن اجتهاد الأصحاب رضي الله عنهم قد فكّ هذه المناسبة؛ إذ المتبادر حال الاجتهاد أن يكون مقياسه وضع المدني بجوار المدني وليس الواقع كذلك، أو وضع السور بحسب ترتيب النزول، وليس الواقع كذلك أيضاً، أو وضع السور بحسب الأحكام الفقهية أو القصص القرآني المتشاكل وليس كذلك أيضاً، أو وضع السور بحسب الطول والقصر في أرقام الآيات أو في مقدارها وليس كذلك فإن فهذا ما يمكن خطوره على الاجتهاد البشري... فلم يبق إلا المناسبة الملتزمة من هذا التشاكل غير الظاهر للبشر إلا بتأمل دقيق، وقد دون كبار العلماء الدواوين للمناسبة واعتبروها من وجوه الإعجاز القرآني.

٥- لا حجة في اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور:

❖ لأنه- حال وجود هذه المصاحف- قريب من اختلافهم في العدد أو القراءات من حيث هو اختلاف قد سوغه عدم اكتمال القرآن إلا بوفاء النبي ﷺ بل عدم اكتمال السورة إلا بعد طول مدة أحياناً على ما هو معلوم

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ٧٥.

(٢) الأحكام لابن حزم (٤ / ٥٥١).

(٣) أحمد (٦ / ٧٢)، مرجع سابق، وكذلك رواه البيهقي في السنن الصغرى (١ / ٥٥٠)، مرجع سابق.

ضرورة، ولم يلزم الناس القراءة يومئذ بتوالي السور، وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أو كتبها ثم خرج في سرية فنزلت سورة أخرى فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابه، ويتابع ما فاته على حسب ما تسهل له أكثره أو قله، فمن ثم يقع فيما يكتبه تأخير المقدم وتقديم المؤخر^(١)، ثم للشك في ترتيب المنقول عن هذه المصاحف.

وبعد سوق ما يظهر من الأدلة ومعرفة دلائلها فما زال المرء حائراً في كيفية قبول الرأي القائل بأن التأليف لسور القرآن كان اجتهاداً: إذ كيف يعقل ذلك مع أن النبي ﷺ قسم المصاحف إلى سبعة أقسام متساوية تقريباً بحيث يجوي كل قسم سوراً معينة ثم يقال بأن هذا الترتيب حدث بعده ﷺ فعن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ وقد ثقيف قال فأنزلنا في قبة له، ونزل إخواننا الأحلاف على مغيرة بن شعبة - قال - كان رسول الله ﷺ يأتينا بعد العشاء فيحدثنا وكان أكثر حديثه يشكي قريشاً ويقول: «ولا سواء كنا بمكة إلا مستضعفين مستذلين فلما أتينا المدينة كانت الحرب سجالاً علينا ولنا» قال: فأبأ علينا ذات ليلة فأطول فقلنا: يا رسول الله! أبطأت علينا فقال: «إنه طرأ علي حزب من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه» فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجرّب القرآن فقالوا: كان يجرّبه ثلاثاً وخمساً وسبعاً وتسعاً وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل^(٢)، وذلك لا يمكن أن يكون بالتعادل إلا أن يكون على وفق التأليف الحالي للمصحف، «فعلم من هذا أن في عصر الصحابة كان ترتيب القرآن مشهوراً على هذا النمط المعروف الآن»^(٣)، ابن حجر: «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في

(١) تاريخ آداب العرب ص ٤١، مرجع سابق.

(٢) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، وقال العراقي في المغني (٢/ ٢٧٦)، مرجع سابق: «وإسناده حسن».

(٣) عون المعبود (٤/ ١٩٠)، مرجع سابق.

عهد النبي ﷺ^(١)، وسئل ربيعة: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمت وألف القرآن على علم من ألفه وقد اجتمعوا على هذا بذلك فهذا مما تنتهي إليه ولا نسأل عنه، وقال مالك: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ^(٢).

وأما ما رواه حذيفة رضي الله عنه في تقديم النساء على آل عمران في صلاة الليل فأبي حجة فيه، وترتيب السور في التلاوة غير ملتزم لأنه لا يفسد نظم القرآن كما سبق، على أن هذه الرواية قد ورد ما يخالفها فقد قال حذيفة رضي الله عنه فيما رواه أبو داود: ... فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام^(٣).

❖ وقال ابن حزم تأكيداً على ذلك: «ما روينا بالأسانيد الصحيحة أنه ﷺ كان لا يعرف فصل سورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم وأنه ﷺ كانت تنزل عليه الآية فيرتبها في مكانها... فصح بهذا أن رتبة الآي ورتبة السور مأخوذة عن الله عز وجل إلى جبريل ثم إلى النبي ﷺ لا كما يظنه أهل الجهل أنه ألف بعد موت النبي ﷺ ولو كان ذلك ما كان القرآن منقولاً نقل الكافة، ولا خلاف بين المسلمين واليهود والنصارى والمجوس أنه منقول عن محمد ﷺ نقل التواتر، ويبين هذا أيضاً ما صح أنه ﷺ كان يعرض القرآن كل ليلة في رمضان على جبريل فصح بهذا أنه كان مؤلفاً كما هو عهد الرسول ﷺ وقوله ﷺ: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي»،... وأمر ﷺ عبد الله بن عمرو بقراءة القرآن في أيام لا تكون أقل من ثلاث فكيف يقرأ ويجمع وهو غير مؤلف؟ هذا محال لا يمكن البتة^(٤).

(١) فتح الباري (٩/ ٤٣)، مرجع سابق.

(٢) القرطبي (١/ ٦٠)، مرجع سابق.

(٣) أبو داود (١/ ٢٣١)، مرجع سابق.

(٤) الإحكام لابن حزم (٦/ ٢٦٥)، مرجع سابق.

ولعل السبب في هذا الخلاف يعود إلى أمرين:

أولهما: طغيان المنهج الحديثي في معالجة القضايا المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، ولا شك أن هناك نقاط التقاء كثيرة بين المنهجين الحديثي والقرائي، ولكن لا ريب أيضاً أن هناك نقاط افتراق أصلية.

وثانيهما: أن التزام ترتيب الآيات في السور واجب ضروري، والسبب واضح غير متبته إليه هو: اختلال نظم السورة المكونة من آيات بغير ذلك، بخلاف ترتيب سور القرآن فإن التزام ترتيبها حفظاً أو تلاوة غير واجب شرعاً وواقعاً والسبب واضح غير متبته إليه هو عدم اختلال نظم القرآن المكون من سور بذلك.

الخلاف لفظي:

لم يتصور الباحث وقوع خلاف في تعليم النبي ﷺ لهم هذا الموضوع، وأنه توقيفي إلا أن الزركشي - رحمه الله تعالى - أحكم الأمر حين قال: «و الخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فأل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي»^(١).

لا حرج في التنكيس:

والظاهر من تعليم النبي ﷺ ألا حرج في التنكيس إذا كان يتعلق بالسور بأن يبدأ القارئ بسورة متأخرة في ترتيب المصحف، فإن الغالب أن يبدأ الناس بحفظ المفصل، وأما ما ورد عن ابن مسعود أنه قيل له إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً قال: ذلك منكوس القلب^(٢)، فمحمول على تنكيس الآيات لا السور خلافاً لأبي عبيد^(٣).

(١) البرهان (١ / ١٥٧)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢ / ٤٣٣)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٦)، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

ثقات».

(٣) انظر كلامه في: شعب الإيمان (٢ / ٤٣٣)، مرجع سابق.

وأما ما ورد عن الحسن وابن سيرين أهما كانا يقرآن القرآن من أوله إلى آخره ويكرهان الأوراد، وقال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم، وتأويل الأوراد أنهم كانوا أحدثوا أن يجعلوا القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سورة مختلفة من القرآن على غير التأليف ولكن جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها من الطوال ثم كذلك حتى يخدموا الجزء^(١)، فوجه الكراهة فيه ظاهر من حيث مخالفته لترتيب سور القرآن الكريم مع إرادة ختمه... إذ الأصل التزامه حال التلاوة مع إرادة الختم بخلاف مقام التعليم.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ تحزيب القرآن

المراد بالحزب:

❖ المراد بالحزب هنا هو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة^(٢)، فهو الطائفة من السور أو من الآيات التي يلزم الرجل قراءتها أو حفظها، و(الأحزاب) مأخوذة من قولهم: حزب فلان أي جماعته، لأن الحزب طائفة من القرآن^(٣)، وقد يقال له الجزء لأن القرآن يجزأ إليه أي يقسم، وقد يقال له الورد، والورد: «التوبة في ورود الماء»^(٤) لأن القرآن يروي ظمأ القلوب^(٥).

كيف علمهم النبي ﷺ ذلك:

❖ وقد علمهم النبي ﷺ أن يقسموا القرآن إلى أحزاب أو أجزاء أو أوراد ليكون أنشط لهم على التلاوة أو الاستذكار أو المراجعة والتعاهد، فعن أوس

(١) شعب الإيمان (٢/ ٤٣٣)، مرجع سابق.

(٢) عون المعبود (٤/ ١٩٠)، مرجع سابق.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ١٢٤)، مرجع سابق.

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٧٦)، مرجع سابق.

(٥) جمال القراء وكمال الإقراء (١/ ١٢٤)، مرجع سابق.

بن حذيفة رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ وقد ثقيف - إلى أن قال: فأبطأ علينا - أي الرسول ﷺ - ذات ليلة فأطال فقلنا: يا رسول الله! أبطأت علينا. فقال: «إنه طرأ علي حزب من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه» فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجزب القرآن؟ فقالوا: كان يجزبه ثلاثاً وخمساً وسبعاً وتسعاً وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل^(١) وفي رواية للطبراني فيما ذكر العراقي: «فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجزئ القرآن؟ فقالوا: كان يجزئه ثلاثاً فذكره مرفوعاً».

ففي هذه الرواية أضيف التحزيب إلى رسول الله ﷺ، وفي رواية ابن ماجه: قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟^(٢)، فأضاف التحزيب إليهم، لا إلى رسول الله ﷺ^(٣) وهذا يدل على أنهم قد اكتسبوا التحزيب من النبي ﷺ تعلماً.

وعلمهم النبي ﷺ أن يحددوا للحزب القرآني وقتاً دائماً:

❖ فإن ذهب وقت الحزب فينبغي أن يؤديه المرء مهما كانت شواغله، كما في قوله ﷺ: «إنه طرأ علي حزب من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه»، ومعنى طرأ كما قال الخطابي: يريد كأنه أغفله عن وقته ثم ذكره فقرأه^(٤)، وقيل معناه: ورد وأقبل يقال طرأ يطرأ مهموزاً إذا جاء مفاجأة كأنه فجأة الوقت الذي كان يؤدي فيه ورده من القراءة.

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٢)، ورواه الطبراني في الكبير (١/ ٢٢٠)، مرجعان سابقان، وقال العراقي في المغني (٢/ ٢٧٦)، مرجع سابق: «وإسناده حسن»، وكذا حسنه ابن كثير في فضائل القرآن (٤/ ٥١٩) (ملحق بالتفسير).

(٢) ابن ماجه (١/ ٤٢٧)، وأحمد (٤/ ٩ و ٤/ ٣٤٣)، والآحاد والمثاني (٣/ ٢١٨)، مراجع سابقة.

(٣) وانظر: شرح مشكل الآثار (٤/ ٤٠١)، مرجع سابق.

(٤) عون المعبود (٤/ ١٩٠)، مرجع سابق.

طريقة النبي ﷺ في التحزيب:

❖ ظهر من الرواية السابقة أن النبي ﷺ يقسم القرآن إلى سبعة أحزاب، وكل حزب مذكور إنما هو منزل واحد من سبع منازل.

❖ وأما ما اصطلاح عليه المتأخرون من تقسيم القرآن إلى ثلاثين حزباً وسموها أجزاء، «فإن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين وثلاثين وستين هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة، ونحو ذلك كان في زمن الحجاج وما بعده، وروى أن الحجاج أمر بذلك ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك»^(١)، «و اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها»^(٢).

❖ ولأن هذا التحزيب حادث فإن المرء ليأمل أن تعيد مجتمعات مطابع المصاحف النظر في هذا وأن يشار مع هذا إلى ما يدل على تقسيم القرآن أسباعاً ويبين أنه طريقة النبي ﷺ، وهو يكون ما بين أربعة إلى خمسة أجزاء بالاصطلاح الحادث، ومن فوائده العظيمة غير موافقة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في تحزيبهم، أن يكون التحزيب بالسور فهو الهدي الأكمل. وحديث أوس «يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة وفيه أنهم حزبوه بالسور وهذا معلوم بالتواتر...»^(٣).

وكان ثم تقسيم رباعي للقرآن الكريم:

❖ وذلك من الناحية النظرية لا من حيث التلاوة، ولكنه منسجم مع هذا التقسيم السباعي، ويدل على توقيفية ترتيب السور فقد قال ﷺ: «أعطيت

(١) ابن تيمية (١٣ / ٤٠٩)، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير (١ / ٨)، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير (١ / ٨)، مرجع سابق.

مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المئاني، وفضلت بالمفصل»^(١).

❖ وذكر النبي ﷺ لهم هذه الأقسام مفردة فعن عائشة- رضي الله تعالى عنها- عن النبي ﷺ قال: «من أخذ السبع الطول فهو خير»^(٢) يعني بذلك السبع الطوال من القرآن^(٣).

❖ واصطلح بعض الصحابة رضي الله عنهم على تسمية ما زاد عن الثلاثين بالمئين تقريباً كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من المئين من آل حم الأحقاف وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت المئين... الحديث^(٤).

والمئاني هي:

❖ السور التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل كأن المئين جعلت مبادئ والتي تليها مئاني، وهي إلى براءة وهي من المئين أي ذوات مائة آية، قال في المجمع أول القرآن السبع الطول ثم ذوات المئين أي ذوات مائة آية ثم المئاني ثم المفصل انتهى، والمئين جمع^(٥).

❖ وكما كان التقسيم السباعي قائماً على عدد معين من السور؛ فإن التقسيم الرباعي كذلك أيضاً... فليس في التقسيمين اعتماد على قدر الآيات كما هو الحال في التحزيب والتجزئة الحادث.

(١) شرح مشكل الآثار (٤ / ٤٠٨) وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٢٦٦). انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢ / ١٠٣٦) برقم ٥٩٧٩، وانظر ترجمته في: لمحات الأنوار رقم ٧١٩، مرجع سابق.

(٣) شرح مشكل الآثار (٤ / ٤٠٨)، مرجع سابق، وقال المحقق: «إسناده حسن».

(٤) معجم الشيوخ ص ١٦٢، مرجع سابق.

(٥) تحفة الأحوذني (٨ / ٣٨٠)، مرجع سابق.

وكانت سور كل قسم من الأقسام الأربعة واضحة عند الصحابة رضي الله عنهم:

❖ فعن أبي وائل قال: غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: هذا كهذه الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم^(١)، فقوله في ثماني عشرة سورة دليل على معرفة سور المفصل وعددهن، وكذلك فيه دليل على أنه ﷺ علمهم أن «المفصل ما بعد آل حم»^(٢).

وكان المفصل أول ما نزل من القرآن:

❖ فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ المفصل بمكة، فكنا حججاً نقرؤه لا ينزل غيره^(٣).

واختلفوا في أول المفصل:

❖ ف قيل من «القتال وقيل من الحجرات وقيل من ق»^(٤)، ورجح الطحاوي رحمه الله تعالى - أن الحجرات ليست من المفصل^(٥).

وعلى كل حال فالمفصل هو «ما بعد آل حم سمي مفصلاً لقصر سوره وقرب انفصال بعضهم من بعض»^(٦).

(١) البخاري (٤ / ١٩٢٤)، مسلم (١ / ٥٦٤)، ابن حبان (٦ / ٣٤١)، مراجع سابقة.

(٢) شرح النووي (٦ / ١٠٧)، مرجع سابق.

(٣) شرح مشكل الآثار (٤ / ٣٩٧)، مرجع سابق، وقال المحقق: «إسناده قوي».

(٤) شرح النووي (٦ / ١٠٧)، مرجع سابق.

(٥) انظر: شرح مشكل الآثار (٤ / ٤٠٠)، مرجع سابق.

(٦) شرح النووي (٦ / ١٠٦)، الديباج على صحيح مسلم (٢ / ٤١٥)، مرجعان سابقان.

المطلب الرابع: تعليمه ﷺ عد الآي (علم الفواصل):

كل ما سبق من الأدلة بالإضافة إلى الدليل الأصلي الأساس وهو التلقي تدل على أن علم العدد علم توقيفي لا مدخل للاجتهاد فيه إلا بصورة طفيفة تسببت في تنوع عدد الآيات مع الاتفاق الكامل على فحواها؛ فالراوي في الآثار السابقة صحابي تعلم من النبي ﷺ هذا القدر من الآيات وهو ما يعني ضمناً تعلمه لموضع كل آية.

وكذلك فإن كثيراً مما سبق من الأحاديث التي تعين عدداً معيناً من الآيات بالإضافة إلى التلقي تدل على أن النبي ﷺ علمهم عدد الآيات تفصيلاً، وأشار صاحب الكشاف في تفسير أول البقرة إلى توقيفية علم العدد: «فإن قلت فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور...»^(١).

وما يقال عن علل هذا العدد يبقى مجرد استنباط كقولهم لم يعدوا الوتر لأنها حرف واحد، ولا طس لأنها خالفت أختيها بحذف الميم ولأنها تشبه المفرد... وكلها مجرد علل استنباطية تشبه العلل التي يقول عنها أهل العلم: علة نحوي!

ولشدة تعلمهم رضي الله عنهم كيفية عد الآي من النبي ﷺ صار ذلك بالنسبة لهم بديهية حتى بات مقياساً يقيسون به الأطوال الزمنية فعن عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلواته تعني بالليل فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للصلاة^(٢)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ نبي الله ﷺ وزيد بن ثابت تسحّرا فلما

(١) (الزمخشري) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (٤٦٧- ت ٥٣٨ هـ): الكشاف (١/ ٧)، دار

المعرفة، بيروت.

(٢) البخاري (١٣٣٨)، مرجع سابق.

فرغا من سحورهما قام نبي الله ﷺ إلى الصلاة فصلّى قلنا لأنس كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة قال قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية^(١).

وهكذا كان التابعون يعلمون أصحابهم علم العدد فكان أبو عبد الرحمن يقرئ عشرين بالغداة، وعشرين بالعشي، ويعلمهم أين الخمس والعشر، وكان يقرئ خمساً خمساً^(٢).

وفي حديث حذيفة في قيام الليل وأحاديث مقادير قراءته في الصلوات ما يدل على توقيفية هذا العلم حيث قال رضي الله عنه: صليت مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة فقرأ فقلت: يركع عند المائة فمضى، فقلت: يركع عند المائتين، فمضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى. فافتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع... الحديث^(٣).

وكذلك ما ورد في عدد الآي التي يقرؤها النبي ﷺ في صلاته وذلك كثير، فعن أبي برزة هو نضلة بن عبيد الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الغداة الستين إلى المائة^(٤).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعقدون أصابعهم عدداً للآي في صلواتهم كما قال الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -:

هُمُو بِمَجْرُوفِ الذِّكْرِ مَعَ كَلِمَاتِهِ وَأَيَاتِهِ أَثَرُوا بِأَعْدَادِهَا الْكُثْرَ
وَهَامُوا بِعَقْدِ الْآيِ فِي صَلَوَاتِهِمْ لِحُضْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِي حِظِّهَا الْمُثْرِي

(١) البخاري (١ / ٢١٠)، مرجع سابق.

(٢) السبعة ص ٦٩، مرجع سابق.

(٣) مسلم (١ / ٥٣٦)، أبو عوانة (١ / ٤٦٠)، مرجعان سابقان.

(٤) البخاري (١ / ٢٠١)، مسلم (١ / ٤٤٧)، مرجعان سابقان.

فبين «مبلغ اهتمامهم بمعرفة أعداد حروف القرآن وكلماته وآياته- وأنهم بمعرفة ذلك كله صاروا ذوي ثروة علمية أكسبتهم شرفاً ونبلاً وثروة واسعة في الأجر عند الله تعالى، فإن الحافظ لهم على معرفة هذا إنما هو اهتمامهم بالقرآن من جميع نواحيه، وحرصهم على أن لا يسقط منه حرف أو تضيع منه كلمة بله الآية، وفي معرفة عدد حروف القرآن معرفة قدر الأجر الموعود به على تلاوة القرآن، وحسبك بذلك حافظاً على معرفة عدد حروف القرآن وكلماته، وإن كان في معرفة عدد الآي فوائد تزيد على معرفة عدد الحروف والكلمات، وقد روى هذا العقد عن ابن عمر وابن عباس وعائشة من الصحابة وعن عروة وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من التابعين»^(١).

والجزء الوحيد من علم الفواصل الذي دخله الاجتهاد هو الذي نُقل الاختلاف فيه بين علماء العدد.

وقرر أهل العلم قاعدة في أبواب المقادير، وأنها تعليمية فقالوا «المقادير لا تعرف إلا بالسمع»^(٢).

(١) عبد الفتاح القاضي: بشير اليسير شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ص ١٢ للإمام الشاطبي، طبعة ١٣٩٧

هـ / ١٩٧٧ م.

(٢) حاشية ابن عابدين (١ / ٥٤١)، مرجع سابق.

الفصل الخامس:

تعليمه ﷺ قراءة القرآن الكريم على أحرفه المنزلة

ويدور هذا الفصل حول الرخصة التي رخص الله عز وجل في قراءة القرآن الكريم على أحرفه المنزلة، توسعة من الله سبحانه وتعالى، وزيادة فضل، واختصاصاً بأمة النبي ﷺ، فتقرأ الأمة بما تيسر من ذلك، ويفصل المبحث الأول كيف علمهم النبي ﷺ ذلك، كما يبين هذا الفصل أن القراءة على هذه الأحرف لا تخرج عن التلقي، وأنها توقيفية ترجع إلى تعليم النبي ﷺ ابتداءً وليست بالتشهي أو الهوى (و يفصل ذلك المبحث الثاني)، كما يحاول الفصل أن يميّز اللثام عن أكبر حقائق نقل القرآن الكريم وهي التواتر القرآني الذي يعبر عن نقل القرآن الكريم أمة عن أمة دون شائبة خلل (و يفصل ذلك المبحث الثالث)، وفي الفصل بيان للحقائق التي تجلي بعض الاستشكالات التي أوردت على المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم.

و من ثم فمباحث هذا الفصل هي:

المبحث الأول: تعليمه ﷺ قراءة القرآن بما تيسر من الأحرف السبعة.

المبحث الثاني: تعليمه ﷺ أن القراءة سنّة يأخذها الآخر عن الأول.

المبحث الثالث: المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم (التواتر في نقل ألفاظ

القرآن).

المبحث الأول:

تعليمه ﷺ قراءة القرآن بما تيسر من الأحرف السبعة

يناقش هذا المبحث القضايا الأساسية في الأحرف السبعة، من مشروعية القراءة على عدة أشكال لفظية، مع أن الشكل الواحد منها كاف شاف، ويبين من خلال ذلك العلاقة بين القرآن والقراءات، ومن أنه لا تناقض بينها جميعاً في المعنى في آخر الأمر، ولذا انقسم هذا المبحث إلى المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ مشروعية قراءة القرآن على سبعة أحرف.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أن الحرف الواحد شاف كاف.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ عدم التناقض المعنوي بين هذه الأحرف.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ مشروعية قراءة القرآن على سبعة أحرف

علمهم النبي ﷺ أنه قرأ القرآن على جبريل عليه السلام على سبعة أحرف: فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(١).

وبين النبي ﷺ كيف بدأ أمر مشروعية الإقراء على سبعة أحرف حيث جاء ملكان إليه فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: أتى محمداً ﷺ الملكان فقال

(١) البخاري (٣/ ١١٧٧)، مسلم (١/ ٥٦١)، مرجعان سابقان.

أحدهما: اقرأ القرآن على حرف فقال الآخر زده فما زال يستزيده حتى قال اقرأ على سبعة أحرف^(١).

شيوخ تعليم النبي ﷺ لذلك بين الصحابة:

وقد انتشر ذلك بينهم واشتهر حتى لم يحص من سمعه من النبي ﷺ فعن أبي المنهال سيار بن سلامة قال: بلغنا أن عثمان رضي الله عنه قال يوماً - وهو على المنبر-: أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا أشهد معهم^(٢).

وهذا يدل على شدة احتفاء النبي ﷺ، وحرصه على تعميم إخبارهم بهذا، ومن أبرز حكم ذلك: ألا يظنوا بالقرآن الاختلاف في ألفاظه، أو يكفر بعضهم بعضاً إذا اختلف التصويت بألفاظه بينهم، وهو ما وقع من بعض رعية عثمان حيث انتشر الإسلام دون تعليم مكافئ مقابل هذا التوسع الأفقي، فلجأ عثمان لإشاعة شرعية القراءات المختلفة بتعميم المصاحف، وكان ذلك من أعظم مناقبه رضي الله عنه.

ثم ذاعت هذه الجزئية من التعليم القرآني حتى صارت من العلم العام بينهم. ولذا ذكر عدد من أهل العلم أن حديث الأحرف السبعة يعد من المتواتر

(١) الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٩)، أحمد (٥/ ١٢٤)، مرجعان سابقان، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٣)، مرجع سابق.

(٢) مسند الحارث (٢/ ٧٣٤)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢)، مرجع سابق.

الحديثي^(١)، فقد بلغ «مبلغاً عظيماً من التواتر لم يتيسر وجوده الكثير من الأحاديث المتواترة. ألا ترى إلى قوله (قاموا حتى لم يحصوا)»^(٢).

وكان النبي ﷺ قد علمهم ابتداءً أن القرآن نزل على ثلاثة أحرف:

فمن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف وفي رواية ثلاثة أحرف»^(٣)، وعنه رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ: كان يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أقرئناه، وقال: «إنه أنزل على ثلاثة أحرف فلا تختلفوا فيه فإنه مبارك كله فاقرووه كالذي أقرئتموه»^(٤).

وعلمهم ﷺ أن المراد من إنزال القرآن على سبعة أحرف:

التخفيف والتيسير على الأمة فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقيت جبريل عند أحجار المرى فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ القاسي الذي لم يقرأ كتاباً قط قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»^(٥).

وهل علمهم ﷺ جمع القراءات؟

جمع القراءات معناه أن تقرأ الآية وتعيد موضع الاختلاف فتقرأ جميع ما فيه من أوجه منزلة، إما بأن تعيد من أول الآية في كل وجه أو تعيد موضع الاختلاف فقط^(٦).

(١) النشر (١ / ١٥)، وانظر: يوسف إبراهيم النور: مع المصاحف ص ٢٥، مرجعان سابقان.

(٢) النشر (١ / ١٥)، وانظر: يوسف إبراهيم النور: مع المصاحف ص ٢٥، مرجعان سابقان.

(٣) الحاكم (٢ / ٢٤٣)، الطبراني في الكبير (٧ / ٢٠٦)، مرجعان سابقان.

(٤) الطبراني في الكبير (٧ / ١٥٢)، مرجع سابق.

(٥) المختارة (٣ / ٣٧٣)، الترمذي (٥ / ١٩٤)، أحمد (٥ / ٤٠٠)، مراجع سابقة.

(٦) انظر: النشر (٢ / ١٠٠)، الطيبة ص ٦١، مرجعان سابقان.

ويمكن استنباط أصل الجمع من حديث المدارس فإن قوله في الحديث: (يعرض القرآن على جبريل مرة..) «معناه يختمه ختمة واحدة، ويلزم منه أنه يقرأ في هذه الختمة سائر ما أنزل عليه قبلها، ويدخل فيه أحرف القرآن المختلفة، لأنه قرآن، فلا وجه لإخراجها من العرض»، كيف والمقصود هو استذكار النبي ﷺ لما أنزل عليه، ومنه الأحرف المختلفة المنزلة.

والسؤال: كيف كان ﷺ يعرض الأوجه المختلفة في الموضع الواحد من مواضع الاختلاف عندما يمر به؟ وهو يختم ختمة واحدة فقط؟

بالجمع أي أنه يكرر ذلك الموضع بسائر ما فيه من أحرف، سواء كرر نفس الموضع واكتفى بذلك، أو أعاد من أول الآية، كل ذلك محتمل وكله سائغ، وليس في الخبر الثابت ما يبين لنا تفصيل ذلك، لكن يكفينا هذا القدر، فإنه دل على أن أصل (جمع القراءات) ثابت من فعل النبي ﷺ^(١).

ومثل ذلك عندما كان النبي ﷺ يقرئهم هذه الأحرف المختلفة كيف كان يصنع؟ هل كان يجمع ما في الآية من قراءات في وقت واحد، أم كان يلتزم بالإفراد كما يقول بعض أهل العلم^(٢)، وقد قيل في سبب تخصيص أنس المذكورين في حديث الحفظ بالذكر أنهم جمعوا القرآن بأوجه القراءات.

ومن ثم فلا يوجد مانع شرعي من الأخذ به عند قراءة القرآن مطلقاً، في الصلاة وخارج الصلاة، للقارئ أن يفعل ذلك شرط صحة النية، وسلامة القصد، وأمن المفسدة لأنه داخل في الرخصة الثابتة في عموم قوله ﷺ: «فاقرأوا منها ما تيسر» أي اقرأوا من هذه الحروف المنزلة ما تيسر لكم، فهذا مما تيسر، بل هو اليوم أيسر من الإفراد^(٣).

(١) انظر: سنن القراء ص ٣٦، مرجع سابق.

(٢) سنن القراء ص ٣٦، مرجع سابق.

(٣) سنن القراء ص ٤٠، مرجع سابق.

التلفيق بين القراءات المتناقلة:

ولأن الكل من عند الله، فإن للقارئ أن يلفق بين القراءات بشرط عدم تركيب قراءة جديدة لم يقرأ بها، وقد قرر ابن العربي - رحمه الله تعالى - أن للقارئ أن يقرأ القرآن بأي قراءة متناقلة، ولا «يلزم أن يعين المقروء به منها، فيقرأ بحرف أهل المدينة، وأهل الشام، وأهل مكة، وإنما يلزمه ألا يخرج عنها، فإذا قرأ آية بحرف أهل المدينة، وقرأ التي بعدها بحرف أهل الشام كان جائزاً، وإنما ضبط أهل كل بلد قراءتهم بناء على مصحفهم، وعلى ما نقلوه عن سلفهم، والكل من عند الله»^(١)، فإذا «ابتدأ بقراءة أحد القراء، فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام مرتبطاً، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس»^(٢)، «و هذا معنى ما ذكره أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه»، وقال الأستاذ أبو إسحاق الجعبري: «و التركيب ممتنع في كلمة وفي كلمتين إن تعلق أحدهما بالآخر وإلا كره»^(٣)، وبين ابن الجزري تفصيل الجواز، والتفريق بين مقام القراءة للقرآن مطلقاً ومقام الرواية المقيدة فقال: «إن كانت إحدى القراءتين مرتبة على الأخرى فالمنع من ذلك منع تحريم كمن يقرأ: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع فيهما أو بالنصب آخذاً رفع آدم من قراءة غير ابن كثير ورفع كلمات من قراءة ابن كثير... بما لا تجيزه العربية ولا يصح في اللغة، وأما ما لم يكن كذلك فإننا نفرق فيه بين مقام الرواية وغيرها فإن قرأ بذلك على سبيل الرواية فإنه لا يجوز أيضاً من حيث إنه كذب في الرواية وتخليط على أهل الدراية، وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية بل على سبيل القراءة والتلاوة فإنه جائز صحيح مقبول لا منع منه ولا حظر وإن كنا نعييه على أئمة القراءات العارفين باختلاف الروايات

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤ / ٣٥٨)، مرجع سابق.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٤٩، مرجع سابق.

(٣) النشر في القراءات العشر (١ / ١٨)، مرجع سابق.

من وجه تساوي العلماء بالعوام، لا من وجه أن ذلك مكروه أو حرام إذ كل من عند الله نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين... وقد روينا في المعجم الكبير للطبراني بسند صحيح عن إبراهيم النخعي قال: قال عبد الله بن مسعود: «ليس الخطأ أن يقرأ بعضه في بعض، ولكن الخطأ أن يلحقوا به ما ليس منه»^(١).

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أن الحرف الواحد شاف كاف:

علمهم النبي ﷺ أن كل حرف من هذه السبعة يتحقق به القرآن، فالحرف الواحد منها شاف كاف، ف (شاف) أي يشفي من الريب، لا يقصر بعضه عن بعض في الفضل، وقوله (كاف) أي كاف في نفسه، غير محوج إلى غيره^(٢) فلا تفضيل بينها، ولا تمييز إلا بحسب الرغبة النفسية والميل القلبي كما جاء عن قتادة قال: قال لي أبي بن كعب: اختلفت أنا ورجل من أصحابي في آية فترافعنا فيها إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ يا أبي فقرأت ثم قال للآخر: اقرأ فقرأ فقال النبي ﷺ: «كلاكما محسن مجمل». فقلت: ما كلانا محسن مجمل. قال: فدفع النبي ﷺ في صدري فقال لي: «إن القرآن أنزل علي فليل لي على حرف أو على حرفين قلت بل على حرفين ثم قيل لي على حرفين أو ثلاث فقلت بل على ثلاثة حتى انتهى إلى سبعة أحرف كلها شاف كاف ما لم تخلط آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة فإذا كانت عزيز حكيم فقلت سميع عليم فإن الله سميع عليم»^(٣)، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف»^(٤).

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٨)، مرجع سابق.

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ١١٠، مرجع سابق.

(٣) الجامع لمعمر بن راشد (١١/ ٢١٩)، مرجع سابق.

(٤) الطبراني في الأوسط (٦/ ١٤٢)، مرجع سابق، وعن معاذ نحوه عند الطبراني (٢٠/ ١٥٠).

وينبني على هذا الحقائق التالية:

تكييف العلاقة بين الأحرف السبعة والقرآن الكريم:

١- يتضح من هذه الروايات تكييف العلاقة بين الأحرف السبعة والقرآن الكريم: فيتحقق القرآن الكريم بواحد من هذه الأحرف، ولا يشترط للمرء أن يقرأها كلها حتى يختم القرآن بل يختم القرآن الكريم بواحد منها، ويوضح هذا أكثر ما جاء عن أم أيوب عن النبي ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أصبت»^(١)، وما جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه - وفيه -: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا»^(٢).

ومن ثم: فليس من مقتضيات حفظ القرآن حفظه بجميع الأحرف التي أنزل عليها، بل يكفي لحفظه، والمحافظة على ماهيته حفظه على حرف واحد، وهذا هو مبرر القائلين بذهاب هذه الأحرف ما عدا حرفاً واحداً.

٢- وعلى هذا ف «الأحرف السبعة ليست متفرقة في القرآن كلها ولا موجودة فيه في ختمة واحدة، فإذا قرأ القارئ برواية واحدة فإنما قرأ ببعض الأحرف السبعة لا بكلها»^(٣).

٣- كل حرف مستغن عن الآخر، ولا يحتاج إليه، ولا يفتقر إليه، وإن كان بعضها قد يزيد في إيضاح بعض، فعلى قول من يقول باندثارها ما عدا حرفاً واحداً فلا ضير على القرآن الكريم، فالختمة الواحدة الكاملة للقرآن الكريم تتحقق برواية

(١) ابن أبي شيبة (٦ / ١٣٧).

(٢) مسلم (١ / ٥٦٢)، المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢ / ٤١٥)، مرجعان سابقان، والأضلة المستتبع من مسيل ما غيره، والأضنين جمع أضلة وأضا وهي الغدير.

(٣) فتح الباري (٩ / ٢٨)، مرجع سابق.

قراءة واحدة، ولا يحتاج إلى جمع القراءات جميعاً لإتمام ختمة قرآن، كما لا يحتاج إلى جمع الأحرف السبعة.

وبناء على هذا تستبين العلاقة أيضاً بين القرآن والقراءات:

فالقراءة من حيث إطلاقها على مجموع المقروء محلاً ولفظاً ووضعاً هو القرآن، أما القراءة من حيث إطلاقها على الموضوع المختلف فيه فهي قراءة وهي وجه من أوجه القرآن المقروء فتؤول إلى القرآن فهو الأصل وهي أحد أوجهه فالعلاقة التباين الذي محصلته الاتحاد في أصلية القرآن إذ القراءة منبثقة عنه، والافتراق في أن القرآن يتحقق بوجه واحد من الأوجه المختلف فيها التي تسمى قراءة.

ولذا كان النبي ﷺ يسمي ذلك كله قرآناً، أي هو قرآن بهذا الوجه من القراءة أو بذاك فقد قرأ رجل عند عمر فغير عليه فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علي قال: فاجتمع عند رسول الله ﷺ قال: فقرأ أحدهما على النبي ﷺ فقال له: «أحسنت» قال: فكأن عمر وجد في نفسه من ذلك فقال النبي ﷺ: «يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم يجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة»^(١) فسمى القراءة المختلف فيها قرآناً.

ووضح أهل العلم حقيقة التباين بين القرآن والقراءة فقال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - وهو يتكلم عن القراءات: «ومن ادعى تواترها فقد كابر الحس، أما القرآن العظيم سوره وآياته فمتواتر ولله الحمد محفوظ من الله تعالى لا يستطيع أحد أن يبدله ولا يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة ولو فعل ذلك أحد عمداً لانسلك من الدين قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]»^(٢)، وكذلك قرر ابن الجزري شيخ القراء فقال: «ونحن ما ندعي التواتر في كل فرد مما انفرد به

(١) أحمد (٤/ ٣٠)، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (٧/ ١٥١)، مرجع سابق: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧١)، مرجع سابق.

بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق ولا يدعي ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر»^(١).

وأساس هذه الحقيقة: أن القرآن هو كل أحرف الوفاق وهي الغالب الأعم، ثم يتحقق بوجه واحد من أحرف التنوع الصوتي (الاختلاف)، وهي متواترة عند أهل كل قطر.

المختلف فيه من علم القراءة محصور منضبط:

وبناء على هذا أيضاً يقال: «إن القراءة بمعنى المختلف فيه عبارة عن مواضع محصورة محدودة لا يخرج عن نطاق اختلافات صوتية لغوية (لهجية) في الغالب، وهذا ما جعل ابن قتيبة يذهب إلى أن اللهجات ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون واحداً»^(٢).

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ عدم التناقض المعنوي بين هذه الأحرف

وكان النبي ﷺ يبين لهم أن هذه الأحرف السبعة تتنوع من حيث معانيها إلى معان معروفة دون تناقض فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وأمر وزجر فأحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر أمثاله فإن كلاً من عند الله وما يذكر إلا أولو الأبواب»^(٣)، فأخر الحديث تشييت لعدم الاضطراب والتناقض في أول الحديث، وتبيين لأشكال المعاني التي ترجع إليها هذه

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص ١٤.

(٢) خلق أفعال العباد ص ٨٧، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (٣/ ٢٠)، الحاكم (١/ ٧٣٩)، مرجعان سابقان.

الأحرف، فهي كالحرف الواحد في الانسجام وعدم الاضطراب، فالمسلمون متفقون «على أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضاً خلافاً يتضاد فيه المعنى ويتناقض بل يصدق بعضها بعضاً كما تصدق الآيات بعضها بعضاً»^(١).

«وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التي صحت عندهم مما وافق المصحف وأنهم في ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال، وإن كان بين القراءتين ما يعده الناظر ببدئ الرأي اختلافاً في المعنى لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب وهذا كان عادة العرب..»^(٢).

وترجع الاختلافات في هذه الأحرف السبعة إلى ثلاثة محاور، ليس في شيء منها تضاد بين القراءات المختلفة^(٣):

الأول: اختلاف اللفظ مع أن المعنى واحد:

نحو اللغات (اللهجات) الواردة في القراءات كالإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، وصلة ميم الجمع وإسكانها، ونحو: السراط بالسين والصراط بالصاد والزراط بالزاي، وأكلها، وفي الأكل بإسكان الكاف وبضمها وإلى ميسرة بضم السين وبفتحها... وهذا النوع هو الغالب الأعم في القراءات حتى مال عدد من كبار العلماء إلى أن اختلاف القراءات لا يعدو أن يكون لغات.

(١) ابن تيمية (١٣ / ٤٠١)، مرجع سابق.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة (٢ / ٨٣).

(٣) الأحرف السبعة للداني ص ٤٧.

الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه:

نحو: ﴿تَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] بألف وملك بغير ألف لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو الله سبحانه وتعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعاً فأخبر سبحانه وتعالى بذلك في القراءتين ونحو: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] بتخفيف الذال وبتشديدها لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هم المنافقون وذلك أنهم كانوا يكذبون في إخبارهم ويكذبون النبي ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى فالأمران جميعاً مجتمعان لهم فأخبر الله تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما، ونحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هي العظام وذلك أن الله تعالى أنشراها أي أحيائها، وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات، ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم فضمن تعالى المعنيين في القراءتين تنبيهاً على عظيم قدرته...

الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، مع عدم التناقض العام:

كقراءة من قرأ: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ [يوسف: ١١٠] بالتشديد لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم وقراءة من قرأ فَقَدْ كُذِّبُوا بالتخفيف لأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول للمرسل والثاني للمرسل إليهم والظن في القراءة الثانية شك والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للمرسل...

وهكذا فهم السلف أن معنى هذه الأحرف أنها في الأمر الواحد الذي لا يختلف حلاً وحرمة:

فلا تناقض بينها معنى كما قال الزهري تعليقاً على حديث الأحرف السبعة: «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام»^(١) بل «كلها شاف كاف» فكل «حرف من هذه الأحرف السبعة شاف لصدور المؤمنين، لاتفاقها في المعنى، وكونها من عند الله وتنزيله ووحيه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي بِنَاءَ امْتُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] وهو كاف في الحجة على صدق رسول الله ﷺ لإعجاز نظمه، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله»^(٢).

(١) مسلم (١/ ٥٦١)، المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢/ ٤١٤)، مرجعان سابقان.

(٢) شرح السنة (٤/ ٥١٢)، مرجع سابق.

المبحث الثاني:

تعليمه ﷺ أن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول

إذا كان القرآن قد نزل من عند الله على سبعة أحرف؛ فإن هذا يعني أنه لا دخل للاجتهاد البشري في كلام الله جل جلاله، وإلا لما سمّي كلامه، ولذا يروم هذا المبحث أن يؤكد على هذه الحقيقة، ويتم ذلك من خلال تقسيم المبحث إلى المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول: التلقي والتوقيفية في القراءات.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ عدم التنازع في رواية القراءة ما دامت قد ثبتت عنه.

المطلب الثالث: أين الأحرف السبعة؟.

المطلب الرابع: القراءة التفسيرية.

المطلب الخامس: القراءة بالمعنى.

المطلب الأول: التلقي والتوقيفية في القراءات

التوقيفية معناها التعليمية^(١)، وهو مصطلح شرعي يدل على ضرورة الوقف عند الشيء المحدد الذي أتى به الشرع وعلمه النبي ﷺ، وعدم إدخال الاجتهاد البشري فيه، ويظهر التأكيد عليها في:

(١) حاشية العدوي (١ / ٧٧)، مرجع سابق.

تعليمه ﷺ وجوب الالتزام بأداء اللفظ القرآني كما تُعَلِّم:

تدل الروايات الواردة في الأحرف السبعة جميعاً على أن القراءات المتعددة «كذلك أنزلت»، و«كذلك أقرأنيها رسول الله ﷺ»، و«أقرؤوا كما علمتم»، وكل هذه الألفاظ المتعددة تتضافر على التأكيد على أمر واحد هو أن القراءات توقيفية منزلة من عند الله عز وجلّ ليس لأحد أن يقرأ بمحض اجتهاده فيأتي بما يظنه مرادفاً، أو يقرأ بهيئة مختلفة من عند نفسه، وعلى أن منهج الإقراء المعتمد هو التلقي والتناقل، وليس غيره.

ومعنى «هكذا أقرأني جبريل» «أنه أقرأه مرة بهذه، ومرة بهذه»^(١)، كما قالوا: كان ﷺ يأمرنا أن نقرأ القرآن كما أقرأناه وقال: إنه أنزل على ثلاثة أحرف فلا تختلفوا فيه فإنه مبارك كله فاقرووه كالذي أقرأتموه^(٢).

وأمر ﷺ بالالتزام كل شخص ما عُلِّم فعن حذيفة رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل وهو عند أحجار المرى فقال: «إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه»^(٣)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة الرحمن فخرجت إلى المسجد عشية فجلس إلي رهط فقلت لرجل اقرأ علي فإذا هو يقرأ أحرفاً لا أقرؤها فقلت من أقرأك؟ فقال: أقرأني رسول الله ﷺ فانطلقنا حتى وقفنا على النبي ﷺ فقلت: اختلفنا في قراءتنا، فإذا وجه رسول الله ﷺ فيه تغير ووجد في نفسه حين ذكرت الاختلاف فقال إنما هلك من قبلكم بالاختلاف فأمر

(١) القرطبي (١ / ٤٨)، مرجع سابق.

(٢) الطبراني في الكبير (٧ / ١٥٢)، مرجع سابق.

(٣) أحمد (٥ / ٣٨٥)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧ / ١٥١)، مرجع سابق.

علياً فقال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عَلمَ فإنما أهلك من قبلكم الاختلاف قال فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حرفاً لا يقرؤه صاحبه^(١).

وكان يصف ما قرأه المرء مما عَلمَ بأنه حسن جميل، فعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «أقراني عبد الله بن مسعود سورة وأقرانيها زيد وأقرانيها أبي فاختلفت قراءتهم فقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال علي رضي الله عنه: «ليقرأ كل إنسان كما علم فكل حسن جميل»^(٢).

والتوقف عند ما علمه رسول الله ﷺ سواء كانت القراءة سماعاً كما تدل عليه الأدلة السابقة أو عرضاً كما قال علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أقراني فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف^(٣).

وكان إنكارهم في مخالفة النبي ﷺ في أداء الفاظ القرآن الكريم قد بلغ حداً عظيماً، فعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرانيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرانيها ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله ﷺ: «أرسله اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقراني فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما

(١) ابن حبان (٣/ ٢٢)، الحاكم (٢/ ٢٤٣)، مرجعان سابقان.

(٢) الطبراني في الكبير (٥/ ١٩٨)، مرجع سابق وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٤)، مرجع سابق.

(٣) معجم الشيوخ ص ١٦٢، مرجع سابق.

تيسر منه»^(١)، وعن أبي بن كعب قال ثم كنت جالساً في المسجد فدخل رجل فقرا قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضى الصلاة دخلا جميعاً على النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم قرأ الآخر قراءة سوى قراءة صاحبه فقال لهما رسول الله ﷺ: «اقرأ» فقرا فقال: «أحسنتما» أو قال: «أصبتما» (و حسن قراءتهما) قال فلما قال لهما الذي قال كبر علي فلما رأى النبي ﷺ ما غشيني ضرب في صدري فكأنني أنظر إلى ربي فرقاً، وفي لفظ: «فلما سمعت النبي ﷺ قال الذي قال سقط في نفسي من الأمر وكبر علي ولا إذ في الجاهلية ما كبر علي فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ضرب في صدري ففضت عرفاً فكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً» فقال رسول الله ﷺ: «يا أبي إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف» فرددت عليه أن هون على أمي مرتين فرد علي أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألته يوم القيامة فقلت اللهم اغفر لأمي ثم أخرجت الثانية إلى يوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم^(٢)، وفي لفظ قال النبي ﷺ لأبي ولابن مسعود: «بلى كلاهما محسن مجمل» فقلت ما كلانا أحسن ولا أجمل قال فضرب صدري..^(٣)، وفي هذا نفور شديد ظاهر، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن هذا القرآن أنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط».

وهذه التوقيفية عبر عنها أئمة السلف بأن القراءة سنة:

أي يجب أن تتبع دون ابتداء، في لفظها ولا في أدائها، فعن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تتدعوا فقد

(١) البخاري (٤ / ١٩٠٩)، مسلم (١ / ٥٦٠)، مرجعان سابقان.

(٢) مسلم (١ / ٥٦٢)، ابن حبان (٣ / ١٥)، مرجعان سابقان، وما بين العارضتين من المسند المستخرج على صحيح مسلم (٢ / ٤١)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الصغرى (١ / ٥٦٧)، أبو داود (٢ / ٧٦)، مرجعان سابقان.

كُفَيْتُمْ»، وقال حذيفة رضي الله عنه: «اتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن تركتموهم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً»^(١)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إني سمعت القراءة فرأيتهم متقاربين فاقروا كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف وإنما هو كقولك هلم وأقبل وتعال»، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «القراءة سنة فاقروه كما تجدونه»، وعن محمد بن المنكدر قال: «القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول»، وكذلك قال عمر بن عبد العزيز، وعن عامر الشعبي قال: القراءة سنة فاقروا كما قرأ أولوكم، وعن عروة بن الزبير قال: إنما قراءة القرآن سنة من السنن فاقروه كما علمتموه»^(٢)، وقال: عروة بن الزبير، إنما قراءة القرآن سنة فاقروا كما علمتموه، وقيل لطلحة بن مصرف: «يا أبا عبد الله إن بعض أصحاب النحو يقولون: إن في قراءتك لحناً، قال: ألحن كما لحن أصحابي أحب إلي من أتابع هؤلاء»^(٣).

كما كانوا يحظرون على الإنسان أن يقرأ بما لم يتقدمه فيه أحد فعن الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا، وعن الأصمعي قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء وبركنا عليه في موضع وتركنا عليه في موضع أيعرف هذا؟ فقال ما يعرف إلا أن يسمع من المشايخ الأولين^(٤).

وفي ذلك يقول أبو مزاحم الخاقاني - رحمه الله تعالى -:

(١) البخاري (٦ / ٢٦٥٦)، مرجع سابق.

(٢) انظر تخريج ما سبق في السبعة ص ٤٦ - ٥٠، مرجع سابق، وانظر: فتح الوصيد في شرح القصيد (١ / ٨٠ -

٨١)، مرجع سابق.

(٣) الكامل ص ١٤ وجه أ، مرجع سابق.

(٤) السبعة ص ٤٨، مرجع سابق.

أي قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك الله الجزيل من الأجر
فما كل من يتلو الكتاب يقيمه وما كل من في الناس يقرئهم مقري
وإن لنا أخذ القراءة سنة عن الأولين المقربين ذوي الستر

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ عدم التنازع في رواية القراءة ما دامت قد

ثبتت عنه

وكان يعلمهم عدم التنازع في رواية القراءة ما دامت قد ثبتت عنه: فعن
أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف ومراء في
القرآن كفر»^(١).

ويعلمهم ﷺ تصويب قراءة كل واحد منهم ما دام قد تلقاها من النبي ﷺ:
فعن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف
على أي حرف قرأتم أصبتم فلا تماروا فإن المراء فيه كفر»^(٢). وكان ﷺ يشدد في
ذلك تشديداً عظيماً حتى جعل المراء والجدال في القرآن كفراً فقال لهم: «لا تجادلوا
في القرآن فإن جدالاً فيه كفر»^(٣). وفي معنى النهي عن المراء والجدال الواردين فيما
سبق يقول «الحليمي»: وهذا والله أعلم أن يسمع الرجل من الآخر قراءة أو آية أو
كلمة لم تكن عنده فيعجل عليه، ويخطئه فينسب ما يقرأ إلى أنه ليس بقرآن، ويجادله
في ذلك، أو يجادله في تأويل ما يذهب إليه، ولم يكن عنده ويخطئه ويضلله لا ينبغي
له إن فعل ذلك فإن اللجاج ربما أزاغه عن الحق ولا يقبله، وإن ظهر له وجه
فيكفر، فلهذا حرم المراء في القرآن وسمي كفراً لأنه يشرف بصاحبه على الكفر وإن

(١) الطبراني في الأوسط (٦ / ٩٦)، مرجع سابق.

(٢) أحمد (٤ / ١٦٩)، مسند الحارث (٢ / ٧٣٢)، مرجعان سابقان، وهو في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٠)، مرجع

سابق.

(٣) مسند الطيالسي ص ٣٠٢، شعب الإيمان (٢ / ٤١٧)، مرجعان سابقان.

ذلك لو كان في نفي حرف، أو إثباته، أو نفي كلمة، أو إثباتها لكان الزائغ من الممارين عن الحق بعد ما تبين له كافراً»^(١) وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي ﷺ قوماً يمارون في القرآن فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما ترك كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»^(٢)، فالمرء هنا هو «الإصرار على التغليب، والتضليل، وترك الإذعان لما يقام من الحجة فأما المباحثة التي لا يكاد المشكك يُنصح إلا بها فليست مجرام»^(٣).

عثمان رضي الله عنه ذكر الأمة بالمشروعية العامة لكل القراءات ما دامت ثابتة عن النبي ﷺ حتى لا يقع أحد في التكفير:

وهذا الاختلاف والتغليب في أحرف القرآن حدث في زمن عثمان بن عفان فإن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس قال: وما ذلك؟ قال: غزوت فرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً^(٤) فأراد عثمان أن يبين للناس جواز القراءة بذلك كله دون إنكار أو مرء، ولذا استشهد الناس على سماعهم حديث الأحرف السبعة، كما جاء عن أبي المنهال سيار بن سلامة قال: بلغنا أن عثمان قال يوماً - وهو على المنبر -: أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام

(١) شعب الإيمان (٢/ ٤١٧)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤١٧)، مرجع سابق.

(٣) شعب الإيمان (٢/ ٤١٧)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ١٨)، مرجع سابق.

فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا أشهد معهم^(١).

وعلمهم النبي ﷺ قواعد جامعة في هذا الباب:

فسمع ﷺ قوماً يتمارون في القرآن فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما ترك كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، المرء في القرآن كفر ثلاث مرات فما علمتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»^(٣).

فظهر من ذلك عدة قواعد جامعة:

١- نزل القرآن على سبعة أحرف.

٢- المرء في القرآن كفر، ويظهر ذلك في موضوعنا بنفي قراءة يسندها قارئها إلى النبي ﷺ بحسب مناهج الإقراء المعتبرة.

٣- فما علمتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه، ومن حيث موضوع البحث: ما علمه المرء من قراءة قرأ بها، وما لم يعلمه مما سمعه فأنكره في نفسه لجهله به، وصاحبه متأهل لأن يروي مثل ذلك فلا ينكره أما في عهد الصحابة فللتلقي المباشر من النبي ﷺ، ومدار القراءات محصور على عدد قليل منهم، وأما بعده فلوجود أهل الفن الذين يعرفون وينكرون فيرجع الأمر إليهم.

(١) مسند الحارث (٢/ ٧٣٤)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤١٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (١/ ٢٧٥)، أحمد (٢/ ٣٠٠)، مرجعان سابقان، وفي مجمع الزوائد (١/ ١٨٧)، مرجع سابق:

«رواه كله أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه».

٤- التيقن من عدم التناقض المعنوي بين القراءات المتعددة، كعدم تناقض وصف الله بعدة أوصاف مثل: عليماً حليماً غفوراً رحيماً.

٥- الخلافات بين القراءات منحصرة منضبطة: فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم»^(١)، والتقارب هنا يدل على أن الخلاف بين القراءات محدودة جداً ومنحصرة فهي متقاربة بينها. فنفي قراءة من صحابي لآخر مع إثبات تلقيها من النبي ﷺ خطأ رده النبي ﷺ، وبعد جيل الصحابة يكون الخطأ هو نفي قراءة مع تلقي أهل المصر لها بالقبول.

٦- يجب عند الاختلاف في القراءة أن يكفوا: وليقوموا حتى لا يخطئ بعضهم بعضاً في قراءة ثابتة مما قد يؤدي إلى التكفير فعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن ما اتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه»^(٢): فقوله: «فإذا اختلفتم» فيه نهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء فمنع هذا من قراءة أخيه، واتهمه باختلافها، وأمرهم بأن يتفرقوا عند وقوع مثل هذا الاختلاف، ويستمر كل منهم على قراءته ومثله ما تقدم عن ابن مسعود لما وقع بينه وبين الصحابين الآخرين الاختلاف في الأداء فترافعوا إلى النبي ﷺ فقال كلكم محسن، وما وقع لأبي كذلك^(٣)، وهذا أولى من الحمل على الاختلاف في فهم معانيه^(٤)، وذلك لأن الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك ليس منهيماً عنه بل هو مأمور به وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن^(٥)، وقال

(١) النسائي في الصغرى (١/ ٥٦٦)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤/ ١٩٢٩)، مسلم (٤/ ٢٠٥٣)، ابن حبان (٣/ ٥)، مراجع سابقة.

(٣) وانظر: فتح الباري (٩/ ١٠١)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ١٠١)، مرجع سابق.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٨)، مرجع سابق.

الزغشيري: «و لا يجوز توجيهه بالنهي عن المناظرة والمباحثة فإنه سد لباب الاجتهاد، وإطفاء لنور العلم، وصد عما تواطأت العقول والآثار الصحيحة على ارتضائه، ولم يزل الموثوق بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل ويستثيرون دقائقه ويغوصون على لطائفه وهو ذو الوجوه فيعود ذلك تسجيلاً له ببعده الغور واستحكام دليل الإعجاز، ومن ثم تكاثرت الأقاويل واتسم كل من المجتهدين بمذهب في التأويل»^(١)، بل يكون النهي عن الاختلاف نهي عن اختلاف لا يجوز أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كاختلاف في نفس القرآن بأن ينفي هذا قراءة الآخر، والعكس أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار ونحو ذلك^(٢).

وبذلك أوصى عبد الله بن مسعود تلاميذه:

إذ لما أراد أن يأتي المدينة جمع أصحابه فقال: والله إنني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقهاء والعلم بالقرآن، إن هذا القرآن أنزل على حروف والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط فإذا قال القاري: هذا قرآني قال: أحسنت وإذا قال الآخر: هذا قرآني قال كلا كما محسن... واعتبروا ذلك بقول أحدكم لصاحبه كذب وفجر وبقوله إذا صدقه صدقت وبررت إن هذا القرآن لا يختلف ولا يستثنى ولا يتفه لكثرة الرد فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علم رسول الله ﷺ فلا يدعه رغبة عنه فإنه من يجحد بآية منه يجحد به كله فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه اعجل وحي هلا^(٣).

(١) فيض القدير (٢/ ٦٣)، مرجع سابق.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٨)، مرجع سابق.

(٣) أحمد (١/ ٤٠٥)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٣)، مرجع سابق.

المطلب الثالث: أين الأحرف السبعة؟

بحث هذه المسألة ينبني على معرفة معنى الأحرف السبعة: وقد أجهد أهل العلم أنفسهم في القديم والحديث في محاولات تحديد المراد من الأحرف السبعة بدقة، وما زالت المطبوعات تقذف بمجديد تأليف في هذا الباب، حتى قال بعضهم: «وهكذا يستمر الأئمة في تقليب الوجوه والمعاني ويحاولون فهم المراد بالسبعة الأحرف في الحديث وإنني أرجح أن هذا الحديث من مثابه الحديث الذي يصعب معناه على وجه يخلو من الأشكال ولعله مهما استأثر الله بعلمه»^(١).

والقول بأنها من المشكل الذي استأثر الله بعلمه قاله السيوطي^(٢) من قبل، وخلاصة البيان في نظر الباحث أن يقال: إما أن العدد مقصود، وإما أنه غير مقصود وأن المراد السعة والتيسير فالمراد منه ظاهر لكن تحديده بدقة هو غير متوفر مهما قيل فيه ولكن لم لا يكون من التيسير: جمع أكبر قدر من المعاني واللغات في أصغر حيز، ولذا قال «اقروا ما تيسر منه» فهي قاعدة أولى وقعد أخرى فقال: «كلها شاف كاف» أي كل واحد منها شاف كاف للمطلوب الشرعي لغة وأصولاً وفقهاً وعقيدة، وكون الواحد منها ينوب عن الآخر... ولو كانت الأحرف السبعة على هذا المفهوم حرفاً واحداً لآزاد حجم القرآن.

وغير ضائر عدم التحديد ما دام المعنى واضحاً ومظاهره متمثلة في القراءات فيقال الأحرف السبعة هي: «ما يشمل اختلاف اللهجات وتباين مستويات الأداء، ناشئة عن اختلاف الألسن، وتفاوت التعليم وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد»^(٣) فليس ثم حاجة للحصر... ويصعب الجزم بتحديد مدلول دقيق أكثر من ذلك.

(١) مع المصاحف ص ٢٨، مرجع سابق.

(٢) الإيقان (١/ ١٣٠)، مرجع سابق.

(٣) تاريخ القرآن ص ٤٢، مرجع سابق.

والقائلون بأن المراد منها لغات لهم وجهتان:

إما لغات بمعنى اختلاف الكيفيات التصويتية أي الاختلاف اللهجي، وهو ما يدل عليه تحليل ابن قتيبة في بيان حكمة الأحرف السبعة^(١) مع أن تفسيره لها مخالف لتعليقه، وإما اللغات بمعنى المترادفات، وقد ذهب إلى هذا عدد كبير من أهل العلم بل يكاد من قال بأن المصحف العثماني كتب على حرف واحد يقول بهذا الرأي، ومن أشهرهم: ابن جرير الطبري^(٢)، وعلى قولهم هذا فإن الأحرف السبعة قد ذهبت بإجماع الصحابة زمن عثمان رضي الله عنه، إلا شيئاً يسيراً يتعلق بموضعين بكلمتين في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، جاء فيهما الترادف هما: فَتَيَّبْنَا فِي سَوْرَتِي النَّسَاءِ وَالْحَجْرَاتِ جَاءَتْ قِرَاءَةٌ أُخْرَى مُتَنَاقِلَةٌ لِحَمْزَةٍ وَالْكَسَائِي، وَخَلْفَ الْعَاشِرِ هِيَ [تَبْتَوِا]، وَلَكَبَّوْهُنَّ جَاءَتْ فِي الْعَنْكَبُوتِ قِرَاءَةٌ هُوَ لَاءٌ أَيْضاً [لَتَثْوِينَهُمْ]^(٣).

والرأي الثالث الشهير أن الأحرف بمعنى سبعة أوجه مختلفة، ومن أشهر القائلين بهذا ابن قتيبة في تفسيره لها، وأبو الفضل الرازي، وابن الجزري رحمهم الله تعالى.

استبعاد أن تكون الأحرف السبعة محض لهجات:

والقول بأنها ليست محض لغات (لهجات) له وجاهاته؛ إذ التيسير المتكأ عليه في كونها كذلك منخرم بأمور:

١ - أن من القراءات التي ترجع إلى الأحرف السبعة ما ليس بلغات.

(١) ومن آخر من قال بهذا: حسن ضياء الدين عتر في كتابه: الأحرف السبعة في القرآن بعد بحث وترجيح.

(٢) ومن آخر من قال بهذا: الأستاذ محمد محمد الشرقاوي في مقال له بعنوان: الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن بمجلة الأزهر - المجلد الثالث والثلاثون - العدد الحادي عشر ١٩٦٢ م.

(٣) انظر: حرز الأمانى (الشاطبية) في سور النساء ص ٨٦، العنكبوت ص ١٢٧، وكذلك طيبة النشر في سورة النساء ص ٧٠، والعنكبوت ص ٩٠.

٢- أن ذلك محكوم بالتلقي، فيلزم الثبات عليه مع التلقي، فيصعب التيسير المراد^(١).

٣- أن قبائل العجم أولى بهذه الحكمة من العرب، واشتد ابن حزم كعاداته في الإنكار على من اتكأ على هذه الحكمة فقال: «كذب هؤلاء مرتين إحداهما على الله تعالى، والثانية على جميع الناس كذباً مفضوحاً جهاراً لا يخفى على أحد، أما كذبهم على الله عز وجل فأخبارهم بأنه تعالى إنما جعله يقرأ على أحرف شتى لأجل صعوبة انتقال القبيلة إلى لغة غيرها فمن أخبرهم بها عن الله تعالى أنه من أجل ذلك حكم بما صح أنه تعالى حكم به... وأما كذبهم على الناس فالمشاهدة يدري كل أحد صعوبة القراءة على الأعجمي المسلم بلغة العرب التي بها نزل القرآن أشد مرأماً من صعوبة قراءة اليماني على لغة المضري والربيعي على لغة القرشي»^(٢).

استبعاد القول بأن الأحرف السبعة مترادفات سبع:

وواضح من الأحاديث أن الأمر لم يتعلق بالمترادفات اللغوية حال وجودها في القرآن الكريم، وذلك لمعرفة عمر وغيره بالسور التي كان يقرؤها من أنكروا عليه، فلو كانت مترادفات لكثرت، ولما أنكروا؛ إذ تصبح سوراً جديدة لا معروفة عند السامع.

والقائل بالترادف يعسر على الأمة ويقلب الحكمة، إذ الترادف مستلزم لحفظ الأصل، وإذا كان بعض من ذهب المذهب يقول: «و الذي وقر في أفهام الصحابة أن ذلك لا يتأتى بالتشهي في انتقاء المترادفات، أو الاختيار الشخصي في تطويع القرآن للغة... ولو قد كان ذلك لما قال كل من عمر وهشام حين تجادلا في

(١) انظر كلام القاري في عون المعبود (٤/ ٢٥٣)، مرجع سابق.

(٢) الإحكام (٤/ ٥٥٦)، مرجع سابق.

الموضوع قرآني النبي ﷺ، بل المرجع الأول والأخير في ذلك»^(١)، فإن العسر يبلغ مبلغاً كبيراً كما هو ظاهر.

وهذا كله حال تفسير الأحرف السبعة بالترادفات، وهذا التفسير غير مرضي ولا متفق عليه.

المتبقي من الأحرف السبعة:

وبناء على اختلافهم في تحديد ماهية الأحرف السبعة اختلفوا في بقائها كلها، أو بقاء بعضها، فمنهم من ذهب إلى بقاء الأحرف السبعة برمتها كما يميل إليه ابن حزم^(٢)، ومنهم من ذهب إلى بقاء حرف واحد وذهاب ستة أحرف حيث يتحقق القرآن بواحد منها وهو موجود وذلك شاف كاف كما ذهب إليه الطبري.

والقول ببقاء ما يحتمله رسم المصحف وتناقلته القراءات المتناقلة من الأحرف السبعة هو المتبقي وليس كل الأحرف السبعة، ولا حرفاً واحداً هو الذي ارتضاه كثير من المحققين، ونكتفي بهذا في هذا الموضوع لكثرة من بحثه.

وأما العلاقة بين القراءات المتناقلة والأحرف السبعة:

فالأحرف السبعة أساس لشرعية هذه القراءات؛ إذ القراءات من الأحرف السبعة، والعلماء مجمعون على ذلك، فالذي يعيننا من الأحرف السبعة أنها تعطي التأصيل الشرعي للقراءات أي تكسبها المشروعية كما ظهر من ذكر النبي ﷺ لوصف الأحرف السبعة مع بيان مشروعية القراءة التي قرأ بها أحد المختصمين من الصحابة ولم يشذ عن هذا إلا الطبري تنظيراً لا تطبيقاً، حيث ذهب إلى أن عثمان كتب المصحف على حرف واحد، فلما ورد عليه القراءات المتناقلة قال: «فأما ما

(١) انظر: مقال للأستاذ محمد محمد الشراوي: الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن بمجلة الأزهر، مجلد ٣٣،

عدد ١١ - ١٩٦٢ م.

(٢) الإحكام لابن حزم (١ / ٧١)، مرجع سابق، ويسمي الأحرف قراءات.

كان من اختلاف القراءة، في رفع حرف وجره ونصبه، وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر، مع اتفاق الصورة». فمن معنى قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل»^(١)، ولكنه قال عند التطبيق كلاماً وصفه مكي بأنه نقض أيضاً به مذهبه وذلك في كتاب القراءات له: «كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأُمَّته من الأحرف السبعة التي أذن الله له، وهم أن يقرأوا بها القرآن، ليس لنا أن نخطئ من قرأ به إذا كان موافقاً لخط المصحف، فإن كان مخالفاً لخط المصحف لم نقرأ به، ووقفنا عنه، وعن الكلام فيه»^(٢).

ولكن هل ترجع هذه القراءات إلى حرف واحد؟:

نسب القرطبي إلى كثير من أهل العلم أن هذه القراءات راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة^(٣)، ولكن القول بأن القراءات المتناقلة ترجع إلى حرف واحد إما أن يكون مرادهم عدم وجود المترادفات؛ إذ الأحرف السبعة هي المترادفات عندهم، فبقي لفظ... وذلك محض تخمين لا يرجع إلى أساس علمي عند النظر كما ظهر، وإما أن يريدوا شيئاً ليس له معنى، ومن ثم فالكاتب يجزم أن نفي بقاء الأحرف السبعة، أو إثباته مجرد تخمين. والأسلم أن يقال إنه بقي من الأحرف السبعة ما يحتمله رسم المصحف ويحكم به التلقي، ولا يؤثر ذلك على حقيقة حفظ القرآن، فالقرآن متحقق بأحدها، فالذي عليه المحققون أن الذي جمع في «المصحف هو المتفق على إنزاله، المقطوع به المكتوب بأمر النبي ﷺ، وفيه بعض ما اختلفت فيه الأحرف السبعة لا جميعها»^(٤).

(١) الطبري (١ / ٣١)، مرجع سابق.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ص ٦٠، مرجع سابق.

(٣) القرطبي (١ / ٤٦)، مرجع سابق.

(٤) فتح الباري (٩ / ٣٠)، مرجع سابق.

وعلى هذا فقد علمهم ﷺ أن القراءات التي أقرأهم بها جزء مما تيسر من الأحرف السبعة^(١).

كتابة المصحف على قراءة العامة في كل مصر:

وكتابة المصحف إنما كانت على قراءة العامة في كل مصر أرسل إليها مصحف، وعندما نقول قراءة العامة في كل مصر، فلا يُتوهم أن كل مصر تختلف قراءته تماماً عن المصر الآخر، بل القرآن متماثل وذلك مادي محسوس، ولكن قراءة كل مصر تختلف عن غيرها اختلافاً يسيراً في أمور محصورة مضبوطة كما سبق، فلا يُهول في الاختلاف كأن كلاهما كتاب متميز عن الآخر.

وقد زال المرء في قراءات القرآن بنسخ المصاحف وتعميمها، ولكن ليس بجمع القرآن على قراءة واحدة، بل بإعطاء الشرعية للقراءات المختلفة مادامت توافق خط المصحف بعد مجيئها تلقياً^(٢)، وقد دفع ابن حزم ذلك دفعاً شديداً، وقال بعض المحققين: المراد بكون عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد هي واحدة جنسية لا نوعية، أي لا أنه أخذ حرفاً واحداً وترك بقية الحروف^(٣).

ثم وجد الكاتب أن بعض كبار المحققين المعاصرين ارتضى الرأي ذاته في سبب نسخ المصاحف حيث قال: «وفي رأينا أن نشر القرآن بعناية عثمان كان لهدفين: أولهما أن إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة - التي كانت تدخل في إطار النص المدون، ولها أصل نبوي مجمع عليه - وحمايتها، فيه منع لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها. وثانيهما باستبعاد ما لا يتطابق تطابقاً مطلقاً مع النص الأصلي،

(١) انظر: الإبانة عن معاني القراءات ص ٣٤.

(٢) وهذه المسألة: اشتغال المصاحف العثمانية على حرف واحد أو على سبعة أحرف «مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها» كما يقول ابن الجزري، وليس من نطاق البحث تفصيلها بل له الإشارة إليها. وانظر فيها: النشر في القراءات العشر (١/ ٣٣)، مرجع سابق.

(٣) فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة (١/ ٣٤)، مرجع سابق.

وقاية المسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحماية للنص ذاته من أي تحريف نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعاً ما، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها لمصاحفهم بحسن نية»^(١).

معنى قولهم قرأ بجرف فلان:

ومن نافلة القول التأكيد على أن القراءات السبع ليس هي الأحرف السبعة الواردة في الحديث فأما قول الناس: «قرأ فلان بالأحرف السبعة، فمعناه أن قراءة كل إمام تسمى حرفاً، كما يقال: قرأ بجرف نافع، وبجرف أبيّ وبجرف ابن مسعود. وكذلك قراءة كل إمام تسمى حرفاً، فهي أكثر من سبعمائة حرف لو عدنا الأئمة الذين نقلت عنهم القراءة من الصحابة فمن بعدهم»^(٢).

وبناء على ما تقدم من العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة:

أفأقرأهم النبي ﷺ بتخفيف الهمز والأوجه الواردة فيها أم كانت سنة

تقريرية؟:

الجواب: هذا يعود إلى ما تقدم في أصول التجويد، وأول أصوله: اللغة العربية... والهمز أو تخفيفه لغتان مشهورتان عند العرب، واللغة الحجازية بالتخفيف لا بالتحقيق.. فاستبعاد القراءة بالتخفيف كاستبعاد نطق الهمز، كاستبعاد النطق بأي حرف عربي... وهذا خلف غريب من القول... نتج عن الخلط بين مناهج العلوم، وبين منهج علم الإقراء ومنهج علم الحديث على الخصوص.

(١) محمد عبد الله دراز (دكتور): مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن) ص ٢٥، وانظر: هل

واحد عثمان بن عفان القراءات أم عمم شرعيتها؟ للكاتب.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ص ٤٤، مرجع سابق.

ونقل القرافي في الذخيرة أنه تستحب القراءة بتسهيل الهمزة لأن ذلك لغة النبي ﷺ؛ لأن العلماء أجمعوا على أن لغة النبي ﷺ لغة قريش ولغة قريش عدم تحقيق الهمز فيكون ذلك لغة النبي ﷺ صحيح^(١).

وأما الأوجه المتعددة فهي أوجه لغوية صرفة: وفيها التوسعة لعدم النص على وجه بعينه، وإن كان النبي ﷺ لا يرب قد أقرأ بأوجه في ذلك بحسب المنهج القرآني.

وقد يُسأل: أدخل الاجتهاد في القراءة باتباع الرسم المصحفي في قراءة حمزة عند الوقف على الهمز؟

والجواب: قول الشاطبي:

وقد رووا أنه بالخط كان مسهلاً ففي اليائلي والواو والحذف رسمه^(٢) «يريد أن بعض أهل الأداء رووا عن حمزة أنه كان يتبع في الوقف على الهمز رسم المصاحف العثمانية الصحيحة، وقيد ذلك الداني والناظم وجماعة من المتأخرين بشرط صحته في العربية، فتبدل الهمزة بذلك الشرط بما صورت به، فما صورت ألفاً تبدل ألفاً، وما صورت واواً تبدل واواً، وما صورت ياء تبدل ياء، وما لم تصور تحذف»^(٣)، وكل ذلك بشرط الصحة لغة، ولذا أنكر ابن الجزري موافقة الرسم دون الصحة في اللغة^(٤)، وحصر أهل العلم الكلمات التي جاز فيها ذلك^(٥).

(١) الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون (ص ٢٢٢).

(٢) حرز الأمانى (الشاطبية) ص ٤٣، مرجع سابق.

(٣) الشيخ علي محمد الضباع: إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ص ٧١، تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوة عوض، ط ١٤٠٤ هـ / ١٩٧٤ م.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٦٢)، مرجع سابق.

(٥) انظر في ذلك مثلاً: علي محمد توفيق النحاس (دكتور): الرسالة الغراء في الأوجه المقدمة في الأداء عن العشرة القراء ص ٤١، راجعها: الشيخ عبد الرازق السيد البكري - ومها القصيدة الحسنة، ط ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

ولفقه الصحابة لذلك لم يضعوا للهمزة صورة بعينها في رسم المصحف؛ إذ «كل الحروف المذكورة له صورة في الخط يعرف الحرف بها اصطلاحاً متفقاً عليه، لا تتغير تلك الصورة، إلا الهمزة فإنها لا صورة لها تعرف بها، وإنما يستعار لها صورة غيرها، فمرة يستعار لها صورة الألف، ومرة صورة الواو، ومرة صورة الياء، ومرة لا تكون لها صورة»^(١)، وذلك كله قائم على أساس أن الصحابة كتبوا المصحف على الظاهرة اللغوية^(٢).

القراءة بالقياس (بالاجتهاد):

وهنا ترد مسألة القراءة بالقياس، إذ لما كان اعتماد القراء على نقل القراءة خاصة أجمعوا على منعها بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، وتقدمت قاعدة التوقيف في القراءة، وأن القراءة سنة متبعة «فاقرأوا كما علمتم»، وإن كان القياس على إجماع انعقد، أو أصل يعتمد فيصير إليه عند عدم النص وغموض وجه الأداء؛ فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغي رده لا سيما إذا دعت الضرورة (و مست الحاجة إليه)، (و مما يقوي وجه الترجيح ويعين على وجه التصحيح)، بل لا يسمى ما كان كذلك قياساً على الوجه الاصطلاحي، (بل هو في التحقيق) «نسبة جزئي إلى كلي كمثل ما اختير في تخفيف بعض الهمزات»^(٣).

ولهذا التفصيل فقد نفى الشاطبي - رحمه الله تعالى - القياس المطلق بقوله:

وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلاً^(٤)

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص ٩٥، مرجع سابق.

(٢) يراجع: غام قدوري الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية - ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، حيث أن الكتاب معقود لإثبات أن الرسم العثماني قائم على أسس تاريخية ولغوية.

(٣) شرح طيبة النشر في القراءات العشر (٢ / ١٤٧)، وانظر: النشر في القراءات العشر (١ / ١٧).

(٤) حرز الأمانى (الشاطبية) ص ٥٧، مرجع سابق.

ولكنه أثبت القياس المقيد بقوله: فـاقـتـس لتـنـضـلا^(١) كما يدخل القياس (الاجتهاد) كثيراً في الوقف اصطحاباً للمعنى والوجه النحوي، ومما يظهر ذلك اختلاف النحاة والقراء تبع لهم في الوقف على كلا ونعم وبلى، ولما أراد مكي بن أبي طالب بيان اختياره في ذلك قال: «فهذا الذي ذكرنا، هو الذي عليه أهل المعاني من النحويين، والحدائق من القراء، وهو الاختيار عندنا، وبه اخذ»^(٢).

وهل أقرأ النبي ﷺ بالإمالة؟.

والجواب: اختلف في أصالة الإمالة والفتح وفرعيته في اللغة العربية^(٣)، حتى كان اضطراب أقوال الأقدمين من القراء والنحاة في أصالة الفتح أو الإمالة دليلاً على أنهم أدركوا أن الإمالة أحياناً تكون لها الأصالة^(٤)، والقول بأصالة الإمالة يتفق مع المخطوطات الكوفية القديمة للمخطوط العربية حيث كتبت الألف في رمى مثلاً (ى)، «و ليس هناك من تعليل لهذه الظاهرة إلا قدم نطق رمى بالإمالة»^(٥).

وأشهر من رويت عنه الإمالة من القراء: حمزة والكسائي، وعاصم من رواية شعبة، وأبو عمرو.

فأما حمزة فسنده إلى علي بن أبي طالب سند كله شيوخ كوفيون، والكوفة نزل بها رجال من قبيلة أسد التي اشتهرت بالإمالة، وأفرادها يقرؤون القرآن بلهجتهم في الإمالة.

(١) حرز الأمانى (الشاطبية) ص ٥٣، مرجع سابق.

(٢) شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب اللّه عز وجل ص ٤٥ لمكي بن أبي طالب.

(٣) انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ٥٥.

(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ٦٤، مرجع سابق.

(٥) الإمالة في القراءات. واللهجات العربية ص ٦٢، مرجع سابق.

وأما الكسائي فكان مولى هؤلاء الأسديين وريبهم فهذا سبب إكثار حمزة والكسائي من الإمالة، إذ كان ذلك - في جماع من القول - «بهدى من شيوخهما الذين عنهم يقرآن، وبيئتهما التي كانا فيها يضطربان ويعيشان»^(١)، وقد قيل للكسائي: إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع العربية.

وأما عاصم فقرأ على شيخين كبيرين: على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وهو يؤثر الفتح، وأقرأ قراءته هذه لحفص، والآخر هو زر بن حبيش عن ابن مسعود، ويؤثر عنه الإمالة، وأقرأ قراءته هذه لشعبة^(٢)... وعلى ما ذكرنا عن هؤلاء القراء تعليل ظهور الإمالة عند غيرهم.

والإمالة في هاء التأنيث وما شابهها من نحو (همزة، ولمزة، وخليفة، وبصيرة) هي لغة الناس اليوم والجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد شرقاً وغرباً وشاماً ومصرأ لا يحسنون غيرها ولا ينطقون بسواها يرون ذلك أخف على لسانهم وأسهل في طباعهم وقد حكاها سيبويه عن العرب^(٣).

فلا يرد هذا السؤال: هل كان النبي ﷺ يقرأ بالإمالة..^(٤) أصلاً لأنه سؤال عن صفة ذاتية للحرف عند قطاع عريض من العرب الفصحاء، وقد ورد عن «إبراهيم النخعي قال: كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء يعني بالألف والياء والتفخيم والإمالة فدل ذلك دلالة قاطعة على تساوي اللغتين وأنهما عند

(١) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ١٢٧، مرجع سابق.

(٢) غاية النهاية (١ / ٣٤٨)، مرجع سابق، وانظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ١٢٣، مرجع سابق.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢ / ٨٢)، مرجع سابق.

(٤) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ٥٥، مرجع سابق.

كل الصحابة رضوان الله عليهم في الفشو والاستعمال سواء، فلا وجه لاختيار شيء من ذلك وتفضيله على الآخر»^(١).

وأما ما ورد عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال أنزل القرآن بالتفخيم كهيئة الطير عذراً أو نذراً والصدفين ألا له الخلق والأمر وأشباهاها^(٢)، فهو - حال صحته - قد بين المعنى وأن المراد بالتفخيم المعنوي ولذا أدخل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وليس المراد تحريك السواكن دون سكونها، ولا الفتح دون الإمالة.

❖ وكل ما سبق أمثلة لما يستنكره بعضهم اليوم ويستوحشون من وجوده في القراءات، والمرء عدو ما جهل... ويقاس عليه ما لم يذكر كصلة ميم الجمع.. وفي الأصل تفصيل كثير في هذا الباب.

وأما كراهة الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - لبعض القراءات:

فهي كراهة قلبية وليس تحريماً أصلياً لعدم شيوع ما سمع على لسانه في عصره، وذلك كما يميل البعض إلى قراءة دون قراءة «و أثنى أحمد على قراءة أبي عمرو غير أنه كره إدغامه الكبير...»^(٣)، «و نقل عن أحمد أنه كان يختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر، قال: فإن لم يكن فقراءة عاصم من طريق أبي بكر بن بكر بن عياش، وأثنى على قراءة أبي عمرو بن العلاء، ولم يكره قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي لما فيها من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد، قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله إمام كان يصلي بقراءة حمزة أصلي خلفه قال: لا يبلغ به هذا كله ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة»^(٤)، ويعود الإعجاب وعدمه هنا إلى التفضيل

(١) جمال القراء وكمال الإقراء ٢ / ٥٠٤ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) المستدرک (٢ / ٢٦٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) المبدع (١ / ٤٤٥)، مرجع سابق.

(٤) المغني (١ / ٢٩٢)، مرجع سابق.

القلي، والصحيح جوازه ولذا قال سويد: مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: ما حاجتكما؟ قلنا: نحن نقرأ قراءة حمزة وبلغنا أنك تكره قراءته، فقال أحمد رحمه الله: حمزة قد كان من العلم بموضع، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم، فدعونا له وخرجنا وخرج معنا الفضل بن زياد، فقال لنا: إنني لا أصلي به وأقرأ قراءة حمزة، فما نهاني عن شيء منها قط^(١)، وحمزة هو الذي صار عظم أهل الكوفة إلى قراءته من غير أن تطبق عليه جماعتهم... ودرس سفيان على حمزة القرآن أربع دراسات، وسفيان هنا هو الثوري وهو من هو فقها^(٢)..

وعلى الرغم من تفضيل أحمد لقراءة عاصم إلا أن عاصماً قد وُصف في ترجمته بما يُنسب لحمزة، فعن شريك قال: كان عاصم صاحب همز ومد وقراءة شديدة^(٣)، فما عابه على حمزة هو فيمن فضله، وإنما كان حمزة يفعل ذلك تعليماً للمبتدئ ليأخذهم بالتأني والترتيل، وينهاهم مع ذلك عن تجاوز الحد. وقال محمد بن الهيثم النخعي: صليت خلف حمزة رحمه الله فكان لا يمد في الصلاة ذلك المد الشديد، ولا يهمز الهمز الشديد. وقال سليم: قال حمزة: ترك الهمز في المحارب من الأستاذية، وحمزة يقول في مسألة الهمز والسكت: إنا جعلنا هذا التحقيق ليستمر عليه المتعلم^(٤).

ملحوظات هامة:

أولاً: أصل المد هو المتواتر القرآني:

أصل المد، أو أصل الإمالة أو أصل الغنة ينتمي إلى التواتر القرآني لأنه جزء من الصوت الأساسي للكلمة، بخلاف التفصيل الدقيق فينتهي إلى التواتر القرائي،

(١) جمال القراء وكمال الإلقاء (٢/ ٤٧١)، مرجع سابق.

(٢) طبقات القراء (١/ ١١٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٨)، مرجع سابق.

(٤) جمال القراء وكمال الإلقاء (٢/ ٤٧١)، مرجع سابق، ويراجع كلام السخاوي القيم في الدفاع عن ابن عامر

وحمزة.

وقد يُتساهل في أمره، ولذلك اختلفت فيه كتب القراءات، ونظير ذلك الأوجه الجائزة في تخفيفات الهمز.

ثانياً: لا يُقرأ بكل ما في الكتب الضابطة لعلم القراءات:

بل فيها ما ينتمي إلى الشواذ^(١)... ولكن المعالم الكبرى لجمهرة التفصيلات في مسائل القراءات متفق عليها بين هذه الكتب، فقد تختلف هذه الكتب في ترقيق راء في بضعة كلمات ولكنها متفقة في جمهرة تفاصيل الترقيق والتفخيم، وهي تفاصيل لا تؤثر بحال على الصوت الأساسي للكلمة، ولا على تواتره، ولا على معناه... ومن اللافت للنظر أن التفاصيل المختلف فيها تنتمي غالباً للغات العربية (اللهجات) ولا تخرج عنها. وإذا كانت كتب القراءات المتخصصة لا يقرأ بكل ما فيها، فكيف بما ورد في ثنایا كتب الحديث أو التفسير أو الحديث؟.

ثالثاً: علم التحرير يضبط الجائز من الأوجه المتعددة السائغة في اللغة فيما هو موغل في تفصيلات النطق بالحروف:

الأوجه المتعددة والتي استخرجها علم (تحرير القراءات) تنتمي إلى السنة التقريرية في القراءة على أوجه اللغة العربية مما يدخل في القياس المقيد الجائز في علم القراءات، ولكن علم التحرير ضبط السائغ في اللغة العربية مما ورد عن الرواة وأهل الأداء منها، وليست العملية خاضعة للضرب الحسابي على نحو ما يظهر في شرح ابن القاصح للشاطبية^(٢)، وقد بين صاحب غيث النفع ضرورة ذلك واتخذه منهجاً له فقال: «ماشياً في جميع ذلك على طريقة المحققين كالشيخ العلامة أبي الخير محمد بن محمد الجزري الحافظ رحمه الله من تحرير الطرق، وعدم القراءة بما شذ،

(١) (الصفاسي) على النوري: غيث النفع في القراءات السبع ص ٦ بذيل سراج القارئ المبتدئ وتذكارات المقرئ المنتهي.

(٢) سراج القارئ المبتدئ وتذكارات المقرئ المنتهي عند الكلام على أوجه حمزة على التخفيف الرسمي في هؤلاء مثلاً- باب وقف حمزة وهشام.

وبما لا يوجد كما يفعله كثير من المتساهلين القارئین بما يقتضيه الضرب الحسابي؛ فإن ذلك غير مخلص عند الله عز وجل، وكان شيخنا رحمه الله يحذرنی من ذلك كثيراً ويقول ما معناه إياك أن تميل إلى الراحة والبطالة وتقرأ كتاب الله بما يقتضيه الضرب الحسابي كما يفعله أهل الكسل»^(١) على أن هذه الأوجه كلها أوجه تصويتية وليست إبدالاً لكلمة مكان أخرى، بل الخلاف بينها داخلي في تخفيف حرف أو طرؤ أنواع التغيير الصوتي الداخلي عليه هو لا غيره مما يخضع لقواعد العربية كتبادل الفتح والإمالة الصغرى والكبرى على الألف.

المطلب الرابع: القراءة التفسيرية

هي التي وردت في ثنايا كلام السلف أثناء قراءتهم للقرآن في وعظ أو في مجلس تفسير، أو علم، دون فاصل بين ما هو من القرآن وما هو من كلامهم فيتوهم السامع أنه قراءة، وليس كذلك وهذا النوع يشبه الحديث المدرج، فتسمية الحديث المدرج بالحديث فيه تجوز كبير، وكذلك تسمية هذا النوع بالقراءة.

أصل القراءة التفسيرية:

كان النبي ﷺ قد منع من كتابة غير القرآن معه كما فصل الباحث، ثم أذن لهم بعد ذلك، أمراً لهم بأن يخلصوا القرآن ثم أطلق الإذن لهم، وبعد أن أذن لهم بكتابة غير القرآن معه ربما ترخصوا فكتبوا التفسير الذي سمعوه من النبي ﷺ أو استنبطوه بما دل على الجزم به عندهم، فيعدها من لا يعلم قراءة وهما كما جاء عن أبي يونس مولى عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت إذا بلغت هذه الآية فأذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغت أذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

(١) غيث النفع في القراءات السبع ص ٦، مرجع سابق.

وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله ﷺ^(١)، فما الذي سمعته أيقراً تلاوة أم يقرأ قراءة تفسير؟ ويدل لذلك اختلاف الألفاظ بين الصحابة فقد جاء هذا الحديث عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فقال رجل كان جالساً عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها^(٢)، ومثله عن عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب حدثهما أنه كان يكتب المصاحف في عهد أزواج النبي ﷺ قال: فاستكتبني حفصة مصحفاً وقالت إذا بلغت هذه الآية من سورة البقرة فلا تكتبها حتى تأتيني بها فأملها عليك كما حفظتها من رسول الله ﷺ قال فلما بلغت جئتها بالورقة التي أكتبها فقالت اكتب حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين^(٣)، وفي لفظ: أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفاً فقالت: إذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله ﷺ يقرأها فلما بلغت أمرته فكتبها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين^(٤)... واختلاف ألفاظ الروايات وعدم استقرارها يوضح تمام التوضيح أنها قراءات تفسير، ويشبه ذلك قوله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»^(٥).

فبالتأمل يظهر للباحث المتجرد على أن كلام أمهات المؤمنين يراد به التفسير اختلاف ألفاظ الروايات في إثبات تفسير الصلاة الوسطى فيكون معنى قولهن

(١) مسلم (١/ ٤٣٧)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١/ ٤٣٨)، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (١٤/ ٢٢٨)، مرجع سابق.

(٤) الطبري (٢/ ٥٦٢)، مرجع سابق.

(٥) مسلم (١/ ٤٣٦)، مرجع سابق.

سمعتها من رسول الله ﷺ أي التفسير عند قراءة الآية، وليس الترتيل بقراءتها ضمن الآية، وحكمها في الأخير حكم المرفوع أو الموقوف من الأحاديث بحسب كل، ويدل على ذلك دلالة لا شبهة فيها رواية: صلاة الوسطى صلاة العصر^(١)، وهذا لفظ التفسير كما هو ظاهر، ويؤيده ما رواه أبو عبيد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر بغير واو^(٢).

ويوضح هذه المسألة أكثر:

أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتجاوزون في ذكر أن كذا من القرآن مع بقاء حدوده اللفظية واضحة كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله قال فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله... الحديث^(٣).

ولأن القراءة الشاذة - في الغالب - تكون تفسيراً للقراءة المشهورة... سميت قراءة هنا مجازاً: كما قال أبو عبيد في الفضائل: «القص من الشاذة تفسير المشهورة وتبين معانيها كقراءة عائشة وحفصة: والصلاة الوسطى صلاة العصر»^(٤).

ومثل ذلك ما قرره الغزالي - رحمه الله تعالى - في المنسوب إلى ابن مسعود من قراءة فصيام ثلاثة أيام متتابعات حيث قال: «تحمل على أنه ذكرها في معرض البيان

(١) سعيد بن منصور في سننه (٣/ ٩١٣)، مرجع سابق.

(٢) أبو عبيد في الفضائل ص ٢٩٣، مرجع سابق.

(٣) مسلم (٣/ ١٦٧٨)، مرجع سابق.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٨٩، مرجع سابق.

لما اعتقده مذهباً فلعله اعتقد التابع حملاً لهذا المطلق على المقيد بالتتابع في الظاهر»^(١)، وحملوا جميع ما جاء من الروايات مخالفاً لخط المصحف إذا تيقنت صحته على وجه التفسير، لا أنه من التلاوة^(٢).

وجعل السيوطي هذا النوع شبيهاً بالحديث المدرج فقال: «وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم أخرجها سعيد بن منصور»^(٣).

وأبرز مثال يمكن اصطحابه هنا لتقريب هذا الموضوع:

ما جاء في حديث أبي سفيان عن ما حدث بينه وبين هرقل؛ إذ فيه أن النبي ﷺ قال لهرقل: «إني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(٤)، فالواو هنا حكم عليها بأنها زيادة على الآية سابقاً خضوعاً لمنهج التواتر القرآني؛ إذ وقعت (ويا أهل الكتاب الخ) هكذا بإثبات الواو في أوله، كأنها داخله على مقدر معطوف على قوله أدعوك فالتقدير أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك امتثالاً لقول الله تعالى يا أهل الكتاب..^(٥)..

(١) المستصفي ص ٨١، مرجع سابق.

(٢) شرح الهداية ص ٨، مرجع سابق.

(٣) الإتيقان (١ / ٢٠٧)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (١ / ٩)، مرجع سابق.

(٥) فتح الباري (١ / ٣٩)، مرجع سابق.

❖ ولذا قال مجاهد- رحمه الله تعالى:- «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت»^(١)، وكلام مجاهد هنا يدل دلالة واضحة على أن «القراءات الشاذة» التي تنسب إلى مصحف ابن مسعود تفسير من ابن مسعود وليست بقراءة قرآنية.

ومثال ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج مع نظائر لهذه الحروف كثيرة»^(٢)، وقرر ابن حزم - رحمه الله تعالى- قاعدة جامعة لمثل هذه المواضع فقال: «كل ما ورد من قراءة خلاف المتلقى فهو تفسير أو نحو ذلك أو كذب»^(٣).

بدهية القراءات التفسيرية:

ولأن القراءات التفسيرية معروفة معلومة صارت بديهية في كلام كثير من أهل العلم، وفيها قالوا:

والسبعة القراء ما قد نقلوا فمتواتر، وليس يعمل
بغيره في الحكم ما لم يجز مجرى التفاسير، وإلا فادر
قولين إن عارضه المرفوع قدمه ذا القول هو المسموع^(٤)
ولذا طُبع في نفوس المسلمين أن كتاب الله لم يُشب أي لم تخالطه شائبة من قول
بشر كما حدث في كتب اليهود والنصارى- فهو ما بين الدفتين لا زيادة ولا

(١) الترمذي (٦ / ٤١١)، مرجع سابق.

(٢) انظر: القرطبي (١ / ٨٤)، مرجع سابق.

(٣) انظر: الأحكام لابن حزم (٤ / ٥٥٦)، مرجع سابق.

(٤) محمد يحيى بن الشيخ أمان المدرس بمدرسة الفلاح الملكية: التيسير شرح منظومة التفسير للشيخ عبد العزيز الزمزمي ص ٧٧.

نقصان - فعن عبد الله بن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشَبَّ..^(١)

المطلب الخامس: القراءة بالمعنى

أصل القول بذلك: يعود القول بجواز القراءة بالمعنى إلى:

١- أطراح المنهج القرائي في ثبوت اللفظ القرآني، وهذا كاف عما بعده؛ إذ كيف يتأتى القول بجواز القراءة بالمعنى مع كل ما تقدم مما يدل على أن التوقيفية والتلقي هو المنهج القرائي لا غير؟.

٢- الاستدلال بأدلة لا أصل لها أو بأدلة ضعيفة.

٣- الاستدلال بأدلة صحيحة توهم ذلك، مع أن حقيقتها غير ذلك...

وكل الأدلة خارج نطاق المنهج القرآني والقرائي، وتشبث بها المستشرقون «ليؤكدوا أن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص يثبتته على هواه»^(٢).

الأدلة التي اعتمدها على القول بجواز القراءة بالمعنى:

أولاً: بتأويل الأحرف السبعة بمترادفات سبع بحسب اللغات:

وأيدوا قولهم هذا ببعض الروايات منها: ما جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ... حتى بلغ سبعة أحرف قال ليس فيها إلا شاف كاف قلت غفور رحيم عليم حكيم سميع عليم عزيز حكيم نحو هذا ما لم يختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب^(٣)، ومثله عن أبي بكر رضي الله عنه أن جبريل عليه

(١) البخاري (٢/ ٩٥٣)، مرجع سابق.

(٢) صبحي الصالح (دكتور): مباحث في علوم القرآن ص ١٠٧، ط ٣، ١٩٦٤ م، دار العلم للملايين - بيروت.

(٣) النسائي في الصغرى (١/ ٥٦٧)، أبو داود (٢/ ٧٦)، مرجعان سابقان.

السّلام قال: كل شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع واعجل^(١)، ونحو ذلك من الروايات.

الجواب على الاستدلال بهذه الروايات وأمثالها:

١- ليس في ذلك دليل ظاهر على الدعوى؛ إذ غاية ما فيها أنها مثلت الجواز في تعدد القراءات، وعدم تضارب المعاني على الرغم من ذلك بهذين المثالين، فقوله: «سميعاً عليماً وغفوراً رحيماً...» ونحو ذلك «أراد به ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا تكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف وجهاً خلافاً ينفيه»^(٢).

٢- وقرر القرطبي ذلك أيضاً نقلاً عن ابن الأنباري فقال: «هذا الحديث يوجب أن القراءات الماثورة المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي ﷺ إذا اختلفت ألفاظها واتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال وأقبل فأما ما لم يقرأ به النبي ﷺ وأصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم فإنه من أورد حرفاً منه في القرآن بهت ومال وخرج من مذهب الصواب»^(٣).

٣- كما أن لهذا الحديث مدلولاً آخر يتصل بعدم الغلو والتنطع في الإقراء، ويدل على التسامح وعدم الفرع عند وقوع الخطأ في اللفظ القرآني أو في أدائه، ومثل ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ليس الخطأ أن تقرأ بعض القرآن في بعض ولا أن تختم آية «غفور رحيم» «بعليم حكيم» أو «بعزيز حكيم» ولكن الخطأ أن تقرأ ما ليس فيه أو تختم آية رحمة بآية عذاب^(٤)، ولعل هذا

(١) أحمد (٥ / ٥١)، مرجع سابق.

(٢) التمهيد (٨ / ٢٨٣)، مرجع سابق.

(٣) القرطبي (١٩ / ٤٢)، مرجع سابق.

(٤) عبد الرزاق (٣ / ٣٦٤)، مرجع سابق.

يتكلم عن الوقوع لا عن الجواز ابتداءً، ولذا تكلم العلماء على الوقوع المفسد^(١) وأن ضابطه تغير المعنى...

٤- وهذا ما قرره ابن مسعود ذاته عندما أراد أن يوضح أن الاختلاف اللفظي بين الأحرف السبعة لا يؤدي إلى التناقض فقال: «واعتبروا ذاك بقول أحدكم لصاحبه كذب وفجر ويقول إذا صدقه صدقت وبررت إن هذا القرآن لا يختلف ولا يستثنى ولا يتفه لكثرة الرد فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه»، وبين لهم ضرورة التوقيفية فقال: «إن هذا القرآن أنزل على حروف واللّه إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط فإذا قال القاري هذا قرآني قال أحسنت وإذا قال الآخر قال كلا كما محسن...»^(٢). ولذا قال ابن تيمية: «وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، وإنما قال قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال فاقروا كما علمتم»^(٣)، وبين الجزري عذره- إن صح ما نُقل عنه- فقال: «و أما من يقول إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يميز القراءة بالمعنى فقد كذب... نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه لكن ابن مسعود رضي الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه»^(٤).

٥- وقال ابن عطية: «لم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: «فاقروا ما تيسر منه» بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن... وإنما وقعت الإباحة

(١) وراجع: كتاب الخطأ في القراءة للنسفي- مخطوط عند الباحث مصور عن كتب خانة- الهند.

(٢) أحمد (١/ ٤٠٥)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٣).

(٣) ابن تيمية (١٣/ ٣٩٧)، مرجع سابق.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢)، مرجع سابق.

في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته فأقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً...»^(١).

٦- حتى من مال إلى تفسير الأحرف السبعة بالترادفات فإنه يقرر أن: «الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعى في ذلك السماع من النبي ﷺ ويشير إلى ذلك قول كل من عمر وهشام: أقراني النبي ﷺ»^(٢).

ثانياً: واستدلوا بما ورد: عن أبي الدرداء:

أنه أقرأ رجلاً ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤] فقال الرجل: طعام اليتيم فقال أبو الدرداء: الفاجر^(٣)، والظاهر أن الرجل قال طعام اليتيم بالثاء كما في مقدمة المباني والحاكم وتصحفت - وذلك ظاهر - ولكن ما كان لأبي الدرداء أن يضيق من قلب الهمزة ياء، وذلك وارد في العربية، قريب استعماله في قراءات بعض القراءات المتناقلة كحمزة - وإن كان يسهلها ولا يقلبها -، فيترجح أن الرد لا ليقرأ بل هو تفسير ليدرك المعنى، وهذا واضح.

ومثل ذلك يقال فيما روي عن ابن مسعود أقرأ رجلاً طعام الأثيم فلم يفهمها؛ فقال له: طعام الفاجر، ويزاد بأن بعض الناس رووها قراءة وليست كذلك، على حد تعبير ابن العربي: «فجعلها الناس قراءة»^(٤)، وأما ما ورد عن مالك فالصحيح أن المنقول عنه: «أنه لا يُقرأ في الصلاة بما يروى عن ابن مسعود. وقال ابن شعبان: لم يختلف قول مالك إنه لا يصلّى بقراءة ابن مسعود فإنه من صلّى بها أعاد صلاته؛

(١) القرطبي (١/ ٤٧)، مرجع سابق.

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٧)، مرجع سابق.

(٣) الحاكم (٢/ ٤٨٩)، مرجع سابق.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٦٩٢) عند تفسير قوله تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ.

لأنه كان يقرأ بالتفسير^(١) ومن أبرز أدلة عدم كونها قراءة أنها «لو صحّت قراءته لكانت القراءة بها سنة، ولكنّ الناس أضافوا إليه ما لم يصحّ عنه؛ فلذلك قال مالك: لا يقرأ بما يذكر عن ابن مسعود، والذي صحّ عنه ما في المصحف الأصلي»^(٢).

وقال بعضهم: «باب الحجة في الصلاة بقراءة ابن مسعود وأبي وغيرهما ممن أثنى على قراءته»^(٣)، واحتج لذلك بنحو حديث: «خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة»^(٤).

فهذه حجة مؤكدة على أخذ القراءة من ابن مسعود كما سبق على هيئة تفصيلية أكثر، ولكن ما هي قراءة ابن مسعود: أهى ما يتناقله القراء عبر منهج التلقي الصارم أم ما تتضمنه بعض الروايات الحديثية من نفي للمعوذتين ونحوها؟ والجواب ظاهر، وهل قراءة الناس في العراق إلا عن ابن مسعود ولكننا نقرأ المتناقل المتلقى عنه لا ما أورد على خلاف منهج التلقي القرآني، على أن حرف عبد الله الصحيح أنه موافق لمصحفنا يدل على ذلك أن أبا بكر بن عياش قال: قرأت على عاصم، وقرأ عاصم على زر، وقرأ زر على عبد الله.

ثالثاً: ومما قد يستدلون به:

ما روي عن الأعمش قال سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله عز وجل وأقوم قبلاً قال وأصدق فقيل له إنها تقرأ وأقوم فقال: أقوم وأصدق وأخذ^(٥)، والجواب: أن هذا كالسابق وإنما كان يقرؤها تفسيراً لا قراءة، ولعل الأعمش فهم

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٦٩٢) عند تفسير قوله تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ النَّائِمِينَ.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٦٩٢) عند تفسير قوله تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ النَّائِمِينَ.

(٣) نيل الأوطار (٢ / ٢٦١)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٣ / ١٣٨٥)، مسلم (٤ / ١٩١٣)، مرجعان سابقان.

(٥) الطبري (٢٩ / ١٣١)، أبو يعلى (٧ / ٨٨)، مرجعان سابقان.

ذلك حيث قال سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله عز وجل وأقوم قِيلاً... لم يقل قرأها كذا، أو تلاها فأراد التفسير كما ذكر ذلك ابن كثير^(١).

القراءة بالمعنى تخالف حقيقة القرآن:

وكما أن القراءة بالمعنى تخالف منهج التلقي القرآني، فكذلك تخالف ماهية القرآن:

من حيث إنه كلام الله الذي لا يؤديه بشر إلا بلفظه، والقارئ بالمعنى يزعم أنه يحكيه بمعناه لا بلفظه.

وأنة معجز بالنظم، والقارئ بالمعنى يقرأ نظم بشر، وهذا من أوضح الأدلة على منع تغير اللفظ ففي «ذلك ما أبان أن نظم القرآن ليس من عند جبريل ولكنه من عند اللطيف الخبير»^(٢).

والقارئ بالمعنى يجعله كلام بشر، والقرآن يدفع ذلك وينفيه، ويجعل القارئ به مفترياً محتقياً إثماً وزوراً.

ولقارئ بالمعنى يجعله غير محفوظ الألفاظ، والقرآن يمنع ذلك ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

والقرآن يجب ترتيله، والقارئ بالمعنى لا يلتزم لفظه فكيف يجب ترتيله؟

والقرآن مكتوب كذلك في اللوح المحفوظ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] والقراءة بالمعنى تجعله متعدد الجهات بما لا يحصى... قال أبو بكر الأنباري: «و قد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال من قرأ بحرف

(١) ابن كثير (٤ / ٤٣٦)، مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (١ / ١٩٤)، مرجع سابق.

يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له... ولا يلتفت إلى قائله لأنه لو قرأ بالفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز أن يقرأ في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ويكون التالي له مفترياً على الله عز وجل كاذباً على رسوله ﷺ»^(١).

والصحابة لم يكونوا يغيرون مواضع الآيات، ولا يتركون آية قد وضح نسخ الحكم فيها فكيف هم فاعلون مع نصوص الآيات ذاتها كما قال ابن الزبير: قلت لعثمان ابن عفان «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا» قال: قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها قال يا ابن أخي لا أغيّر شيئاً منه من مكانه^(٢).

زيادة نقل عن بعض أهل العلم:

وسئل ابن الصلاح - رحمه الله تعالى - في مسألة القراءة بالمعنى فقال السائل: أيجوز لقارئ أن يقرأ في كتاب الله تعالى مكان آتينا أعطينا وفتجسسوا فتخبروا وسولت زينب وأن يستبدل تاء القسم بواوه أو بائه وأن يقرأ مكان موسى موشى منقوطة على أصل العبرانية وأن يحرك الدال في قوله تعالى المص وكهيعص بإحدى الحركات الثلاث... وما يجري هذا المجرى، وأن يقرأ القرآن على المعنى أعني يستبدل كل كلمة شاء بلفظ آخر يفيد معناها؟.

فأجاب: «أما القراءة بمجرد المعنى من غير تقييد بنقل من ذكره عن من تقدمه فذلك إفراط في الزيغ زائد وكان وقع (من) ابن شنبوذ وابن مقسم، ووثب عليهما

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩ / ٤١)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (٤ / ١٦٤٦)، مرجع سابق.

بمر الإنكار أهل العلم بالقرآن، واستتيا وكفا فليتنق الله الجليل عظم جلاله ولا يستجري على كتابه فقد علم ما علم على المحرف له»^(١).

من قال بالقراءة بالمعنى يُكفر لتغييره كلام الله جل جلاله:

ولذلك كله فإن الذي يقول بالقراءة بالمعنى يُكفر عند أهل العلم كما قال أبو بكر الأنباري: «إذا قرأ قارئ تبث يدا أبي لهب وقد تب ما أغنى عنه... في جيدها جبل من ليف فقد كذب على الله جل وعلا، وقوله ما لم يقل، وبدل كتابه، وحرفه وحاول ما قد حفظه منه، ومنع من اختلاطه به وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد ليدخلوا في القرآن ما يجلون به عرا الإسلام وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام وبشباته تقام الصلوات وتؤدى الزكوات وتتحرى المتعبدات وفي قول الله تعالى: ﴿الرَّكْنُ أَكْرَمُ مِنْهُ﴾ دلالة على بدعة هذا الإنسان وخروجه إلى الكفر»^(٢).

الإشارة إلى ما وقع من ابن شنبوذ:

وقد ذكر ابن النديم في ترجمة ابن شنبوذ أن «اسمه محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ، وكان ديناً فيه سلامة وحمق قال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي أيده الله عن أبيه أنه كان كثير اللحن قليل العلم، وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة في ذلك وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة في محبسه بدار السلطات، ومما كان يقرأ به: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله، وقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وقرأ فلما خر تبينت الناس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين، وقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى... ويقال أنه اعترف بذلك كله ثم استتيب

(١) فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي (١/ ٢٣١).

(٢) انظر: القرطبي (١/ ٨٤)، مرجع سابق.

وأخذ خطه بالتوبة فكتب يقول: أنا محمد بن أحمد بن أيوب قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته ثم بان لي أن ذلك خطأ، وأنا منه تائب وعنه مقلع، وإلى الله جل اسمه منه بريء إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره»^(١).

(١) الفهرست ٢ / ٤٧، مرجع سابق.

المبحث الثالث:

المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم

«التواتر في نقل ألفاظ القرآن»

تمهيد:

وهذا المبحث من أجل المباحث، وقد عني به العلماء الأعلام عناية شديدة، وأفاضوا فيه كثيراً، إلا أنه قد وقع في عبارات كثير منهم اضطراب شديد، وذلك يرجع لعدة أسباب:

١- منها غموض معنى التواتر في حد ذاته حتى إنه عرضت فيه شبه لبعض الباحثين عنه جعلتهم حيارى في أمره.

٢- الخلط بين مناهج العلوم: حيث فهم بعضهم أن معنى التواتر القرآني والتواتر القرائي هو معنى التواتر الحديثي تماماً، وبناء على ذلك كرروا مصطلح (الأسانيد المتواترة) في بيان علم القرآن وعلم القراءة^(١)، وهذا فيه قصور شديد، ويسهل الاعتراض عليه تماماً، ولذا قال الذهبي: «ومن ادعى تواترها فقد كابر الحس»^(٢)، والمراد أنه إذا ادعى تواتر القراءات بحسب التواتر الحديثي...

٣- ومنها ظن بعضهم أن خبر الآحاد لا يفيد العلم، وإنما يفيد العلم الخبر المتواتر مع أن خبر الآحاد قد يفيد العلم، وذلك إن احتفت به قرائن توجب ذلك.

٤- ومنها: أن بعضهم حصر حصول اليقين بالتواتر الحديثي، ومن فعل ذلك فإنه يُحجّم دائرة واسعة تجتمع فيها ركائز علمية كثيرة يحدث منها اليقين.

(١) كثر هذا جداً. انظر مثلاً: سنن القراء ومناهج المجودين ص ١١٠، مرجع سابق.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٧١)، مرجع سابق.

٥- ومنها اعتماد بعضهم على أخبار رويت في ذلك لقول بعض المحدثين فيها أخبار صحيحة الإسناد تطعن بطريق أو بأخرى في دقة وصول القراءة القرآنية إلينا، مع أن الحكم بصحة الإسناد لا يقضي الحكم بصحة الخبر وهو أمر مقرر في علم أصول الأثر^(١).

٦- ومنها: عدم التفريق بين مراتب الأصوات في حروف القرآن، وهي:

أ- الفونيمات: وهي الأصوات الجامدة التي لا يعقل نطق الكلمة بدونها.

ب- الألفونات: وهي المصوتات (حروف المد واللين) في مرتبتها التي لا تعقل اللغة العربية بدونها، فلا تعقل العربية بدون شيء من المد الزائد عن الأصلي قبل الهمز والسكون... فهذه لا يُبحث عن تواترها لأنها من ذاتيات الحرف ومكوناته.

ج- التصويت بما هو زائد على ذلك، وقيام بعض الأصوات مقام بعض، كسكون ميم الجمع يقوم مقامه صلة الميم، وكتحقيق الهمز يقوم مقامه تخفيف الهمز، وبعض الكلمات التي حل محلها غيرها بإبدال أو تقديم وتأخير... فهذه محل بحث التواتر القرائي.

د- ما يدخل ضمن نطاق علم التحرير، وهو البحث عن الأوجه المتعددة لاجتماع الكلمات الممالة مع الرءاءات المرققة والمفخمة لورش مثلاً، والأوجه المتعددة لتخفيف الهمز وقفاً... فهذه كلها أوجه موعلة في الأداء... والبحث فيها لغوي صرف، وإن كان أصلها قائم على التعليم المباشر من النبي ﷺ.

وستكلم في هذا الكتاب- بصورة مختصرة- عن التواتر القرآني حيث نذكر أن القرآن الكريم تناقلته الأمة عن الأمة على هيئة لا يمكن لعاقل بعدها أن يقول: نقص من القرآن شيء أو زاد، وأما موضوع التواتر القرائي فلعلنا نعرضه بصورة مفصلة في كتاب آخر، ويمكن مراجعة الأصل للتوسع.

(١) التبيان للجزائري ص ١٢٧.

ومطالب هذا المبحث تنحصر في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التواتر القرآني.

المطلب الثاني: من أهم آثار منهج التواتر القرآني (المنهج القرآني في إثبات ما هو قرآن).

المطلب الأول: التواتر القرآني

التواتر القرآني أعظم أنواع التواتر بلا مقارنة مع التواتر الحديثي حيث تتناقل القرآن الأمة عن الأمة، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ضرورة التناقل للقرآن الكريم آخراً عن أول فعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يجتلس العلم من الناس حتى لا يقدرؤا منه على شيء قال فقال زياد بن لييد الأنصاري: يا رسول الله! وكيف يجتلس منا وقد قرأنا القرآن فو الله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، وفي لفظ للحاكم: قال زياد: بأبي وأمي وكيف يذهب أوان العلم، ونحن نقرأ القرآن ونعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا أبناءهم إلى أن تقوم الساعة... الحديث^(١).

فقد حاز نقل القرآن أعلى درجات التوثيق بحيث بلغ مبلغاً يضطر إلى التأكد من أنه هو كما أنزله الله جل جلاله، بل فاق أقوى وسائل النقل قطعية «لأنه المعجز في إثبات نبوة النبي ﷺ وطريق معرفته متوقف على القطع، ولذلك وجب على النبي ﷺ إشاعته وإلقاؤه على عدد التواتر»^(٢).

ولأهمية موضوع التواتر القرآني أراد الجويني تأليف كتاب فيه فقال: «و لا ينبغي أن ينسبنا الناظر والمنهي إلى هذا المقام إلى تقصير فيما يتعلق بمحل الإشكال

(١) الحاكم (١/ ١٧٩)، الترمذي (٥/ ٣١)، مرجعان سابقان.

(٢) الإحكام (٢/ ١٢٧)، مرجع سابق.

في نقل القرآن العظيم فإنه قطب عظيم لم يشف القاضي^(١) فيه الغليل في كتاب الانتصار وإن عد ذلك من أجل مصنفاته وفي نفسي أن أجمع من ذلك ما تقر به الأعين إن شاء الله تعالى»^(٢).

مدلول التواتر: التواتر لغة:

هو التتابع بين شيئين مع وجود انقطاع، لكن لفظ التواتر صار وارداً عرفاً على التتابع دون انقطاع كما قال السرخسي: «مأخوذ من قول القائل تواترت الكتب إذا اتصلت بعضها ببعض في الورد متتابعاً»^(٣).

وأما المدلول الاصطلاحي للفظ التواتر: فتلخصه مجلة الأحكام العدلية في التالي:

«مادة ١٦٧٧: التواتر هو خبر جماعة لا يجوز العقل اتفاهم على الكذب»^(٤).
والعلاقة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي: أن اليقين يستلزم تتابع المخبرين على الإخبار بشيء معين.

إفادة التواتر لليقين مطلقاً:

«أكثر العقلاء على أنه إذا تواتر الخبر أفاد العلم اليقين سواء كان خبراً عن أمور موجودة في زماننا كالإخبار عن البلدان البعيدة أو عن أمور ماضية كالإخبار عن وجود الأنبياء عليهم السلام وغيرهم في القرون الماضية»^(٥)، ولذا حقق العلماء

(١) يعني القاضي ابن الباقلاني، وكتابه الانتصار لنقل القرآن.

(٢) البرهان (١/ ٤٢٧)، مرجع سابق.

(٣) أصول السرخسي (١/ ٢٨٢)، مرجع سابق.

(٤) مجلة الأحكام العدلية ص ٣٣٨، وانظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول لليضاوي (٢/ ٢٨٥).

(٥) انظر: المحلى، الإبهاج ٢/ ٢٨٧، الإحكام للآمدي ٢/ ٣١، البرهان ١/ ٣٦٨، روضة الناظر ٢/ ٩٣، التبصرة في أصول الفقه ص ٢٩٢، المحصول في علم الأصول ٤/ ٢٣٢.

أن ضابط الخبر المتواتر إفادة العلم، وقرر الدهلوي بأنه ليس ميزان التواتر عدد الرواة ولا حالهم ولكن اليقين الذي يعقبه في قلوب الناس^(١).

ومن هنا نخلص إلى تقرير أن المتواتر القرآني يفيد العلم بضوابط التواتر التي لا يشترط فيه تحديد حد للعدد، ولئن وجد التفاوت بين الخبر المتواتر وبين غيره من المحسوسات والبدهييات فللتفاوت في العلوم أو لكثرة الاستعمال فلا يخرج ذلك عن اليقين، وتفاوت اليقين لا يعني طروء الشك فيه كتفاوت الخيرية في الأنصار كما قال ﷺ: «أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار»^(٢).

تعليمه ﷺ أن القرآن كتاب لا ريب فيه (قطعية وصول القرآن إلينا):

صار من البدهيات العالمية أن يقال: إن القرآن الكريم وصل إلينا وصولاً مقطوعاً به، فهو كتاب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وقد جعل أهل العلم هذه البدهية من المسلمات عند نقاش أي مسألة تحتاج إليها، أو تركز عليها، فيقال عند ذلك «لأن القرآن ثبت بطريق مقطوع به وهو التواتر»^(٣).

ولذا فلا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه... لأن هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم مما تتوفر الدواعي على نقل جملة وتفصيله فما نقل أحاداً ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً... ولأنه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر وثبوت كثير مما ليس بقرآن^(٤)، ولذا عرف الأصوليون القرآن بأنه «ما نقل بين دفتي

(١) انظر: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ص ٥٠ للدهلوي.

(٢) الموافقات (٢/ ٣٥)، مرجع سابق، والحديث رواه البخاري (٣/ ١٣٨٠)، مسلم (٤/ ١٧٨٥)، مرجعان سابقان.

(٣) المدع (١/ ٤٤٤)، مرجع سابق.

(٤) الإتيان (١/ ٢٠٩)، مرجع سابق.

المصحف نقلاً متواتراً»^(١)، وأجمع الأصوليون كافة على أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر^(٢).

نوع التواتر القرآني:

أما التواتر القرآني فهو العلم العام، أو خبر العامة عن العامة كما سماه الشافعي^(٣)، فالتواتر الذي عناه أهل العلم في نقل القرآن الكريم هو التواتر الذي يورث العلم الاضطراري مما تستعصي أعداد نقلته عن العدد لكثرتهم، وليس التواتر الحديثي الذي يعود إلى عدد محدود، فقد «صح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهورة في الآفاق كلها ووجب الانقياد لما فيه، ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن وأنه هو المتلو عندنا نفسه»^(٤)، والناقلون له هم يكادون أن يكونوا كل أفراد الأمة الإسلامية، مع أن أغلبهم عالم بما نقله علماً ضرورياً، فمن لم يكن في ذلك من حفظه، فهو من كتابه الذي توجد منه عدة نسخ في بيته، «لأن الأمة رضي الله عنها لم تنزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه السلام المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة والمعجزات والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من

(١) القول الجاز لمن قرأ بالشاذ ص ٥٥.

(٢) القول الجاز لمن قرأ بالشاذ ص ٥٧، مرجع سابق.

(٣) (الشافعي) محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ت ٢٠٤ هـ: جماع العلم ص ٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

(٤) الأحكام لابن حزم (١/ ٩٢)، مرجع سابق.

الزيادة والنقصان ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلوه ويسمعونه لكثرة العدد»^(١).

فالقرآن هو الذي ينقله العامة والخاصة، والذكور والإناث، والمسلمون ويعرفه الكفار في شرق الأرض وغربها... مكتوب في المصحف المعروف... لا يستطيع أحد له حولاً ولا فيه تبديلاً.

تواتر المشاهدة وتواتر الرسم:

وهذا التواتر القرآني تعضده ركيزة أخرى: هي تواتر رسم المصحف تواتراً عاماً شائعاً بما لا يستطيع وصفه، ورسم المصحف ركن ضابط للتلقي وليس حاكماً عليه، ولذا جوزوا مخالفة الرسم فيما ثبت تواتراً، والمصحف هو المصحف الذي لم يختلف من يوم أن كُتب على الرغم من كثرة الخصوم وضرواتهم في الخصومة له حتى قال بعض المستشرقين: «بذلنا جهوداً كبيرة خلال ثلاث أجيال في تتبع مخطوطات القرآن الكريم من أقدم ما هو محفوظ في دور الآثار والمكتبات العالمية، حتى الأوراق المفردة المقطوعة من مصاحف قديمة فقدت، وقارنا كل ذلك بالمصاحف المطبوعة، لكي نحصل على أي اختلاف بين المصاحف من مصحف عثمان إلى يومنا، ولو كان اختلافاً في آية أو جملة أو كلمة، فلم نجد أي اختلاف، مما جعلنا نعتد مستيقنين أن القرآن الذي نطق به محمد باق إلى اليوم كما نطق به لم يتبدل فيه شيء!!»^(٢).

فهذا هو منهج الإقراء، ومنهج إثبات شيء مقروء على أنه من القرآن، فلا نأتي بمنهج علم آخر لنثبت به شيئاً من القرآن غيره.

❖ ولهذا المنهج القرآني الصارم رد الإمام الغزالي على من جعل (متابعات) من القرآن بقوله: «أن جعله من القرآن فهو خطأ قطعاً لأنه وجب على

(١) القرطبي (١/ ٧٢)، مرجع سابق.

(٢) هذا كلام المستشرق المعروف ماسينيون، ونقل هذه العبارة تلميذه محمد المبارك عنه مشافهة في زيارة له في بيته بباريس. انظر: حسني أدهم جرار: محمد المبارك العلم والفكر والداعية ص ١٥٧، دار البشير- مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

رسول الله ﷺ أن يبلغه طائفة من الأمة تقوم بالحجة بقولهم وكان لا يجوز له مناجاة الواحد به»^(١).

❖ ولهذا المنهج القرآني الصارم: تم تشديد كل ما يسمى قراءة مما يتناقل، ويأتي عن طريق غير طريق منهج التناقل القرآني أو القرائي، والشذوذ هنا هو السقوط بمرة من النسب القرآني المجيد، سواء كانت القراءة المذكورة ثابتة عن ضعيف أم عن أوثق الثقات.

❖ ومن الآثار المستغربة الناتجة عن الخلط بين مناهج العلوم: أن ترد الزيادة الشاذة في الحديث، وتقبل أو يتوقف فيها في القرآن كما تقدم في مناقشة رواية أبي الدرداء: (و الذكر والأنثى) في الفصل الثاني حيث خالف رجال سند هذا الحديث كل الأمة الإسلامية في هذه الرواية، وليست المخالفة لأربعة أو خمسة من الثقات حتى تصير رواية الأقل شاذة لمخالفتها رواية الأكثر على ما هو مقرر في مصطلح الحديث... فكيف لا يشذ ما ورد في هذا الحديث؟. وقد قال الشافعي: «من متناقض القول الجمع بين قبول رواية القراءة الشاذة في القرآن، وبين رد الزيادة التي ينفرد بعض الرواة الثقات مع العلم بأن سبيل إثبات القرآن أن ينقل استفاضة وتواتراً»^(٢).

ولذا قال السخاوي رداً على من يزعم وجود سورة تسمى الخلع، أو ينفي المعوذتين: «فهذا أيضاً مما أجمع المسلمون على خلافه»^(٣)، وقرر الإمام الفخر الرازي ذلك فقال: «إن المسلمين أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى، وكلام الله لا يجوز أن يكون لحناً وغلطاً، فثبت فساد ما نقل عن عثمان وعائشة

(١) المستصفى ص ٨١، مرجع سابق.

(٢) البرهان للجويني (١ / ٤٢٦)، مرجع سابق.

(٣) جمال القراءة وكمال الإقراء (١ / ٣٩)، مرجع سابق.

رضي الله عنهما»^(١). وحسب المرء شذوذاً ونكراً في فعله أن يخالف إجماع المسلمين جميعاً فيما حفظوه سطرأً وصدراً.

وهذا هو منهج السلف رحمهم الله عز وجل، ومن نصوصهم في ذلك:

قال خلاد بن يزيد الباهلي: قلت ليحي بن عبد الله بن أبي مليكة: إن نافعاً حدثني عن أبيك عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ «إذ تلقونه، وتقول: إنما هو ولق الكذب، فقال يحي: ما يضرك إلا أن تكون سمعته من عائشة رضي الله عنها، نافع ثقة على أبي، وأبي ثقة على عائشة رضي الله عنها، وما يسرني أن قرأتها هكذا ولي كذا وكذا. قلت: ولم؟ وأنت تزعم أنها قالت؟ قال: لأنها غير قراءة الناس ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه إلا التوبة أو تضرب عنقه نجى به عن الأمة عن النبي ﷺ وتقولون أنتم: حدثنا فلان الأعرج عن فلان الأعمى ما أدري ماذا؟ أن ابن مسعود يقرأ غيرها في اللوحين؟ إنما هو والله ضرب العنق، أو التوبة»^(٢).

ومن غريب مواقف بعض الفقهاء لو هلمهم عن بعض الحقائق أن ابن القيم حكى تشنيع أحمد في قراءة حمزة لكثرة الإمالة والمد فيها، وتلك لا تعدو أن تكون لغات، وأما هذه المنسوبة للصحابة، مع ما فيها من انفراد راو قد يكون وهم، أو انقلب عليه الحديث، وآخر شيء فيه أنه شذ عن الأمة بهذا الحديث... وعلى الرغم من ذلك فلا يشنع عليه، على أنه قد تقدم وجه كلام أحمد في ذلك.

ولذا يكفي في مناقشة كل جزئية مماثلة أن نقول: إن منهج إثبات القرآن الكريم سوراً وآيات منهج مستقل عن مناهج إثبات الحديث: منهج القرآن هو بالتلقي لحروفه وألفاظه فما خالفه فإما وهم أو كذب، أو له تأويل صحيح... فإثبات قرآن برواية حديثة مثلها كمثل اختلاق قرآن عند غلاة الروافض من رواية روهها.

(١) مفاتيح الغيب (٢٢ / ٧٥)، مرجع سابق.

(٢) القول الجاز لمن قرأ بالشاذ ص ٥٨، مرجع سابق.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن إجماع الصحابة على المصحف في عهد عثمان لا يمس قراءة ثابتة بل أجمعوا على تعميم المصحف حتى لا يقول قائل، أو يسول لنفسه أحد بالزيادة أو النقص لا أنهم قد اطرحوا شيئاً من القرآن الكريم... وأما أنهم اطرحوا شيئاً من القراءات فمحتمل ولا يضر بحسب ما كيفه البحث من العلاقة بين القرآن والقراءات.

فينبغي عدم الخلط بين منهج القراء ومنهج المحدثين:

كما ينبغي النظر بعين الاعتبار إلى عوامل التفرقة بينهما مع كثرة بنود الاشتراك كذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لماذا لا يجوز أن تكون العصمة في الحفظ والبلاغ ثابتة لكل طائفة بحسب ما حملته من الشرع فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه والمحدثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه والفقهاء معصومون في فهم الكلام والاستدلال على الأحكام وهذا هو الواقع المعلوم الذي أغنى الله به عن واحد معدوم»^(١)، وقال ابن الجزري: «أوقفت عليه- أي كلام أبي شامة في أحادية سند القراءات- شيخنا الإمام واحد زمانه شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب بيبورد الشافعي فقال لي: معذور ابن شامة حيث أن القراءات كالحديث مخرجها كمنخرجه إذا كان مدارها على واحد كانت أحادية، وخفى عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام اصطلاحاً وإلا فكل أهل بلدة كانوا يقرؤونها أخذوها أمماً عن أمم ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلدة لم يوافق ذلك أحد بل كانوا يجتنبونها ويأمرون باجتنابها»^(٢).

كثرة الروايات الموضوعية وأثرها في علوم القرآن:

ينبغي التنبيه هنا إلى أن علوم القرآن تأثرت كغيرها بكثرة الموضوعات، فضلاً عن الأوهام والشذوذ اللذين يعتريان الراوي عند الرواية، ثم جاء من أولع بتجميع الأخبار ولو كانت باطلة... وربما عدّ ذلك من الإنصاف للحقيقة؛ إذ تجري عليها

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٤٦١).

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ٦٧، مرجع سابق.

مناهج السبر والتقسيم الأصولية، أو مناهج علم المصطلح الحديثية الصارمة، أو مناهج تخريج المناط وتحقيقه وتنقيحه الأصولية، أو مناهج التواتر القرآني... فتبين الموضوع من الوضاعين، والوهم والشذوذ من الثقات، والمنكر من الضعاف... وهذا هو العذر في التجميع، ولعله ينتمي إلى المناهج العلمية والمناهج الموضوعية بسبب وثيق، ولكنه فتح باب الطعن للطاعنين بسبب قبول كل ما يوري وتوجه همهم إلى كثرة الأخبار وسعة الآثار مع أنه كثير ما يدخلها الخلل بكثرة النسيان وكثرة الكذب وتلاعب الأغراض والأهواء وكثرة ما يدس فيها على الصحابة والسلف بطرق غريبة^(١).

ويتأمل ذلك فيما روي عن ابن عباس فقط في التفسير - دعك مما رواه في مجال القراءات عن أبي بن كعب - يظهر أن السقيم في ما ينسب إلى ابن عباس أصبح «غالباً على الصحيح، حتى ذكر علماء الحديث، نقلاً عن الإمام الشافعي: أنه لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا نحو مائة حديث»^(٢).

المطلب الثاني: من أهم آثار منهج التواتر القرآني

أولاً: منع كل ما يخالف المصحف المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور:

ف «ما يخرج من مصحف عثمان كقراءة ابن مسعود - أي المنسوبة إليه - وغيرها فلا ينبغي أن يقرأ بها في الصلاة لأن القرآن ثبت بطريق التواتر»^(٣) بل قالوا «وإن قرأ بقراءة تخرج عن مصحف عثمان لم تصح صلاته، وتحرم لعدم تواتره»^(٤) وتقدم ذلك، ومعنى هذا: عدم قبول أي قراءة حديثة لم تثبت بمنهج التواتر القرآني.

(١) انظر: كتاب الجواب المنيّف (في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف) ص ١٠٩، مرجع سابق.

(٢) التفسير ورجاله ص ٣٣٥.

(٣) المغني (١/ ٢٩٢)، مرجع سابق.

(٤) الإنصاف ٢/ ٥٨، مرجع سابق.

ومن الأمثلة التي يُستغنى بها عن غيرها في هذا الموضوع:

الخبر الوارد عن مصحف أبي بن كعب، وأن عدد سوره ست عشرة ومائة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع فيما رواه عنه ابن سيرين قال: كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين، واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين، ونحوه أخرج الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن زهير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حب أبي تراب إلا أنك أعرابي جاف فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله ما علمتهما أنت ولا أبوك اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق^(١).

والجواب عن ادعاء أن هاتين سورتين:

١- تأويل هذه الأخبار الصحيح- إن صحت وصحتها بعيدة- أن ذلك دعاء وَهَمَ الراوي فبات يسميه سورة، ويحسبه قرآناً، وابن سيرين لم يدرك أياً ليأخذ منه، وكيف انتقل مصحف أبي إلى ابن سيرين، وقد خرقت المصاحف وحرقت؟ إلا ما قامت الدولة بنشره بين المسلمين، وهو ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ويدل على أن ذلك دعاء ما أخرجه البيهقي أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك- إلى قوله: ملحق^(٢)،

(١) لم أجده مسنداً في كتب الحديث المشهورة بعد لأي.

(٢) وراجع جلاء الأفهام ص ٣٦٢ فيه بيان أن هذا كان من دعاء عمر وأبي في قنوت رمضان بعد الركوع.

ومثله ما جاء عن عبد الرحمن بن سويد الكاهلي قال: كأني أسمع علياً رضي الله عنه في الفجر حين قنت وهو يقول اللهم إنا نستعينك ونستغفرك^(١).

٢- والبسمة لا تدل على أنهما سورتان، فالبسمة تدخل في أكثر الأمور العملية على ما هو معلوم بالاضطرار في حياة المسلمين، فحالتها كدخول جملة الله أكبر في الدعاء وهي تكبيرة في الصلاة.

٣- وأما ما أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما وأنه كان يكتبهما في مصحفه... فكلمة (قنوت) تصريح بأنهما دعاء، وأما الكتابة فتؤكد ما قرر عن أبي سابقاً من تجوزه في كتابة تفسير أو حديث أو قراءته ضمن قراءة القرآن، وإلا فأين معارضته التي سيكفر بها الناس لو لم يجعلوا هاتين السورتين ضمن ما يقرؤون؟.

٤- ولذا ورد عن ابن مسعود أنه كان يأمر بهذا الدعاء في قنوت الوتر^(٢).

٥- ومثل ذلك تماماً تلك الرواية المذكورة عن عبد الله بن زهير الغافقي، فإن قوله: ما علمتهما أنت ولا أبوك وقوله أن النبي ﷺ علمهما علي بن أبي طالب ربما «أرشدك إلى أنهما من العلوم الخاصة التي لا يعرفها كل الناس فيكونان ليسا من القرآن لأن القرآن لا يخص به واحد دون آخر»^(٣)... فتم محاكمتهما في ضوء التواتر القرآني.

٦- وهذا ما فعله القاضي ابن الباقلاني حيث حاكم هذه الروايات في كتاب الانتصار إلى منهج نقل القرآن الكريم، فقال: «أن كلام القنوت المروي أن أبي بن كعب أثبتته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء وأنه لو كان قرآناً لنقل نقل القرآن، وحصل العلم بصحته».

(١) البيهقي في الكبرى (٢/ ٢٠٤).

(٢) ابن أبي شيبة (٢/ ٩٥)، مرجع سابق.

(٣) كتاب الجواب المنيف (في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف) ص ١٥١، مرجع سابق.

٧- ومثل ذلك في أنهما دعاء ما أخرجه الطبراني بسند صحيح - كما يقول السيوطي - عن أبي إسحاق قال أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان فقرأ بهاتين السورتين إنا نستعينك ونستغفرك، ويؤكد هذه الوجهة ما أخرجه البيهقي وأبو داود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي ﷺ وهو في الصلاة مع قوله ليس لك من الأمر شيء الآية لما قنت يدعو على مضر^(١) ...

٨- فآل الأمر إلى أحد احتمالين: إما التجوز في لغة السلف في تسمية الشيء المحدد سورة من التسوير، خاصة أنه كتب في مصحف كما تكتب كثير من التوضيحات الخاصة بالمصاحف الآن في أولها أو في آخرها، وحقيقة ذلك أنه دعاء، وإما الوهم في كلام الراوي وفعله...

وهذا حال صحة هذه الأخبار وعدم شذوذها عن إجماع المسلمين... وذلك تنزل شديد^(٢).

ثانياً: ومن الآثار الهامة للتواتر القرآني: أننا لو قبلنا هذه الأخبار لاحتجنا إلى البحث عن حديث أو أحاديث تفرد لنا كلمات القرآن كلمة كلمة... وهذا خلل في فهم مناهج العلوم.

وإلا فسيأتي يوم يقول فيه: إن عدم مجيء القرآن مروياً في الحديث أنه لم يثبت، ولذا فرواية «حديث عبد الله بن سلام الذي يسمى بالمسلسل بقراءة سورة الصف قال في المنح: هذا صحيح متصل الإسناد والتسلسل ورجاله ثقات وهو أصح

(١) الإتيان (١/ ١٧٩)، مرجع سابق.

(٢) ومن أهم أسباب انتشار هذه الأخبار إقبال بعض أهل العلم على الجمع، والولع بالغرائب في الجمع لما صح وما شذ وما كان فيه نكارة سند أو متن... ومن طرائف الأمر هنا أن السيوطي راح بعد هذا السرد بقر الخلف هل السور في مصحف أبي ست عشرة ومائة أو أقل؟.

مسلسل روي في الدنيا»^(١)... كله زيادة في الملاحظة العلمية لا غير، ولا يعني أن هذا الحديث هو سبب ثبوت سورة الصف، بل ثبتت بمنهج التلقي والتواتر القرآني.

ثالثاً: ومن آثار التواتر القرآني: تأويل كل رواية تخالف التواتر القرآني لو صح

سندها:

والمراد ليس الاطراح الكلي، بل قد يُنظر في تأويلها، فقد يعتري بعض سامعيها الغلط والوهم فينبون عليها نتائج غير صحيحة:

وأبرز ما يبين ذلك مسألة المعوذتين: ونلخصها في التالي:

١- فقد ثبتت المعوذتان تواتراً قرآنياً وتلقياً متناقلاً حسب منهج الإقراء في الإثبات عند جميع فرق المسلمين من السنة والشيعه والخوارج وغيرهم، ومنهج الإقراء كاف في رد كل ما خالف ذلك.

٢- على أن الحديث النبوي قد وسمهما بالقرآنية، فسامهما: آيات فيما جاء عن عقبه بن عامر وكان من رفقاء أصحاب محمد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»^(٢)، وهذا استثناس إذا لا محتاج أن تثبت في الحديث هذه التسمية حتى تتأكد من قرآنيتهما، بل نقل الكافة عن الكافة هم المعول.

٣- وقد ثبتت هذه القضية بموازين علم الحديث لا علم الإقراء فسميتا سورتين وطلب التعوذ بهما كما قال رسول الله ﷺ أنزلت علي سورتان فتعوذوا بهن فإنه لم يتعوذ بمثلهن يعني المعوذتين^(٣)، ومثل ذلك عن عقبه بن عامر قال: بينا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال ألا تركب يا عقبه فأجللت

(١) تحفة الأحوذى (٩ / ١٤٧)، مرجع سابق.

(٢) مسلم (١ / ٥٥٨)، مرجع سابق.

(٣) أحمد (٤ / ١٤٤)، مرجع سابق.

رسول الله ﷺ أن أركب مركب رسول الله ﷺ ثم قال ألا تركب يا عقيب فأشفقت أن يكون معصية فنزل وركبت هنيهة ونزلت وركب رسول الله ﷺ ثم قال: ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس فأقراني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] فأقيمت الصلاة فتقدم فقرا بهما ثم مر بي فقال: كيف رأيت يا عقيب؟ اقرأ بهما كلما نمت وقيمت^(١).

٤- وفي لفظ بصيغة الإقراء: فعنه رضي الله عنه قال أهديت للنبي ﷺ بغلة شهباء فركبها وأخذ عقبة يقودها به فقال رسول الله ﷺ لعقبة: اقرأ قال وما أقرأ يا رسول الله قال: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]» فأعادها علي حتى قرأتها فعرف أنني لم أفرح بها جداً قال: «لعلك تهاونت بها فما قمت يعني بمثلها»^(٢)، وفي لفظ عنه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت أقرني سورة هود أقرني سورة يوسف فقال: «لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله عز وجل من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]»^(٣).

٥- وفي لفظ قرنهما مع سورة الإخلاص: فقراهن النبي ﷺ حتى ختمها ثم قال: «ما تعوذ بمثلهن أحد»^(٤)، وفي لفظ: عنه رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال: «يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سوراً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهن لا تأتي ليلة إلا قرأت بهن فيها وذكر الثلاث»^(٥).

(١) ابن خزيمة (١/ ٢٦٧)، النسائي في الصغرى (٨/ ٢٥٣)، النسائي في الكبرى (٤/ ٤٣٨)، مراجع سابقة.

(٢) النسائي في الصغرى (٨/ ٢٥٢)، مرجع سابق.

(٣) النسائي في الصغرى (٨/ ٢٥٤)، مرجع سابق.

(٤) النسائي في الكبرى (٤/ ٤٣٩)، مرجع سابق.

(٥) أحمد (٤/ ١٥٨)، مرجع سابق.

٦- ولعل كونهما تعوداً في الوقت ذاته أدخل لبساً جعل عقبة يسأل عنهما النبي ﷺ شبيه بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»^(١) أم هما من القرآن الكريم فعن عقبة بن عامر قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين أمن القرآن هما فأما بهما رسول الله ﷺ في صلاة الفجر^(٢).

٧- ولعل ترتيب ذلك تم كالتالي: لما سمع عقبة النبي ﷺ يتعوذ بهما طراً عليه اللبس حيث سمع عقبة النبي ﷺ يتعوذ بهما ابتداء فعنه قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ - كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر- بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق- وأعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما- ثم قال فقال لي يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا فعلمي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] قال: فلم يرني سررت بهما جداً- وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة- فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي فقال يا عقبة كيف رأيت-^(٣) وهذا دمج لروايتين عند أبي داود.

٨- وورد التصريح بتلقي النبي ﷺ إياهما لبعض أصحابه رضي الله عنهم: فقد قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعتقدون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلني فلحقني من بعدي

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٣٣)، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (١/ ٣٦٦)، مرجع سابق.

(٣) أبو داود (٢/ ٧٣)، مرجع سابق.

فضرب منكبي فقال فقرأهما رسول الله ﷺ وقرأتها معه قال: إذا أنت صليت فاقرا بهما^(١)، ولعل المذكور هنا هو عبد الله الأسلمي.

٩- وعن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لقد أنزل علي آيات لم ينزل علي مثلهن المعوذتين^(٢)، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر» قال قلت: ما أقرأ بأبي وأمي أنت؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأتهما فقال ﷺ اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما^(٣).

١٠- لم يرد عن ابن مسعود رضي الله عنه أي إنكار لكتابتهما في مصاحف المسلمين عند تكليف زيد بنسخ المصاحف، ولم يشع ابن مسعود على قصور زيد ومن معه في الكتابة من هذا الباب على الرغم من أن خصومته لتولية زيد كانت مشهورة، وإنما ورد إنكار ابن مسعود لذلك في مساق آخر.

١١- التخمين بأنهما ليستا قرآناً عند ابن مسعود جاء من سفيان بن عيينة فعن زر قال: قلت لأبي إن أخاك يحكهما من المصحف فلم ينكر قيل لسفيان: بن مسعود؟ قال: نعم! وليسا في مصحف بن مسعود كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلواته فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوها إياه^(٤)، وهذا الظن مردود، وخاصة تلك التي ورد التصريح فيها بنفي ابن مسعود قرآنيتهما فالشذوذ فيها ظاهر، وكذلك النكارة في المتن... ولذا يرى الباحث اطراح ظاهر متن مثل هذه الروايات لأنها لا تقابل بما تناقله المسلمون وتلقوه عبر منهج الإقراء المعتمد...

(١) وقال ابن حجر في الفتح (٨ / ٧٤٢): «وإسناده صحيح»، وقال في مجمع الزوائد (٧ / ١٤٨): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) قال في مجمع الزوائد (٧ / ١٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

(٣) ابن حبان (٣ / ٧٦)، مرجع سابق.

(٤) أحمد (٥ / ١٣٠)، مرجع سابق.

وقد اعتمد بعض الأئمة هذا النفي عن ابن مسعود لقرآنيتهما، وراح يبين شذوذه في ذلك عن باقي المسلمين.

تعارض ذلك مع أصليين كبيرين:

وعند الباحث أن بعض هذه الروايات صريحة في النفي عن ابن مسعود رضي الله عنه على أنها تحتاج زيادة سبر في أسانيدها، ثم في شذوذ المتن أو كونه محفوظاً... على الرغم من ذلك فإنها تعارض صراحة أصليين كبيرين:

أحدهما: حفظ ابن مسعود رضي الله عنه وتقدمه على جميع المسلمين في ذلك بما فيهم أبي عند بعض أهل العلم كما تقدم شرحه في الكلام عن العرضة الأخيرة من الفصل الثاني، وإكماله لحفظ القرآن الكريم في حياة النبي ﷺ، فكيف يفهم قبول ظاهر هذه الروايات الغريبة، مع كثرة ما وضعه الزنادقة وأدخلوه في علوم الإسلام من إرجاف وتشكيك، وتلويث... هذا خلف من القول، وأي شيء يكون لو رُدَّ متن هذه الروايات عند رؤيته لا يستقيم على حال مع حال ابن مسعود وحال الصحابة حوله، أو كان يغيب ذلك عن عمر حين بعثه مقرئاً لأهل الكوفة؟ بل أكان ذلك يغيب عن النبي ﷺ حين أمر بالأخذ عنه؟.

وثانيهما: أن إنكار ابن مسعود رضي الله عنه لهما لم يكن زمن النبي ﷺ، ولا زمن أبي بكر ولا عمر فما الذي استجد؟... وما لابن مسعود لا ينكر على عمر؟ وقد كان عمر يقرأ بالمعوذتين في الوتر^(١)، ولو مثل ذا حدث لأشعل الدنيا لهيباً إنكاراً أو إثباتاً... فأين ذاك؟... ثم تلاميذه الذين تتلمذ عليهم أهل الكوفة... ما لهم يقرؤون بهما... أتشهيأ؟.

ولذا أنكر أهل العلم صحة ما ورد عن ابن مسعود، ومن ذلك قول النووي: «وفيه - أي حديث عقبة - دليل واضح على كونهما من القرآن ورد على من نسب إلى

(١) ابن أبي شيبة (٢/ ٩٤)، مرجع سابق.

ابن مسعود خلاف هذا»^(١)، وقال في المجموع شرح المذهب: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منهما شيئاً كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح»^(٢)، وقال ابن حزم: «وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان»^(٣).

ثم رجع ابن حجر إلى منهج الإقراء يعتمد على الجواب عن الموضوع برمته فقال: «إلا أن في الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد بأخبار الأحاد»^(٤) وليته فعل ذلك ابتداء.

وأما ما ذكر عن عبد الله رضي الله عنه أنه كان ينكر أن تكون فاتحة الكتاب من الكتاب فهو الذي يدفعنا إلى التأكيد على الحقيقة السابقة، على أن الباحث لم يجد نصاً يمكن أن يناقش فيه إنكار ابن أم عبد للفاتحة، ونكتفي بما قاله ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، فقال: «و أما فاتحة الكتاب فإنني أشك فيما روى عن عبد الله من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم... وهو مع هذا متقدم في الإسلام بدري لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤم بها... وهي السبع المثاني، وأم الكتاب... ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، لأنها تشني في كل صلاة وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين

(١) شرح النووي (٦ / ٩٦)، مرجع سابق.

(٢) المجموع شرح المذهب (٣ / ٣٥٠).

(٣) المحلى (١ / ١٣)، مرجع سابق.

(٤) فتح الباري (٨ / ٧٤٣)، مرجع سابق.

ترك تعلمها وحفظها كما لا يجوز تعلم غيرها وحفظه إذ كانت لا صلاة إلا بها، فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن»^(١).

رابعاً: من آثار التواتر القرآني: نسبة طروء الخطأ والوهم على من روي عنهم روايات ولو صحيحة تخالف التواتر القرآني: كما سبق.

خامساً: من آثار التواتر القرآني: رد كل ما اشتبه أمره في كل رواية حديثة إليه:

ومما يوضح ذلك: ما ورد في آتي براءة، وآية الأحزاب: فقد قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: نسخت الصحف في المصاحف ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فلم أجدها إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين وهو قوله ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]^(٢).

وقال أيضاً: فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمه الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]^(٣).

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٣٤.

(٢) البخاري (٣/ ١٠٣٣)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٧٢٠)، مرجع سابق.

وقد يتعلق بذلك فيقال: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف كما فعلتم فإنكم أثبتم بقول رجل واحد وهو خزيمة بن ثابت وحده آخر سورة براءة وقوله: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ [الأحزاب: ٢٣] ^(١).

والجواب: أما معنى قوله: «و صدور الرجال»: أي كأساس للمكتوب:

وهذا- في نظر الكاتب- أولى من قول من قال: «أي حيث لا أجد ذلك مكتوباً» ^(٢)، لأن القرآن مكتوب، وعمل زيد في الجمعين في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما قائم على التعضيد للمقروء (القرآن)، بالمكتوب (الكتاب)، وللمكتوب بالمقروء، فتكون الواو بمعنى مع أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدر ^(٣).

ومعنى قوله: «فقدت آية كذا فوجدتها مع فلان..» أنه كان يتطلب نسخ القرآن مما كتب بأمر النبي ﷺ، فلم يجد كتابة تلك الآية مع ذلك الشخص، وإلا فالآية كانت محفوظة عنده وعند غيره، وهذا المعنى أولى مما ذكره مكي وغيره: أنهم كانوا يحفظون الآية، لكنهم أنسوها فوجدوها في حفظ ذلك الرجل فتذاكروها وأثبتوا لسماعهم إياها من النبي ﷺ ^(٤) وهو أولى أيضاً من غيره من الأقوال ^(٥).

فالمراد: أي لم أجدهما مكتوبتين أما الحفظ فعام منتشر، فليس فيه ما يقتضي الثبوت بغير التواتر؛ إذ كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ﷺ، ولم يكتبوا من حفظهم ^(٦).

(١) القرطبي (١ / ٥٦)، مرجع سابق.

(٢) كما قال ابن حجر. انظر: فتح الباري (٩ / ١٥).

(٣) وقد وجدت ابن حجر ذكر ذلك. انظر: فتح الباري (٩ / ١٥).

(٤) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٥١، مرجع سابق.

(٥) القرطبي (١ / ٥٦)، مرجع سابق.

(٦) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٥٧، مرجع سابق.

سادساً: ومن القواعد الكلية في التواتر القرآني: أنه إذا كان لا بد في القرآن في مجموعه وتفصيله من التواتر، فإذا نقل ما يضاد ذلك أو يجرحه فلا بد فيه من التواتر أيضاً أو الاستفاضة على الأقل:

لتوفر الدواعي عند المسلمين والكفار على ذلك، وكم رام أعداء القرآن الطعن فيه، واللغو فيه، فلم يفلحوا... وأساس ذلك أن «كل أمر خطير ذي بال يقتضي العرف نقله إذا وقع تواتراً إذا نقله آحاد فهم يكذبون فيه منسوبون إلى تعمد الكذب أو الزلل»^(١).

ولذا قال الجويني: «وتمام البيان فيه أنا إنما نكذب المنفرد بالنقل في كلى متواتر قطعاً لو وقع أو في تفصيل يقضي العرف التواتر فيه ثم لا بد أن يتواتر نقيض ما نقله المنفرد بنقله»^(٢).

وهل يؤثر في التواتر القرآني جحود البعض؟

الجواب: لا! لا يؤثر؛ لأن الجحود قد يوجد مع اليقين فإن بعض الناس يبحثون عن الإنكار لذات الإنكار، ومثل ذلك لا يضر القرآن في شيء، بل هو من عوامل تثبيته حين تكون المعارضة خاسرة، وهي كذلك دوماً، وتحدث الله عن هؤلاء وبين حقيقة جداهم في قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ لِنَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِيَلْبِغِيهِ فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] وهذا ينبثق من خطة أعداء المخاصم الألد ذكرها الله عز وجل في: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فهل يؤثر جحود هؤلاء وأولئك على معرفتنا بوجود القاهرة وإن لم نشاهدها؟ لا... وكذلك هنا... على أن التواتر القرآني تواتر محسوس لوجود المصحف في

(١) البرهان (١/ ٤٢٦)، مرجع سابق.

(٢) البرهان (١/ ٤٢٦)، مرجع سابق.

بيت كل مسلم من أكثر من مليار مسلم بحمد الله سبحانه وتعالى، وكذلك كان الأمر قبل ثورة الطباعة، وأساس ذلك تلاوة كل المسلمين له.

ولذا إذا قيل: «ما معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وقد علمتم أن خلقاً يشكون في ذلك فكيف يصح ذلك وإن أراد لا ريب فيه عندي وعند من يعلم فلا فائدة في ذلك؟، فجوابنا أن المراد أنه حق يجب أن لا يرتاب فيه وهذا كما يبين المرء الشيء لخصمه منه بعد البيان أن يقول هذا كالشمس واضح وهذا لا يشك فيه أحد كما يقال عند إظهار الشهادتين أن ذلك حق وصدق وإن كان في الناس من يكذب بذلك»^(١)، وكما قال بعض أساطين العلم في أوروبا: «صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولا يشترط مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد... لسبب بسيط وهو أن القرآن قد ثبت في عصر النبي ﷺ (وأنه) لم يتعرض لأي تحريف من يوم أن أنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا»^(٢).

(١) (القاضي عبد الجبار) قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥ هـ: تنزيه القرآن

عن المطاعن ص ٥، مصور دون ذكر معلومات.

(٢) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (قراءات) ص ٩٥ نقلاً عن موريس بوكاي في كتابه (القرآن الكريم

والتوراة والإنجيل والعلم)، مرجع سابق.

الخاتمة

فقد حاول هذا الكتاب أن يصف معالم الجامعة القرآنية النبوية منذ تأسست بمشرق الوحي حتى اكتملت باكمال الدين، ونزول ختم الرسالة في أكبر عيد للمسلمين لما نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾... ورأينا المدى العظيم الذي بلغ به سيد ولد آدم ﷺ القرآن وحرص وجهد كما قال عمر رضي الله عنه، كما عاينا الركائز والنظم الإدارية التي اعتمدها لإنجاح الرسالة، وتبليغها لأهل الأرض إلى يوم القيامة، وظهرت لنا المنهجية النبوية في تعليم القرآن الكريم محضة لم تشبها أقدار الزمان، وتطورات الأحداث والحدثان... وعشنا معه ﷺ وهو يعلم القرآن على هيئة فردية، وفي صورة جماعية... في قاعات المحاضرات الخاصة والعامة «الحلقات القرآنية»، وفي المراكز الرئيسية للإقراء، وخارج نطاقها... كما رأينا ضخامة غرس المخرجات التعليمية التي زرعتها يده، وسقتها تربيته، وكيف وصل بعض أصحابه (تلاميذه) رضي الله عنهم إلى إنشاء جامعة قرآنية مستقلة يدرس فيها ما لا يقل عن ألف وستمائة طالب يومياً كما في حالة أبي الدرداء رضي الله عنه:

وحدثني يا سعد عنهم فزدتني حيناً فزدني من حديثك يا سعد
 هواهم هوى لم يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعد
 وليس من زيادة حديث عن هذا الموضوع الجليل إلا الدخول إلى رياضة
 النضرة، وقراءة الكتاب من أوله إلى آخره... فما كان فيه من صواب فمحض
 توفيق الله عز وجل وآلائه، وما كان من خطأ فذنب أقعد كاتبه، كما أقعد
 السابقين، وتقصير أبوء بهما... سائلاً الله أن يغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا هو.

ولعل الكتاب يمثل دعوة إلى أمور منها:

١- إعادة تطبيق المنهجية النبوية كاملة في تعليم القرآن الكريم، فهو دعوة للمقرئين، وطلاب القرآن الكريم، وللمؤسسات القرآنية الحكومية والأهلية.

٢- المطالبة بإدخال نص تفصيلي يجعل من الواجبات الدستورية للدولة الإسلامية تبليغ القرآن الكريم لمشارك الأرض ومغاربها، فلا ينبغي أن تكون للرياضة وزارة خاصة ويقل القرآن المجيد عن أن تكون له الرعاية ذاتها، وإن كانت المقارنة هنا غير قائمة... والمراد الاعتناء بالجوانب القرآنية اللفظية الخاصة وفق المنهجية النبوية، وإلا فالأصل صدور كل تصرفات الأمة عن هدي القرآن الكريم. والقرآن المجيد بحمد الله- تعالى ذكره- محل اهتمام حكومي وأهلي لا يختلف عليه اثنان، كما هو محل حفاوة عامة من قبل المسؤولين في الدول الإسلامية.

٣- تعاون المؤسسات العلمية القرآنية على عقد مؤتمرات قرآنية تؤسس لمجمع قرآني عالمي هدفه الأساسي نشر القرآن الكريم تلقيناً وتعليمياً وكتابةً بالروايات المتناقلة، ورعاية الأنشطة الإعلامية والتعليمية والتوجيهية التي تسهم في ذلك، والقيام بإعداد المناهج المبسطة الميسرة التي يمكن إدماجها ضمن مناهج التعليم العالي لجميع الكليات الدراسية ذات التخصصات الفنية والعلمية بحيث يكون حيزها من المنهج التعليمي مناسباً غير مخل بأصل تخصص هذه الكليات... وإن كنا نرى آثار الحفظ الإلهي ماثلاً في قيام المؤسسات الكثيرة في أرجاء العالم بهذه المهام.

وبعد: فإن هذا السير كان في أفنان ندية أحيط الزائر السائر فيها بثلاثة... ما اجتمع ذكرهم إلا اخضر الزمان العبوس، وابتهج اليقين في كل فؤاد يؤوس...: الرسول ﷺ، القرآن المجيد زاده الله رفعة وعلو، الصحابة رضي الله عنهم... ولقد صدقنا الله وعده... إذ يشعر القلب بذلك في زمن البأساء الشديدة والقرح المجهد... وأتى لعبد اجتمع له العيش معهم صافياً بلا كدر أن يملك نفسه عن عبرات الشوق:

ولما دنونا لتوديعهم بكوا لؤلؤاً، وبكىنا عقيماً
أداروا علينا كؤوس الفراق وهيئات من سكرها أن نفيقاً
تولوا فأتبعتهم أدمعي فصاحوا: الغريق وصحت: الحريقاً
وقد بقي كثير مما عزم الكاتب على تسطيره تلخيصاً لمعالم المنهجية النبوية
القرآنية، وبياناً للحياة الجامعية القرآنية التي تنبض بالعلم والتعليم، والنشر
القرآني... ولعله أن يأتي في طبعات لاحقة- أو بإكمال ناصح من النصيحة لكتاب
الله المجيد... بيد أنني راج ممن يطلع عليه- من أهل الله وخاصته أو ممن يحبونهم-
أن يسددوا هذه المحاولة العلمية عسى أن ينفع الله بها الأمة في الدارين...

فهذا تمام ما تيسرت كتابته يصحبه عجز صاحبه وذنبه... «والى الله- تعالى
ذكره- جزيل الضراعة والمنة بقبول ما منه لوجهه، والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره»^(١) أمين.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا
بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله ربنا توكلنا، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

almagidy@hotmail.com

(١) من خاتمة كتاب الشفا للقاضي عياض (٢/ ٣١٢)، مرجع سابق.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء.....
٧	المقدمة.....
١٧	الفصل الأول: شخصية النبي ﷺ التعليمية.....
١٩	المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد ﷺ.....
١٩	المطلب الأول: الوظيفة العامة للنبي ﷺ.....
٢٥	المطلب الثاني: تحليل دلالات الوظيفة الرسالية الإجمالية.....
٢٧	المطلب الثالث: تفصيل الوظيفة الرسالية للنبي ﷺ.....
٣٤	المبحث الثاني: وظيفة التلاوة.....
٣٤	المطلب الأول: مدلول التلاوة.....
٣٨	المطلب الثاني: علاقة التلاوة بالتعليم.....
٤٧	المطلب الثالث: المنهج المقرر للتلاوة والتعليم.....
٥٦	المطلب الرابع: قيامه بوظيفة تعليم القرآن على أوسع نطاق.....
٦٦	المبحث الثالث: حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه.....
٦٦	المطلب الأول: حكم تعلم القرآن على النبي ﷺ.....
٦٧	المطلب الثاني: حكم تعلم القرآن الكريم وتعليمه على الأمة.....
٨١	الفصل الثاني: أصول تعليم النبي ﷺ أصحابه ألفاظ القرآن.....
٨٣	المبحث الأول: تعليمه ﷺ كيفية تعلمه لكلام الله القرآن.....
٨٣	المطلب الأول: تعليمه ﷺ كيفية نزول ألفاظ القرآن وتلقيها.....
٨٨	المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أماكن القراءة.....
٩٢	المطلب الثالث: إلزامهم الاقتداء به في هيئة تلاوته للفظ القرآني.....
٩٦	المبحث الثاني: وسائل تعليم ألفاظ القرآن الكريم كما وضعها النبي ﷺ

- المطلب الأول: الحلقات القرآنية ٩٧
- المطلب الثاني: تعليمهم هيئة التعلم الواجبة لألفاظ القرآن الكريم (التلقي) ١٠٥
- المطلب الثالث: العرضة الأخيرة ١١٤
- المطلب الرابع: التعليم القرآني العام ١٢٩
- المطلب الخامس: التدرج في التعليم ١٤٠
- المبحث الثالث: وسائل النشر التعليمية لألفاظ القرآن الكريم في عموم المجتمع ١٤٥
- المطلب الأول: وسائل النشر العامة ١٤٥
- المطلب الثاني: الصلاة وسيلة لنشر القرآن وتعليمه ١٥٢
- المطلب الثالث: منح قراء القرآن الصدارة في الألقاب العلمية وقيادة الناس ١٥٨
- المطلب الرابع: تعليمه ﷺ تسمية السور وألقابها ١٦٧
- المبحث الرابع: القواعد التربوية والعلمية المصاحبة لعملية الإقراء من حيث ١٧١
- المطلب الأول: الانفعال بالقرآن الكريم ١٧١
- المطلب الثاني: لزوم أجديات منهج التلقي ١٧٦
- المطلب الثالث: تعليمهم تعظيم القرآن الكريم ١٧٦
- المطلب الرابع: تعليمهم كيفية الهيئة التي يكون عليها قارئ القرآن إذا أراد القراءة ١٨١
- الفصل الثالث: جماع منهجية النبي ﷺ في تحفيظ الألفاظ وترتيبها** ١٩١
- المبحث الأول: تعليمه ﷺ أساسات الدرس القرآني «منهج الحلقات القرآنية» ١٩٣
- المطلب الأول: القراءة نظراً من المصحف ١٩٣
- المطلب الثاني: القراءة عن ظهر قلب ١٩٦
- المطلب الثالث: التعاهد (المراجعة) ٢٠٠
- المطلب الرابع: تعليمهم مقدار الورد اليومي ٢٠٩
- المبحث الثاني: تعليمه ﷺ ماهية التجويد وحكمه ٢١٤
- المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد ٢١٤
- المطلب الثاني: مكونات علم التجويد- كما علمها النبي ﷺ - ٢٢٠

- ٢٢٥ المطلب الثالث: حكم التجويد كما علمه النبي ﷺ
- ٢٣١ المبحث الثالث: تعليمه ﷺ أهمية التجويد وضوابطه الشرعية
- ٢٣١ المطلب الأول: تعليمه ﷺ أهمية التجويد
- ٢٣٧ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ اجتناب اللحن
- ٢٤٠ المطلب الثالث: تعليمه ﷺ ضوابط التجويد
- ٢٤٥ المبحث الرابع: تعليمه ﷺ ترتيل ألفاظ القرآن الكريم
- ٢٤٥ المطلب الأول: الترتيل وأركانه
- ٢٥٣ المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي ﷺ (المد) ..
- ٢٥٨ المطلب الثالث: تعليمه ﷺ مراتب الترتيل
- ٢٦٧ المبحث الخامس: تعليمه ﷺ مراتب الأداء الأعلى من التجويد
- ٢٦٧ المطلب الأول: تعليمهم تزيين التصويت بألفاظ القرآن الكريم
- ٢٧٣ المطلب الثاني: تعليمهم التغني بألفاظ القرآن الكريم
- ٢٨٠ المطلب الثالث: تعليمهم الترجيع لألفاظ القرآن الكريم
- ٢٨٨ المطلب الرابع: القراءة بالألحان
- ٢٩٨ المبحث السادس: تعليمه ﷺ الملحقات بأحكام التجويد
- ٢٩٨ المطلب الأول: تعليمه ﷺ أحكام الابتداء
- ٣٠٦ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أحكام الختم
- ٣٢٦ المطلب الثالث: تعليمه ﷺ أحكام الوقف
- ٣٢٩ المطلب الرابع: تعليمه ﷺ أحكام الجهر والإسرار بقراءة القرآن الكريم
- ٣٣٥ **الفصل الرابع: تعليمه ﷺ جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة**
- ٣٣٧ المبحث الأول: أثر عامل السن في أسلوب تعليمه (منهجية النبي ﷺ في تعليم
- ٣٤٢ المبحث الثاني: تعليمه ﷺ صفات حامل القرآن وصفاته
- ٣٤٢ المطلب الأول: تعليمه ﷺ تلقيب القراء والمقرئين بالألقاب مميزة
- ٣٥٠ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ صفات حامل القرآن الذي يستحق هذه الألقاب

- ٣٦٧ المبحث الثالث: أصحاب (تلاميذ) النبي ﷺ من أئمة الإقراء (المخرجات)
- ٣٦٧ المطلب الأول: مؤشرات وقواعد عامة في عدد حفاظ القرآن الكريم في عهد
- ٣٨٢ المطلب الثاني: من أشهر أئمة الإقراء من أصحاب النبي ﷺ على سبيل
- ٤٠٦ المبحث الرابع: تعليمه ﷺ جمع القرآن
- ٤٠٧ المطلب الأول: تعليمه ﷺ كتابة القرآن
- ٤١٧ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره
- ٤٢٤ المطلب الثالث: تعليمه ﷺ تحزيب القرآن
- ٤٢٩ المطلب الرابع: تعليمه ﷺ عد الآي (علم الفواصل)
- ٤٣٣ الفصل الخامس: تعليمه ﷺ قراءة القرآن على أحرفه المنزلة
- ٤٣٥ المبحث الأول: تعليمه ﷺ القراءة بما تيسر من الأحرف السبعة
- ٤٣٥ المطلب الأول: تعليمه ﷺ مشروعية قراءة القرآن على سبعة أحرف
- ٤٤٠ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ أن الحرف الواحد شاف كاف
- ٤٤٣ المطلب الثالث: تعليمه ﷺ عدم التناقض المعنوي بين هذه الأحرف
- ٤٤٧ المبحث الثاني: تعليمه ﷺ أن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول
- ٤٤٧ المطلب الأول: التلقي والتوقيفية في القراءات
- ٤٥٢ المطلب الثاني: تعليمه ﷺ عدم التنازع في رواية القراءة ما دامت قد ثبتت عنه
- ٤٥٧ المطلب الثالث: أين الأحرف السبعة؟
- ٤٧١ المطلب الرابع: القراءة التفسيرية
- ٤٧٦ المطلب الخامس: القراءة بالمعنى
- ٤٨٥ المبحث الثالث: المنهجية الشرعية لتناقل القرآن الكريم (التواتر في نقل ألفاظ
- ٤٨٧ المطلب الأول: التواتر القرآني
- ٤٩٥ المطلب الثاني: من أهم آثار منهج التواتر القرآني
- ٥٠٩ الخاتمة
- ٥١٣ فهرس الموضوعات